



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مجلة
الجامعة الإسلامية

مجلة علمية محكمة
تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة





المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مجلة

الجامعة الإسلامية

مجلة علمية محكمة

تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

العدد ١٢٢ - السنة ٣٦ - ١٤٢٤ هـ

رقم الإيداع ١٤/٠٠٩٢

تاريخه ١٤١٤/١/٢٢ هـ

www.iu.edu.sa

iu@iu.edu.sa

موقع الجامعة الإسلامية

بريد الإنترنت

جميع حقوق الطبع محفوظة مجلة الجامعة الإسلامية

قواعد نشر البحوث العلميّة في مجلّة الجامعة

- أ - أن تكون جديدة؛ لم يسبق نشرها .
- ب- أن تكون خاصّة بالمجلّة .
- ج- أن تكون أصيلة؛ من حيث الجلدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- د - أن تراعى فيها قواعد البحث العلميّ الأصيل ، ومنهجيتّه.
- هـ- أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة، قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلميّة في (الدكتوراه) أو (المجستير) .
- و - أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة للإصدار الواحد، ولا يقلّ عن عشر صفحات، وهيئة تحرير المجلّة الاستثناء عند الضرورة .
- ز - أن تُصدّر نبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتعريف بها .
- ح- أن يرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها ؛ تبيّن عمله، وعنوانه، وأهمّ أعماله العلميّة.
- ط- أن يقدّم صاحبها خمس نسخ منها .
- ي- أن تقدّم مطبوعة وفق المواصفات الفنيّة التالية:
 - ١- البرنامج وورد ٢٠٠٠ أو ما يمثله .
 - ٢- نوع الحرف Traditional Arabic
 - ٣- نوع حرف الآية القرآنيّة decotype Naskh Special
 - ٤- مقياس الصّفحة الكليّ : ١٢سم × ٢٠سم (بالرقم)
 - ٥- حرف المتن: ١٦ أسود .
 - ٦- حرف الهامش : ١٤ أبيض.
 - ٧- رأس الصّفحة : ١٢ أسود .
 - ٨- العنوان الرئيسيّ : ٢٠ أسود.
 - ٩- العنوان الجانبي : ١٨ أسود.
 - ١٠- الأقرص تكون من التوعيّة الجيّدّة، ويكون حفظ الملفات على نظام DOC.
- ك - أن يُقدّم البحث - في صورته النهائيّة - في ثلاث نسخ؛ منها نسختان على قرصين مستقلّين ، ونسخة على ورق .
- ل- لا تلتزم المجلّة بإعادة البحوث لأصحابها ؛ نشرت أم لم تنشر .

عنوان المراسلات : تكون المراسلات باسم رئيس التحرير:

(ص ب ١٧٠ المدينة المنورة هاتف و فاكس ٨٤٧٠٥٤٨

البريد الإلكتروني iu@iu.edu.sa)

مجلة

الجامع للإسلامية

هيئة التحرير

رئيس التحرير : أ.د. مُحَمَّد بن خَلِيفَة التَّمِيمِي
مدير التحرير : أ.د. مُحَمَّد بن يَعْقُوب التُّرْكِسْتَانِي
الأعضاء : أ.د. عَبْد الكَرِيم بن صُنَيْتَان العَمْرِي
ر. عَبْد الصَّمَد بن بَكْر عَابِد
ر. أَحْمَد بن سَعِيد الغَامِدي
ر. شَايِع بن عَبْد اله الأَسْمَرِي
سكرتير التحرير : أ. عَبْد الرَّحْمَن بن دَخِيل رَبِّه المَطْرَفِي

الموادّ المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء أصحابها

مُحتَوَيَاتُ العَدَدِ

الصفحة

الموضوع

- حَمْدُ اللَّهِ ذَاتَهُ الْكَرِيمَةَ فِي آيَاتِ كِتَابِهِ الْحَكِيمَةِ :
للدكتور عماد بن زهير حافظ ١١
- وَقَفَاتٌ مَعَ أَحَادِيثِ تَرْبِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ - لَصَحَابَتِهِ :
للدكتور عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد ١٠١
- بَحْثٌ عَقْدِيٌّ فِي لَفْظِ (السَّيِّدِ) :
للدكتور يوسف بن محمد السعيد ١٦١
- أَحْكَامُ الاضْطَبَاعِ وَالرَّمْلِ فِي الطَّوَافِ :
للدكتور: عبد الله بن إبراهيم الزاحم ٢١٩
- مُعْجَمُ الْمُؤَلَّفَاتِ الْأُصُولِيَّةِ الشَّافِعِيَّةِ الْمَبْتُوثَةِ فِي كَشْفِ
الظُّنُونِ وَإِيضَاحِ الْمَكُونِ وَهَدْيَةِ الْعَارِفِينَ :
للدكتور ترحيب بن ربيعان الدوسري ٣٢٥
- الْحَمَلَةُ الْأَخِيرَةُ عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ :
(دِرَاسَةٌ لِلرُّوَايَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَحْرِيرٌ) :
للدكتور سليمان بن عبد الله السويكت ٤٢١

حَمْدُ اللَّهِ ذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ
فِي آيَاتِ كِتَابِهِ الْحَكِيمَةِ

إعداد :

د. عماد بن زهير حافظ

الأستاذ المشارك في كلية القرآن الكريم في الجامعة

المقدمة

الحمد لله الذي حمد ذاته الكريمة قبل أن يحمده الحامدون، وأشهد أن لا إله إلا الله سبحانه بحمده الملائكة المقربون، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبد الله ورسوله الصادق المأمون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وبعد؛ لَمَّا منَّ الله - تبارك وتعالى - بما يسر لي من الدراسة والبحث حول مواضع تسيبحة لذاته العلية في آيات كتابه السنية؛ عقدت العزم على تتبع مواضع حمده تعالى لذاته؛ لِمَا أنَّ الحمد صنو التسيبح وقرينه من جهة، ولِمَا أنَّ حمده سبحانه لذاته في أمر من الأمور يدلُّ على أهمية وعظم شأن ذلك الأمر من جهة أخرى؛ إذ يخصّه عزّ وجلّ بهذا المقام الخاص اللائق بجلاله وعظمته.

هذا وقد قيل في سبب حمده لذاته تعالى أنه لَمَّا علم عجز عباده عن القيام بواجب حمده مع عظم نعمه وآلائه حمد نفسه بنفسه في الأزل، وليدلَّ على كونه محموداً أزلاً وأبداً بحمده سواء حمد أو لم يحمد، فهو مستغن بذلك عن حمد الحامدين، وليومئ - أيضاً - أنه لا يليق بذاته إلا حمده الصادر عنه سبحانه.

وعلى هذا فحريّ بي أن أتأمل في هذه المواضع القرآنية وأفيد منها في إظهار عظمة الله تبارك وتعالى بصفاته العليا وآياته الكبرى ونعمه العظمى التي لا تعدّ ولا تحصى.

ومن بعد التتبع لتلك المواضع وجدت أن الله عز وجلّ حمد ذاته الكريمة في خمسة عشر موضعاً عند أمور مختلفة وشؤون شتى . فشرعت في دراستها وتحليلها وكشف لطائفها وأسرارها متوكلاً على الله تعالى طالباً منه السداد والهدى.

- ولقد قسّمت هذه الدراسة إلى أربعة عشر فصلاً، لكلّ موضع فصل مستقلّ

- به، إلا موضعي سورة سبأ فقد جعلتهما في فصل واحد لورودهما في آية واحدة .
ومن ثمّ بينتُ تلك المواضع حسب ترتيب سورها في المصحف الشريف .
- ومهّدت لهذه الدراسة بتمهيد في معنى الحمد وتعريفه ومشتقاته والفرق بينه وبين الشكر والمدح . وأتبعته فصولها بخاتمة للبحث ذكرت فيها أهمّ النتائج والمقترحات .
- أمّا منهجي في بيان هذه المواضع الكريمة فإني أذكر وجه الحكمة في مجيء الحمد في موضعه وغاية إيرادها، وهذا يلزمني أن أبين ما قبل الموضوع وما بعده في أغلب الأحيان لكشف وجه الصلة والمناسبة، وأذكر في ذلك كلام المفسرين بما أراه مناسباً وراجحاً وقريباً من المعنى الظاهر دون اللجوء إلى مناسبات بعيدة في التأويل ومتكلفة .
- كما أيّ أعمد إلى ذكر بعض اللطائف حول الآيات التي أتناولها بالبيان، والتي أرى من المناسب ذكرها لما فيها من زيادة إيضاح أو تأكيد لمعنى أو كشف لسرّاً بلاغي أو لغوي يبيّن جمال النصّ القرآني الكريم .
- ثمّ إني قد أذكر في الهامش بعض الاستطرادات التي أرى أنه ليس من المناسب إدخالها في متن الفقرات الأصلية للبحث، ولكن إيرادها لها بسبب ما أخشاه من لبس عند القارئ أو وهم يزول بها . هذا مع ما أذكر فيه من التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في المتن .
- وأخيراً أسأل الله تعالى أن يتقبل بحثي هذا في ميزان حسناتي يوم ألقاه وأن يغفر لي ما كان فيه من خطأ أو نسيان . آمين
- وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنته إلى يوم الدين .



التمهيد

(في معنى الحمد وتعريفه ومشتقاته والفرق بينه وبين الشكر والحمد) يحسن بي وأنا أتعرض للحديث عن حمد الله ذاته الشريفة أن أمهد له ببيان معنى الحمد وتعريفه وذكر أهم مشتقاته والفرق بينه وبين الشكر والمدح للتقارب المعنوي بينها. فأقول والله المستعان سبحانه:

الحمد في اللغة: مصدر حَمِدَ. وهو ضد الذم ومنه المحمودة خلاف المذمة. وعُرِّفَ بآئه: الثناء باللسان على الجميل الاختياري. فيقال: حمدتُ الرجل أي أثيت عليه بفعله الجميل الصادر عن اختياره^(١).

- هذا ولقد كثرت مشتقاته التي ارتبط أكثرها بحمد الله تعالى خاصة . ومنها: التحميد . وهو أبلغ من الحمد، والمراد به حمد الله مرة بعد مرة. ومنها: رجلٌ حُمِدَ وحَمِدَ ومحمَّد، وذلك بأنه يحمد الله مرة بعد مرة، أو أنه كثير الحمد. و"محمد" - أيضاً - هو من كثرت خصاله المحمودة - و"أحمد" صار أمره إلى الحمد، أو فعل ما يحمد عليه - وفي المثل: والعودُ أحمد^(٢)، أي أكثر حمداً؛ لأن الإنسان لا يعود إلى شيء غالباً إلا بعد خيريته، أو معناه: إذا ابتداء المعروف جلب الحمد لنفسه؛ فإذا أعاد كان أحمد أي أكسب للحمد له، أو هو أفعل من المفعول، أي الابتداء محمود والعود أحقّ بأن يحمده.

- وفلان محمود إذا حُمِدَ .

- والحَمْدُلة هي حكاية قول (الحمد لله).

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ١٥٥؛ البحر المحيط لأبي حيان ج ١ ص ١٨؛ فتح

القدير للشوكاني ج ١ ص ٦٨.

(٢) هو من قول الشاعر: فلم تجرِ إلا جئت في الخير سابق ولا عُدتَ إلا أنت في العود أحمد.

(لسان العرب ج ٣/ص ١٥٨).

- وَحَمَادَاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا أَيْ: غَايَتِكَ الْحَمُودَةَ.

- وَالْحَمِيدُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ مِنْ صِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، بِمَعْنَى الْحَمُودِ

عَلَى كُلِّ حَالٍ^(١).

- وَقَدْ اِخْتَلَفَ فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ وَالْمَدْحِ هَلْ هِيَ أَلْفَاظٌ مُتَبَايِنَةٌ أَمْ

مُتَرَادِفَةٌ أَمْ بَيْنَهُمَا عَمُومٌ وَخُصُوصٌ مُطْلَقٌ أَوْ مِنْ وَجْهِ؟ فَمَنْ قَالَ بِالتَّبَايُنِ نَظَرَ إِلَى

مَا انْفَرَدَ بِهِ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهَا مِنَ الْمَعْنَى، وَمَنْ قَالَ بِالتَّرَادُفِ نَظَرَ إِلَى جِهَةِ اتِّحَادِهَا

وَاسْتِعْمَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي مَكَانٍ الْآخَرَ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِاجْتِمَاعِهَا وَافْتِرَاقِهَا مَا

بَيْنَ خُصُوصٍ وَعَمُومٍ فَقَدْ نَظَرَ إِلَى الْأَمْرَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ آتِفًا. وَهَذَا هُوَ الْأَوَّلَى وَهُوَ

مَا عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ. وَعَلَى هَذَا فَيَسُوعُ - هَهُنَا - النَّظَرُ إِلَى مَا تَمَيَّزَ بِهِ كُلُّ لَفْظٍ عَنِ

الْآخَرِ وَبَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا؛ لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ وَضْعِ رَسْمٍ وَحَدِّ الْمَعْنَى حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى

الَّذِي هُوَ مَقْصُودُ هَذَا الْبَحْثِ وَغَايَتِهِ.

- أَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ فَخِلَاصَةٌ مَا قِيلَ فِيهِ أَنَّ الْحَمْدَ هُوَ الثَّنَاءُ

عَلَى الْحَمُودِ بِجَمِيلِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَإِنْعَامِهِ؛ وَالشُّكْرُ هُوَ الثَّنَاءُ عَلَى الْحَمُودِ بِإِنْعَامِهِ

فَقَطُّ. وَعَلَى هَذَا فَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ فَكُلُّ شُكْرٍ حَمْدٌ وَلَيْسَ كُلُّ حَمْدٍ شُكْرًا.

وَلِذَلِكَ وَرَدَ حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى نَفْسَهُ وَلَمْ يَرِدْ شُكْرُهَا .

- وَأَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ فَإِنَّ الْمَدْحَ أَعَمُّ مِنَ الْحَمْدِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ

الْمَدْحَ يَحْصُلُ لِلْعَاقِلِ وَلِغَيْرِ الْعَاقِلِ، وَلَا يَلْزِمُ فِيهِ كَوْنُ الْمَدْحُوحِ مَخْتَارًا، وَهَذَا يَكُونُ

وَصِفَ اللَّوْثُوهُ بِصِفَاتِهَا مَدْحًا لَا حَمْدًا، وَقَدْ يَكُونُ الْمَدْحُ - أَيْضًا - عَنِ ظَنِّ وَبِصِفَةِ

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ١٥٥ - ١٥٧؛ مختار الصحاح للرازي ص

١٥٣؛ تهذيب الصحاح لمحمود الزنجاني ج ١ ص ٢١٥؛ ترتيب القاموس المحيط للطاهر

الزاوي ج ١ ص ٧٠٢-٧٠٤؛ المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٣١؛ الكليات لأبي البقاء

الكفوي ص ٣٦٥.

مستحسنة وإن كان في الممدوح نقص ما، أما الحمد فإنه لا يكون إلا للفاعل المختار على كون الصفات المحمودة له صفات كمال، كما يكون صادراً عن علم لا عن ظن؛ وعلى ما يكون منه من نعمة أو إحسان .

- وبهذا يقال في الفرق بين هذه الثلاثة: المدح أعم من الحمد؛ والحمد أعم من الشكر^(١).

- وعلى ما سبق بيانه فإن قول القائل: (الحمد لله) يعني الشناء على الله - تعالى - بصفاته الذاتية الكاملة التي لا يشوبها نقص؛ وبنعمه التي لا تعدّ ولا تحصى.

- ولهذا فإنّ (أل) التعريف في (الحمد) هي لاستغراق جميع أفرادها، واللام في (الله) لام الملك والاختصاص أو الاستحقاق، فجميع أفراد الحمد مختصة بالله تعالى؛ إذ هو المنعم الكامل في صفاته؛ وحمد غيره لا اعتداد به؛ لأنّ ما صدر منه من نعمة فإنما مرجعها حقيقة إلى الله تعالى، وهو سبحانه الذي أجزاها على يديه . فالحمد الكامل الخالص لا يكون إلا لله تعالى وهو المستحق له دون سواه^(٢).

- وقد دلّ إعراب هذه الجملة الكريمة - أيضاً - إلى هذا المعنى؛ فقد أشار

(١) انظر: تفسير البغوي ج ١ ص ٣٩؛ الكشف للزمخشري ج ١ ص ٧؛ النكت والعيون للماوردي ج ١ ص ٥٥؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١٤٢؛ البحر المحيط لأبي حيان ج ١ ص ١٨؛ زاد المسير لابن الجوزي ج ١ ص ١١؛ المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٣١؛ لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ١٥٦-١٥٧؛ مختار الصحاح للرازي ص ١٥٣؛ فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٦٨.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ج ٧ ص ٨٢؛ تفسير البغوي ج ١ ص ٣٩؛ فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٦٨؛ أضواء البيان للشنقيطي ج ١ ص ١٠١.

ابن الجوزي^(١) في تفسيره إلى هذا بقوله: «الحمد رفع بالابتداء، والله الخبر، والمعنى الحمد ثابت لله ومستقر له^(٢)».

وبهذه الأسطر أرجو أن أكون قد مهدت للحديث عن مواضع حمد الله ذاته في كتابه الكريم . والله الحمد والمآة .



- (١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (٥٠٨-٥٩٧هـ): علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعية الجوز) من محالها . من أشهر مصنفاته: زاد المسير في علم التفسير - صيد الخاطر - مناقب بغداد - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر . (انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٧٩؛ البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٣١-٣٣؛ الكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ٢٢٨؛ الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣١٦-٣١٧).
- (٢) زاد المسير لابن الجوزي: ج ١ ص ١١ .

الفصل الأول:

حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة الكتاب

قال الله تعالى: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (١).

المبحث الأول:

في وجه الحكمة بافتتاح الفاتحة بحمد الله ذاته الكريمة

مما يدل على عظم مقام الحمد عند الله - تعالى - أن افتتح به كتابه الكريم وصدر آياته به.

هذا وقد اجتهد أهل التفسير في بيان أوجه الحكمة في ذلك، منها: أن نعمة تنزيل القرآن الكريم هي أعظم النعم الدالة على جلال صفاته تعالى وكما لها؛ خاصة وأنه قد اشتمل القرآن الكريم على كمال المعنى واللفظ والغاية؛ فكان افتتاحه أولى المواطن بثناء الله تبارك وتعالى على ذاته .

وهو في ذات الوقت أمرٌ لعباده بحمده وتذكير لهم بعظمة وجمال صفات منزله - سبحانه - وجزيل نعمته عليهم يانزال كتابه عليهم وحفظه وتوفيقهم لتلاوته وسماعه وفهمه؛ وإذ فيه سعادتهم في الدارين (٢).

ومنها - كذلك - أنه لما كانت سورة الفاتحة منزلةً من القرآن منزلةً الديباجة من الكتاب، أو المقدمة للخطبة، جعل افتتاحها بالحمد لله؛ وليكون سنة ماضية من بعد في افتتاح كل كلام مهم وعظيم، يقول ابن عاشور (٣) (رحمه الله تعالى) في

(١) سورة الفاتحة: الآية (١) أو (٢) على الخلاف المشهور هل البسمة آية من الفاتحة أم لا؟

(٢) انظر: تفسير الطبري ج ١ ص ٤٦؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ١٥٨.

(٣) هو محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٧-١٣٩٣هـ): رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ

جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها. عيّن عام (١٩٣٢م) شيخاً =

ذلك: «فكان افتتاح الكلام بالتحميد سنة الكتاب المجيد لكل بليغ مجيد، فلم يزل المسلمون من يومئذ يلقَّبون كل كلام نفيس لم يشتمل في طالعهِ على الحمد بالأبتر أخذاً من حديث أبي هريرة^(١) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد فهو أقطع^(٢)»

= للإسلام مالِكياً، وهو من أعضاء الجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة من أشهرها: مقاصد الشريعة - التحرير والتنوير في التفسير - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. (انظر: الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٧٤).

(١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي (٢١١ق - ٥٥٩هـ) صحابي جليل، أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، فأسلم سنة ٧هـ، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم فروى عنه (٥٣٧٤) حديثاً، نقلها عنه أكثر من ثمانمائة رجل من صحابي وتابعي، ولي إمرة المدينة مدة، واستعمله عمر رضي الله عنه فترة على البحرين، وكان أكثر مقامه بالمدينة وتوفي بها. (انظر: صفة الصفوة ج ١ ص ٦٨٥-٦٩٤؛ الإصابة في الكنى ج ٤ ص ٢٠١-٢٠٨؛ أسد الغابة ج ٥ ص ٣١٨-٣٢١؛ الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب النكاح (٩) باب (١٩) خطبة النكاح، حديث (١٨٩٤) بهذا اللفظ (أقطع) والمراد أي مقطوع من البركة. وقال السندي في سنده: الحديث قد حسَّنه ابن الصلاح والنووي. وأخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه (سنن ابن ماجه . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ج ١ ص ٦١٠). ولقد صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم ٢٠٦٥. ورواه أبو داود بلفظ (كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم) أي منقطع أبتر لا نظام له. والمعنى متقارب لما سبق. قال أبو داود: رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلأ. وقال الحافظ المنذري: وأخرجه النسائي مسندأ ومرسلأ. (انظر: سنن أبي داود، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد . ج ٥ كتاب الأدب (٣٥) باب في الخطبة (٢٢) حديث (٤٨٤١) ص ١٧٣، وانظر (مختصر سنن أبي داود للمنذري ج ٧ ص ١٨٩ حديث (٤٦٧٣).

وقد لُقِّبت خطبة زياد بن أبي سفيان التي خطبها بالبصرة بالبراء لأنه لم يفتتحها بالحمد.. (١)».

ومنها - أيضاً - أنه لما كانت الفاتحة مناجاة للخالق - عز وجل - بما لا يهتدي إلى الإحاطة بها في كلامه غيره - تعالى - قدّم الحمد لذاته وجعله في أولها، وليضعه المناجون له في كلّ مناجاتهم ودعائهم له؛ جرياً على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء بافتتاح خطابهم إياهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل . قال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه عن تعرّضه الثناء (٢)

وقد دلّ على كون الفاتحة مناجاة لله عز وجل الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه قوله: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين . قال: مجدي عبدي، وقال مرة: فوّض إليّ عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط

(١) انظر: التحرير والتنوير ج ١ ص ١٥٤ .

(٢) انظر: المرجع السابق ج ١ ص ١٥٤ ، وأمّية بن عبد الله أبي الصلّت بن أبي ربيعة بن عوف السثقي: شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، وهو تمّن حرّموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يسلم، توفي عام ٥٥هـ . (انظر: الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٣) وعبد الله بن جدعان هو التيمي القرشي أحد الأجداد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، له أخبار كثيرة، وسمّاه يعقوب بن حكام العرب في الجاهلية. (انظر: الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٧٦).

المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . قال:
هذا لعبدي ولعبدي ما سأل^(١) .

ومن ذهب إلى أن قوله تعالى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أول آية من سورة الفاتحة؛ فيكون قوله تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ الآية الثانية، وقد ذكروا مناسبة ورود الحمد بعد البسملة بأنه لما كانت البسملة نوعاً من الحمد ناسب تعقيبها وإردافها باسم الحمد الكلي ﴿ الحمد لله ﴾ الجامع لجميع أفرادها البالغ أقصى درجات الكمال^(٢) . وهي مناسبة لطيفة سائغة.

وإضافة إلى ما سبق ذكره فبالنظر إلى ما من أجله سميت الفاتحة بأَمَّ القرآن لاشتمال محتوياتها على أنواع مقاصد القرآن وهي ثلاثة أنواع: الثناء على الله ثناء جامعاً لوصفه بجميع الحماد وتنزيهه عن جميع النقائص، وإثبات تفرده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء، وذلك من قوله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ إلى قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾، والأوامر والنواهي من قوله ﴿ إياك نعبد ﴾، والوعد والوعيد من قوله ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ إلى آخرها، فهذه هي أنواع مقاصد القرآن^(٣) . فبذلك كان الحمد لله هو أحد أركان هذه المقاصد بل من أولها وأحراها بالتقديم لصلته وارتباطه بذات الله - تعالى - وإثبات صفات الكمال لها وتنزيهه عن كل نقص . وبهذا النظر يثبت للمتأمل من هذه الجهة سرٌّ آخر من أسرار تقدّم الحمد ووجوده في هذا المقام الأعلى . والله أعلم بمراده.

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث (٣٥) (صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٢٧).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج ١ ص ١٤؛ روح المعاني للآلوسي ج ١ ص ٦٧.

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ١٣٣.

المبحث الثاني:

في وجه الحكمة في إسناد الحمد إلى اسم الذات الإلهية
وما جاء بعده من أوصاف.

الذي يلحظه المتأمل أنّ الحمد أُسند أول ما أُسند إلى اسم الذات الإلهية (الله)؛ وهذا هو شأن الحمد في جميع مواضع ذكره في القرآن الكريم، والحكمة في ذلك - والله أعلم بمراده - التنبيه على استحقاقه تعالى للحمد أولاً لذاته لا لشيء غيرها، باعتبار أنها حائزة لجميع الكمالات الإلهية؛ وأنها مصدر جميع الوجود وما فيه من الخيرات والنعم^(١).

ومن بعد إسناد الحمد لاسم ذاته تنبيهاً على الاستحقاق الذاتي أتبعه - سبحانه - بأربعة أوصاف له تعالى؛ ليؤذن باستحقاقه الوصفي للحمد - أيضاً - كما استحقّه بذاته؛ وذلك باعتبار تعلقها وآثارها^(٢).

وهذه الأوصاف أولها (ربّ العالمين) وقد تكرر هذا الوصف لله تعالى في القرآن الكريم بشأن استحقاق الحمد في سبعة مواضع^(٣)، ولا ريب أنّ هذا يدلّ على

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٠٤؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج ١ ص ١٤؛ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج ١ ص ٥٠؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ١٦٦.

(٢) انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج ١ ص ٥٠؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ١٦٦.

(٣) في سورة الفاتحة، وسورة يونس الآية (١٠) في قوله ﴿... وأخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾، وفي سورة الصافات الآية (١٨٢) في قوله تعالى ﴿والحمد لله رب العالمين﴾، وفي سورة الزمر الآية (٧٥) بقوله ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾، وبسورة غافر الآية (٦٥) في قوله ﴿فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾، وفي سورة الجاثية الآية (٣٦) بقوله ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾.

أنَّ استحقاق الله تعالى للحمد ربوبيته للعالمين^(١) هو في أوَّل درجات الاستحقاق الوصفي وأعلاها؛ ذلك بأنَّ ربوبيته تعالى للعالمين تقتضي تربيته لهم وتدبيره وإصلاحه لأموهم وشؤونهم بما أسبغ عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة^(٢).

وثاني الأوصاف وثالثها الوصفان الجليلان (الرحمن الرحيم)، والإتيان بهما في مقام الحمد - هنا - لتأكيد استحقاقه تعالى له؛ إذ إنَّ من رحمته تعالى بخلقه ما يتقبلون فيه من نعمه وإحسانه صباح مساء.

قال الفخر الرازي^(٣) في تفسيره الكبير: «فاعلم أنَّ الرحمن الرحيم عبارة عن التخليص من أنواع الآفات؛ وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات^(٤)».

وفي وجه الحكمة في ذكر هاتين الصفتين الجليلتين لله تعالى بعد وصفه برب العالمين ذكر المفسرون أمرين: (أحدهما) الإشارة إلى أن تربيته سبحانه للعالمين ليست لحاجة به إليهم كجلب منفعة أو دفع مضرة، وإنما هي لعموم رحمته وشمول إحسانه. و(ثانيهما) البيان بأنَّ ربوبيته ربوبية رحمة وإحسان لا ربوبية قهر

(١) الراجح في معنى (العالمين) أنَّه جمع العالم (بفتح اللام) وهو كل موجود سوى الله تعالى. وهو مأخوذ من العلم والعلامة لأنه يدل على موجد. ودليله قوله تعالى ﴿قال فرعون وما رب العالمين. قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ الشعراء ٢٣ - ٢٤. (انظر: فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٧١؛ أضواء البيان للشنقيطي ج ١ ص ١٠١).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج ١ ص ٤٨؛ تفسير البغوي ج ١ ص ٣٩-٤٠؛ نظم الدرر للبقاعي ج ١ ص ١٤؛ تفسير المراغي ج ١ ص ٣٠.

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله (٥٤٤-٦٠٦هـ): الإمام المفسر، قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له: (ابن خطيب الري)، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان وتوفي في هراة. من أشهر مصنفاته: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) والمحصل في علم الأصول (انظر: لسان الميزان لابن حجر ج ٤ ص ٤٢٦؛ طبقات الشافعية للسبكي ج ٥ ص ٣٣؛ البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٦٠؛ الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٣١٣).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ١ ص ٧.

وجبروت كما قد يفهمه البعض، وفي هذا جمع لهم بين الترغيب والترهيب ليقبلوا على ما يرضيه بنفوس مطمئنة وصدور منسرحة^(١).

وآخر الأوصاف الإلهية في هذا المقام (مالك يوم الدين)، ولا ريب أن هذا الوصف يدلّ - أيضاً - على استحقاقه - تعالى - الحمد دون سواه؛ فمن كان مالكاً ليوم الثواب والعقاب وبيده جزاء خلقه على ما قدّموه في دنياهم مع بسطه لهم من نعمه وإحسانه فهو حقيق بأن لا يحمد إلا هو . وقد أشار إلى ذلك قوله عز وجل بآخر سورة الزمر في ختام مشهد القضاء: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾^(٢).

وإجمالاً لما سبق ذكره - من البيان والتفصيل - أقول: إن هذه الصفات هي بمثابة التعليل لاستحقاقه الوصفي للحمد بعد استحقاقه الذاتي، وفي ذات الوقت تدلّ على أن من كان هذه صفاته لم يكن أحد أحقّ منه بالحمد والثناء . وفي هذا يقول ابن عاشور: «إجراء هذه الأوصاف الجليلة على اسمه تعالى إيماء بأن موصوفها حقيق بالحمد الكامل الذي أعربت عنه جملة (الحمد لله)؛ لأنّ تقييد مفاد الكلام بأوصاف متعلّق ذلك المفاد يشعر بمناسبة بين تلك الأوصاف وبين مفاد الكلام»^(٣).

لطائف:

الأولى: لابن قيم الجوزية^(٤) كلام حسن حول ما تدلّ عليه هذه الأوصاف في

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٧١؛ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج ١ ص ٥١؛ تفسير المراغي ج ١ ص ٣١ .

(٢) سورة الزمر: الآية (٧٥).

(٣) التحرير والتنوير: ج ١ ص ١٧٧.

(٤) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين

(٦٩١-٧٥١هـ): الإمام المشهور بابن قيم الجوزية، مولده ووفاته بدمشق، تتلمذ لشيخ

الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله؛ بل ينتصر له في جميع ما يصدر

عنه، وهو الذي هدّب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأطلق بعد موته . =

هذا المقام إذ يقول: « في ذكر هذه الأسماء بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها ما يدلّ على أنّه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود، ورحمان محمود، وملك محمود. فله بذلك جميع أقسام الكمال: كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر...» (١).

الثانية: وفي وجه افتتاح الفاتحة بالحمد دون التسبيح مع كون التخلية مقدّمة على التخلية قال الفخر الرازي: «إنّ التحميد يدلّ على التسبيح دلالة التضمّن، فإنّ التسبيح يدلّ على كونه مبرّأً في ذاته وصفاته عن النقائص والآفات، والتحميد يدلّ مع حصول تلك الصفة على كونه محسناً إلى الخلق منعماً عليهم رحيماً بهم، فالتسبيح إشارة إلى كونه تعالى تاماً والتحميد يدلّ على كونه تعالى فوق التمام» (٢).

والثالثة: في وجه تقديم الرحمن على الرحيم بقوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾ يقول ابن عاشور: «تقديم الرحمن على الرحيم لأنّ الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها» (٣).

وهذه اللطائف المفيدة المعتبرة أختتم الحديث عن هذا الموضوع من مواضع حمد الله ذاته الكريمة، وهو فاتحة المواضع كما هو فاتحة الكتاب والله الحمد والمنة.

= من أشهر مؤلفاته: إعلام الموقعين - زاد المعاد - مدارج السالكين . (انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ج ٣ ص ٤٠٠؛ البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ٢٤٦؛ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٦ ص ١٦٨؛ الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٥٦).

(١) مدارج السالكين: ج ١ ص ٣٥ .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ١ ص ٢٢٤ .

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج ١ ص ١٧٢ .

الفصل الثاني:

حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة الأنعام

قال الله تعالى ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾^(١).

المبحث الأول: في مناسبة فاتحة السورة بالحمد بخاتمة السورة قبلها.

ذكر السيوطي^(٢) في كتابه (أسرار ترتيب القرآن) أنه قال بعض أهل العلم في مناسبة فاتحة هذه السورة بخاتمة سورة المائدة قبلها أن هذه افتتحت بالحمد وتلك خُتِمت بفصل القضاء للتلازم بين الأمرين كما قال تعالى ﴿ وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾^(٣). وأضاف على ما ذكره سابقاً فقال: «وقد ظهر لي - بفضل الله - أنه لما ذكر في آخر المائدة ﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن ﴾^(٤) على سبيل الإجمال افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله، فبدأ

(١) سورة الأنعام: الآية (١).

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي، جلال الدين (٨٤٩-٩١١هـ): إمام حافظ مؤرخ أديب، نشأ في القاهرة يتيماً، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس فألف أكثر كتبه، وبقي على ذلك إلى أن توفي، له نحو ٦٠٠ مصنف، من أشهرها: الإتقان في علوم القرآن - تاريخ الخلفاء - الدر المنثور في التفسير المأثور - الجامع الصغير في الحديث - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي في مصطلح الحديث. (انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٨ ص ٥١؛ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ج ٤ ص ٦٥؛ الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣٠١-٣٠٢).

(٣) سورة الزمر: الآية (٧٥).

(٤) سورة المائدة: الآية (١٢٠).

بذكر أنه خلق السموات والأرض وضم إليه أنه جعل الظلمات والنور وهو بعض ما تضمنه قوله (وما فيهن) في آخر المائدة، وضمن قوله (الحمد لله) أول الأنعام أن له ملك جميع المحامد وهو من بسط ﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن﴾^(١)، فهذه المناسبة خاصة في وجه ارتباط السورتين من حيث ختام السابقة وابتداء اللاحقة وهي مناسبة لطيفة أحببت الإشارة إليها والتذكير بها.



(١) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ص ٩٧ .

المبحث الثاني: في غاية حمد الله ذاته بالآية وصلته بما بعده

إنّ سورة الأنعام التي جاءت هذه الآية في فاتحتها تعدّ أصلاً عظيماً في محاجة المشركين وغيرهم من المكذبين والمبتدعين^(١)، وكانت هذه الآية هي بداية المحاجة لهم والردّ عليهم بما يبطل شركهم ويدحض ضلالهم. وافتتاحها بحمد الله ذاته الكريمة يعتبر أول سبل إقامة الحجّة على المشركين الذين اتخذوا شركاء لله من أوثان وأصنام؛ ذلك أنّ هذه الجملة (الحمد لله) تفيد - كما بينت سابقاً - استحقاقه تعالى الحمد وحده واختصاصه به دون غيره، وبذلك فهي ردٌّ عليهم في حمدهم لأصنامهم وأوثانهم بما تحيلوه من إسدائها إليهم نعماً ونصراً وتفريج كربات، وما اقتضاه ذلك من عبادتهم إياها؛ ولا ريب أنّ العبادة هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد^(٢). ولهذا قال ابن جرير الطبري^(٣) في هذا المقام: «الحمد الكامل لله وحده لا شريك له دون جميع الأنداد والآلهة ودون ما سواه مما تعبده كفره خلقه من الأوثان والأصنام. وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر ينحى به نحو الأمر يقول: أخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم وخلق السموات والأرض ولا

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٦ ص ٣٨٣.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٠٤؛ فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١٠٢؛ محاسن

التأويل للقاسمي ج ٦ ص ٤٥٥؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٧ ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (٢٢٤ - ٣١٠هـ): المؤرخ المفسر الإمام،

ولد في آمل طبرستان واستوطن بغداد وتوفي بها، عرض عليه القضاء فامتنع والمظالم

فأبى، من أشهر مؤلفاته: أخبار الرسل والملوك (تاريخ الطبري) - جامع البيان في تفسير

القرآن - اختلاف الفقهاء (انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ٣٥١؛ البداية والنهاية ج

١١ ص ١٥٦ - ١٥٨؛ لسان الميزان لابن حجر ج ٥ ص ١٠٠ - ١٠٣؛ سير أعلام النبلاء

للذهبي ج ١٤ ص ٢٦٧ - ٢٨٢؛ الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٦٩).

تشاركوا معه في ذلك أحداً شيئاً فإن المستوجب عليكم بالحمد بأياديهم عندكم
ونعمه عليكم لا من تعبدونه من دونه وتجعلونه له شريكاً من خلقه»^(١).
وبعد حمده تعالى لذاته ذكر بعضاً من عظام آثاره وجلائل أفعاله وآلائه
الدالة على قدرته العظيمة الكاملة الموجبة لاستحقاقه الحمد واستقلاله به إضافة
إلى الاستحقاق الذاتي، وذلك هو قوله تعالى ﴿الذي خلق السموات والأرض وجعل
الظلمات والنور﴾ وهذه الجملة من الآية هي بمثابة الوصف له تعالى؛ إذ الموصول -
ههنا - في محلّ الصفة لاسم الجلالة، وهي في نفس الأمر لها مفهوم العلة للحمد؛
فهو حقيق بالحمد وحدد دون سواه بسبب ما عُلِمَ من صفاته الذاتية الكاملة
وأفعاله وآلائه ونعمه الجسيمة^(٢).



(١) تفسير الطبري: ج ٧ ص ٩٢.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٠٤؛ تفسير الألوسي ج ٧ ص ٨٠؛ فتح القدير

للسوكاني ج ٢ ص ١٠٢؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٧ ص ١٢٦؛ محاسن التأويل

للقاسمي ج ٦ ص ٤٥٠.

المبحث الثالث:

في بيان قوله تعالى: (الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور)

أخبر الله تعالى عن قدرته العظيمة الكاملة بخلق السموات والأرض وجعله الظلمات والنور، وإتما خصّ خلق السموات والأرض بالذكر دون غيرهما من المخلوقات - في هذا المقام لكونهما أعظمها ولاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء والنعم الجليلة والخفية التي أجلها نعمة الوجود الكافية في إيجاب حمده تعالى على كلّ موجود، هذا بالإضافة إلى ما فيهما من أنواع وفنون النعم الأنفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد ومنافعهم في المعاش والمعاد^(١).

وأما الظلمات والنور فجمهور المفسرين على أن المراد بهما سواد الليل وضياء النهار^(٢)، وتخصيص جعلهما بالذكر في هذا المقام لاستواء جميع الناس في إدراكهما والشعور بهما^(٣)، مع كونهما أمرين خطيرين ونعمتين عظيمتين مرتبطتين بانتظام الحياة والمعاش على هذا الكون . قال الله تعالى ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب . . ﴾ الآية^(٤).

لطائف:

الأولى: إنّ في ذكر هذه المخلوقات الأربعة (السموات والأرض والظلمات والنور) تعريضاً يابطال عقائد كفار العرب من مشركين وصابئة ومجوس

(١) انظر: تفسير البغوي ج ٢ ص ٨٣؛ تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٠٤ .

(٢) انظر: تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣٨٦ .

(٣) انظر: التحرير والتنوير ج ٧ ص ١٢٧ .

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٣ . والآية بسورة الإسراء رقم: ١٢ .

ونصارى، إذ إنهم قد أثبتوا آلهة غير الله تعالى من هذه الأربع، فالمشركون أثبتوا آلهة من الأرض، والصابئة أثبتوا آلهة من الكواكب السماوية، والنصارى أثبتوا إلهية عيسى عليه السلام أو عيسى ومريم عليهما السلام وهما من الموجودات الأرضية، والجوس وهم المانوية ألوهوا النور والظلمة فجعلوا النور إله الخير والظلمة إله الشر؛ فأخبرهم الله عزوجل أنه خالق السموات والأرض أي وبما فيهن وخالق الظلمات والنور، فكيف يجعلون المخلوق إلهاً ويساونه بالخالق سبحانه؟!^(١)

الثانية: إن التعبير بالخلق في شأن السموات والأرض؛ وبالجعل في شأن الظلمات والنور دلالة على فرق دقيق بين الكلمتين أشار إليه ابن عاشور إذ قال: «التفرقة بين جعل وخلق معدود من فصاحة الكلمات، وإن لكل كلمة مع صاحبتها مقاماً، وهو ما يسمى برشاقة الكلمة، ففعل (خَلَقَ) أليق بإيجاد الذوات، وفعل (جَعَلَ) أليق بإيجاد أعراض الذوات وأحوالها ونظامها»^(٢).

الثالثة: وإن في تقديم السموات على الأرض والظلمات على النور مراعاة لترتيب الوجود، فإن السموات تقدم وجودها على الأرض كما هي على حالها الآن، والظلمات سابقة النور، فإن النور حصل بعد خلق الذوات المضئية وكانت الظلمة عامة^(٣). والله أعلم بمراده.

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٧ ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق: ج ٧ ص ١٢٧ .

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٠٥؛ التحرير والتنوير ج ٧ ص ١٢٧ .

المبحث الرابع:

في وجه العطف بقوله تعالى ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾

يجيء ختام هذه الآية الكريمة - عطفًا على ما سبق ذكره في أولها بقوله ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ ويحتمل أن يكون معطوفًا على قوله (الحمد لله) على معنى أن الله حقيق بالحمد على كل ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة منه ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾^(١) أي يسوون بينه تعالى وبين غيره في العبادة فيكفرون بنعمته، ويحتمل أن يكون معطوفًا على قوله ﴿الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ على معنى أنه خلق هذه الأشياء العظيمة التي لا يقدر عليها أحد سواه؛ ثم إنهم يعدلون به جهاداً لا يقدر على شيء أصلاً^(٢).

والإتيان بحرف العطف (ثم) للتعجب من حال هؤلاء المشركين؛ والإنكار عليهم؛ واستبعاد أن يعدلوا به تعالى غيره مع وضوح وبيان آيات قدرته ودلائل نعمته وإحسانه^(٣). وبالتالي فهي دالة على قبح المشركين وسوء طويبتهم. وفي هذا يذكر القرطبي^(٤) قول

(١) قال البغوي في تفسيره: (يعدلون) يشركون، وأصله خلق مساواة الشيء بالشيء ومنه العدل، أي يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال عدلت هذا بهذا إذا ساويته (تفسير البغوي ج ٢ ص ٨٤) وانظر (المفردات للراغب ص ٣٢٥).

(٢) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١٥٢؛ فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١٠٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ج ٧ ص ٩٢-٩٣؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١٥٢؛ تفسير

النسفي ج ٢ ص ٢؛ فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١٠٣؛ التحرير والتنوير ج ٧ ص ١٢٨-١٢٩.

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمالي أسبوط. مصر وتوفي بها عام ٦٧١ هـ. (انظر: الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٣٢٢).

ابن عطية^(١) إذ قال: «(ف) (ثم) دالة على قبح المشركين؛ لأن المعنى: أن خلق السموات والأرض قد تقرر وآياته قد سطعت وإنعامه بذلك قد تبين، ثم بعد ذلك كله عدلوا برهم، فهذا كما تقول: يا فلان أعطيتك وأكرمتك وأحسننت إليك ثم تشتمني. ولو وقع العطف بالواو في هذا ونحوه لم يلزم التوبيخ كلزومه بتم»^(٢).

لطائف:

الأولى: إن تقديم (برهم) على الفعل (يعدلون) لزيادة الاهتمام والمصارعة إلى تحقيق مدار الإنكار والاستبعاد؛ مع المحافظة والمراعاة للفواصل.
الثانية: وإن حذف المفعول - ههنا - لظهوره، أو لتوجيه الإنكار إلى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم إيداناً بأنه المدار في الاستبعاد والإنكار لا خصوصية المفعول.

الثالثة: ثم إن في وضع الربّ في قوله: (بربهم) موضع ضميره زيادة للتشجيع على المشركين والتقبيح لهم^(٣).
وهذه اللطائف يتم الكلام حول هذا الموضوع من مواضع حمد الله ذاته الشريفة والله الحمد والمنة.

(١) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد (٤٨١-٥٤٢هـ): مفسر وفقهه، أندلسي من أهل غرناطة، وله شعر، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملتزمين وتوفي بلورقة. من أشهر كتبه: الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٢٩٥؛ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ج ١ ص ٥٩٣؛ الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢٨٢).

(٢) تفسير القرطبي: ج ٦ ص ٣٨٧.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٠٥.

الفصل الثالث:

حمد الله ذاته الكريمة عند هلاك الظالمين في آية سورة الأنعام

قال الله تعالى ﴿ ففقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾^(١)

المبحث الأول: في وجه صلة آية الحمد بما قبلها

تأتي هذه الآية الكريمة في ختام آيات أخير الله فيها عن أمم من خلقه - ممن كفر به وأشرك في عبادته وعصاه - بما ابتلاهم به من حال الضراء وحال السراء لعلمهم يرجعون عن كفرهم وشركهم؛ ولكنهم ازدادوا بعداً وقست قلوبهم ونسوا ما ذكروا به وجحدوا نعمة الله بعد أن جاءتهم فأخذهم الله بغتة وأهلكهم بسبب عنادهم وإصرارهم على كفرهم به . وتلكم الآيات هي قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون . فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾^(٢) . فكانت من بعد هذه الآية، وصدّرت بحرف العطف (الفاء) لعطفها على ما قبلها إذ قال تعالى (ففقطع دابر القوم الذين ظلموا)، والعطف على جملة (أخذناهم بغتة) أي فأخذناهم أخذ الاستئصال فلم يبق منهم أحد أبداً^(٣) .

(١) سورة الأنعام: الآية (٤٥).

(٢) سورة الأنعام: الآيات (٤٢-٤٤) . ومعنى (مبلسون) أي: آيسون من كلّ خير (تفسير

ابن كثير: ج ٢ ص ١٣٢) .

(٣) انظر: محاسن التأويل للقاسمي ج ٦ ص ٥٢٠؛ التحرير والتنوير ج ٧ ص ٢٣١ . والدابر اسم

فاعل من دبره إذا مشى وراءه، والمصدر الدبور، ودابر الناس آخرهم، وهو مشتق من =

لطيفة: إنَّ الإتيانَ بالاسمِ الظاهرِ موضعَ الضميرِ للإشعارِ بعلّةِ الحكمِ، فإنَّ هلاكهم بسببِ ظلمهم الذي هو وضعُ الكفرِ موضعَ الشكرِ وإقامةِ المعاصي مقامَ الطاعات^(١). وإِثْمًا وُصِفَ المشركونَ بالذين ظلموا لأنَّ الشركَ هو أعظمُ الظلمِ إذ هو اعتداءٌ على حقِّ الله على عباده من التوحيدِ، كما أنه يستتبعُ مظالمَ عدةً لأنَّ أصحابه لا يؤمنونَ بشرعِ يزعمُ الناسُ عن الظلم^(٢).



= الدُّبُرُ وهو الوراثة . وقطع الدابر كناية عن استئصال الجميع لأن ذهاب آخر الشيء يستلزم ذهاب ما قبله . وقال الأصمعي: الدابر الأصل، ومنه قطع الله دابره أي أصله . (انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ٢٢٦؛ محاسن التأويل ج ٦ ص ٥٢٠؛ التحرير والتنوير ج ٧ ص ٢٣١).

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٣٤ .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج ٧ ص ٢٣١ .

المبحث الثاني: في بيان حمد الله ذاته العلية في الآية وغايتها

يحمد الله ذاته العلية في الشطر الثاني من الآية بقوله: ﴿والحمد لله رب العالمين﴾، ويجوز أن تكون معطوفة على قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ وما اتصل بعدها من الآيات عطف غرض على غرض، ويجوز أن تكون اعتراضاً تذييلياً فتكون الواو اعتراضية^(١).

وعلى كل حال فإن حمد الله ذاته في هذا الموضع له غاية وحكمة والظاهر في ذلك أنه إنما حمد الله ذاته - ههنا - لما قضى به من إهلاك الظالمين؛ إذ إن في هلاكهم إصلاحاً لأهل الأرض وتخليصاً لهم من سوء عقائدهم وشر أعمالهم وظلمهم، وبه يعود العدل والحق بعد الجور والضلال .. ولا ريب أن هذا من عظيم نعم الله على خلقه، وهو مقام من مقامات استحقاق الله سبحانه للحمد والثناء.

كما أن هلاك الكفرة الظالمين يستتبع نعماً أخرى غير ما ذكر بشأن الناس عامة، إذ فيه أيضاً إنعام على رسل الله عليهم السلام ودعواته الصالحين بإظهار حججهم ونصرهم على أعدائهم وإعلاء كلمة الحق التي جاءوا بها . وكل ذلك نعم جليلة حقيق به تعالى أن يحمد ذاته عليها^(٢).

ونظير ذلك قوله تعالى بشأن هلاك قوم لوط عليه السلام: ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين . قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . .﴾ الآية^(٣)، فإن قوله تعالى ﴿قل الحمد لله﴾ جاء بعد بيانه - عز وجل - لما حل من الهلاك بقوم لوط،

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٧ ص ٢٣٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ج ٧ ص ١٢٤-١٢٥؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ٢٢٦-٢٢٧؛ تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٣٤؛ تفسير القرطبي ج ٦ ص ٤٢٧؛ زاد المسير لابن الجوزي ج ٣ ص ٤١؛ تفسير الخازن ج ٢ ص ١٣٤؛ تفسير الألوسي ج ٧ ص ١٥٢؛ فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١٢١؛ التحرير والتنوير ج ٧ ص ٢٣٢.

(٣) سورة النمل: الآيتان (٥٨-٥٩)، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ج ٦ ص ٥٢١.

وإن كان في هذا المقام أمر منه سبحانه حمده؛ ولكن يدل على حمده لذاته إذ إته هو الأمر به والمريد له تعالى .

هذا وإن تعلق الحمد لذاته بوصف رب العالمين ناسب هذا المقام؛ لما أن ربوبيته تعالى للعالمين - كما سبق بيانه - تقتضي تدبير شؤونهم ورعاية أحوالهم ومصالحهم وتربيتهم بالعدل، ولاشك أن هلاك الظالمين الكفرة هو من أعظم ما يكون من تدبير شؤون العالمين ورعاية مصالحهم وإقامة الحق والعدل وتربيتهم عليه وبه؛ فله الحمد رب العالمين.

لطيقتان:

الأولى: قال الزمخشري^(١) في شأن حمد الله لذاته الكريمة ههنا أنه «إيدان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة؛ وأنه من أجلّ النعم وأجلّ القسَم»^(٢) .
والثانية: قال القرطبي فيما عرضت به هذه الآية: «وتضمنت هذه الآية الحجة على وجوب ترك الظلم لما يعقب من قطع الدابر إلى العذاب الدائم مع استحقاق القاطع الحمد من كلّ حامد»^(٣) .
وبهاتين اللطيفتين يتم الكلام حول هذا الموضوع والله الحمد والمنة .

(١) هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم (٤٦٧-٥٣٨)؛ ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة وجاور بها زمناً فلقب بجار الله، وتنقل إلى البلدان ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي بها . أشهر كتبه: الكشف في تفسير القرآن - أساس البلاغة - المقامات . وكان معتزلي المذهب مجاهراً شديداً الإنكار على المتصوفة . (انظر: لسان الميزان لابن حجر ج ٦ ص ٤؛ وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٨١؛ مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة ج ١ ص ٤٣١؛ الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٧٨) .

(٢) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ١٤ .

(٣) تفسير القرطبي: ج ٢ ص ٤٢٧ .

الفصل الرابع:

حمد الله ذاته الكريمة عند إظهار الحجة في آية سورة النحل

قال الله تعالى ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهرأ هل يستون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾^(١).

المبحث الأول: في بيان الآية وصلتها بما قبلها

لما فهمى الله - تعالى - المشركين عن ضرب الأمثال المتضمنة للتسوية بينه وبين خلقه وهو ما جاء في قوله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون . فلا تضرّبوا الله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾^(٢) فلما نهاهم عن ذلك ضرب - سبحانه - مثلاً^(٣) له ولمن يعبد من دونه من الأوثان والأصنام برجلين أحدهما عبد مملوك أي رقيق لا يملك نفسه ولا يملك من المال والدينا شيئاً، والثاني حرّ غني قد رزقه الله رزقاً حسناً من جميع أصناف المال وهو كريم محبٌ للإحسان فهو ينفق منه سراً وجهرأ، وإظهاراً للحجة في هذا المثل المضروب قال تعالى بعده (هل يستون)، أي هل يستوي هذا وذاك؟! والجواب بلا شك: لا يستويان؛ مع أنهما مخلوقان وغير محال

(١) سورة النحل: الآية (٧٥).

(٢) سورة النحل: الآيتان (٧٣-٧٤).

(٣) في لسان العرب لابن منظور: « ضرب الله مثلاً أي وصف وبين، وقولهم: ضرب له المثل بكذا إنما معناه بين له ضرباً من الأمثال أي صنفاً منها، وقد تكرر في الحديث ضرب الأمثال، وهو اعتبار الشيء بغيره وتمثيله به» (لسان العرب: ج ١ ص ٥٤٩-٥٥٠). ولقد ذكر الله تعالى في كتابة ثلاثة وأربعين مثلاً في موضوعات شتى. ومن الكتب التي أفردت في هذا الباب كتاب (الأمثال في القرآن الكريم) لابن قيم الجوزية، وقد حققه: سعيد محمد نمر الخطيب، طبعة دار المعرفة ببيروت.

استواؤهما، فإذا كان لا يستويان فكيف يستوي المخلوق والعبد الذي ليس له ملك ولا قدرة ولا استطاعة بل هو فقير من كل الوجوه بالربّ المالك لجميع الممالك القادر على كل شيء سبحانه، بل وكيف بالأوثان والأصنام الجامدة العاجزة عن كل شيء؟!^(١)

والمراد: فكيف تجعلونها أيها المشركون شركاء لي تعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين^(١).

وإلى هذا المعنى ذهب جمهور المفسرين، وقد ذهب البعض منهم كابن جرير الطبري إلى أنّ هذا المثل ضربه الله للكافر من عباده والمؤمن به، فأما مثل الكافر فإنه لا يعمل بطاعة الله ولا يأتي خيراً ولا ينفق من ماله شيئاً في سبيل الله فهو كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء فينقده، وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعته وينفق ماله في سبيله كالحرّ الذي آتاه الله مالاً فهو ينفق منه سراً وجهراً^(٢).

ولكن القول الأول هو الأولى والأقرب؛ لأنّ ما قبل هذه الآية من الآيات - كما بينته سابقاً - بل وما بعدها إنما جاءت في إثبات التوحيد وفي الردّ على القائلين بالشرك، فحمل هذا المثل على هذا المعنى هو الأولى، وما نُقِلَ عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٣) في القول الثاني لم يصح؛ لأنه روي بسند مسلسل

(١) انظر: تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٤٦-١٤٧؛ تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٢٩، التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٠ ص ٨٣؛ أمثال القرآن لابن القيم ص ٢٠٤-٢٠٥؛ تفسير الألوسي ج ١٤ ص ١٩٤-١٩٥؛ محاسن التأويل للقاسمي ج ١٠ ص ١٣٤-١٣٥؛ تفسير السعدي ج ٤ ص ٢٢١-٢٢٢؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٤ ص ٢٢٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٠٠؛ تفسير البغوي ج ٣ ص ٧٨؛ تفسير ابن كثير ج ٢ ص

(٣) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (ق. ٣هـ - ٦٨هـ): حبر الأمة، ولد بمكة ونشأ في عصر النبوة فلازم النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه

بالضعفاء. ولابن القيم كلام مفيد في ترجيح القول الأول بعد إيراده للقولين حيث قال: «والقول الأول أشبه، فإنه أظهر في بطلان الشرك؛ وأوضح عند المخاطب وأعظم في إقامة الحجة وأقرب نسباً بقوله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأتم لا تعلمون﴾^(١) ثم قال ﴿ضرب الله مثلاً﴾، ومن لوازم هذا المثل وأحكامه أن يكون المؤمن الموحد كمن رزقه منه رزقاً حسناً والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، فهذا مما نبه عليه المثل وأرشد إليه فذكره ابن عباس رضي الله عنه منبهاً على إرادته؛ لأن الآية اختصت به فتأمله فإتاك تجده كثيراً في كلام ابن عباس رضي الله عنه وغيره من السلف في فهم القرآن فيظنّ الظانّ أنّ ذلك هو معنى الآية التي لا معنى لها غيره فيحكيه قوله»^(٢).

لطائف:

الأولى: إنّ في إهمام المثل أولاً (ضرب الله مثلاً) ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة^(٣).

الثانية: في قوله تعالى ﴿... ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرا وجهراً﴾ .
 إيثار لما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر؛ وذلك للدلالة على ثبات الإنفاق واستمراره التجديدي^(٤).

= الأحاديث، شهد مع علي الجمل وصفين . سكن الطائف ومات بها . (انظر: أسد الغابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ج ٣ ص ١٨٦-١٩٠؛ الإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٣٢٢-٣٢٦؛ الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٩٥).

(١) سورة النحل: الآيات (٧٣-٧٤).

(٢) الأمثال في القرآن الكريم لابن قيم الجوزية: ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٢٩ .

(٤) انظر: المرجع السابق ج ٥ ص ١٢٩ .

الثالثة: وإن في العدول عن تطبيق القرينتين بأن يقال وحرّاً مالكاً للأموال كما قال (عبداً مملوكاً) - مع كونه أدلّ على تباين الحال بينه وبين قسيمه - توخياً لتحقيق الحق بأن الأحرار أيضاً تحت ربة عبوديته تعالى، وأن مالكيّتهم لما يملكونه ليست إلا بأن يرزقهم الله تعالى إياه من غير أن يكون لهم مدخل في ذلك^(١).

والرابعة: في قوله تعالى (هل يستوون) الاستفهام للإنكار، وجمع الضمير للإيذان بأن المراد بما ذكر من اتصف بالأوصاف المذكورة من الجنسين لا فردان معيّنان منهما، هذا مع أن (من) اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع^(٢).



(١) انظر: المرجع السابق ج ٥ ص ١٢٩.

(٢) انظر تفسير البغوي ج ٣ ص ٧٨؛ تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٢٩.

المبحث الثاني: في بيان موضع الحمد وغايته

يحمد الله ذاته الشريفة بعد ضربه لهذا المثل المقصود منه إبطال ما عليه المشركون من الشرك به، وذلك بنفي التساوي بينه تعالى وبين ما يشركون . وقد جاء الحمد بقوله ﴿ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

وإنما حمد الله ذاته - في هذا المقام - لظهور البينة وقوة الحجة على المشركين بهذا المثل المطابق للغرض والكاشف عن المقصود^(١) .

وقيل - أيضاً - في مناسبة مجيء الحمد هنا: أي على ما هدى أوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد، أو الحمد كله لله لا يستحقه شيء من الأصنام؛ إذ تبين من المثل اختصاص الله بالإناعام فوجب أن يختص بالحمد وحده^(٢) .

وأرى أن المناسبة الأولى هي الأقوى، لما أن المقام - ههنا - في ضرب المثل الذي يراد به إثبات الحجة على المشركين ونقض شركهم، ويؤيده - أيضاً - ما عُقِبَ به الحمد بقوله ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ والمراد أي أكثرهم لا يعلمون قوة هذه الحجة وظهور البينة عليهم بهذا المثل مع أنها في غاية ظهورها ونهاية وضوحها. وإن كان القولان الآخريان مرادين ومعتبرين والله أعلم بمراده.

لطيفتان:

الأولى: في حمد الله ذاته في هذا المقام إشارة إلى المؤمنين بأن يحمده سبحانه عند ظهور الحق وبيان حجته وإلزام المعارضين به.

الثانية: في قوله تعالى ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ أُسند نفي العلم إلى أكثرهم للإشعار

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٨؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٠ ص ٨٥؛ محاسن التأويل للقاسمي ج ١٠ ص ١٣٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٠٠؛ تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٤٨؛ تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٣٠؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٠ ص ٨٥؛ التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٢٢٦.

بأنَّ بعضهم يعلمون الحق، ولكنهم لا يعملون به استكباراً وعناداً،
ويتضمَّن النصُّ بهذا ذمًّا لأكثرهم بالصراحة وذمًّا لأقلِّهم بوصمة الكابرة
والعناد بطريق التعريض^(١). والله أعلم بمراده.
وبهاتين اللطيفتين يتم الحديث عن هذا الموضوع من مواضع حمد الله
لذاته والله الحمد والمنة.



(١) انظر: تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٣٠؛ التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٢٢٦ .

الفصل الخامس:

حمد الله ذاته الكريمة على إنزال كتابه في فاتحة سورة الكهف

قال الله تعالى ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . قوماً لينذرباساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ، ما كتبت فيه أبداً ﴾ (١) .

المبحث الأول: في بيان موضع حمد الله ذاته وغايته

تفتح هذه السورة الكريمة بحمد الله ذاته الشريفة، وجاء من بعد الوصف له تعالى بالموصول ليفيد التنويه بمضمون الصلة؛ وليفيد (أيضاً) بيان سبب استحقاقه تعالى للحمد ههنا. وعلى هذا لما كان إنزال القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم أجزل وأعظم نعماء الله على عباده المؤمنين لأنه سبيل سعادتهم في الدارين، وهو في نفس الأمر من أعظم نعمه على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن جعله واسطة ذلك القرآن ومبلغه ومبينه .. لما كان الأمر كذلك حمد الله ذاته على إنزال كتابه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه - بلا ريب - إشارة إلى عظم شأن القرآن الكريم (٢) .

وإتّما خصّ رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر؛ لأنّ إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه بالخصوص - كما بينت سابقاً - وعلى سائر الناس بالعموم (٣) .

(١) سورة الكهف: الآيات (١-٣) .

(٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٥ ص ١٢٦؛ تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج ٦ ص ٩٥؛ تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٧١؛ تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٢٠٢؛ تفسير الخازن ج ٤ ص ١٩١؛ حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٢؛ محاسن التأويل للقاسمي ج ١١ ص ٥؛ تفسير السعدي ج ٥ ص ٥-٦؛ التحرير والتنوير ج ١٥ ص ٢٤٦ .

(٣) انظر: تفسير البغوي ج ٣ ص ١٤٣ .

ولا يخفى أن في حمد الله ذاته في هذا الموضوع يتضمّن إرشاداً لعباده أن يحمده سبحانه على إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم وإنزال الكتاب عليهم^(١).

لطائف:

الأولى: في مناسبة افتتاح سورة الكهف بالحمد بالسورة قبلها ذكر السيوطي في كتابه أسرار ترتيب القرآن أن بعض العلماء قال: مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء افتتاح تلك بالتسييح وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسييح التحميد.

ثم أضاف إلى قولهم قائلًا: مع اختتام ما قبلها بالتحميد أيضاً. أي في قوله تعالى في خاتمة سورة الإسراء ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً . . .﴾ الآية^(٢)، وذلك من وجوه المناسبة بتشابه الأطراف^(٣).

الثانية: إن في إثارة إنزال القرآن الكريم من بين سائر صفاته تعالى - في هذا المقام - تنبيهاً على أنه من أعظم نعمائه؛ فإنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والعباد ولا شيء في معناه ما يماثله^(٤).

والثالثة: إن في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم - في هذا الموضوع - بوصف العبودية لله تعالى تنبيهاً على بلوغه إلى أعلى معارج العبادة ومقاماتها؛ وتشريفاً له أيّ تشريف . ومثله قوله تعالى ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على

(١) انظر: تفسير السعدي ج ٥ ص ٥ .

(٢) سورة الإسراء: الآية (١١١) .

(٣) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص ١١٣-١١٤ .

(٤) محاسن التأويل للقاسمي: ج ١١ ص ٥ .

عبدہ ليكون للعالمين نذيراً ﴿^(١) ونظيره - أيضاً - في مقام الإسراء والمعراج بقوله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده..﴾ الآية^(٢). وهو في أعلى المقامات والقرب من الله تعالى^(٣).

وذكر الآلوسي^(٤) أن في هذا أيضاً إشعاراً بأن شأن الرسول أن يكون عبداً للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام^(٥). وهو معنى صحيح؛ ولكن ما ذكر من المعنى السابق أنسب للمقام وأوجه. والله أعلم بمراده.



(١) سورة الفرقان: الآية ١ .

(٢) سورة الإسراء . الآية (١).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٢٠٢ .

(٤) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو النشاء (١٢١٧-١٢٧٠هـ)، مفسر ومحدث وأديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته بها، كان سلفي الاعتقاد مجتهداً، تقلد الإفتاء ببلده عام ١٢٤٨هـ، وعزل فانقطع للعلم ثم سافر عام ١٢٦٢هـ إلى الموصل فالآستانة ومرّ بمباردين وسيواس ثم عاد إلى بغداد إلى أن توفي بها . من أشهر كتبه: روح المعاني - المقامات . ونسبته إلى جزيرة (آلوس) في وسط الفرات . (انظر: الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٧٦).

(٥) روح المعاني للآلوسي: ج ٣ ص ١١ .

المبحث الثاني:

في ذكر أوصاف الكتاب وصلتها باستحقاق الحمد

وصف الله - تبارك وتعالى - كتابه الكريم في مقام الحمد بإنزاله بصفات تدلّ على أنه حقيق أن يحمد الله نفسه الشريفة على إنزاله وأن يتمدح إلى عباده به. وتلكم الصفات (أولها) في قوله تعالى: (ولم يجعل له عوجاً) وهو وصف كمال له بنفي وجود شيء من العوج به كاختلال في النظم وتنافر في المعنى أو انحراف عن الدعوة إلى الحق؛ بل هو في غاية الكمال من صحة المعاني والسلامة من الخطأ والاختلاف والتضاد . وهذا الوصف الذاتي له يقتضي أنه أهلٌ للانتفاع به^(١).

(ثانيها) في قوله تعالى (قِيماً ..) والقيّم: صفة مبالغة من القيام الذي يطلق على دوام تعهّد شيء وملازمة صلاحه؛ لأنّ التعهد يستلزم القيام لرؤية الشيء والتيقظ لأحواله، والمراد بهذا الوصف في شأن القرآن الكريم أنه قيم على هدي الأمة وإصلاحها بكلّ ما يحقّق لها الخير في مصالحها الدنيوية والدينيوية . وهذا الوصف يقتضي أنّ كماله متعدّد بالنفع^(٢).

وأقول: إنّ هذين الوصفين بدالتهما على كمال هذا الكتاب الكريم بكونه في ذاته أهلاً للانتفاع به وكونه متعدّياً بالنفع فيهما إظهار وإشعار لاستحقاقه تعالى الحمد على إنزال القرآن الكريم، فالإتيان بهما مناسب لمقام الحمد ههنا .
لطفية:

يذكر ابن عاشور في قوله تعالى (ولم يجعل له عوجاً) أنّه إنّما عُدّيّ الجعل

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٢٠٢؛ تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٧١؛ تفسير السعدي ج

٥ ص ٥-٦؛ التحرير والتنوير ج ١٥ ص ٢٤٨ .

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٢٠٢؛ التحرير والتنوير ج ١٥ ص ٢٤٨ .

باللام دون (في) لأنّ العوج المعنوي يناسبه حرف الاختصاص دون حرف
الظرفية، لأنّ الظرفية من علائق الأجسام، وأمّا معنى الاختصاص فهو
أعمّ^(١). وهذا الذي ذكره أمر دقيق يحسن التنبيه إليه.
وبهذه اللطيفة يتم الكلام حول الموضوع ولله الحمد والمنة.



(١) انظر: التحرير والتنوير: ج ١٥ ص ٢٤٨.

الفصل السادس:

حمد الله ذاته في معرض إثبات إلهيته بآية سورة القصص

قال الله تعالى ﴿ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾^(١)

المبحث الأول: في بيان صلة الآية بما قبلها وغاية حمد الله ذاته فيها.

هذه الآية الكريمة معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون . وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾^(٢)؛ ذلك أنه بعد أن أخبر الله تعالى بأنه المنفرد بالخلق والاختيار وليس له في ذلك منازع ولا مزاحم ولا معقب؛ ثم نزه ذاته من أن يشرك به من الأصنام أو الأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً، ومن بعد أخبر أنه بسبب علمه لما تخفيه صدور عباده وما يعلنونه من أقوال وأفعال فهو المستحق والمنفرد بأن يختار لهم ما يشاء دون سواه .. بعد هذا البيان والإخبار منه - عز وجل - عطف عليه إثبات ألوهيته بقوله: (وهو الله لا إله إلا هو)، وهو كالنتيجة والتقرير لما قبله؛ ذلك أن من كان بيده الخلق والتقدير والاختيار، ومن كان عليمًا بخفايا الصدور وعلانية الأمور، فهو الإله الواحد الحق الذي لا يكون التوجه إلا إليه ولا تصرف العبادة إلا له، ولا يرجع في الحكم إلا لما يختاره ويقضي به .. ومن ثم أتبع إثباته لألوهيته بحمده ذاته الشريفة بقوله ﴿ له الحمد في الأولى والآخرة ﴾، وهو بمثابة الاستدلال والتعليل لثبوت إلهيته ونفيها عما سواه؛ ذلك أنه تعالى هو الذي قد أحاط بكلّ أوصاف الكمال والجلال وهو المنعم على خلقه مؤمنهم وكافرهم فله الحمد والثناء التامان في الدنيا والآخرة، وليس ذلك لشيء سواه؛ وبهذا فهو المستحق للألوهية وحده سبحانه^(٣).

(١) سورة القصص: الآية (٧٠).

(٢) سورة القصص: الآيتان (٦٨-٦٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٩٧؛ تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٣٠٧؛ نظم الدرر البقاعي =

المبحث الثاني:

في بيان جملة الحمد (له الحمد في الأولى والآخرة) وما بعدها

حمد الله ذاته الكريمة - ههنا - بقوله (له الحمد في الأولى والآخرة)، وقوله (له الحمد) هو في معنى قوله (الحمد لله) والتي سبق بيانها؛ وذلك لأن اللام في قوله (له) هي للملك والاستحقاق، والضمير يرجع إلى اسم الجلالة، والتعريف في الحمد للجنس المفيد للاستغراق، هذا مع إفادة تقديم الجرور الاهتمام بضمير الجلالة والاختصاص^(١). وإنما اختلف التعبير - ههنا - لما اقتضاه سياق الكلام في الآية .

وأما ذِكْرُ أَنَّ لَهُ الحمد في الأولى والآخرة فلإفادة التعميم لاستحقاقه الحمد في الدارين؛ لما أنه ذو الصفات الكاملة والمنعم على عباده في الدنيا والآخرة، ويمجده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا كما أخبر الله عنهم بقوله سبحانه ﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض تنبأ من الجنة حيث نشاء . . . ﴾ الآية^(٢) . أقول: وفيه مزيد تفخيم لشأن حمده ذاته تعالى في مقام إثبات ألوهيته.

مطلب:

ومن بعد حمده تعالى لذاته يعطف عليه إثبات أن الحكم له بقوله (وله)

= ج ٥ ص ٥١٣؛ تفسير الألوسي ج ٢٠ ص ١٠٦؛ تفسير المهامبي ج ٢ ص ١٢٣؛ محاسن التأويل ج ١٣ ص ١٢٤؛ تفسير المراغي ج ٢٠ ص ٨٧؛ التحرير والتنوير ج ٢٠ ص ١٦٦ .
(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٠ ص ١٦٧؛ ج ٢١ ص ٦٥-٦٦ .
(٢) انظر: الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ١٧٧؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٥ ص ١٠؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢٣؛ حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٣٥٨؛ تفسير الألوسي ج ٢٠ ص ١٠٦؛ محاسن التأويل للقاسمي ج ١٣ ص ١٢٤ . والآية بسورة الزمر رقم (٧٤) .

الحكم)، وهو تنمة للاستدلال والتعليل لإثبات ألوهيته ونفيها عن سواه. والمراد: أي له الحكم في الدارين أيضاً، وحُذِفَ المتعلق بالحكم لدلالة قوله قبلها (في الأولى والآخرة) ^(١)؛ فمن كان له الحكم والقضاء في الدنيا والآخرة على عباده فهو المستحق للألوهية وحده.

ويعطف عليه أيضاً بما يكون خاتمة للاستدلال والتعليل على ألوهيته بقوله: (وإليه ترجعون)، أي فمن كان مرجعكم ومصيركم إليه فاتقوه ووحّدوه ولا تصرفوا شيئاً من الألوهية إلا له؛ فهو المستحق لها الفرد الصمد دون سواه. لطيفة:

إنّ في تقديم المجرور بقوله تعالى (وإليه ترجعون) اهتماماً بالانتهاء إليه سبحانه وإلى حكمه وقضائه، مع مراعاة الفاصلة ^(٢). والله أعلم بمراده. وبهذه اللطيفة يتم الحديث عن هذا الموضوع والله الحمد والمنة.



(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٠ ص ١٦٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ج ٢٠ ص ١٦٨.

الفصل السابع:

حمد الله ذاته إثر الوعد والوعيد في آية سورة الروم

قال الله تعالى ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴾ ^(١).

المبحث الأول: في بيان مناسبة مجيء الحمد وعطفه على التسبيح في

موضعه من السورة

يحمد الله ذاته الكريمة بالعطف على تنزيهه لها قبله؛ بعد أن بين سبحانه في الآيات السابقة حال فريقَي المؤمنين العاملين بالصلاحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعقاب وهي قوله تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون . وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون ﴾ ^(٢)؛ وذلك لكي يرشد عباده بما ينجيهم من العذاب ويفضي بهم إلى الثواب، وهو تنزيههم له تعالى عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله؛ وحمدهم له على ما أنعم به عليهم من نعمه العظيمة وآلائه الجليلة إذ قال ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴾ ^(٣).

ويدل على هذه المناسبة اقتران التسبيح بالفاء، وهي لترتيب ما بعدها

(١) سورة الروم: الآيتان (١٧-١٨) .

(٢) سورة الروم: الآيات (١٤-١٦) .

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٥ ص ١٠٤؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٥٤؛

تفسير التعالي ج ٣ ص ٢٠٠؛ حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٣٨٧؛ محاسن التأويل

للقاسمي ج ١٣ ص ١٧٠؛ فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٢١٢ .

على ما قبلها، ومن ثمَّ عطف عليه حمده لذاته سبحانه. فقولُه تعالى (فسبحان الله) خبر في معنى الأمر بالتسبيح لخلقه، فإذا كان الله تعالى ينزه ذاته عن كل ما لا يليق بها فعباده مأمورون بلا ريب في تحقيق ذلك، وكذلك الشأن في قوله ﴿وله الحمد في السموات والأرض...﴾ فإن حمده لذاته والإخبار عنه فيه إرشاد وأمر لحمده على أبلغ وجه وآكده^(١).

لطيفتان:

الأولى: إنَّ في توسط الحمد ومجيئه معترضاً بين أوقات التسبيح اعتناءً واهتماماً بشأنه؛ وإشعاراً بأنَّ حقَّهما أن يجمع بينهما^(٢).

الثانية: وفي حكمة اقتران الحمد بالتسبيح والجمع بينهما في هذا المقام؛ بل وفي غيره من آيات القرآن الكريم يقول ابن كثير^(٣) رحمه الله تعالى: «ولما كان التسبيح يتضمَّن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدلُّ على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما»^(٤).

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٥٤ .

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٥٤؛ محاسن التأويل ج ١٣ ص ١٧٠؛ فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٢١٢.

(٣) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ ومفسر وفقه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام عام ٥٧٠هـ، وانتقل مع أخ له إلى دمشق عام ٥٧٠هـ، ورحل في طلب العلم وتوفي في دمشق عام ٧٧٤هـ. ومن أشهر مؤلفاته: البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث، الفصول في اختصار سيرة الرسول (انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ج ١ ص ٣٧١؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٩ ص ٢٩٢؛ طبقات الشافعية للسبكي ج ٦ ص ٨٤؛ الأعلام للزركلي ج ١ ص ٣٢٠).

(٤) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٥. أقول: وأشدُّ من ذلك اقتراناً التسبيح بحمد الله مثل قوله =

المبحث الثاني: في بيان حمد الله لذاته وصلته بما بعده

اعتماداً على ما سبق ذكره بأن حمد الله ذاته الكريمة معطوف على تسبيحه لها؛ فإنّ الأوقات التي ذكرت هي محلّ لهما كذلك وهي أربعة أوقات: (حين تمسون - حين تصبحون - عشياً - وحين تظهرون) وقد ذكر في وجه تخصيصهما بتلك الأوقات أنّه للدلالة على أنّ ما يحدث فيها من آيات قدرته وأحكام رحمته ونعمته هي شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه للحمد، وموجبة لتسبيحه وتحميده حتماً^(١).

أقول: وهذا الكلام في غاية الصحة وهو مبني على تأمل وإدراك بالغ، ويضاف إليه ما أشار إليه ابن عاشور في أنّ هذه الظروف متعلّقة بما في إنشاء التنزيه من معنى الفعل، أي ينشأ تنزيه الله في هذه الأوقات وهي الأجزاء التي يتجزأ الزمان منها، والمقصود التأييد أي على الدوام، وإنّما سلك مسلك الإطناب لأنّه مناسب لمقام الثناء^(٢). وهي إشارة حسنة لا تعارض مع ما ذكر قبلها.

هذا ويرى ابن عباس رضي الله عنهما أنّ تسبيح الله تعالى وتحميده في هذه الأوقات إشارة إلى الصلوات الخمس^(٣). وعلى هذا فالتعبير بالتسبيح

= تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم) ومنه أيضاً إخباره عن الملائكة بقولهم: (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) وفي ذلك قال الزمخشري: (ونحن نسبح بحمدك) بحمدك في موضع الحال أي نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك لأنّه لو لا إنعامك علينا بالتوفيق واللفظ لم تتمكن من عبادتك (ج ١ ص ٦١) والفخر الرازي يقول: أي: إنا إذا سبحناك فحمدك سبحناك يعني ليس تسبيحنا تسبيحاً من غير استحقاق بل تستحق بحمدك وجلالك هذا التسبيح وهو معنى آخر (التفسير الكبير ج ٢ ص ١٧٣).

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٢٨؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٥٤-٥٥؛ تفسير الألوسي ج ٢١ ص ٢٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج ٢١ ص ٦٥.

(٣) انظر: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة لعبد العزيز الحميدي ج ٢ ص =

والتحميد - ههنا - هو من باب إطلاق الجزء على الكل؛ حيث إن الصلاة تشتمل عليهما. وللشيخ عبدالرحمن السعدي^(١) إضافة متميزة في ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه حيث قال: «فهذه الأوقات أوقات الصلوات الخمس أمر الله عباده بالتسبيح فيها والحمد، ويدخل في ذلك الواجب منه كالمشملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وما يقترن بها من السوافل؛ لأن هذه الأوقات التي اختارها الله لأوقات المفروضات هي أفضل الأوقات؛ فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها»^(٢).

ثم إن جعل الحمد له سبحانه في السموات والأرض فيه تفضيم وتعظيم لشأن حمده تعالى، فهناك قال: (في الأولى والآخرة) وههنا قال (في السموات والأرض)، وفيه إشارة - أيضاً - إلى أنه لا يستحق الحمد أحدٌ سواه، إذ إن حمده قد استغرق وأحاط بكل الأزمنة والأمكنة والأحوال،، وسواءً حمده الناس أم لم يحمدهوه فهو الغني الحميد.

وقد ذكر ابن كثير في معنى قوله تعالى ﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾ أي هو المحمود على ما خلق في السموات والأرض^(٣). وهو كلام موجزٌ مؤكّدٌ لما ذكرته آنفاً.

= ٧١٨ - ٧١٩. والأثر بهذا عن ابن عباس حسن الإسناد .

(١) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي (١٣٠٧ - ١٣٧٨هـ) مفسر من علماء الحنابلة، من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها عام ١٣٥٨هـ، وله نحو ثلاثون كتاباً منها: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القواعد الحسان في تفسير القرآن، القواعد والأصول الجامعة في أصول الفقه . (انظر: الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣٤٠).

(٢) تفسير السعدي: ج ٦ ص ١١٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٤٢٨ .

مطلب:

يجيء بعد التسبيح والحمد قوله تعالى ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون . ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم أنتم بشر تنشرون .. ﴾ الآيات^(١) . وفي هذه الآيات بيان لتصرفه تعالى في المخلوقات بالإيجاد وبالإحياء بعد الموت، مع ذكره لعدد من نعمه وآلائه، وهي بهذا تُبين أنه سبحانه هو الإله المستحق للثناء والتقدير، فلها موقع العلة لما قبلها من التسبيح والتحميد^(٢) .

لطيفة:

إن في تقديم (عشياً) على (حين تُظهرون) مراعاة للفواصل وتغيير الأسلوب، ولما أنه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصبح والظهيرة^(٣) . والله أعلم بمراده.

وبهذه اللطيفة أختتم الكلام حول هذا الموضوع من مواضع حمد الله ذاته والله الحمد المنة.



(١) انظر: الآيات بسورة الروم من الآية (١٩) إلى الآية (٢٧).

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير ج ٢١ ص ٦٧؛ تفسير المراغي ج ٢١ ص ٣٦.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج ٧٠ ص ٥٥.

الفصل الثامن:

حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة سبأ

قال الله تعالى ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ﴾^(١).

هذه الآية الكريمة اشتملت على موضعين لحمد الله ذاته الشريفة، موضع في افتتاحها وموضع آخر في شطرها الثاني، وسأبين كل موضع منهما في بحث مستقل به على ما يلي:

المبحث الأول: في بيان الموضع الأول وغايته وصلته

هذه السورة الكريمة هي إحدى خمس سور في القرآن الكريم افتتحت بحمد الله ذاته، وجميعها سور مكية، وهي: الفاتحة - الأنعام - الكهف - سبأ - وفاطر. ومن حسن وضع ترتيبها في المصحف أتت في بدايتها كل ربع من القرآن، فكانت أرباع القرآن كلها مفتوحة بالحمد. وفي هذا إشارة لطيفة يدركها المتأمل في كتاب الله عز وجل، وقد ذكر الفخر الرازي وجهاً في ذلك حيث قال: «والحكمة فيها أن نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على إحصائها منحصرة في قسمين: نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء، فإن الله تعالى خلقنا أولاً برحمته وخلق لنا ما نقوم به، وهذه النعمة توجد مرة أخرى بالإعادة فإنه يخلقنا مرة أخرى ويخلق لنا ما يدوم، فلنا حالتان الابتداء والإعادة، وفي كل حالة له تعالى علينا نعمتان: نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء فقال في النصف الأول (الربع الثاني): ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات الأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ الآية^(٢)

(١) سورة سبأ: الآية رقم (١).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١).

إشارة إلى الشكر على نعمة الإيجاد ويدلّ عليه قوله تعالى فيه ﴿ هو الذي خلقكم من طين . . ﴾ الآية^(١). إشارة إلى الإيجاد الأوّل، وقال في السورة الثانية (الربع الثالث) ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ الآية^(٢)، إشارة إلى الشكر على نعمة الإبقاء، فإنّ الشرائع بها البقاء، ولولا شرع ينقاد له الخلق لاتبع كل واحد هواه ولوقعت المنازعات في المشتبهات وأدى إلى التقاتل والتفاني، ثمّ قال في هذه السورة ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾، إشارة إلى نعمة الإيجاد الثاني، ويدلّ عليه قوله تعالى (وله الحمد في الآخرة)، وقال في فاطر ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾^(٣) الآية إشارة إلى نعمة الإبقاء ويدلّ عليه قوله تعالى ﴿ جاعل الملائكة رسلاً . . ﴾ والملائكة بأجمعهم لا يكونون رسلاً إلا يوم القيامة يرسلهم الله مسلمين كما قال تعالى ﴿ وتلقاهم الملائكة . . ﴾^(٤) الآية . وقال تعالى عنهم ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾^(٥) و فاتحة الكتاب (الربع الأول) لما اشتملت على ذكر النعمتين بقوله تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾^(٦) إشارة إلى النعمة العاجلة، وقوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾^(٧) إشارة إلى النعمة الآجلة قرئت في الافتتاح وفي الاختتام^(٨)

هذا وبالنظر إلى موضوعات هذه السورة الكريمة فإنّ افتتاحها بالحمد

(١) سورة الأنعام: الآية (٢).

(٢) سورة الكهف: الآية (١).

(٣) سورة فاطر: الآية (١).

(٤) سورة الأنبياء: الآية (١٠٣).

(٥) سورة الزمر: الآية (٧٣).

(٦) سورة الفاتحة: الآية (٢).

(٧) سورة الفاتحة: الآية (٤).

(٨) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢٥ ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

للتبنيه على أنها تتضمن من دلائل تفرده بالإلهية واتصافه بصفات العظمة والكمال مما يقتضي إنشاء الحمد له والإخبار باختصاصه به^(١).

مطلب:

يصف الله تعالى ذاته الكريمة بعد حمده لها بقوله ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾، وهذا الوصف يقتضي أن كل ما في السموات والأرض ملك له سبحانه، وهو يفيد بذلك بيان علة استحقاقه للحمد؛ لأن ملكه للسموات والأرض وما فيهما ملك حقيقي؛ إذ هو سبب إيجاد تلك المملوكات، وذلك الإيجاد عمل جميل يستحق صاحبه الثناء والحمد، وأيضاً يتضمن هذا الإيجاد نعماً جمّة ظاهرة وباطنة وهي تقتضي كذلك الحمد له تعالى، فكان وصفه عز وجل بالملك بياناً لعلّة الحمد.^(٢) والله أعلم.

ثم إن في هذه الصلة - أيضاً - تعريضاً بكفران الكافرين المشركين الذين حمدوا أشياء في هذا الكون - والتي من جملتها الإنسان - وهي تحت ملكوته سبحانه وحكمه، وليس لها من الملك شيء، وهي ليس لها - في حد ذاتها - استحقاق الوجود فضلاً عما عداه من صفاتها، بل كلّ ذلك نعم فائضة عليها من جهته تعالى، وما كان هذا شأنه فهو بمعزل عن استحقاق الحمد، وبهذا يظهر لهم اختصاص جميع أفرادها به تعالى.^(٣)

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٢ ص ١٣٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٣٣؛ تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٥٩؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ١٢٠، تفسير الخازن ج ٥ ص ٢٨١؛ تفسير السعدي ج ٦ ص ٢٥٦؛ التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ١٣٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري ج ٢٢ ص ٤٢؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ١٢٠؛ التحرير والتنوير ج

لطيفة:

إنَّ في وصفه تعالى بأنَّ له ما في السموات وما في الأرض إيذاناً بأنَّ كونه مالِكاً لكلِّ الأشياء يوجب كونه محموداً على كلِّ لسان؛ لأنَّ الكلَّ إذا كان له فكلٌّ من ينتفع بشيء من ذلك كان منتفعاً بنعمه تعالى. (١)



(١) رغائب الفرقان للنيسابوري: ج ٢٢ ص ٤٠.

المبحث الثاني: في بيان الموضوع الثاني للحمد وغايته

قال الله تعالى: ﴿وله الحمد في الآخرة﴾

لما علم من وصفه تعالى بقوله ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ أن له الحمد في الدنيا أتبعه ببيان أن له الحمد في الآخرة كذلك لما آتاه هو المالك لها أيضاً فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ - هذا مع كونه سبحانه هو المنعم فيهما جميعاً - وذلك تنبيهاً إلى اختصاصه بالحمد في الدارين، فهو المعبود أبداً والمحمود على طول المدى، ولا يشركه في ذلك أحد من دونه، وإضافة إلى هذه الحكمة فإنه يظهر في الآخرة من حمده سبحانه والثناء عليه ما لا يكون في الدنيا، فإذا قضى الله بين الخلائق كلهم ورأى الناس والخلق كلهم كمال عدله وقسطه حمدوه على ذلك، وكذلك ما يظهر من حمده في دار النعيم والثواب . وقد أشرت إلى هذا فيما قبل . كما أن الإتيان ببيان أن له الحمد في الآخرة فيه إشارة إلى أنه يتكشف لمن كان يحمد غيره في الدنيا ويلتبس عليه ذلك حقيقة ما جهلوه وأنكروه فيتمحض له الحمد والثناء فلا يحمد في الآخرة أحد إلا هو سبحانه، فالناس يومئذ في عالم الحق ولا تلتبس عليهم الصور^(١).

(١) انظر: تفسير الطبري ج ٢٢ ص ٤٢؛ تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٣٣؛ تفسير أبي السعود ج

٧ ص ١٢٠؛ حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٤٥٩؛ فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص

٣٠٢؛ تفسير السعدي ج ٦ ص ٢٥٦-٢٥٧؛ التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ١٣٦.

المبحث الثالث: في وجه ختم الآية بصفتي (الحكيم الخبير)

في وجه ختم هذه الآية الكريمة بهاتين الصفتين لله تبارك وتعالى أمران: (أحدهما) الإيدان بأنه سبحانه كما يستحق الحمد لأنه منعم في الدنيا والآخرة يستحقه كذلك لأنه جل شأنه منعوت بالكمال الاختياري^(١).

(ثانيهما) التتميم لمعنى كونه تعالى منعماً بأنه عظيم الحكمة خبير بمواضع الاستحقاق والاستيجاب عالم بدقائق الأشياء وأسرارها، فهو بذلك الحقيق بالحمد دون غيره وبالعبادة دون سواه . ويكون المقصود من هذا التتميم بهاتين الصفتين من بعد استحماق وتقبيح الذين أقبلوا في شؤونهم على آلهة سوى الله، وهو سبحانه المتمكن بتصرفه بحكمته وخبرته^(٢).

وبيان هذه الحكمة في مجيء خاتمة الآية بهاتين الصفتين لله تعالى يتم الحديث حول هذا الموضوع من مواضع الحمد. والله الحمد والمنة.



(١) انظر: تفسير الألوسي ج ٢٢ ص ١٠٤.

(٢) انظر: تفسير الألوسي ج ٢٢ ص ١٠٤؛ التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ١٣٦ - ١٣٧.

الفصل التاسع:

حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة فاطر

قال الله تعالى ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ (١).

المبحث الأول: في بيان حمد الله ذاته في افتتاح السورة وغايته.

مطلب: في مناسبة افتتاح السورة بالحمد بالسورة قبلها.

في مناسبة افتتاح هذه السورة بحمد الله ذاته الشريفة لخاتمة السورة قبلها (سورة سبأ) قال بعض أهل العلم أنه لما ذُكر في آخر سورة سبأ هلاك المشركين وإنزالهم منازل العذاب في الآخرة بقوله تعالى ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب ﴾ (٢) ناسب أن يحمد الله تعالى ذاته بعدها على إهلاك المشركين الظالمين وإنزال العذاب بهم، كما مرّ في سورة الأنعام عند قوله تعالى ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ (٣) وهو نظير اتصال أول الأنعام بفصل القضاء والمختم به المائدة (٤). والله أعلم.

مطلب:

وفي مناسبة افتتاح هذه السورة بحمد الله ذاته الكريمة نظراً إلى ما حوته من موضوعات واشتملت عليه من أغراض فقد قال الصاوي (٥) في حاشيته على

(١) سورة فاطر: الآية (١).

(٢) سورة سبأ: الآية (٥٤).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٤٥).

(٤) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج ٦ ص ٢٠٠؛ أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص ١٣٧؛ روح المعاني للآلوسي ج ٢٢ ص ١٦١.

(٥) هو أحمد بن محمد الخلوئي، الشهير بالصاوي (١١٧٥-١٢٤١هـ): فقيه مالكي، نسبه =

الجلالين: «حكمة افتتاحها بالحمد لأنّ فيها تفصيل النعم الدينية والدنيوية التي احتوت عليها الفاتحة»^(١)، وقد نظر ابن عاشور إلى الهدف الأول التي اشتملت عليه السورة والذي كان أحد وسائله ما فُصّل فيها من النعم الدينية والدنيوية إذ قال: «اشتملت هذه السورة على إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية فافتتحت بما يدلّ على أنّه مستحقّ للحمد على ما أبدع من الكائنات الدالّ إبداعها على تفردّه تعالى بالإلهية»^(٢).

وأضاف - أيضاً - قائلاً: «وافتاحها بالحمد لله مؤذن بأنّ صفات من عظمة الله ستذكر فيها، وإجراء صفات الأفعال على اسم الجلالة من خلقه السموات والأرض وأفضل ما فيها من الملائكة والمرسلين مؤذن بأنّ السورة جاءت لإثبات التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وإيدان باستحقاق الله الحمد دون غيره»^(٣).

مطلب:

في وجه اقتران الحمد بعد اسم الجلالة بقوله تعالى (فاطر السموات والأرض .. الآية).

أثنى الله تعالى على ذاته المقدّسة ومدحها بوصفه بأنّه فاطر^(٤) السموات

= إلى صاء الحجر في إقليم الغربية بمصر، من أهم كتبه: حاشية على تفسير الجلالين، وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية، وتوفي بالمدينة المنورة (انظر: الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٤٦).

(١) حاشية الصّاوي على الجلالين: ج ٣ ص ٣٠٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ٢٤٧.

(٣) انظر: المرجع السابق ج ٢٢ ص ٢٤٨.

(٤) فاطر: فاعل الفطر، وهو الخلق والابتداء والاختراع، وفيه معنى التكون سريعاً؛ لأنه مشتق

من الفطر وهو الشقّ، وقيل: الفطر: الشقّ عن الشيء بإظهاره للحسن، يقال: فطر ناب =

والأرض جاعل^(١) الملائكة رسلاً.. إلخ، وهما وصفان يدلّان على كمال عظمتة وعظيم قدرته، وكذلك يدلّان على جزيل نعمائه وجليل آلائه على عباده بما خلق في السموات والأرض وما بينهما وبما أرسل ملائكته إلى رسله بوحيه الهادي وبما يكون لهم من أعمال تكون سبباً في إسعاد العباد في الدنيا والآخرة، وهو سبحانه - بهذين الوصفين الدالّين على ذلك - المستحقّ للحمد الكامل والثناء الشامل دون غيره، وهو بحمده لذاته لاستحقاقه يعلم عباده أن يحمدوه ويأمرهم أن يوحدوه دون سواه^(٢).



= الناقة إذا طلّع، وفطر دمه إذا أخرجه . ومنه فطّر الشيء تشقق، وسيف فُطّر أي فيه تشقق. والمراد بفاطر السموات والأرض أي مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه. (انظر: تفسير الماوردي ج ٣ ص ٣٦٨؛ تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٣١٩؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ١٤١؛ لسان العرب ج ٥ ص ٦٥-٦٦؛ التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ٢٤٩).

(١) جاعل: يطلق بمعنى مكوّن وبمعنى مصيّر . وكلاهما صحيح في معنى جاعل الملائكة أولي أجنحة (انظر: التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ٢٤٩).

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ج ٦ ص ٦٣٣-٦٣٤؛ تفسير السعدي ج ٦ ص ٢٩٨؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج ٣ ص ٣٠٨-٣٠٩؛ التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ٢٤٨.

المبحث الثاني: في صلة آية الحمد بالآية بعدها

يجيء بعد آية الحمد قوله تعالى ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾^(١) وهو عطف على قوله تعالى ﴿ فاطر السموات والأرض... ﴾ الآية وتقديره: وفتح الرحمة للناس وممسكها عنهم فلا يقدر أحد على إمساك ما فتحه ولا فتح ما أمسكه^(٢).

والرحمة المذكورة في الآية عامة في كل ما يرحم الله به خلقه من الإنعام الدنيوي والأخروي، وهي من مسوغات العطف على ما قبلها، إذ إنه مما يستحق به الحمد سبحانه رحمته بخلقه، والرحمة - بلا ريب - هي أمّ النعم وأصلها.

ومن ثمّ جاء الختم مناسباً بقوله تعالى ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾؛ وذلك لما حوته هذه الآية الكريمة من شأن فتحه تعالى لرحمته وإمساكها، فهو العزيز أي الغالب القادر على الإرسال والإمساك؛ وهو الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه^(٣).

لطيفة: قال الألوسي: «وفي اختيار لفظ الفتح رمز إلى أن الرحمة من أنفس الخزائن وأعزّها منلاً، وتنكيرها للإشاعة والإبهام»^(٤).
وبهذه اللطيفة المفيدة يتم الكلام حول هذا الموضوع .. والله الحمد والمنة.

(١) سورة فاطر: الآية (٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٢ ص ٢٥٢.

(٣) انظر: الكشف للزمخشري ج ٣ ص ٢٦٧.

(٤) روح المعاني للألوسي: ج ٢٢ ص ١٦٤.

الفصل العاشر:

حمد الله ذاته الكريمة في خاتمة سورة الصافات

قال الله تعالى: ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين .
والحمد لله رب العالمين ﴾^(١)

المبحث الأول: في بيان موضع الحمد ومناسبته لما قبله

إن موضع حمد الله ذاته الكريمة - ههنا - يجيء في آخر ثلاث آيات كريمة شكّلت مجموعها خاتمة لسورة الصافات بأجمل وأبدع ما يكون من ختام في تناسق نظم ومعنى وبيان.

هذا وفي مناسبة حمد الله ذاته - في هذا المقام - وجهان ذكرهما المفسرون. وجه نُظِرَ فيه إلى مجمل ما حوته سورة الصافات، ووجه روعي فيه النظر إلى أقرب الآيات مكاناً لآية الحمد، وكلا الوجهين هما في محلّ الاعتبار.

أمّا بالنظر إلى أقرب الآيات مكاناً للحمد فوجهه أنه بعد أن أخبر الله تعالى عن سنته الماضية بنصرة رسله وأوليائه وإهلاكه لأعداء دينه وشريعته بقوله تعالى ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ الآيات، هذه السنة التي تترتب عليها نعمٌ جمّةٌ ومصالحٌ عظيمةٌ من إظهار أسماء الله الحسنى وشرائعه العليا وإصلاح أمر الدنيا والآخرة^(٢) .. حينذاك ناسب أن يحمد الله تعالى ذاته عند ذكره لهذه السنة الإلهية المنبئة عن كمال عدله وإحسانه، وصفاته العليا كلّها؛ وعظيم إنعامه وكرمه وجوده، وقيل أيضاً: إته

(١) سورة الصافات: الآيات (١٨٠ - ١٨٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي ج ١٦ ص ١٤٢؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢١٢؛ تفسير الجلالين ج

٣ ص ٣٥٠؛ محاسن التأويل للقاسمي ج ١٤ ص ١٤٠؛ فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٤٠١.

والآيات بسورة الصافات (١٧١-١٧٩).

لما أثنى سبحانه على المرسلين بقوله قبل الحمد ﴿وسلام على المرسلين﴾ حمد ذاته على إرسالهم مبشرين ومنذرين، فإن ما بالمرسلين من فضل وشأن إنما هو من عند الله وهم في ذات الأمر نعمة ورحمة على عباده^(١). وهو وجه لطيف ساغ أيضاً.

وأما بالنظر إلى ما حوته هذه السورة الكريمة من ذكر ما قاله المشركون في الله تعالى، ونسبوا إليه مما هو متره عنه، وما عاناه المرسلون من جهتهم، وما خولوه في العاقبة من النصر عليهم، ناسب بذلك ختمها بهذه الآيات الثلاث التي يأتي في بدايتها تنزيه الله ذاته عمّا وصفه به المشركون ومن بعد يتوسّطها التسليم على المرسلين وتُختتم بحمده تعالى لذاته على ما قيض لهم من حسن المآل والعواقب^(٢).

وفي مثل هذا يقول ابن عاشور: «هذه الآية فدلّة لما احتوت عليه السورة من الأغراض، إذ جمعت تنزيه الله والثناء على الرسل والملائكة وحمد الله على ما سبق ذكره من نعمة على المسلمين من هدى ونصر وفوز بالنعيم المقيم»^(٣).
وأقول: إنّ جميع ما ذكر من علّة لجميء الحمد في هذا المقام صالح للاعتبار والاستدلال وإظهار وجه المناسبة والحكمة، ويحتمل أنّ الكلّ مراد، والله أعلم بمراده.

(١) انظر: تفسير الطبري ج ٢٣ ص ٧٤؛ محاسن التأويل للقاسمي ج ١٤ ص ١٤٠؛ فتح القدير

للسوكاني ج ٤ ص ٤٠١.

(٢) انظر: الكشف للزمخشري ج ٣ ص ٣١٥.

(٣) التحرير والتنوير: ج ٢٣ ص ١٩٨-١٩٩.

المبحث الثاني:

في وجه ذكر السلام على المرسلين بين التسييح والحمد

مع ما ذكر من قبل في شأن ذكر السلام على المرسلين بالنظر إلى ما حوته سورة الصافات؛ فلعَلَّ إيرادها بين التسييح والحمد - أيضاً - من وجهة أخرى هو تمهيد لختم السورة الكريمة بالحمد، مع ما فيه من الإشعار بأن توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد^(١). ويدلّ على هذا الأمر اقتران الحمد بالسلام في غير موضع من القرآن كقوله سبحانه وتعالى ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى...﴾^(٢)، ويشبهه كذلك قوله عز وجل: ﴿عِزَّةً لَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجْنَاهُم مِّنَ الدُّنْيَا كَمَا خَرَجْنَاكَ مِنَ الْبَيْتِ يَوْمَ النَّوَى﴾^(٣).

وللألوسي إضافة حسنة في هذا الشأن يجدر ذكرها إذ يقول: «وقد يقال: تقديم التنزيه لأهميته ذاتاً ومقاماً، ولما كان التنزيه عما يصف المشركون وقد ذكر عز وجل إرشاد الرسل إياهم وتحذيرهم لهم من أن يصفوه سبحانه بما لا يليق به تعالى وضمّن ذلك الإشارة إلى سوء حالهم وفضاعة منقلبهم أردف جلّ وعلا ذلك بالإشارة إلى حسن حال المرسلين الداعين إلى تنزيهه تعالى عما يصفه به المشركون، وفيه من الاهتمام بأمر التنزيه ما فيه، وأتى عز وجل بالحمد للإشارة إلى أنّه سبحانه متصف بالصفات الثبوتية كما أنّه سبحانه متصف بالصفات السلبية، وهذا وإن استدعى إيقاع الحمد بعد التسييح بلا فصل؛ إلا أنّ الفصل بينهما هنا بالسلام على المرسلين مما اقتضاه مقام ذكرهم فيما مرّ...»^(٤)

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢١٢.

(٢) سورة النمل: الآية (٥٩).

(٣) سورة يونس: الآية (١٠)، وانظر: أضواء البيان للشنقيطي ج ٦ ص ٦٩٨.

(٤) روح المعاني للألوسي: ج ٢٣ ص ١٥٨.

لطيفتان:

الأولى: إن في قوله تعالى (وسلام على المرسلين) تشریفاً للرسول كلهم بعد تنزيهه تعالى؛ وتويهاً بشأنهم؛ وإيداناً بأنهم سالمون من كل المكاره فائزون بكل المآرب^(١).

الثانية: إن في الانتقال من الآيات السابقة في السورة إلى التسييح والتسليم والتحميد إيداناً بانتهاء السورة على طريقة براعة الختم مع كونها من جوامع الكلم^(٢).

وبهاتين اللطيفتين ينتهي الحديث عن موضع من مواضع حمد الله ذاته في كتابه الكريم والله الحمد والمنة.



(١) انظر: المرجع السابق ج ٢٣ ص ١٥٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ج ٢٣ ص ١٥٨؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٣ ص ١٩٩.

الفصل الحادي عشر:

حمد الله ذاته الكريمة عند ضرب المثل بآية سورة الزمر

قال الله تعالى ﴿ ضرب الله مثلاً رجالاً فيه شركاء متشاكسون ورجالاً مسلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ (١).

المبحث الأول: في صلة آية الحمد بما قبلها وبيان المثل فيها

مطلب: في صلة الآية بما قبلها.

يذكر الله - تبارك وتعالى - قبل آية الحمد أهمية ضرب الأمثال في القرآن الكريم وحكمته؛ وذلك تمهيداً لما ذكر فيها من المثل؛ وليجذب الانتباه للتدبر والتأمل وأخذ العبرة؛ إذ قال سبحانه ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون . قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلمهم يتقون ﴾ (٢). فالغاية والحكمة من ضرب الأمثال - كما أخبر سبحانه - هي التذكّر والاعتاظ بها وتحصيل التقوى (٣). وبهذه الغاية وتلكم الحكمة ينبغي أن تردّ العقول والأفهام موارد الأمثال القرآنية لتحقيق ما أراده الحقّ عزّ وجلّ في ذلك.

مطلب: في بيان المثل القرآني في الآية.

وبعد بيانه - تعالى - لحكمة وأهمية ضرب الأمثال في كتابه الكريم يضرب سبحانه مثلاً للكافر المشرك به والمؤمن الموحد له؛ ليدلّ على قبح الشرك وشناعته؛ وحسن الإيمان بالله وفضيلته.

وقدّم مثل المشرك إظهاراً لحقيقة الشرك وسوء حال أهله، وليقارنه بما

(١) سورة الزمر: الآية (٢٩).

(٢) سورة الزمر: الآيتان (٢٧-٢٨).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢٥٣؛ تفسير السعدي ج ٦ ص ٤٦٨.

بعده من مثل المؤمن، فينجلي من بعد الحق وتثبت البيّنة والحجّة.

أما مثل المشرك بالله فهو ما جاء في قوله تعالى ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً﴾^(١) فيه شركاء متشاكسون ﴿^(٢) والمراد: مثل المشرك بالله كمثل الرجل المملوك الذي يشترك في ملكيته سادة مختلفون متضادون عسرون لا يتفقون على شيء؛ وذلك لشكاسة أخلاقهم وسوء طباعهم، فيتجاذبونه ويتعاورونه في مهمّاتهم المتباينة ورغباتهم المختلفة بقدر نصيب كلّ واحد منهم وملكه فيه؛ فيبقى - والحال هذا - ضائعاً حائراً متردداً أيهم يعتمد أمره ويتبع، إن أرضى أحدهم غضب الآخر؛ فهمه مُشاع وقلبه أوزاع، فألّى له الراحة والاستقرار والاطمئنان، كذلك حال المشرك بالله في تقسّم عقله وتوزّع قلبه بين آلهة متعددة فهو في شك وحيرة وتخبّط وضلال لا يستقيم له حال ولا يطمئن له بال^(٣).

وأما مثل المؤمن بالله فهو ما أخبر عنه تعالى بقوله ﴿ورجلاً سلماً لرجل﴾^(٤) أي

(١) (مثلاً) مفعول ثانٍ لضرب، و(رجلاً) مفعوله الأول، أخر عن الثاني للتشويق إليه وليتصل به ما هو من تنمة التي هي العمدة في التمثيل. أو (مثلاً) مفعول ضرب، و(رجلاً) بدل منه.

(انظر: تفسير الألوّسي ج ٢٣ ص ٢٦٢).

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب: «الشُّكْسُ والشُّكْسُ والشُّرْسُ جميعاً: السّيء الخُلُق».

(لسان العرب: ج ٦ ص ١١٢) ويمثله قال الرازي في مختار الصحاح: رجل شُكْس بوزن

فَلْس أي صعب الخُلُق (ص ٣٤٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري ج ٢٣ ص ١٣٦-١٣٧؛ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٢؛ تفسير القرطبي ج

١٦ ص ٢٥٣؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢٥٣؛ تفسير الألوّسي ج ٢٣ ص ٢٦٢؛ تفسير

السعدي ج ٦ ص ٤٦٨؛ التحرير والتنوير ج ٢٣ ص ٤٠١-٤٠٢.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: (سالمًا لرجل) بصيغة اسم الفاعل، أي خالصاً من

الشركة، وقرأ الجمهور (سالمًا) وهو اسم مصدر: سلّم لسه إذا خلص، فهو على حذف

مضاف أي ذا سلامة وذا خلوص من الشركة، والوصف به للمبالغة. (انظر: النشر في =

كمثل الرجل المملوك الذي ليس له إلا سيّد واحد فيكون خالصاً له؛ ولا سبيل لغيره عليه البتة، يعرف ما يرضيه فيؤمّل رضاه ويتجنب سخطه وغضبه، فهمّه واحد وقلبه مجتمع، فيكون بهذا مستقرّ الحال ومطمئنّ البال، وكذلك حال المؤمن بالله تعالى الذي اتخذ الله رباً واحداً فتوجّه إليه بالعبادة دون سواه خالصاً له من كلّ شريك فاستقامت حاله واطمأنت نفسه وسعد برّبّه وهنأ برضاه وقربه^(١).

وتتمّة لبيان هذا المثل القرآني أتى سبحانه بما يدلّ على التفاوت بين الرجلين المملوكين فقال تعالى ﴿هل يستويان مثلاً﴾؟ ويجوز أن يكون هذا الاستفهام تقريرياً أو إنكارياً، والإتيان فيه بـ(هل) لتحقيق التقرير أو الإنكار^(٢). وفيه يقول أبو السعود^(٣): «إنكار واستبعاد لاستوائهما ونفيّ له على أبلغ وجه وأكده، وإيدان بأنّ ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر أحد

= القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ ص ٣٦٢؛ الغاية في القراءات العشر لأحمد بن الحسين ابن مهران النيسابوري، تحقيق محمد غياث الجنباز ص ٢٥٢؛ رغائب الفرقان للنيسابوري ج ٢٣ ص ١٢؛ التحرير والتنوير ج ٢٣ ص ٤٠١).

(١) انظر: تفسير الطبري ج ٢٣ ص ١٣٧؛ تفسير الماوردي ج ٣ ص ٤٦٨، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٥٣؛ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٢؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢٥٣؛ تفسير السعدي ج ٦ ص ٤٦٩؛ التحرير والتنوير ج ٢٣ ص ٤٠٢.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٣ ص ٤٠٢.

(٣) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٨٩٨-٩٨٢هـ): مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية، ودرس ودرّس في بلاد متعددة، وتقلّد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم إيلي، وأضيف إليه الإفتاء عام ٩٥٢هـ. من أشهر كتبه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم في التفسير (انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ٨ ص ٣٩٨؛ الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٥٩).

أن يتفوّه باستوائيهما أو يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة أنّ أحدهما في أعلى عليين والآخر في أسفل سافلين، وهو السرّ في إبهام الفاضل والمفضول»^(١). وانتصاب (مثلاً) على التمييز، والاقتصار فيه على الواحد لبيان الجنس، والمراد: هل يستوي حالاهما وصفتهما^(٢).

وبهذا الاستفهام يتمّ المثل المضروب، وبه تقوم الحجّة ويثبت البرهان على المشركين بفساد معتقدتهم وقبح حالهم وصنيعهم.



(١) تفسير أبي السعود: ج ٧ ص ٢٥٣.

(٢) المرجع السابق: ج ٧ ص ٢٥٣.

المبحث الثاني: في بيان موضع الحمد وغايته

وبعد بيان هذا المثل يحمد الله ذاته الكريمة بقوله ﴿ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ وعلى القول بأن الاستفهام الذي سبق الحمد تقريرى؛ فتكون جملة الحمد استثناءً في محلّ الجواب له، وموقعها كموقع النتيجة من الدليل، فيقدر أنّ المخاطبين قد أقروا بعدم استواء حال الرجلين؛ لأنّ مثل هذا الاستفهام لا ينتظر السائل جواباً عنه، فيصحّ أن يتولى الجواب عنه قبل أن يجيبه المسؤول، ولما وافق ما قدر من جوابهم بغيته تعالى حمد سبحانه ذاته على نهوض حجته وإثبات برهانه.

وأما على أنّ الاستفهام للإنكار فتكون جملة الحمد معترضة بين الإنكار وبين الإضراب الانتقالي، وذلك إثباتاً منه تعالى بأن الحمد له ولا يستحقه أحدٌ سواه بعد بطلان قول المشركين بإثبات الشركاء والأنداد؛ وثبوت أن لا إله إلا هو الواحد الأحد الحقّ^(١).

وعلى ما سبق ذكره يتبيّن أنّ غاية حمد الله ذاته وحكمته في هذا المقام لأمرين: (أحدهما) لظهور الحجّة وقيام البيّنة على المشركين بهذا المثل وإلزامهم بالحقّ الذي لا يحميد عنه ولا مناص؛ فلم يبق لهم بعده عذر ولا ينهض لهم عقبه برهان. (ثانيهما) لإثبات أنّ الله هو المستحقّ له دون سواه بعد بطلان إلهية كلّ الشركاء والأنداد.

مطلب:

ثمّ إنّ الإضراب المتصل بالحمد بقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) يحتمل عدة وجوه ذكرها المفسرون على ما يلي:

(١) انظر: تفسير الطبري ج ٢٣ ص ١٣٨؛ تفسير الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٣٤٦؛ تفسير الماوردي ج ٣ ص ٤٦٨؛ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٢؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٦ ص ٢٧٨؛ تفسير البحر المحيط ج ٧ ص ٤٢٥؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢٥٣؛ تفسير السعدي ج ٦ ص ٤٦٩؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٣ ص ٤٠٣.

(أحدها) أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك المثل بما ظهر فيه من الحق واليقين مع كمال ظهوره فيبقون في شركهم وضلالهم^(١).

(ثانيها) أنهم لا يعلمون أنه الله سبحانه هو الإله الحق المعبود الذي يجب أن يحمد دون سواه؛ فيشركون به غيره تبعاً لذلك^(٢).

(وثالثها) أنهم لا يعلمون ما يصيرون إليه من العذاب من جرّاء شركهم ولو أيقنوا حقاً لآمنوا ولما بقوا على شركهم ولكنهم كذبوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم^(٣).

أقول: وجميع هذه الوجوه سائغة ومحتملة، وتصديق كلها على حال أولئك المشركين . والله أعلم بمراده.
لطيفة:

إنّ في حمد الله ذاته الكريمة - في هذا المقام - تنبيهاً للمؤمنين به على أنّ ما لهم من مزية الإيمان هو من توفيقه وفضله تعالى؛ وأنها نعمة جليّة وكرامة عظيمة موجبة عليهم أن يداوموا على حمده وإخلاص العبادّة له، أو على أن بيانه تعالى بضرب المثل أنّ لهم المثل الأعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عزّ وجلّ مستوجب حمده وإخلاص العبادّة له أيضاً^(٤).
وبهذه اللطيفة يكمل الحديث عن هذا الموضع القرآني من مواضع حمد الله ذاته؛ والله الحمد والمنة.

(١) انظر: تفسير الماوردي ج ٣ ص ٤٦٨؛ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٢؛ التفسير الكبير للفخر

الرازي ج ٢٦ ص ٢٧٨؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢٥٣.

(٢) انظر: الكشف للزحشري ج ٣ ص ٣٤٦؛ البحر المحيط لأبي حيان ج ٧ ص ٤٢٥؛ التفسير

الكبير للفخر الرازي ج ٢٦ ص ٢٧٨.

(٣) انظر: تفسير السعدي: ج ٦ ص ٤٦٩.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢٥٣؛ فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٤٤٥.

الفصل الثاني عشر:

حمد الله ذاته الكريمة في آية سورة غافر

قال الله تعالى ﴿ هو الحيّ لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾^(١)

المبحث الأول: في صلة آية الحمد بما قبلها

تجيء هذه الآية التي يحمد الله ذاته الشريفة في خاتمتها بعد آيات يذكر الله تعالى فيها عدداً من نعمه على عباده التي جعلها دلائل لإثبات ألوهيته ووحديته؛ وتوجيه الخلق إلى عبادته وحده والإخلاص له دون سواه. ولقد ابتدأت هذه الجولة من الآيات في ذكر دلائله في الكون والأنفس والآفاق من قوله تعالى ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾^(٢)، ثم يأتي بعدها قوله سبحانه ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فباركوا لله رب العالمين ﴾^(٣)، ومن بعدها تجيء آية الحمد وتفتح بوصفه تعالى (الحيّ) الدالّ والمستلزم لأوصاف الكمال والجلال من العلم والقدرة وغيرها مما يثبت استحقاقه التام لإلهيته ووحديته مع ما سبق ذكره من إنعامه وأفضاله. وكان هذا الوصف الجليل (الحيّ) كالمقدمة والدليل لقوله بعده (لا إله إلا هو)؛ وذلك لأن كل من سواه لا حياة له كاملة فهو معرض للزوال والفناء، وبالتالي فكيف يكون لهاً مدبراً للعالم؟! وبعد اتضاح الدلالة على انفراده عزوجل بالإلهية فرّع عليه الأمر بعبادته وحده بلا شريك فقال سبحانه (فادعوه مخلصين له الدين)^(٤).

(١) سورة غافر: الآية (٦٥).

(٢) سورة غافر: الآية (٦١).

(٣) سورة غافر: الآية (٦٤).

(٤) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٧ ص ٨٤؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج =

المبحث الثاني: في بيان موضع الحمد وغايته

ولما ذكر الله تعالى ما ذكر من نعمه وآلائه على عباده مما جعلها دلائل لإثبات ألوهيته، ووصف بعدها ذاته المقدسة بما يدل على إحاطته بأوصاف الكمال والجلال ناسب أن يحمد ذاته الكريمة العلية إثر ذلك إظهاراً وإثباتاً منه لاستحقاقه الحمد دون سائر ما يعبد المشركون ويتخذونهم أولياء من دونه فقال عز من قائل: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾، وبلا شك أن في حمده لذاته في هذا المقام أمراً لعباده أن يحمده بما أنه أهل للحمد والثناء على نعمائه وكمال أوصافه^(١).

ولصاحب نظم الدرر (البقاعي)^(٢) نظرة سائغة لطيفة في مجيء الحمد في ختام هذه الآية وهي في محل الاعتبار، حيث نظر إلى ما حوته الآية من الأمر بالتوجه إلى الله وعبادته وتوحيده فقال: «ولما أمر بقصر الهمم عليه علله بقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾»^(٣) فهو قد جعل بكلامه - هذا - الحمد علة لما في الآية

= ٦ ص ٥٣٣؛ فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٤٨٠؛ تفسير المراغي ج ٢٤ ص ٩٠؛ تفسير

السعدي ج ٦ ص ٤٥٤؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٤ ص ١٩٢-١٩٣.

(١) انظر: تفسير البغوي ج ٤ ص ١٠٤؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٧ ص ٨٤؛ محاسن

التأويل للقاسمي ج ١٤ ص ٢٤٧؛ تفسير السعدي ج ٦ ص ٥٤٥-٥٤٦.

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين

(٨٠٩-٥٨٨٥هـ): مؤرخ أديب مفسر، أصله من البقاع في سورية، سكن دمشق ورحل

إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، له مؤلفات عدة في التاريخ والأدب والتفسير.

(انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ج ١ ص ١٠١-١١١؛ شذرات

الذهب ج ٧ ص ٣٣٩؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج ١ ص ١٩؛ الأعلام

للزركلي ج ١ ص ٥٦).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ج ٦ ص ٥٣٣.

من الأمر بعبادة الله وتوحيده، أي بما أن الله هو المستحق للحمد بأوصافه الكاملة ونعمه الجزيلة فهو الذي ينبغي أن يوحد ويعبد دون سواه .

لطيفتان:

الأولى: في قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) بعد قوله ﴿ لا إله إلا هو ﴾ قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: «وكان جماعة من أهل العلم يأمرؤن من قال: لا إله إلا الله؛ أن يُتبع ذلك الحمد لله رب العالمين تأولاً منهم هذه الآية بآئها أمر من الله بقليل ذلك»^(١).

الثانية: إن في إظهار اسم الجلالة في موضع الإضمار بقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ إشارة إلى أن له سبحانه من الصفات العلى ما لا ينحصر، فالمسمى بهذا الاسم جامع لجميع معاني الأسماء الحسنى لذاته^(٢).

وبهاتين اللطيفتين يتم الكلام حول هذا الموضوع والله الحمد والمنة.



(١) تفسير الطبري: ج ٢٤ ص ٥٣ .

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج ٦ ص ٥٣٣ .

الفصل الثالث عشر:

حمد الله ذاته الكريمة في خاتمة سورة الجاثية

قال الله تعالى ﴿ فله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين . وله الكبرياء
في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ (١)

المبحث الأول: في بيان موضع الحمد وصلته بما قبله

يجيء حمد الله ذاته الكريمة في هذا الموضع بخاتمة السورة مقترناً بالفاء
تفريعاً على ما احتوت عليه السورة من ذكر آلاء الله وأفضاله ولطافه فيما
خلق وأرشد وسخر وأقام من نظم العدالة؛ وعلى ما انطوت عليه - أيضاً - من
الدلائل الآفاقية والأنفسية والبراهين الساطعة والنصوص اللامعة في المبدأ
والمعاد، وعلى ما أتى فيها من الوعيد للمعرضين والاحتجاج عليهم.. ولما كان
ذلك كله من الحق - سبحانه وتعالى - بما يدل على اتصافه بصفات الكمال
والعظمة والجلال؛ كان من الحقيقي والمناسب في هذا المقام أن يحمد الله ذاته
عنده وكان جديراً بقصره على ذاته دون سواه (٢).

لطيفة:

إنّ في تقديم (الله) بقوله تعالى ﴿ فله الحمد ﴾ إفادة للاختصاص والتأكيد،
فالحمد الحقّ الكامل مختصّ به تعالى مؤكّد له دون غيره (٣).

(١) سورة الجاثية: الآيتان (٣٦-٣٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج ٢٥ ص ٩٦؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٧ ص ٢٧٥؛ تفسير
الآلوسي ج ٢٦ ص ٢-٣؛ تفسير السعدي ج ٧ ص ٣٥؛ التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٣٧؛
التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي ج ٢ ص ٣٩٩.

(٣) انظر: تفسير الآلوسي ج ٢٦ ص ٣؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٥ ص ٣٧٧.

مطلب:

يصف الله تبارك وتعالى ذاته المقدسة بعد حمده لها بـ ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ليشير بذلك إلى علّة قصر الحمد عليه سبحانه، فربوبيته - عزّ وجلّ - للسموات والأرض وما فيهما من العالمين سبب لاستحقاقه الحمد وقصره عليه دون سواه؛ إذ الكلّ مربوب لله تعالى وهو المنعم عليهم بفضله وكرمه وإحسانه^(١). وفيه كذلك تعريض بالمشركين الذين اتخذوا مع الله شركاء؛ وهو ربّ كل شيء، فعليهم أن يقلعوا عن شركهم ويوحّدوه ويخلصوا له العبادة. وللألوسي إضافة حسنة على ما سبق ذكره بهذا الوصف إذ يقول إنّ فيه - أيضاً - إشارة إلى أنّ كفرهم لا يؤثّر شيئاً في ربوبيته تعالى ولا يسدّ طريق إحسانه ورحمته عزّ وجلّ؛ وإنما هم قد ظلموا أنفسهم بذلك الكفر^(٢).

لطيفتان:

الأولى: إنّ تكرير الربّ في قوله تعالى (وربّ الأرض) للتأكيد والإيدان بأنّ ربوبيته تعالى لكلّ منهما بطريق الأصالة، مع ما فيه - أيضاً - من التنويه بشأن الربوبية^(٣).
الثانية: إنّ في اتباع (ربّ السموات وربّ الأرض) بـ (رب العالمين) تأكيداً لكون سكان السموات والأرض محقّقين بأنّ يحمده سبحانه، لأنّه خالق العوالم التي هم منتفعون بها وخالق ذواتهم فيها كذلك^(٤).

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٧ ص ٢٧٥؛ تفسير الألوسي ج ٢٦ ص ٣؛ تفسير

السعدي ج ٧ ص ٣٥؛ التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٣٧٧.

(٢) انظر: تفسير الألوسي ج ٢٦ ص ٣.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج ٨ ص ٧٦؛ التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٣٧٧.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٣٧٨.

المبحث الثاني: في صلة آية الحمد بما بعدها

مطلب:

بعد أن حمد الله ذاته في الآية السابقة وأتبع بوصفها بربوبيته للسموات والأرض والعالمين أثبت لها ثلاث صفات جاءت في الآية التي تليها بقوله ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾^(١).

(فأولها): صفة (الكبرياء) وهي مشتقة من الكبر، وجاءت على وزن (فعلِيَاء) وهو بناء مبالغة^(٢). وقال الراغب^(٣) في مفرداته: «الكبرياء الترفع عن الانقياد وذلك لا يستحقه غير الله تعالى»^(٤). ومن لوازم هذه الصفة لله تعالى العظمة والجلال والسلطان والعلو، وبها فسرت هذه الصفة عند أكثر المفسرين^(٥).

وقد دلّ من الآية على اختصاص الكبرياء به تعالى وحصره في ذاته الشريفة تقديم المجرور في قوله (وله الكبرياء)، ومما دلّ عليه - أيضاً - ما روي في الصحيح عن أبي سعيد الخدري^(٦) وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة الجاثية: الآية (٣٧).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ١٢٥-١٢٦؛ تفسير الثعالبي ج ٤ ص ١٤٨.

(٣) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب: أديب من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي عام ٥٠٢هـ، من أشهر مؤلفاته: المفردات في غريب القرآن، محاضرات الأدباء، الذريعة إلى مكارم الشريعة. (انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٣٩٦؛ كشف الظنون لحاجي خليفة ج ١ ص ٣٦؛ الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٥٥).

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٢٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري ج ٢٥ ص ٩٧؛ محاسن التأويل للقاسمي ج ١٤ ص ٣٩٨؛ فتح القدير

للمشوكاني ج ٥ ص ١٢؛ تفسير السعدي ج ٧ ص ٣٥.

(٦) هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد (١٠ق-٥٧٤هـ): =

وسلم: «العزّ إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبتة»^(١)، كيف وهي صفة منبئة عن كمال الذات وكمال الوجود^(٢)، ولا يكون هذا إلا لله تعالى وحده. وإثما خصّ ذكر الكبرياء في السموات والأرض لظهور آثارها وأحكامها فيهما^(٣).

هذا ووجه الحكمة في إثبات هذه الصفة لله تعالى في هذا المقام لأمرين: (أحدهما) الدلالة على أنه تعالى هو المستحقّ للحمد دون سواه من كلّ ما يُشرك به ويُعبد من دونه؛ وذلك لأنّ له الكبرياء وحده لا لغيره.

(وثانيهما) ليدلّ سبحانه على أنّ استدعاء خلقه لحمده إنّما هو لنفعهم وتركية نفوسهم وإلاّ فإنّه غني عنهم، وأنّهم إن حمدوه وجب أن يعرفوا أنّه

= صحابي جليل، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث كثيرة غزا اثنتي عشرة غزوة، وتوفي بالمدينة المنورة . (انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري ج ٢ ص ٢١٣ ص ١٤٢؛ الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٨٧).

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب البر - باب تحريم الكبر، حديث ١٣٣؛ ج ٥ ص ٤٨٠ (صحيح مسلم بشرح النووي - طبعة الشعب) وقال النووي: الضمير في (إزاره ورداؤه) يعود إلى الله تعالى للعلم به، وفيه محذوف تقديره . قال الله تعالى (فمن ينازعني ذلك عذبتة) وعند أبي داود في سننه عن أبي هريرة قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «قال الله عزوجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزارني فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار». كتاب اللباس: باب ما جاء في الكبر، حديث ٣٩٣٢، ج ٦ ص ٥٣-٥٤. (مختصر سنن أبي داود للمنذري)، ومثله عند ابن ماجه ولفظه: «ألقبته في جهنم» كتاب الزهد - باب البراءة من الكبر والتواضع، حديث ٤١٤٧، ج ٢ ص ١٣٩٧.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٥ ص ٣٧٨؛ لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ١٢٦-١٢٥.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج ٨ ص ٧٦؛ فتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ١٢.

أعلى وأكبر من أن يكون له الحمد الذي ذكره لائقاً بإنعامه؛ بل هو أكبر من حمدهم وأيديه أعلى وأجلّ من شكرهم^(١).
لطيفة:

للشيخ عبد الرحمن السعدي كلام لطيف ومعتبر في اقتران الكبرياء بالحمد في هذا الموضوع الكريم إذ يقول: «فالحمد فيه الشاء على الله بصفات الكمال ومحبه وإكرامه؛ والكبرياء فيها عظمتة وجلاله . والعبادة مبنية على ركنين: محبة الله والذلّ له. وهما ناشئان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه»^(٢).
مطلب:

وثاني الصفات وثالثها في هذه الآية الكريمة للحقّ سبحانه قوله ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ وبها تختم الآية والسورة، ومجيء هاتين الصفتين - في هذا المقام الجليل وختامه - لتأكيد استحقاقه تعالى للحمد والثناء مع ما قبلها من الربوبية والكبرياء؛ وذلك أنّ العزة لله تشمل معاني القدرة والاختيار، والحكمة تجمع معاني تمام العلم وعمومه، وهذا يفيد أنّه - تعالى - لكمال قدرته واختياره يقدر على خلق أيّ شيء أراد؛ ولكمال حكمته بعلمه يخصّ كلّ نوع من مخلوقاته بآثار الحكمة والرحمة والفضل والإنعام، فلا إله إلا هو ولا محسن ولا منعم ومتفضّل إلا هو سبحانه^(٣).

لطيفتان:

الأولى: إنّ في هاتين الآيتين إرشاداً إلى أوامر جليلة فكأنّه قيل: له الحمد سبحانه

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٧ ص٢٧٥؛ التحرير والتنوير ج٢٥ ص٣٧٨.

(٢) تفسير السعدي: ٧ ص ٣٥.

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٧ ص٢٧٥؛ تفسير الألوسي ج٢٦ ص٣؛ تفسير

السعدي ج٧ ص٣٥؛ التحرير والتنوير ج٢٥ ص٣٧٨.

فاحمدوه وحده واعبدوه ولا تشركوا به شيئاً؛ وله الكبرياء فكبروه
وعظّموه، وهو العزيز الحكيم فأطيعوه في كلّ أمر ولا تعصوه^(١).
الثانية: وهذه الخاتمة الرائعة من قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ . . .﴾
الآيتان؛ آذن الكلام بانتهاء السورة الكريمة، فهو من براعة ختم السور
القرآنية^(٢).
وبهاتين اللطيفتين يتمّ الكلام حول هذا الموضوع من مواضع حمد الله ذاته في
كتابه ولله الحمد والمنة.

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج ٨ ص ٧٦؛ تفسير الألوسي ج ٢٦ ص ٣؛ التفسير الواضح لمحمد

محمود حجازي ج ٢ ص ٣٩٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٣٧٨؛ التفسير الواضح ج ٢ ص ٣٩٩.

الفصل الرابع عشر:

حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة التغابن

قال الله تعالى ﴿يُسَبِّحُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

المبحث الأول: في وجه الحكمة بافتتاح السورة بهذه الآية

لَمَّا كَانَ أَكْثَرَ مَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ التَّغَابِنِ هُوَ إِطَالُ إِشْرَاكِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ وَزَجْرَهُمْ عَنْهُ وَعَمَّا يَتَفَرَّعُ مِنْهُ مِنْ إِنْكَارِهِمْ لِلْبَعْثِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ، وَالَّتِي تَعَدُّ أَصُولًا لَضَلَالِهِمْ بَدَأَتْ السُّورَةُ بِالْإِعْلَانِ عَنْ ضَلَالِهِمْ وَكُفْرَانِهِمْ بِالْمَنْعَمِ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ بَيَانٌ أَنَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ مِنَ الشَّرْكِ بِهِ وَمِنْ كُلِّ شَائِبَةِ نَقْصٍ. أَي وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، فَفِيهِ مَعْنَى التَّعْرِيفِ بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَمْ يَنْزَهُوهُ وَلَمْ يُوقِّرُوهُ فَنَسَبُوا إِلَيْهِ الشَّرْكَاءَ وَالْأَنْدَادَ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، مَعَ مَا يَفِيْدُهُ ذَلِكَ - أَيْضًا ابْتِدَاءً - مِنْ تَقْرِيرِ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّةِ سُلْطَانِهِ لِيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلِيَكُونَ لَهُمْ تَعْلِيمًا وَامْتِنَانًا (٢).

ويؤيد هذا المعنى الذي من أجله افتتحت هذه السورة بهذه الآية ما جاء بعدها مباشرة من قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣)؛ إذ هي تقرير لما أفادته وإبانه للمقصود على وجه التصريح بأن الذين

(١) سورة التغابن: الآية (١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٢٦٠.

(٣) سورة التغابن: الآية (٢).

أشركوا بالله قد كفروا بنعمته وبخلقهم زيادة على جحدهم دلائل تنزهه تعالى عن النقص الذي اعتقدوه له، ولذلك قدّم (فمنكم كافر) على (ومنكم مؤمن) لأن الشقّ الأوّل هو المقصود بهذا الكلام تعريضاً وتصريحاً^(١).
لطيفة:

إنّ مجيء فعل التسييح في قوله تعالى ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ بصيغة المضارع للدلالة على تجدّده ودوامه، وقد سبق نظيره في فاتحة سورة الجمعة بقوله تعالى ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾،^(٢) وإتّما جيء به في فواتح سور المسبّحات الأخرى (الحديد - الحشر - الصف) بصيغة الماضي للدلالة على أن التسييح قد استقرّ في قديم الأزمان، فحصل من هذا التنوّع بين الماضي والمضارع كلا المعنيين المرادين^(٣) والله أعلم بمراده.

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٨ ص ٢٦٢.

(٢) سورة الجمعة: الآية (١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ٢٦٠. وقال أبو يحيى زكريا الأنصاري في كتابه فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: «عبّر هنا (أي في سورة الحديد) وفي الحشر والصف بالماضي، وفي الجمعة والتغابن بالمضارع، وفي الأعلى بالأمر، وفي الإسراء بالمصدر استيعاباً لوجهات المشهورة لهذه الكلمة، وبدأ بالمصدر في الإسراء لأنه الأصل، ثم بالماضي لسبق زمنه، ثم بالمضارع لشموله الحال والمستقبل، ثم بالأمر لخصوصه بالحال مع تأخره في النطق به في قوله: فعل - يفعل - افعل» (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ص ٥٥١).

المبحث الثاني:

في بيان موضع حمد الله ذاته الكريمة في الآية وغاياته

بعد إيراد الله - عز وجل - لتسبيح ما في السموات وما في الأرض له سبحانه؛ أتبعه بقوله ﴿ له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ وهو استئناف واقع موقع التعليل لمضمون التسبيح قبله^(١)، فإن تنزيه جميع الموجودات له تعالى عن الشركاء والنقائص لما أنه سبحانه هو المالك لكل شيء في الوجود والمتصرف فيه بحكمته وإرادته بما يشاء تصرف المالك المنفرد في ملكه، ولما أنه كذلك الموصوف بالإحاطة بجميع صفات الكمال والمنعم على خلقه بنعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ ولما أنه أيضاً القدير على كل شيء فلا يعجزه أمر أراده. وبهذا كانت هذه الجملة الاستئنافية المعطوفة أجزاؤها على بعض قد شككت بمجملها تعليلاً لتنزيه ما في السموات وما في الأرض لله تعالى، فسبحان من له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

لطيفة:

في وجه اقتران الحمد والملك المنبيء عن الحكم لله تعالى في هذا المقام كلام لطيف للشيخ عطية محمد سالم رحمه الله تعالى^(٢) في أضواء البيان إذ يقول:

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٤؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج ٣ ص

٨٠؛ التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ٢٦١؛ التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي ج ٢ ص ٥٠٨.

(٢) هو الشيخ عطية محمد سالم، ولد بقرية ريفية في مديرية الشرقية بمصر عام ١٣٤٦هـ، بدأ

دراسته الدينية بعد مجيئه إلى المدينة المنورة عام ١٣٦٤هـ في المسجد النبوي الشريف، ومن

أشهر مشايخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ عبد الرحمن الإفريقي والشيخ محمد

التركي والشيخ حماد الأنصاري، ودرّس بالمسجد النبوي الشريف لمدة طويلة، وله

مؤلفات كثيرة مشهورة، توفي عام ١٤٢٠هـ بالمدينة المنورة.

«والتذليل هنا بصفات الكمال لله تعالى بقوله ﴿ له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ للإشعار بأنَّ الملك لله وحده لا شريك له نافذ فيه أمره ماض فيه حكمه بيده أزمنة أمره كما في قوله تعالى ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾^(١) وكقوله تعالى ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾^(٢)، ومن قدرته على كل شيء وتصريفه لأمر ملكه كيف يشاء أن جعل العالم كله يسبح له بحمده تنفيذاً لحكمه فيه كما في قوله تعالى ﴿ له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾^(٣) فجمع الحمد والحكم معاً لجلالة قدرته وكمال صفاته^(٤).

وبهذه اللطيفة أختتم الكلام حول آخر مواضع حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيم والله الحمد والمنة.

(١) سورة تبارك: الآية (١).

(٢) سورة يس: الآية (٨٢).

(٣) سورة القصص: الآية (٧٠).

(٤) أضواء البيان تكملة الشيخ عطية سالم: ج ٨ ص ٣٣١.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في رحاب الآيات القرآنية التي حمد الله تعالى فيها ذاته المقدسة - بأبلغ وجه وأكده في خمسة عشر موضعاً من أعظم المواضع وأشرفها مكاناً وبيناً - يدرك المتأمل أهمية هذه الدراسة بما حوته من إظهار حكمه تعالى لحمده ذاته؛ إذ جاء في فاتحة كتابه وأربع سور غيرها وكانت جميعها في بدايات أرباع القرآن الكريم، كما ختم به سبحانه بعض السور وتخلل بين الآيات في سور أخرى.

هذا وتنوعت حكم مجيء الحمد في مواضعه بين إثبات ربوبيته وألوهيته تعالى، وإظهار أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وعند ذكر أعظم نعمه سبحانه الدينية والدنيوية والأخروية، وعند ظهور الحق وإرشاد الخلق بإثبات الحجّة وقيام البيّنة، كما كان من حكمه في ذكر ما أقامه عزّ وجلّ من نظم العدالة وتسخير هذا الكون بما فيه من النعم، وإظهار الدلائل في الآفاق والأنفس ..
وإني أقترح بعد هذه الدراسة أن تتبع بدراسة المواضع القرآنية الأخرى التي جاءت في شأن حمد الله تعالى من قبل ملائكته ورسله والمؤمنين، لما فيه من إظهار جوانب مهمة و متممة.

فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وسبحانه لا تحصي ثناء عليه .

وختاماً أسأل الله تعالى أن يتقبّل عملي هذا وأن يجعله حجّة لي في ميزان حسناتي يوم ألقاه . إنه وليّ ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا وسيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

فهرس المراجع

- ١- الإتيقان في علوم القرآن: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن . ٢ ج. بيروت - لبنان: المكتبة الثقافية.
- ٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود: محمد بن محمد العمادي ٩ ج . بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- ٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن محمد . ٥ ج، دار الفكر .
- ٤- أسرار ترتيب القرآن: السيوطي، جلال الدين، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا . الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، القاهرة: دار الاعتصام.
- ٥- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد ابن علي، بيروت: دار الكتاب العربي، ٤ ج.
- ٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني . ١٠ ج . ١٣٩٣هـ/١٩٨٣م.
- ٧- الأعلام: الزركلي، خير الدين . الطبعة السادسة . ٨ ج . بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
- ٨- الأمثال في القرآن الكريم: ابن قيم الجوزية . تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . بيروت: دار المعرفة.
- ٩- البداية والنهاية: أبو الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى . ٧ ج. بيروت: دار الكتب العلمية . تحقيق: أحمد أبو ملحم - علي نجيب - فؤاد السيد - مهدي ناصر الدين.
- ١٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: الشوكاني، محمد بن علي . ٢ ج . طبع بمصر ١٣٤٨هـ.

- ١١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، جلال الدين، طبع بمصر ١٣٢٦هـ .
- ١٢- تبصير الرحمن وتيسير المتان: المهامبي، علي بن أحمد بن إبراهيم، الطبعة الثانية. ج ٢ . بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ١٣- تذكرة الحفاظ: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. ٤ ج . طبع في حيدرآباد ١٣٣٣ - ١٣٣٤هـ .
- ١٤- ترتيب القاموس المحيط: الزاوي، الطاهر أحمد . الطبعة الثالثة - ٤ ج . بيروت: دار الفكر.
- ١٥- تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة: الحميدي، عبدالعزيز ابن عبد الله . ٢ ج . الرياض: طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر - مكة المكرمة: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.
- ١٦- تفسير البحر المحيط: أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، الطبعة الثانية . ٨ ج . بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٧- تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر . ٣٠ ج . تونس: الدار التونسية للنشر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٤م.
- ١٨- تفسير الجلالين: علي حاشية الصاوي.
- ١٩- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي . ٤ ج . بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ .
- ٢٠- تفسير المراغي، أحمد مصطفى . ٢٠ ج . بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ٢١- تفسير المنار: رضا، محمد رشيد. الطبعة الثانية . ١٢ ج . بيروت: دار المعرفة .
- ٢٢- تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود. الطبعة الأولى . ٢ ج . بيروت: دارالكتاب العربي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٢٣- تهذيب الصحاح: الزنجاني، محمود بن أحمد . تحقيق: عبدالسلام هارون - أحمد

عبد الغفور عطار. مصر: دار المعارف . ٣ ج.

٢٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتان: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر .
تحقيق: محمد زهري النجار. ٧ ج. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤ هـ.

٢٥- جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري، محمد بن جرير. ٣٠ ج. بيروت: دار
المعرفة، ١٤٠٣/١٩٨٣ م.

٢٦- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري . الطبعة
الثانية . ٢٠ ج . بيروت: دار الكتاب العربي.

٢٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: التعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف.
٤ ج. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٨- حاشية الجمل على تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية): العجيلي الشافعي،
سلمان بن عمر، الشهير بالجمل . ٤ ج . بيروت - لبنان: دار إحياء التراث
الغربي.

٢٩- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: الصاوي، أحمد بن محمد . ٤ ج . بيروت:
دار إحياء التراث العربي.

٣٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي . ٤ ج.
طبع في حيدر آباد ١٩٤٥ - ١٩٥٠ م.

٣١- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: الألوسي، أبو الفضل،
شهاب الدين السيد محمود. ٣٠ ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٣٢- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن
علي بن محمد . الطبعة الثالثة . ٩ ج . دمشق - بيروت: المكتب الإسلامي،
١٤٠٤ هـ.

٣٣- سنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي . إعداد

- وتعليق: عزت عبيد الدعاس - عادل السيد . الطبعة الأولى . ٥ ج . سوريا - لبنان: دار الحديث، ١٣٨٨هـ.
- ٣٤- سنن ابن ماجه: ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . ٢ ج. بيروت: دار الفكر .
- ٣٥- سير أعلام النبلاء: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ٣٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي . بيروت: دار إحياء التراث العربي .
- ٣٧- صحيح مسلم بشرح النووي: القشيري، مسلم بن الحجاج - النووي، يحيى ابن شرف، تحقيق وإشراف: عبد الله أحمد أبو زينة . ٥ ج . القاهرة . كتاب الشعب.
- ٣٨- صفة الصفوة: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد . تحقيق: محمود فاحوري - محمد رواس قلعه جي. الطبعة الثالثة . ٤ ج. بيروت - لبنان . دار المعرفة ١٤٠٥هـ.
- ٣٩- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: السنخاوي . ١٢ ج. طبع في مصر ١٣٥٣ - ١٣٥٥هـ .
- ٤٠- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي . ٦ ج. طبع بمصر ١٣٢٤هـ.
- ٤١- الغاية في القراءات العشر: النيسابوري، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران . تحقيق: محمد غياث الجنباز. الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م . الرياض: شركة العبيكان .
- ٤٢- غرائب القرآن و رغائب الفرقان: النيسابوري، نظام الدين بن محمد بن حسين القمي. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض . الطبعة الأولى . ٣٠ ج. مصر: شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

- ٤٣- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: الأنصاري، أبو يحيى زكريا . تحقيق: محمد علي الصابوني . الطبعة الأولى . بيروت: دار القرآن الكريم، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٤٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: الشوكاني، محمد ابن علي . تحقيق: عبد الرحمن عميرة - الطبعة الأولى . ٦ ج، مصر: دار الوفاء، ١٤١٥ هـ.
- ٤٥- الكامل: ابن الأثير . ١٢ ج . طبع بمصر ١٣٠٣ هـ.
- ٤٦- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة . ٢ ج. طبع في إسطنبول ١٣٦٠ هـ.
- ٤٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر . ٤ ج. بيروت: دار المعرفة.
- ٤٨- الكليات: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. تحقيق: عدنان درويش. محمد المصري. الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ٤٩- لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: ٧ ج. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ.
- ٥٠- لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . ١٥ ج. بيروت: دار الفكر - دار صادر.
- ٥١- لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني . الطبعة الثانية، ١٣٩٠ هـ . ٧ ج. بيروت، مؤسسة الأعلمي.
- ٥٢- محاسن التأويل: القاسمي، محمد جمال الدين، علق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي . الطبعة الثانية ١٧٠ ج. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨ هـ.
- ٥٣- مختار الصحاح: الرازي، محمد أبو بكر بن عبد القادر. بيروت - دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٣٩٨ هـ

- ٥٤- مختصر سنن أبي داود: الحافظ المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد . تحقيق: أحمد محمد شاكر - محمد حامد الفقي. ج ٨ . بيروت - لبنان: دارالمعرفة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٥٥- مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية . تحقيق: محمد حامد الفقي. ج ٣ . بيروت - لبنان: دار الكتاب العربي . الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٥٦- معالم التنزيل: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء. تحقيق: خالد عبدالرحمن العك - مروان سوار . ج ٤ . بيروت: دار المعرفة . الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٥٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت: دار المعرفة . الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٥٨- مفاتيح الغيب (الستفسير الكبير): الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين. الطبعة الثالثة . ج ٣٠ . بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ٥٩- مفتاح السعادة ومصباح السيادة: طاش كبرى زاده . ج ٢ . الطبعة الأولى . حيدرآباد: مطبعة دار المعارف النظامية، ١٣٢٩هـ.
- ٦٠- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد . تحقيق: محمد سيد كيلاني . بيروت: دار المعرفة.
- ٦١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين يوسف بن تغري بردي. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- ٦٢- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي. أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضبَّاع . ج ٢ . بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
- ٦٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر . الطبعة الأولى . ج ٨ . بيروت - لبنان: دار الكتب

العلمية، ١٤١٥هـ.

- ٦٤- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقرئ، ٤ ج. طبع بمصر ١٣٠٢هـ.
- ٦٥- النكت والعيون: الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب . تحقيق: خضر محمد خضر. راجعه: عبد الستار أبوغدة. الطبعة الأولى، الكويت: طباعة مقهوى. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . التراث الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
- ٦٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان . ٢ ج. طبع بمصر ١٣١٠هـ.

فهرس الموضوعات

- ١٣ المقدمة
- ١٥ التمهيد: في معنى الحمد وتعريفه ومشتقاته والفرق بينه وبين الشكر والحمد
- ١٩ الفصل الأول: حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة الكتاب
- ٢٧ الفصل الثاني: حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة الأنعام
- ٣٥ الفصل الثالث: حمد الله ذاته الكريمة عند هلاك الظالمين في آية سورة الأنعام
- ٣٩ الفصل الرابع: حمد الله ذاته الكريمة عند إظهار الحجّة في آية سورة النحل
- ٤٥ الفصل الخامس: حمد الله ذاته الكريمة على إنزال كتابه في فاتحة سورة الكهف
- ٥٠ الفصل السادس: حمد الله ذاته في معرض إثبات إلهيته بآية سورة القصص
- ٥٣ الفصل السابع: حمد الله ذاته إثر الوعد والوعيد في آية سورة الروم
- ٥٨ الفصل الثامن: حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة سبأ
- ٦٤ الفصل التاسع: حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة فاطر
- ٦٨ الفصل العاشر: حمد الله ذاته الكريمة في خاتمة سورة الصافات
- ٧٢ الفصل الحادي عشر: حمد الله ذاته الكريمة عند ضرب المثل بآية سورة الزمر
- ٧٨ الفصل الثاني عشر: حمد الله ذاته الكريمة في آية سورة غافر
- ٨١ الفصل الثالث عشر: حمد الله ذاته الكريمة في خاتمة سورة الجاثية
- ٨٧ الفصل الرابع عشر: حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة التغابن
- ٩١ الخاتمة
- ٩٩ فهرس الموضوعات

وَقَفَاتٌ مَعَ أَحَادِيثِ تَرْبِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأَصْحَابِ

إعداد :

د. عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الزَّيْدِ

الأستاذ المساعد في جامعة الإمام محمد بن سعود

مقدمة وتمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وجعله هادياً ومربياً وقُدوةً للمؤمنين .

لقد أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إلى هذه الأمة وأنزل عليه كتابه وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة ربهم وتوحيده وترك الشرك وعبادة الأصنام فاستجاب صلى الله عليه وسلم لأمر ربه فقام وأنذر، وصدع بما يؤمر، وأنذر عشيرته الأقربين، ودعا العرب إلى توحيد رب العالمين، فاستجاب له من أراد الله هدايته وأعرض عنه وعاداه من آثر الغواية والضلال، ولقد كان المستجيبون قليلين مستضعفين يخافون أن يتخطفهم الناس فاعتنى بهم الرسول صلى الله عليه وسلم ورباهم بحكمته، وغرس في قلوبهم العقيدة القويمة وصاغ منهم صوراً حية للقرآن، ونماذج للإسلام، فقويت هذه القلة بعد ضعف، وكثرت بعد قلة، ونصرها الله يوم نصرته، وحقق آمالها لما صبرت فانطلقت تنشر الإسلام في أرجاء الأرض، وتحطم عروش الجاهلية ومعتقداتها حتى أتم الله لهم ومكنهم في الأرض فانتشروا في شرق الأرض وغربها، وفتحوا أقوى الممالك على وجه الأرض في ذلك الوقت، وبلغوا رسالة ربهم إلى أرجاء المعمورة في فترة وجيزة .

كانوا رعاة جمال قبل هزمتهم ... وبعدها ملأوا العالم تمدينا

لو كبرت بأرض الصين مئذنة ... سمعت في الغرب قليل المصلين

فلنتأمل في التربية التي صنعت هؤلاء الأبطال. ولننظر في منهج المربي صلى الله عليه وسلم الذي هو قدوة هؤلاء الرجال فإن من الواجب علينا أن نفتني أثر الرسول صلى الله عليه وسلم ونستقي من منهجه في الدعوة والتربية فهو قدوتنا وقائدنا ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر﴾^(١) وهذه

(١) سورة الأحزاب الآية: (٢١) .

وقفات مع منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية وقد جعلتها وفق الآتي:

أولاً: أسس تربية النبي صلى الله عليه وسلم؛ وفيها ثلاث وقفات:

الوقفه الأولى: في التربية على العقيدة والعبادة.

الوقفه الثانية: في التربية الأخلاقية .

الوقفه الثالثة: التربية بالقدوة.

ثانياً: أساليب تربيته صلى الله عليه وسلم؛ وفيها ثلاث وقفات:

الوقفه الرابعة: التربية بالثواب والعقاب .

الوقفه الخامسة: التربية بالقرآن.

الوقفه السادسة: التربية المتوازنة.

وقد تم جمع الأحاديث وترتيبها حسب المناسب في نظري وعلقت على ما

يحتاج إلى تعليق و أنقل من أقوال أهل العلم من شراح الحديث وغيرهم ما أراه

مناسبا وما كان من الأحاديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه وما

كان من غيرهما فأدرس إسناده وأثبت ما توصلت إليه من درجته بعد تخريجه .

هذا وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وأن ينفع به وهو

الموفق سبحانه.

أولاً: أسس تربية النبي صلى الله عليه وسلم

الوقفة الأولى: التربية على العقيدة والعبادة

لا شك أن العقيدة الراسخة هي أساس التربية ولذلك فقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى التوحيد ويربي أصحابه على العقيدة ويغرسها في نفوسهم فكان صلى الله عليه وسلم طيلة هذه المدة يبذل غاية جهده لتخليص النفوس من شوائب الشرك ويربي نفوس المؤمنين على صدق التوجه لله إرادةً وقصدًا وعبودية خالصة، ونجد آيات القرآن في هذه الفترة تركز على أمور العقيدة من الإيمان بالله وبيان صفاته وأسمائه والإيمان برسله وكتبه وملائكته والبعث والنشور وغيرها .

وكان صلى الله عليه وسلم أول ما يدعو الناس إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله وفي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله»^(١). وعندما جاءه وفد عبد القيس قال لهم آمركم بأربع آمركم بالإيمان بالله ثم فسرهما لهم فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»^(٢). ونجده صلى الله عليه وسلم عندما يبعث أحداً للدعوة إلى الله يأمره أن يبدأ بالتوحيد في دعوته فعندما أرسل صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن قال: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وفي بعض الروايات «إلى أن يوحدوا الله»^(٣).

قال الشيخ العلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: وفيه دليل على أن التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص (٨).

(٢) متفق عليه انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١ / ٤).

(٣) متفق عليه انظر اللؤلؤ والمرجان (١ / ٥).

وترك عبادة ما سواه هو أول واجب، فهذا كان أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون»^(١) وقال أيضاً: وإذا أراد الدعوة إلى ذلك فليبدأ بالدعوة إلى التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله إذ لا تصح الأعمال إلا به فهو أصلها الذي تبني عليه ومتى لم يوجد لم ينفع العمل بل هو حابط إذ لا تصح الأعمال مع الشرك.^(٢) كذلك نجد النبي صلى الله عليه وسلم عندما أرسل علياً رضي الله عنه لفتح خيبر وأعطاه الراية أمره أن يدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ويقاتلهم عليها.^(٣) قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث: وفيه أن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله المراد بها الدعوة إلى الإخلاص بها وترك الشرك وإلا فاليهود يقولونها ولم يفرق النبي ﷺ في الدعوة إليها بينهم وبين من لا يقولها من مشركي العرب فعلم أن المراد من هذه الكلمة هو اللفظ بها واعتقاد معناها والعمل به^(٤)، فمن هنا نرى كيف ركز صلى الله عليه وسلم على العقيدة والإخلاص لله وأنهما الركيزة التي يبدأ بها في الدعوة والتربية، وأيضاً ففي مبدأ تربية المسلم لولده يجب أن يغرس في نفسه التوحيد والعقيدة الصحيحة.

ومن محاسن ما رأيت عند بعض الناس أنهم يعوّدون الطفل أول ما ينطق على كلمة التوحيد لا إله إلا الله وقد روي في ذلك حديث مرفوع « افتحوا على صبيانكم بلا إله إلا الله » رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان^(٥) لكنه لا

(١) سورة الأنبياء (٢٥).

(٢) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٩٧.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد انظر البخاري ك: المغازي (٤٧٦/٧)

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ١٠٩.

(٥) انظر كتاب تزيه الشريعة لابن عراق - الكنايا (٢ / ٣٦٤)

يثبت . لكن على الداعية والمربي أن يهتم أولاً بالعقيدة ويركز عليها لأنها الركيزة لما بعدها ولأن قوة الإيمان بالله تستلزم الانقياد لشرعه وتثمر الاستسلام لمنهجه، ونستفيد من المنهج النبوي أن من الأوليات في تربية الناشئة غرس التوحيد الخالص في قلوبهم وأن يربوا على مراقبة الله عز وجل والشعور بقربه وحفظه لأوليائه والإيمان بقدره ونلمس هذا واضحاً في توجيه كريم وتربية صادقة من المصطفى صلى الله عليه وسلم لابن عمه الغلام عبد الله بن عباس . فقد أخرج أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١) وفي رواية أحمد «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً» فهذه توجيهات عظيمة ومبادئ قديمة يغرسها النبي صلى الله عليه وسلم في نفس هذا الغلام الناشئ تبدأ هذه الكلمات بالتربية على المراقبة لله وحفظ أوامره ونواهيه وذلك باتباع الأوامر وأداء الفرائض والمحافظة عليها واجتناب النواهي والبعد عنها وبذلك يحفظه الله ويكون معه بالتسديد والحفظ والعون ثم التوجيه إلى قوة الارتباط بالله واللجوء إليه والخضوع له والتذلل له بسؤاله وحده والاستعانة به وحده . قال ابن رجب رحمه الله في معنى الحديث: «إن من حفظ حدود الله

(١) أخرجه الترمذي (٦٦٧٩/٤) وقال: حسن صحيح وأخرجه أحمد في مسنده (٢٩٣/١)،

(٣٠٧) والحديث إسناده حسن وحسنه ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ٤٦٢ .

وراعى حقوقه، وجد الله معه في جميع الأحوال يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده فإنه قائم على كل نفس بما كسبت وهو تعالى ﴿مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾^(١). قال قتادة: ومن يتق الله يكن معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل... وهذه المعية الخاصة بالمستقين غير المعية العامة المذكورة في قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾^(٢) فإن المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والإعانة^(٣).

وانظر إلى عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وتربية الناشئة عليه وترسيخه في النفوس بقوله صلى الله عليه وسلم «إذا سألت فاسأل الله» فإن هذا التوجيه يربي النفس على الاستغناء بالخالق عن الخلق وعلى القرب من الله والتوجه إليه في كل الأحوال والإيمان بقدرته وغناه سبحانه.

قال ابن رجب رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا سألت فاسأل الله» أمر بإفراد الله تعالى بالسؤال ونهى عن سؤال غيره من الخلق، وقد أمر سبحانه وتعالى بسؤاله فقال: ﴿وأسألوا الله من فضله﴾^(٤) وفي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «من لا يسأل الله يغضب عليه»^(٥) وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أسألوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل»^(٦)

(١) سورة النحل (١٢٨).

(٢) سورة الحديد (٤).

(٣) انظر كتاب ابن رجب نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ص: (٦٦، ٦٧).

(٤) سورة النساء: آية/٣١.

(٥) سنن الترمذي رقم (٣٣٧٣) ورواه أحمد (٤٤٢/٢) وصححه الحاكم (٤٩١/١) لكن في سنده الخوزي وهو لين الحديث.

(٦) الترمذي (٣٥٧١) وفي إسناده حماد بن واقد الصغار وهو ضعيف.

وفي حديث آخر: «ليسأل أحدكم ربّه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع»^(١).

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة وفي النهي عن سؤال الخلق أحاديث كثيرة صحيحة وفي حديث ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: «لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يخلق وجهه فما يكون له عند الله وجه»^(٢) وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة على أن لا يسألوا الناس شيئا، منهم الصديق رضي الله عنه وأبو ذر وثوبان، وكان أحدهم يسقط سوطه وخطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه رضي الله عنهم . واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين عقلاً وشرعاً وذلك من وجوه متعددة منها أن السؤال فيه بذل لماء الوجه وذل للسائل وذلك لا يصلح إلا لله وحده فلا يصلح الذل إلا لله بالعبادة والمسألة وذلك من غاية الحجة الصادقة... وهذا الذل وهذه الحجة لا تصلح إلا لله وحده وهذا هو حقيقة العبادة التي يختص بها الإله الحق. أ.هـ^(٣) ثم نجد في آخر الحديث الموجه إلى الغلام ابن عباس رضي الله عنه التوجيه إلى اليقين بالقدر وفيه تربية على القوة والصبر على الضر ونزع الخوف من الخلق. والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أراد أن يغرس كل هذا في أبناء هذه الأمة القوة واليقين، القوة التي يقتحمون بها الأهوال ويركبون الصعاب نصره الله ولدينه، واليقين بأن النفع والضر بيد الله سبحانه وتقديره سبحانه فما أعظم هذه التربية النبوية وما أحوجنا إليها اليوم؟ إن التربية على العقيدة ركيزة مهمة، وأصل يبني عليه غيره فقوة الإيمان تستلزم الانقياد

(١) سنن الترمذي رقم: (٣٦١٢) وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٨٦٦).

(٢) أخرجه البزار في مسنده وقال الهيثمي: فيه محمد بن أبي ليلى وفيه كلام مجمع الزوائد (٩٦/٣).

(٣) انظر نور الاقتباس لابن رجب ص (٨٧).

والتسليم فعلى قدر إيمان الشخص وقوة عقيدته تأتي قوة التزامه بمنهج الله .
ومن مهمات العقيدة التي يجب أن ترسخ في النفوس، التوكل على الله فهي من
صفات الإيمان كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا
تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(١) وكما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) ويوجه النبي صلى الله عليه وسلم صحابته إلى التوكل
الصادق ويبين لهم أثره فيقول: « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماساً وتروح بطاناً »^(٣) والحديث مصداق لقوله تعالى
﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾^(٤) ويُعَلِّي الرسول صلى الله عليه وسلم شأن
التوكل علواً كبيراً عندما بين أن من أمته سبعين ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب
ولا عذاب وهم من بلغوا كمال التوكل فين أنهم «الذين لا يسترقون ولا
يتطيرون ولا يكتون وعلى ربهم يتوكلون»^(٥). فهم تركوا الاسترقاء «وهو
طلب القراءة لمن كان مريضاً» والكي لكامل توكلهم ولم يتشاءموا بالطير
لعلمهم أن النفع والضرب بيد الله فالتوكل عليه وحده .

ويضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في قوة التوكل
بالاعتماد على الله والثقة به ففي معركة أحد عندما جمعت له قريش

(١) سورة الأنفال / آية : ٢ .

(٢) سورة إبراهيم / آية : ١١٠ .

(٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه الترمذي ك : الزهد ب التوكل على الله ح
٢٣٤٤ (٤/٥٧٣) وقال حسن . وأخرجه أحمد (١/٣٠) وابن حبان (الإحسان ٢/٥٠٩)

والحاكم في المستدرک (٤ / ٣١٨) وإسناد الحديث حسن .

(٤) من سورة الطلاق الآية: ٣.

(٥) رواه البخاري ك : الرقاق ب. يدخل الجنة سبعون ألفاً (٤ / ١٩٩) ومسلم ك : الإيمان
ب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بلا حساب (١/١٩٩).

لستأصله، توكل على الله فكفاه . يقول ابن عباس رضي الله عنه: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حينما ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حينما قيل له إن الناس قد جمعوا لكم»^(١).

واقراً معي هذه القصة وفيها صورة رائعة من صور توكله وثباته واعتماده على الله سبحانه وتعالى: عن جابر رضي الله عنه قال «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد فلما أدركته القائلة وهو في وادٍ كثير العضاة فترل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينما نحن كذلك إذ دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو قائم على رأسي فقال: إن هذا مختلط سيفي صلتاً قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله. فشامه «يعني أغمده» ثم قعد فهو هذا ولم يعاتبه رسول الله ﷺ»^(٢). ووقع في بعض الروايات «فدفع جبريل في صدره فوق السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من يمنعك أنت مني، قال: لا أحد. قال: قم فاذهب لشأنك، فلما ولي قال: أنت خير مني»^(٣). فانظر كيف دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم ليشهدوا هذا الموقف وكيف أن الله منعه من هذا الرجل الذي اخترط سيفه لقوة توكله وثقته بربه.

وهكذا نجد في تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه تربيتهم على الثقة بالله والاعتماد والتوكل عليه واليقين بنصره وأوليائه، فبينما كان المسلمون الأوائل تحت طائلة عذاب المشركين واستضعافهم لهم حيث عانوا منهم الأمرين.

(١) أخرجه البخاري ك: التفسير ، سورة آل عمران (٨ / ٢٢٩)

(٢) أخرجه البخاري ك: المغازي ب: غزوة ذات الرقاع (٧ / ٤٢٩)

(٣) انظر فتح الباري (٧ / ٤٢٧)

جاءوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث خباب قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستغفر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»^(١).

هذه الكلمات تربية على اليقين بنصر الله والثقة بما عنده ورفع الهمة في نفوس الصحابة بضرب المثل لهم بصبر الدعاة السابقين لهم . بل علا صلى الله عليه وسلم بهمة أصحابه لتطلع إلى الجنة وتحسب ما يصيبها عند الله فيها هو صلى الله عليه وسلم يمر بآل ياسر وهم يعذبون فيقول: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة». رواه الحاكم^(٢) وطريق الجنة محفوف بالمكاره فلا بد من الصبر ولا بد من تربية النفوس على التحمل والصبر وإذا ارتبطت القلوب بالجزاء الأخروي صبرت وصابرت لأنها تستشعر أن لها ثواباً على ذلك هو النعيم والجنة التي لا نصب فيها ولا تعب والنفوس إذا ذاقت حلاوة الإيمان هان عليها كل شيء دونه وصار زادها في الثبات على الطريق . ولذلك نجد من أولويات التربية النبوية تربية النفوس على العبادة الصادقة والصلة القوية بالله والارتباط به فالصلاة من أهم ما يجب أن يتعلمه ويعمله المسلم بعد الشهادتين وهي أعظم صلة للعبد بربه . ولذلك كان الرعيل الأول لهم حظ وافر منها فكانوا يقومون الليل مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تورمت أقدامهم .

(١) أخرجه لبخاري في صحيحه (فتح ٧ / ١٢٦).

(٢) المستدرک (٣ / ٣٨٣).

ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزلت ﴿يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً﴾ قام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً ثم أنزل الله التخفيف فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة» أخرجه مسلم في صحيحه^(١) ولقد وجه المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم إلى العناية بأمر الصلاة منذ الصغر فهو يخاطب الآباء ويقول: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر» أخرجه أبو داود^(٢) ودلت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم على العناية والاهتمام بالصلاة وأنها أعظم الأركان بعد الشهادتين. وما ذاك إلا لما فيها من صلة بالله تهذب النفوس وتركي الروح وتقوم السلوك وتنتهي عن الفحشاء والمنكر. فعلى المرين أن يعتنوا بهذا الجانب المهم وأن يغرسوا في نفوس الناشئة حب الصلاة، والحرص على أدائها وإقامتها على الوجه الأكمل وأن يكونوا لهم في ذلك قدوة. روى عبداً لله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له برهان ولا نور ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وهامان وفرعون وأبي بن خلف» أخرجه أحمد وابن حبان^(٣) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه «الصلاة وما ملكت أيمانكم» رواه أحمد وابن ماجه واللفظ له^(٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله

(١) صحيح مسلم (ك. صلاة المسافرين ب: جامع صلاة الليل ١ / ٥١٢).

(٢) سنن أبي داود (ك. الصلاة ب: متى يؤمر الغلام بالصلاة ح: ٤٩٥ / ٤٩٦) وإسناده حسن.

(٣) مسند أحمد (١٦٩/٢) بإسناد جيد. وأخرجه ابن حبان في صحيحه (موارد الظمان ك:

الصلاة ب: من حافظ على الصلاة ص ٨٧).

(٤) المسند للإمام أحمد (١١٥/٣) وسنن ابن ماجه ك: الوصايا ب: هل أوصى رسول الله =

عليه وسلم قال: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل منها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر أعماله على هذا». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه^(١) فانظر إلى تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم أمر الصلاة وتأكيده المحافظة عليها حتى وهو يجود بنفسه، ثم بيانه لفضلها وأجرها وعظيم عقوبة من فرط فيها .

ومن معالم التربية النبوية غرس اليقين بالآخرة في النفوس والتذكير بها وجعلها هي الهمم والغاية التي يسعى إليها المسلم. واليقين بالآخرة من أعظم أسباب صلاح النفوس واستقامتها وهو ركن أصيل في إيمان العبد المسلم وصلاحه واستقامته ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى جعله من أهم صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿... وبالآخرة هم يوقنون﴾^(٢) ونجد القرآن الكريم لا تخلو صفحة من صفحاته من التذكير بالآخرة وما فيها. ولقد كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم ربط النفوس بالآخرة وبما فيها من النعيم المقيم وما فيها من الجزاء والعقاب الأليم .

ويتبع ذلك تحقير الدنيا وسرعة زوالها واغترار أهلها بها. وتجدد صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يُصَدَّرُ أوامره وتوجيهاته بقوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ...» مما يدفع للعمل للآخرة وإرادة وجه الله وثوابه وفي غزوة الخندق عندما كان المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق ورأى النبي صلى الله عليه وسلم ما بهم من النصب والجوع قال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر

= صلى الله عليه وسلم [٢ / ٩٠٠ ، ٩٠١] وهو صحيح الإسناد.

(١) سنن أبي داود رقم (٨٦٤) والترمذي رقم (٤١٣) وقال : حديث حسن . وابن ماجه

رقم (١٤٢٥) والحديث كما قال الترمذي حسن.

(٢) سورة البقرة آية (٥).

للأنصار والمهاجرة»^(١) وتجده صلى الله عليه وسلم يحرص على توجيه أصحابه إلى ما ينفعهم في الآخرة ويزهدهم في متاع الدنيا . حدثت عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين^(٢) في غير إثم ولاقطيعة رحم؟ فقلنا: يا رسول الله. نحب ذلك. قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷺ خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل». رواه مسلم^(٣) فتأمل كيف فضّل صلى الله عليه وسلم قراءة آيات من كتاب الله على نفيس المال عندهم، وهاهو يحفز صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى التزود للآخرة والزهد في الدنيا، ويستعمل صلى الله عليه وسلم للترغيب بالآخرة وربط النفوس بما أساليب مقنعة تدفع النفوس للتزود والجدّ والعمل لهذه الحياة الباقية. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلى ماله أحب إليه . قال: فإن ماله ما قدّم، ومال وارثه ما أخر» رواه البخاري^(٤) والأمثلة من السنة النبوية كثيرة تدل على عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بربط النفوس بالجزاء الأخروي . ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم لما تربت نفوسهم على هذا المبدأ يجعلون الآخرة هي مقصدهم وغايتهم ومراد سعيهم ويحرصون على بذل النفس والنفيس للفوز بها والظفر بنعيمها .

(١) أخرجه البخاري ك: المغازي ب: غزوة الخندق ٧/ ٣٩٢ ومسلم ك: الجهاد ب: غزوة الأحزاب رقم ١٨٠٥ .

(٢) الكوماء من الإبل: عظيمة السنم .

(٣) صحيح مسلم ك: صلاة المسافرين ب: فضل قراءة القرآن رقم (٨٠٣) (١/٥٥٢) .

(٤) صحيح البخاري ك: الرقاق ب: ما قدم من ماله فهو له (١١ / ٢٦٠) .

يتمثل ذلك في الصور الرائعة لجهادهم وبذلم نفوسهم رخيصة في سبيل الله روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «لما طُعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ - وكان خاله - يوم بئر معونة، قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال فزت ورب الكعبة»^(١) وأخرج البخاري أيضاً قصة عمير بن الحمام رضي الله عنه في غزوة أحد حينما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال في الجنة. فألقى تمرات في يده ثم قال: لئن حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة ثم قاتل حتى قتل»^(٢) وهكذا نرى هذه الثمرة العظيمة للتربية النبوية بحيث يبذل المرء نفسه رخيصة في سبيل الله ويبيعها لله تعالى، فما أعظم هذه التربية، وفي المقابل نرى كثيراً من الأحاديث عنه صلى الله عليه وفيها وسلم تزهد في الدنيا وتبين حقارتها، وفي هذا الباب أحاديث كثيرة ألفت فيها مؤلفات كالمؤلفات في الزهد. استمع إليه صلى الله عليه وسلم وهو يضرب مثلاً للدنيا بالنسبة للآخرة فيقول: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة في اليم فلينظر يرم يرجع» رواه مسلم^(٣) وتأتي آيات القرآن قبل ذلك مؤكدة هذا المعنى يقول تعالى ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ وطهوٌ وزينةٌ وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوانٌ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾^(٤) لكن من المعلوم أن الإسلام لا يغفل أمر العمل للدنيا

(١) صحيح البخاري ك: المغازي ب: غزوة الرجيع فتح (٧ / ٣٨٦)

(٢) صحيح البخاري ك: المغازي ب: غزوة أحد (٧ / ٣٥٤) وأخرج قصته مسلم لكن فيها

أن ذلك كان في غزوة بدر ..

(٣) صحيح مسلم ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ب: فناء الدنيا ح (٢٨٥٨) (٤/٢١٩٣)

(٤) سورة الحديد آية / رقم: ٢٠.

والتمتع بحلالها ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾^(١) وفي دعاء المؤمنين الذين أثنى الله عليهم ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ﴾^(٢) فليس الزهد في الدنيا بتركها والانقطاع للآخرة بل أن لا تكون الدنيا في القلب وإن كانت في اليد يقول صاحب كتاب وقفة تربوية: « لم يخلق الله الدنيا ثم يجرمها على خلقه ، بل ذمها عندما يتخذها هذا المخلوق هدفاً يجي ويموت من أجله فتنسيه الهدف الذي خلق من أجله، وهو العبادة أما إذا كانت الدنيا مزرعة للآخرة فما أجملها ، وما ألذها وأسعد ما فيها . لقد كثرت عبارات السلف رضي الله عنهم عن النوع الأول من الدنيا، تلك التي تلهي صاحبها عما خلق من أجله أولئك الذين أدخلوها في قلوبهم .. ينيهم التابعي الجليل مالك بن دينار بقوله: «إن الله جعل الدنيا دار سفر، والآخرة دار مقر فخذوا لمقركم من سفركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم»^(٣)

إنه لم يستطع أحد من أولئك العمالقة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والصالحين من بعدهم أن يقوموا بتلك الطاعات، ويتبعوا تلك المنازل العالية، إلا بعد أن أخرجوا تلك الدنيا الملهية من قلوبهم وأن يجعلوها بأيديهم»^(٤).

(١) سورة القصص آية (٧٧).

(٢) سورة البقرة آية (٢٠١).

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢٨٥/٣).

(٤) وقفة تربوية للشيخ عبد الحميد البلالي ص: ١٣٧.

الوقفة الثانية: التربية الأخلاقية

لقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم للأخلاق منزلة عالية تمثلت في توجيهاته صلى الله عليه وسلم، وما أعطاه للأخلاق من أهمية، وما بذله في سبيل ترسيخ الأخلاق، وغرسها في نفوس أصحابه منهجاً رائعاً أتى ثماره وكان خير منهج في تقويم السلوك والدعوة للخلق الحسن . يتمثل ذلك في الأمور الآتية:

أولاً: كان صلى الله عليه وسلم قبل أن يوجه أصحابه إلى اتباع الخلق الحسن كان خير قدوة لهم في ذلك فقد كان عليه السلام قمة سامقة في الأخلاق السامية حتى شهد له بذلك القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَعَلَىٰ خَلْقِ عَظِيمٍ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢) فقد أدب الله ﷺ نبيه بأداب حسنة، وجعل له برحمته هذه الأخلاق العالية ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (٣) وكان عليه السلام يستقي من القرآن أخلاقه، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» أخرجه مسلم (٤) ولقد كان ﷺ يعامل جميع الناس معاملة خلقية عالية حتى خدّمه قال: أنس بن مالك رضي الله عنه: «خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي: أف قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟»

وكان رسول الله أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كفِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكاً

(١) سورة القلم / آية : ٤ .

(٢) سورة التوبة / آية : ١٢٨ .

(٣) سورة آل عمران / آية : ١٥٩ .

(٤) أخرجه مسلم ك: صلاة المسافرين ب: جامع صلاة الليل ح ٧٤٦ (١/٥١٣) .

قط ولا عطراً كان أطيب من عرق النبي» رواه مسلم^(١).

وكان لهذه الأخلاق أثر عظيم في نفوس أصحابه رضي الله عنهم. فقد شهدوا له صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق واقتفوا أثره في ذلك، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً» متفق عليه^(٢). وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ فطيم يسمى أبا عمير لديه عصفور مريض اسمه النغير فكان رسول الله يلاطف الطفل الصغير ويقول له: يا أبا عمير ما فعل النغير» أخرجه البخاري^(٣) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم، وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى» متفق عليه^(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتطلق به حيث شاءت» رواه البخاري^(٥) ومن المواقف

(١) صحيح مسلم ك: الفضائل ب: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً (١٨٠٤/٤) وانظر (١٨١٤/٤) وأخرجه الترمذي (ك: البر والصلة ب: ما جاء في النبي ٣٦٨/٤).

(٢) البخاري (ك: الأدب ب: حسن الخلق والسخاء ٥٢٦/١٠) ومسلم (ك: الفضائل ب: كثرة صيامه صلى الله عليه وسلم ١٨١٠/٤).

(٣) البخاري (ك: الأدب ب: الانبساط إلى الناس ٥٢٦/١٠).

(٤) البخاري (ك: الأدب ب: قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا ٥٢٤/١٠، ٥٢٥) ومسلم (ك: الفضائل ب: مباحثته صلى الله عليه وسلم للآثام ١٨١٣/٤).

(٥) أخرجه البخاري ك: الأدب ب: الكبير (٤٨٩/١٠) ح (٧٢: ٦).

التي تدل على سمو أخلاقه صلى الله عليه وسلم مارواه معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: « بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ . فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وَأُكْسِلُ أُمِّيَاةً! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ وجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونِي، لَكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَإَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ: « إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصِحُّ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ لِلتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ » أخرجه مسلم^(١) فانظر لحسن الخلق والحكمة والرفق في التوجيه من المربي العظيم صلى الله عليه وسلم، وعن أنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما قال: «جاء أعرابي فدخل المسجد ثم صلى ثم قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. فقال صلى الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعا ثم لم يلبث أن بال في طائفة المسجد فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه! مه! قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تترموه، دعوه فلقد بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين. قال فتركوه حتى بال ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه ثم قال: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القدر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن؛ ثم دعا بذئوب من ماء فصب على بوله» أخرجه الجماعة بألفاظ متقاربة^(٢) ولقد كان لهذا التعليم الحكيم والمعاملة الحسنة أثرها

(١) صحيح مسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة ب: تحريم الكلام في الصلاة (٣٨١/١) ح: ٥٣٧)

(٢) البخاري (ك: الوضوء ب: ترك النبي صلى الله عليه وسلم والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد ٣٢٢/١) وأخرجه من حديث أبي هريرة في الباب الذي بعده، ومسلم (ك: الطهارة ب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد ١/٢٣٦) ح: (٢٨٤) وأبو داود (ك: الطهارة ب: الأرض يصيبه البول ١/٢٦٤) من حديث أبي هريرة واللفظ له ح: (٣٨٠).

في نفس ذلك الأعرابي فيها هو يروي قصته ويقول كما روى أبو هريرة قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه: «فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلي بأبي هو وأمي فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب» أخرجه ابن ماجه (١) هكذا كان تعامله صلى الله عليه وسلم كان أحسن الخلق خلقاً وأفضلهم تعليماً روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبته ثم قال: يا محمد، مُرلي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله وضحك وأمر له بعطاء» أخرجه البخاري (٢) هكذا كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم ولقد كان لهذه الأخلاق العالية أثرها في نفوس أصحابه الذين سادوا من بعده الدنيا بأخلاقهم وذلك عندما اقتدوا به وساروا على أثره .

ثانياً: جعل الرسول صلى الله عليه وسلم للأخلاق مكانة عالية في النفوس فمن ذلك أن جعلها من مقاصد بعثته عليه السلام فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وفي رواية صالح الأخلاق» أخرجه الإمام مالك في الموطأ وأحمد في مسنده وصححه ابن عبد البر (٣) فلقد علق أمر البعثة بتتميم الأخلاق، وتتميم الأخلاق له طريقتان:

(١) ابن ماجه (ك: الطهارة رقم ٥٢٢ وأحمد حديث رقم (١٠١٢٩)

(٢) البخاري ك: اللباس ب: البرود والحيرة والشملة (٢٧٥/١٠) وفي الأدب ب: القسم (٥٠٣/١٠)

(٣) موطأ مالك (٩٠٤/٢) والمسند (٣١٨/٢) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم: (٢٨٣) والحاكم في المستدرک (٦١٣/٢) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه ابن عبد البر (التمهيد ٢٤/٣٣٣)

الطريقة الأولى: أن يستبدل الخلق الجاهلي بخلق إسلامي إيماني .

الطريقة الثانية: استبدال نية الخلق إن كان الخلق حسناً .

ومن المعلوم أن أهل الجاهلية كانت لهم أخلاق حسنة كالشجاعة والكرم وغيرها ولكن كانت مقاصدهم فيها سيئة، فيقصدون من وراء ذلك الفخر وكسب ثناء الناس ومدحهم، فجاء الإسلام وغير تلك المقاصد، فجعل من قاتل شجاعة فهو في سبيل الشيطان ومن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ويثاب على ذلك ومن أنفق ليقال جواد فهو في سبيل الشيطان ويأثم على ذلك ومن أنفق في سبيل الله نال الأجر والثوبة من الله . قال الباجي: كانت العرب أحسن الناس أخلاقاً بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم وكانوا قد ضلوا بالكفر عن كثير منها فبعث صلى الله عليه وسلم ليتم محاسن الأخلاق بيان ما ضلوا عنه وبما قضى في شرعه . وقال ابن عبد البر: يدخل فيه الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه (١)

أيضاً أخبر صلى الله عليه وسلم أن أحسن الناس خلقاً أقربهم منه مجلساً يوم القيامة . عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً. وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون» قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون» رواه الترمذي وقال حديث حسن (٢) وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يأمر بمعاملة الناس بالخلق الحسن ويقرون ذلك بالتقوى

(١) انظر التمهيد لابن عبد البر (٣٣٤/٢٤)

(٢) أخرجه الترمذي ك: البر والصلة رقم (١٩٤١) وأخرجه أحمد في المسند رقم (١٨٩/٢)

وحسنه الألباني (الصحيحة رقم: ٧٩١)

ففي الحديث عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح^(١) وقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللهم أحسن خلقي فأحسن خلقي» أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود^(٢) وقد جعل صلى الله عليه وسلم أهل الأخلاق هم خيار الناس ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً» متفق عليه^(٣) كل هذه الأمور تدل على المكانة العالية التي جعلها الإسلام للأخلاق .

ثالثاً: ربط الإسلام بين جميع العبادات المشروعة والأخلاق فالصلاة الواجبة جعل الله من مقاصدها النهي عن الخلق السيئ قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾^(٤) فالآية تشمل ما فحش ونكر من القول والفعل والزكاة المفروضة إنما هي طهرة من أدران البخل والشح وتعويدها على الإحسان إلى الفقراء قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾^(٥)

(١) أخرجه الترمذي ك: البر والصلة ب: معاشره النساء (٤/٣٥٥ ح. ١٩٨٧٠) وقال: حسن صحيح لكن الحديث فيه كلام أشار إليه ابن رجب في شرح الأربعين لكن ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أخر ذكرها ابن رجب في (جامع العلوم والحكم ص: ١٣٦ الحديث : ١٨) ويتقوى الحديث بها .

(٢) المسند رقم (٣٨٢٣) وصححه أحمد شاكر وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير ابن الرماح وهو ثقة (مجمع الزوائد : ١٠/١٧٣).

(٣) البخاري بشرح الفتح (١٠/٤٥٦) ك: الأدب ب: حسن الخلق والسخاء . ومسلم (٤/١٨١٠) ك: الفضائل ب: كثرة صيامه صلى الله عليه وسلم .

(٤) سورة العنكبوت / آية : ٤٥ .

(٥) سورة التوبة / آية : ١٠٣ .

والصوم أيضاً تهذيباً للنفس عن الشهوات المحظورة وإقراراً لهذا المعنى قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » أخرجه البخاري^(١) كذلك الحج فيه تعويد على المعاني الخلقية قال تعالى: ﴿ الحج أشهرٌ معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾^(٢)

رابعاً: وكذلك جعل الإسلام بين الإيمان والأخلاق علاقة وثيقة لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «أكمل المؤمنين أيمانا أحسنهم خلقا» أخرجه الترمذي وأبو داود^(٣) وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً من الأخلاق من شعب الإيمان فمن ذلك الحياء وإمطة الأذى عن الطريق يقول عليه الصلاة والسلام « الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان » أخرجه مسلم^(٤). وقد نفى الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان عن ساء خلقه مع جاره يقول « والله لا يؤمن قالها ثلاثاً، قيل: من يا رسول الله؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه» أخرجه

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (١١٦/٤) ك: الصوم ب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.

(٢) سورة البقرة / آية: (١٩٧).

(٣) أخرجه الترمذي كتاب الرضاع ب: ما جاء في حق المرأة على زوجها (٤٦٦/٣) ح: ١١٦٢ وقال: حسن صحيح. وأخرجه أبو داود ك: السنة ب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٦٠/٥) ح: ٤٦٨٢. وأخرجه أحمد في المسند (٢٥٠/٢، ٤٧٢) وإسناده حسن وصححه ابن حبان في صحيحه الإحسان (٢٢٦/٢ ح ٤٧٩) والحاكم (٣/١) على شرط مسلم واورده الألباني في الصحيحة رقم ٧٥١.

(٤) صحيح مسلم ك: الإيمان ب: بيان عدد شعب الإيمان (٦٣/١) ح: ٥٧.

البخاري^(١) وكذلك عندما يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بأمر من أمور الأخلاق فإنه يُقدم لذلك بذكر الإيمان بالله . فمن ذلك: ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» رواه مسلم^(٢) وهكذا نجد أن الأخلاق مرتبطة بالإيمان ارتباطاً قوياً وفي ذلك ما يدل على أهميتها وحرص الإسلام على ترسيخها .

خامساً: جعل الرسول صلى الله عليه وسلم للخلق منزلة عالية في الآخرة
وذلك ببيانه لجزيل الأجر والثواب الذي يحصل عليه صاحب الخلق الحسن . عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» رواه أحمد وأبو داود وصححه ابن حبان^(٣) وفي رواية للطبراني عن أنس: « إن العبد ليلج بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة »^(٤) بل قد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم البرّ الذي هو مرتبة عالية في العبادة - ففسره

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (٤٤٣/١٠) ك: الأدب ب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه .

(٢) صحيح مسلم ك: الإيمان ب: الحث على إكرام الجار والضعيف ولزوم الصمت (٦٨/١) ح: ٧٤ .

(٣) أخرجه أبو داود ك: الأدب ب: في حسن الخلق (١٤٩/٥) ح: ٤٧٩٨ وأخرجه أحمد في المسند (٦٤،٩٠/٦) وابن حبان كما في الإحسان (٢٢٨/٢) ح: ٤٨٠ والحديث في إسناده المطلب . يروى عن عائشة و في سماعه منها خلاف إلا أن للحديث شاهداً عن عبد الله بن عمرو في المسند (٢٢٠/٢) وفيه ابن الهيثم وله شاهد آخر عن أبي هريرة أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٤٨) وصححه الحاكم على شرط مسلم (٦٠/١) فالحديث حسن بشواهده .

(٤) معجم الطبراني (٧٥٤/١) .

بحسن الخلق كما في حديث النّوأس بن سمعان رضي الله عنه قال: « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال: البر حسن الخلق... الخ » أخرجه مسلم^(١) وإذا جاء ذكر الموازين ومقادير الأعمال الصالحة فللخلق الحسن قصب السبق في هذا الباب، فقد أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أن أثقل شيء في حسنات العبد يوم القيامة هو حسن الخلق. عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يبعث الفاحش البذيء » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح^(٢) وإذا جاء ذكر الجنة وما يؤهل لها ويوجب دخولها وجدت للخلق الحسن قدره ومكانته فأخبر عليه الصلاة والسلام أن حسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة، وفي هذا بيان لمترلة الخلق بين أعمال الآخرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: « تقوى الله وحسن الخلق » رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح . وأخرجه أحمد، وصححه ابن حبان والحاكم^(٣) وإذا تفاخر الناس بما أعطاهم الله من حسب ونسب ومال وبنين فإن ما أعطاه

(١) صحيح مسلم ك: البر والصلة ب: تفسير البر والاثم (١٩٨٠/٥) ح: ٢٥٥٣.

(٢) الترمذي ك: البر والصلة ب: ما جاء في حسن الخلق (٣٦١/٤) رقم (٢٠٠٢) وأبي داود

ك: الأدب ب: في حسن الخلق (١٤٩/٥) رقم ٤٧٩٩ ، وأحمد (٤٤٦/٦) والبخاري في

الأدب المفرد رقم (٢٧٠) و ابن حبان في صحيحه الإحسان (٢٣٠/٢) رقم : (٤٨١)

وإسناد الحديث حسن.

(٣) أخرجه الترمذي ك: البر والصلة ب: ما جاء في حسن الخلق (٣٦٢م٤) رقم ٢٠٠٤

وأخرجه ابن ماجه ك: الزهد ب: ذكر الذنوب رقم (٤٢٤٦) وأخرجه أحمد (٢٩١/٢)

وابن حبان الإحسان (٢٢٤/٢) والحاكم في المستدرک (٣٢٤/٤) وصححه ووافقه

الذهبي والحديث إسناده حسن .

صاحب الخلق يفوق ذلك فعندما سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير ما أعطي الإنسان؟ قال: «خلق حسن». أخرجه ابن ماجه عن أسامة بن شريك بسند صحيح^(١)

سادساً: بعد هذا كله كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا رأى في أصحابه جنوحاً عن الخلق السليم، قوّم ذلك ووجه أصحابه إلى ما يجب أن يكونوا عليه من أخلاق. فمن أمثلة ذلك - والأمثلة كثيرة جداً - عن المعرور ابن سويد قال: لقيت أبا ذر بالريذة وعليه حُلّة وعلى غلامه حُلّة فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم حولكم، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فان كفلتموهم فأعينوهم» أخرجه البخاري^(٢) وعن أنس رضي الله عنه قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال: «اتقي الله واصبري، قالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبي ولم تعرفه، فقيل: إنه النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين. فقالت: لم أعرفك. فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى» متفق عليه^(٣). وعن سليمان بن صرد قال: «كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان أحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد،

(١) أخرجه ابن ماجه آخر حديث ك: الطب رقم ٣٤٢٧.

(٢) صحيح البخاري بشرح الفتح (٨٤/١) ك: الإيمان ب: المعاصي من أمر الجاهلية.

(٣) البخاري بشرح الفتح (١٤٨/٣) ك: الجنائز ب: القبور ح(١٢٨٣) ومسلم ك: الجنائز

في الصبر على المصيبة (٦٣٧/٢) ح ٩٢٦.

لوقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد، فقالوا له: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال: وهل بي من جنون، متفق عليه^(١) وهكذا يتبين لنا أن منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية وتقويم الأخلاق أكمل منهج وأقوم سبيل آتى ثماره .

(١) أخرجه البخاري (ك: الخلق ب: صفة إبليس ٦/٣٣٧) ومسلم (ك: الأدب ب: فضل من

يملك نفسه عند الغضب ٤/٢٠١٥) ح: ٢٦١٠/٢٠١٥.

الوقفة الثالثة: التربية بالقُدوة

القُدوة معناها من الاقتداء وهو أن يفعل المرء مثل فعل غيره تشبيهاً به ^(١) ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قُدوة لأصحابه، وكذا حال الأنبياء جعلهم الله مثلاً وأسوة لأمتهم فما كانوا ليأمرُوا بما يخالفونه أو يقولوا ما لا يفعلونه . يقول تعالى عن شعيب عليه السلام ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ ^(٢) وقد جعل الله من المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوة يحتذى وقُدوة يُتبع لنيل ثواب الآخرة فقد تمثلت فيه صلى الله عليه وسلم الأحكام الشرعية والآداب المرعية، فما من خير إلا سبق إليه ولا خصلة حميدة إلا نال أوفر الحظ منها . ولهذا أمرنا بالتأسي به ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ ^(٣) والقُدوة لها أعظم الأثر في النفوس، وتأثيرها أعظم من تأثير الخطب والمقالات والكتابات وهذا مما يشتهه الواقع وتدركه العقول . ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل حقيقة الإسلام بين أصحابه في قُدوة حسنة يقرن الفكر بالعمل، ويربط النظرية بالتطبيق ويقدم المعاني حقائق حية فيُهتدى بعمله قبل قوله وبفعله قبل علمه ويكون أمام أصحابه تجسيداً حياً لدعوته ومثلاً صريحاً على مبادئه. وكان صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة بالاقتداء به فيقول: « وصلوا كما رأيتُموني أصلي » ^(٤) ويقول: « لتأخذوا عني

(١) انظر المعجم الوسيط (٢/٧٢٠)

(٢) سورة هود : الآية / ٨٨ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية / ٢١ .

(٤) أخرجه البخاري في أثناء حديث ك: الآذان ب: الآذان للمسافرين إذا كانوا جماعة من

حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه . انظر: البخاري بشرح الفتح (٢/١١١) .

مناسككم»^(١) بل إنه صلى الله عليه وسلم تعمد مرةً أن يصلي مرتفعاً ليراه أصحابه؛ فقد ورد في الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على المنبر وكبيراً وهو عليها ثم ركع وهو عليها ثم نزل القهقري فسجد في أصل المنبر، ثم عاد فلما فرغ أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتوا بي ولتعلموا صلاتي» رواه البخاري^(٢) في مقام آخر يتحدث أنس بن مالك عن واقعة حصلت في المدينة سبقهم لاجتلاء أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنس رضي الله عنه «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عُري «أي ليس عليها لجام» وفي عنقه السيف وهو يقول: لم تراعوا لم تراعوا»^(٣) هكذا كان صلى الله عليه وسلم قدوة في الشجاعة والإقدام وفي كل خير. وكثيراً ما يبحث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على شيء ثم يعلمهم بفعله فيقرن لهم القول بالفعل، والأمثلة على ذلك كثيرة فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على تعجيل الفطر للصائم فقال في حديث سهل بن سعد «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» متفق عليه^(٤) ثم تراه يطبق ذلك عملياً،

(١) أخرجه مسلم (ك: الحج ب: باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر (٩٤٣/٢) ح: ١٢٩٧.

(٢) صحيح البخاري ك: الجمعة ب: الخطبة على المنبر. أنظر: فتح الباري (٣٩٧/٢)

وأخرجه مسلم ك: المساجد ح: ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الجهاد ب: مبادرة الإمام عند الفزع (فتح ١٢٢/٦ -

١٢٣) وأخرجه مسلم ك: الفضائل ب: في شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم

(١٨٠٢/٤) واللفظ لمسلم.

(٤) البخاري ك: الصوم ب: تعجيل الإفطار (١٩٨/٤) بشرح الفتح. ومسلم ك: الصيام ب: =

ففي الحديث عن عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهو صائم فلما غابت الشمس قال لبعض القوم: يا فلان قم فاجدح لنا، قال: إن عليك نهار، قال: انزل فاجدح لنا فترل فجدح لهم فسار النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: إذا رأيتم الليل أقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم»^(١) وهكذا رَسَخ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند صحابته الاقتداء به حتى كانوا يتسابقون لمعرفة أفعاله وأحواله فهذا ابن عباس رضي الله عنه يبيت عند خالته ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها ليعرف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل. وهذا ابن عمر رضي الله عنه لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح الكعبة وبلال وعثمان بن طلحة وأغلق عليهم الباب. فلما فتح الباب ابتدره ابن عمر وسأل بلالاً ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «صَلَّى بين ذينك العمودين المتقدمين»^(٢) بل كان ابن عمر رضي الله عنه في حجه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع المواضع التي كان يصلي فيها النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه فيصلي فيها. ونجد من شدة حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير والاقتداء بنبيهم صلى الله عليه وسلم أنهم اقتلدوا به فيما هو من خصائصه صلى الله عليه وسلم. ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال - في الصيام - فقال رجل من المسلمين: فإنك تواصل يا رسول الله؟ قال: وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني. فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم

= فضل السحور واستحباب تأخيرهِ وتعجيل الإفطار (٧٧١/٢).

(١) أخرجه البخاري . (١٩٩/٤) بشرح الفتح . ومسلم ك: الصيام ب: بيان وقت انقضاء

الصوم وخروج النهار (٧٧٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري ك: المغازي ب: حجة الوداع (١٠٥/٨).

يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر الهلال لزدتكم كالمنكّل لهم حين أبوا أن ينتهوا» متفق عليه^(١) وهذا حرص منهم رضي الله عنهم على الخير وظناً أن نهي النبي لهم من باب الشفقة عليهم وهم لحرصهم على الخير وقوة عزيمتهم رأوا أنهم قادرون على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العبادة . وهكذا يتبين أثر القدوة في النفوس وأهميتها في التربية. وإذا تخلفت القدوة ضعفت التربية ولا ترى للمبادئ والتوجيهات أثراً وواقعاً عملياً، ولهذا نجد النصوص الشرعية تحذر من مخالفة العالم لما يعلمه ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾^(٢) ويشنع الله عز وجل على طائفة ممن قبلنا هذه الخصلة فيقول : ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾^(٣)

فالعالم والمربي إذا أمر بالخير ولم يفعله ونهى عن الشر وهو واقع فيه لم يكن لقلوبه تأثير، يقول مالك بن دينار رحمه الله: «إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا»^(٤) وقد أفاض علماء التربية في دور التزام المربي بتطبيق آرائه ونصائحه على نفسه أمام تلاميذه ومن يوجههم، وقد تنبه لأهمية ذلك الشاعر القائل:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابداً بنفسك فاتها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى بالقول منك وينفع التعليم

(١) صحيح البخاري ك: الصوم ب: التنكيل لمن أكثر الوصال (٢٠٥/٤) ح: ١٩٦٥ ومسلم

ك: الصيام ب: النهي عن الوصال في الصوم (٧٧٤/٢) ح ١١٠٣.

(٢) سورة الصف : آية / ٢ .

(٣) سورة البقرة : آية / ٤٤ .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٩٧/٢).

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وفاقد الرشد كيف يرشد غيره، ومن لا نور له كيف يستنير به سواه .
 ومما يدل على أثر تخلف القدوة في العمل ما ورد في حديث صلح الحديبية
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه بعد الصلح: «قوموا فانحروا ثم
 احلقوا» قال الراوي: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات،
 فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم
 سلمة رضي الله عنها: يانبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة
 حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى
 فعل ذلك نحر بُدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل
 بعضهم يحلق بعضاً»^(١) فانظر كيف بادر الصحابة رضي الله عنهم حينما تمثلت
 أمامهم القدوة وكيف أحجموا قبل ذلك . مما يؤكد أهمية القدوة وضرورتها.
 يقول المناوي في شرحه لأحاديث الجامع الصغير - مبيناً أثر تخلف القدوة :-
 «فحق الواعظ أن يتعظ بما يعظ ويُبصر ثم يَصِرَّ ويهتدي ثم يهدي ولا يكون
 دفتراً يفيد ولا يستفيد ومِسْتَأً يشحد ولا يقطع بل يكون كالشمس التي تفيد
 القمر الضوء ولها أفضل مما تفيده وكانار التي تحمي الحديد ولها من الحمي أكثر
 ويجب أن لا يجرح مقاله بفعله ولا يكذب لسانه بحاله فيكون ممن وصفه الله تعالى
 بقوله ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو أشد
 الخصام ﴾^(٢) فالواعظ ما لم يكن مع مقاله فعال لم ينتفع به إذ عمله مدرك بالبصر
 وعلمه مدرك بالبصيرة وأكثر الناس أهل أبصار لا بصائر فيجب كون عنايته

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الشروط ب: الشروط في الجهاد ، في أثناء حديث طويل

رقم : ٢٧٣١ . انظر الفتح (٥/٣٢٩-٣٣٣).

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٤ .

يُظْهِرُ مَا يَدْرِكُهُ جَمَاعَتُهُمْ أَكْثَرَ وَمِثْلَةُ الْوَاعِظِ مِنَ الْمَوْعُوظِ كَالْمَدَاوِي مِنَ الطَّيِّبِ إِذَا قَالَ لِلنَّاسِ لَا تَأْكُلُوا كَذَا فَإِنَّهُ سَمَّ ثُمَّ رَأَوْهُ يَأْكُلُهُ عَدُوٌّ سَخْرِيَّةٌ وَهَزَاءٌ كَذَا الْوَاعِظُ إِذَا أَمَرَ بِمَا لَمْ يَعْمَلْهُ وَقِيلَ مِنْ وَعِظُ بِقَوْلِهِ ضَاعَ كَلَامُهُ وَمَنْ وَعِظُ بِفِعْلِهِ نَفَذَتْ سَهَامُهُ وَقِيلَ عَمِلَ رَجُلٌ فِي أَلْفِ رَجُلٍ أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِ أَلْفِ رَجُلٍ فِي رَجُلٍ^(١).

(١) فيض القدير للمناوي (٧٨/١).

ثانياً: أساليب تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه

وفيها الوقفات التالية:

الوقفة الرابعة: التربية بالشواب والعقاب

من أساليب التربية التي يتفق عليها علماء التربية: التربية بالشواب والعقاب وهو أمر فطري، وجد عناية في التربية الإسلامية فها هي آيات القرآن لاتكاد تخلو صفحة من وعد بالشواب وللطائعين ووعد بالعقاب للعاصين ... فالجنة أعدت للمتقين والنار أعدت للكافرين، وهذا المنهج القرآني له أروع الأثر في النفوس وتربيتها وتهذيبها ، وكم تربت نفوس المؤمنين وزكت بآيات القرآن لما وعثها وفهمت حقيقتها فصاروا يعبدون ربهم ويدعونه رغباً ورهباً وأوجدت صور الوعيد في نفوسهم عبودية الخوف وأحيت صور الوعد في نفوسهم عبودية الرجاء، والخوف والرجاء كجناحي طائر قطبان في العبادة، وتهذيب النفس والسلوك لا بد منهما. يقول الدكتور يوسف النجار مبيناً مقاصد هذا المبدأ: «ويقصد الإسلام من هذا المبدأ تصحيح السلوك الإنساني والرجوع به إلى الحق والصواب والبعد به عن السيئات وما يغضب الله سبحانه، كما أن العقاب مبني على الشفقة والرحمة بالإنسان وليس المقصود به إيذاؤه في نفسه وإنما رحمة به لأن الإنسان معرض لأن يرتكب الخطأ جراء الجهل والنسيان»^(١) ولنعرض لشيء من النصوص في هذا استمع إلى القرآن في وعيده يقول: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾^(٢)

(١) النهج التربوية للعلماء والمرين المسلمين للدكتور : يوسف النجار ص ١٠٧، ١٠٨.

(٢) سورة الحج الآية رقم (١).

وعيد تفرغ له القلوب وترتدع النفوس، واستمع إلى القرآن في وعده يقول: ﴿يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيہ الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة التي أورتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾^(١) وعد يبعث الرجاء ويحفز على العمل، وكذلك كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم يربط القلوب بالآخرة ونعيمها وثوابها الدائم وهذا فارق بينه وبين المناهج والأنظمة المادية التي تربط الفرد بالثواب المحدود، لكن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين خيري الدنيا والآخرة فهو يعطي من الدنيا عطاء من لا يخشى الفقر ويعد بثواب عظيم وأجر جزيل في الآخرة. ورد في الحديث « أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه غنماً بين جبلين فجاء إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر»^(٢) وقد أعطى صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين المال الكثير الذي كان سبباً في إسلامهم وحبهم للنبي صلى الله عليه وسلم ودينه حتى أن صفوان بن أمية قال: « والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي»^(٣)

هكذا كان صلى الله عليه وسلم يؤلف القلوب ويعالج القلوب، وهو صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك بحكمة ويعطي بحكمة ويجعل الدنيا طريقاً

(١) سورة الزخرف : الآية / ٦٨ - ٧٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الفضائل ب: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً

قط فقال : لا و كثرة عطائه (٤/ ١٨٠٥) ح: ٢١٣٢.

(٣) انظر صحيح مسلم ك: الفضائل ب: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط

فقال : لا (٤/ ١٨٠٦) ح: ٢٣١٣.

للآخرة وسبباً للسلامة من النار. روى مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطاً وسعد جالس فيهم، قال سعد: فترك رسول الله منهم من لم يعطه وهو أعجبهم إلي فقلت يارسول الله: مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً فقال رسول الله ﷺ «أو مسلماً» قال: فسكت قليلاً ثم غلبي ما علمت منه فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً فقال رسول الله ﷺ «أو مسلماً» إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله في النار على وجهه»^(١) انظر كيف يعطي ﷺ بحكمة ورحمة، وكيف يتألف القلوب ويقربها ويرغبها للحق وإن جانب الثواب الأخروي في الأمثلة كثير جداً فمنها قوله صلى الله عليه وسلم «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(٢) ومن هذا الباب أيضاً ما ورد في قصة عبد الله أنيس رضي الله عنه عندما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبیح الهذلي فخرج إليه عبدالله بن أنيس فاحتال عليه فقتله ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عصا وقال: «آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس يومئذ المتخصرون» (يعني المتكثرون) قال الراوي: فقرئها عبدالله بن أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ثم أمر بها فضمت في كفنه ثم دفنا جميعاً»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان ب: تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه (١/١٣٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ك: الأدب ب: في حسن الخلق (٥/١٥٠) ح: ٤٨٠٠ وإسناده حسن.

(٣) أخرج القصة أحمد في المسند (٣/٤٩٦) وأبو داود في السنن ك: الصلاة ب: صلاة الطلب رقم ١٢٤٥ مختصرة وإسناده حسن. وأخرجها البيهقي في الدلائل (٤/٤٠) وقد حسن ابن حجر سند القصة (الفتح ٧/٤٤٠).

وقد يكون الثواب معنوياً أو دعاء وله دوره وأثره في النفوس واستعمل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة: فقد قال لسعد بن أبي وقاص في معركة أحد «ارم فداك أبي وأمي»^(١) ومَرَّ صلى الله عليه وسلم على قوم ينتضلون^(٢) فقال: ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان.....»^(٣) الحديث والأمثلة في هذا الباب كثيرة .

أما التربية بالعقوبة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغفل عن هذا الجانب وهو أنواع، فقد تكون العقوبة بتغير الوجه وقد تكون بالإعراض عن الشخص وقد تكون بالتأنيب و الذم وقد تكون باهجر وبما هو أشد من ذلك .

فمن الأول ماورد عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت خرقة فيها تصاوير فلما رآها الرسول صلى الله عليه وسلم قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهه الكراهة، فقلت يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذبت ؟ فقال رسول الله ﷺ ما بال هذه الخرقة ؟ قلت: اشتريتها لك لتقعدها عليها وتوسدها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أصحاب هذا الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم: أحيوا ما خلقتهم، وقال: إن البيت الذي فيه صورة لا تدخله الملائكة» أخرجه البخاري^(٤) فهذه عائشة رضي الله عنها تأثرت هذا التأثير العظيم لما رأت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم بحساسيتهم وشدة حرصهم على رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الجهاد ب: المحنّ ومن يترس لصاحبه (فتح ٩٣/٦-٩٤).

(٢) ينتضلون: أي يرمون للسبق انظر النهاية في غريب الحديث (٧٢/٥).

(٣) أخرجه البخاري ك: الجهاد ب: التحريض على الرمي (فتح ٩١ / ٦).

(٤) انظر البخاري ك: البيوع ب: التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء . فتح (٣٢٥/٤)

وانظر مثلاً آخر لهذا النوع أخرجه البخاري فتح (٥١٣/١).

يعرفون ذلك منه فكانوا يعرفون كراهيته للشيء عندما يتغير وجهه فسرعان ما يغيرون ما هم عليه وفي هذا أمثلة كثيرة يضيق البحث عن تتبعها .
وقد يرى صلى الله عليه وسلم من بعض أصحابه ما يكره فيعرض عنه بوجهه تأديباً له وكرهه لفعله، ولهذا أمثلة كثيرة أيضاً ^(١)

أما التأنيب فمن ذلك قصة أسامة بن زيد رضي الله عنه عندما قتل رجلاً بعد أن قال: لا إله إلا الله فوق في نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: «أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟ قال قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح . قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ» ^(٢)

ومن هذا قصة أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسطوط، فسمعت صوتاً من خلفي «اعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً وفي رواية فقلت يارسول الله هو حرٌ لوجه الله فقال: أما لو لم تفعل للفتحك النار أو لمستك النار» ^(٣).

ومن العقوبة بالذم قصة أبي ذر رضي الله عنه عندما ساب مملوكاً فعيّره بأمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أعيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما

(١) انظر مثلاً مسند الإمام أحمد (١٤/٣) وسنن أبي داود ك: الأدب ح: ٥٢٣٧ (٥/٤٠٢) والنسائي (١٧٠/٨) وابن حبان رقم (٥٤٨٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان ب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ح: ١٥٨ (٩٦/١).

(٣) أخرجه مسلم ك: الإيمان ب: صحبة المالك (٣/١٢٨٠-١٢٨١).

يَأْكُلُ وَيَلْبِسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ. «فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ بَعْدَ ذَلِكَ يُلْبَسُ غِلَامَهُ حُلَّةَ كَالْتِي يَلْبَسُ»^(١).

أما عقوبة الهجر فتتمثل واضحة في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، ولم يكن لهم عذر، فهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامهم يقول كعب رضي الله عنه: فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحبائي فاستكانا وقعدا في بيوتهم يبكيان وأما أنا فكنيت أشب القوم وأجلدهم فكنيت أخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في المسجد بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة «وهو ابن عمي وأحب الناس إلي» فسلمت عليه فوالله ما ردّ السلام عليّ فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هلا تعلمني أحب الله ورسوله فسكت، فعدت فنشدته فسكت فعدت فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناى وتوليت. ولما مضى أربعون ليلة إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك ولا تقربها وأرسل إلي صاحبنيّ مثل ذلك فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله هذا الأمر فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين فهمي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، فلما صليت الفجر وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال الذي ذكر الله، قد ضاقت عليّ نفسي، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت

(١) أخرجه البخاري ك: الإيمان ب: المعاصي من أمر الجاهلية (فتح ١٨٤/١).

سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ... قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك، قال: قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال بل من عند الله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه . فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أتخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك . قلت: فأني أمسك سهمي الذي بخير وقلت: يا رسول الله إن الله نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني ما تعمدت - منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً . وإني لأرجو الله أن يحفظني فيما بقيت - وأنزل الله على رسوله: ﴿لقد تاب الله على النبي...﴾ الآيات أخرجه البخاري ومسلم^(١) هذه قصة كعب بن مالك رضي الله عنه وقد اجتزأت منها المقصود، وفيها عبر كثيرة وفوائد جمة فانظر كيف استطاع المربي صلى الله عليه وسلم أن يجعل هؤلاء الذين أخطأوا في سجن من غير أن يسجنهم، فضاقت بهم الأرض على سعتها وتعدي ذلك الضيق إلى أنفسهم وليس هذا انتقاماً منهم ولا بغضاً وكرهية لهم إنما تربية وتأديباً من محب وتنفيذ لأوامر الرب سبحانه الذي دبر ذلك وأنزل فيه آيات تتلى ولذلك فرح صلى الله عليه وسلم أشد الفرح لما تاب الله عليهم . ولقد كان لهذا الهجر أثره على

(١) أخرجه البخاري ك: المغازي ب: حديث كعب بن مالك (١١٣/٨) ومسلم ك: التوبة

ب: توبة كعب بن مالك وصاحبه (٢١٢١/٤).

الثلاثة رضي الله عنهم حيث تابوا وأنابوا .. فهذا كعب رضي الله عنه يلتزم الصدق في كل أقواله فيما يستقبل من أيامه، وأراد أن يخرج من ماله صدقة لله ورسوله ثم صارت هذه القصة عبرة تدل على عظم المعصية وخطرها ..

قال ابن حجر رحمه الله في فوائد القصة: وفيها عظم أمر المعصية وقد نبه الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله ما أكل هؤلاء مالاً حراماً ولا سفكوا دماً حراماً ولا أفسدوا في الأرض أصابهم ما سمعتم، وضاعت عليهم الأرض بما رحبت فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر^(١).

وهذه القصة تدل على قوة التربية النبوية لمجتمع الصحابة رضي الله عنهم فها هم رضي الله عنهم يتفاعلون مع هذه القصة فيلتزمون أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الحديث مع هؤلاء الثلاثة حتى إن قريب كعب بن مالك لم يرد السلام عليه ولم يُجبه إلا لما ألحَّ عليه بقوله: الله أعلم . ثم لما نزلت توبة الله على الثلاثة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فرح الصحابة رضي الله عنهم واستبشروا وتسابقوا لبشارة الثلاثة وهنئوهم بصورة رائعة تدل على تراحم المجتمع المسلم وتألفه .

ولقد كان هذا التأديب والهجر خيراً هؤلاء أرادهم الله بهم ففي الحديث: «إذا أراد الله بعبده خيراً عجل له عقوبته في الدنيا وإذا أراد الله به شراً أمسك عنه عقوبته فيرد القيامة بذنوبه»^(٢) وهكذا كانت هذه القصة عبراً ودرساً ينبغي أن يعيها الربون ويستفيدوا منها في تربية الأجيال .

(١) فتح الباري (١٢٣/٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٨٧/٤) من حديث عبد الله بن مغفل. قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. وله شاهد من حديث عمار بن ياسر عزاه الهيثمي للطبراني وقال: إسناده جيد (مجمع الزوائد ١٠/١٩١-١٩٢).

الوقففة الخامسة: التربية بالقرآن

لقد كان كتاب الله عز وجل له أعظم الأثر في تمذيب نفوس الصحابة وتربيتهم كيف لا وهو كتاب الله المعجز الذي تأخذ فصاحته بالألأباب . وتؤثر معانيه في القلوب ولو نزل على الجبال الراسيات لصدعها ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾^(١) هو الذي لم تتمالك الجن إذ حضوره إلا أن ﴿ قالوا: أنصتوا فلما قضى ولو إلى قومهم منذرين ﴾^(٢) وقالوا أيضاً ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمننا به ﴾^(٣) ولقد شهد بتأثير القرآن وفصاحته وعلوه المشركون الذين عاندوه وكفروا به فالوليد بن المغيرة عندما قرأ عليه النبي ﷺ القرآن قال: « والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته»^(٤)

هذا القرآن العظيم معجزة مؤثرة على طول الزمان تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يرجو أن يكون بهذه المعجزة أكثر الأنبياء تابعاً ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مامن الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما

(١) سورة الحشر: آية/٢١.

(٢) سورة الأحقاف: آية/٢٩.

(٣) سورة الجن: آية/١.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٥٠٧، ٥٠٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/١٩٩، ١٩٨) من طريق الحاكم ومن طرق أخرى مرسلًا وقال بعدها: وكل ذلك يؤكد بعضه بعضاً.

مثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة» (١)

هذا القرآن العظيم تلقاه الصحابة رضي الله عنهم بشغف عجيب يتلونه ويتدبرونه ويعملون به وكان النبي صلى الله عليه وسلم يريهم بالقرآن ويتمثل أمامهم بأداب القرآن فكان خلقه القرآن وهدية القرآن ثم كان يجدوهم في ذلك ماورد من الثواب لمن تلا القرآن وتدبره وعمل به كقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُؤْتِيَهُمُ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران» رواه البخاري ومسلم. (٣)

وروى الترمذي وأبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن متلك عند آخرة تقرأها» (٤) وروى الترمذي عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها . لا أقول ألم حرف

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: فضائل القرآن ب: كيف نزل الوحي (٣/٩) وأخرجه

مسلم ك: الإيمان ب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١/١٣٤).

(٢) سورة فاطر : آية/٣٠.

(٣) صحيح البخاري ك: التفسير ب: سورة عبس. (٦٩١/٨) ومسلم في صلاة المسافرين ب:

فضل الماهر بالقرآن رقم (٧٩٨).

(٤) سنن الترمذي ك: ثواب القرآن ب: ١٧ رقم (٢٩١٥). وسنن أبي داود ك: الصلاة ب:

استحباب الترتيل رقم: (١٤٦٤) ورواه أحمد (١٩٢/٢) والحديث إسناده حسن.

ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»^(١) والأحاديث في هذا الباب كثيرة معروفة تدل على فضل قراءة القرآن وحفظه وملازمة ذلك ثم تأتي الآيات مؤكدة على أمر آخر مع القراءة وهو التدبر ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾^(٢) ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(٣) وآيات أخرى كثيرة . فكان الصحابة رضي الله عنهم لهم قدم صدق ومثل أعلى في هذا الباب فكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل . فجمعوا بين العلم والتدبر والعمل فكانوا يحيون الليل بالقرآن إذا أمسى المساء لهم دويّ كدويّ النحل بالقرآن . فهذب القرآن نفوسهم وقوم أخلاقهم وسما بهم إلى العلياء فضربوا أمثلة عليا في كل خير . ولنعرض إلى بعض المواقف التي تدل على استجابتهم للقرآن ووقوفهم عنده .

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء . وكانت مُستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية ﴿لن تناولوا البرحتى تنفقوا مما تحبون﴾^(٤) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لن تناولوا البرحتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحبّ أموالي إلي بيرحاء، وإنما صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند

(١) أخرجه الترمذي ك: ثواب القرآن ب: ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر

رقم: (٢٩١٢). وإسناده صحيح .

(٢) الآية (٢٩) سورة ص.

(٣) الآية (٨٢) سورة النساء.

(٤) الآية (٩٢) سورة آل عمران.

الله، فضـعها يا رسول الله حيث أراك الله . قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ ذلك مال رابع ذلك مال رابع، وقد سمعت ما قلت . وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسـمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه .^(١) إنها صورة رائعة للاستجابة والمبادرة إلى الخير والحرص على البر والزهد فيما تحب النفس ابتغاء للأجر وطلباً للذخر عند الله تعالى .

وموقف آخر استجابة لهذه الآية ﴿لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون﴾ لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وكان من السابقين للخير؛ ففي الصحيحين أن عمر قال: يا رسول الله، لم أصبَ مالاً قطُّ هو أنفـسٌ عندي من سَهْمِي الذي بخير، فما تأمرني به؟ قال: حَبَسَ الأَصْلَ وَسَبَّلَ الثَّمْرَةَ، فَتَصَدَّقَ بِهَا عَمْرُ أَنْ لا يُبَاعَ ولا يُوهبَ ولا يُورث، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ...^(٢) انظر كيف يتحرون نفائس مالهم وينفقون ما تحبه نفوسهم رضي الله عنهم . واسمع إلى ابن عمر رضي الله عنهما يقول: حضرتني هذه الآية ﴿لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون﴾ فذكرت ما أعطاني الله فلم أجد شيئاً أحبَّ إليَّ من جارية لي رومية فقلت: هي حرة لوجه الله فلو أتي أعود في شيء جعلته لله لنكحـتها^(٣) فعجباً لهذه النفوس التي ربَّأها القرآن وجعلها تُؤثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية .

(١) أخرجه البخاري ك: الزكاة ب: الزكاة على الأقارب (٣/٣٢٥).

(٢) صحيح البخاري ك: الشروط ب: الشروط في الوقف (٥/٣٥٤) ومسلم ك: الوصية ب:

في الوقف (٣/١٢٥٥).

(٣) أخرجه البزار في مسنده. انظر كشف الأستار ك: التفسير. سورة آل عمران (٣/٤٢)

والحاكم في المستدرک (٣/٥٦١) كلاهما من طريق أبي عمرو بن حماس عن حمزة بن

عبدالله بن عمر عن ابيه رضي الله عنه وابو عمرو بن حماس ذكره ابن ابي حاتم في الجرح

وموقف آخر عجيب جداً للصحابي الجليل أبي الدرداء رضي الله عنه يرويه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾^(١) قال أبو الدرداء: يا رسول الله وإن الله يريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدرداء . قال: فإني أقرضت ربي حائطي - وكان فيه ستمائة نخلة - ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وفيه أم الدرداء في عيالها فناداها: يا أم الدرداء . قالت: لبيك . قال: اخرجي، فإني أقرضت ربي حائطي . قالت: لبيك . أخرجه البزار وأبو يعلى والطبراني في الكبير^(٢) .

ولقد كان لكتاب الله تعالى وآياته التأثير العظيم في قلوب الصحابة فحرك مشاعرهم وهزّ أحاسيسهم وملأ قلوبهم خشية من الله وتعظيماً له حتى إن أحدهم يخشى أن يكون هو المقصود بوعيد القرآن لما نزل قول الله تعالى ﴿يا أيها

= والتعديل(٤١٠/٩) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وقال عنه ابن حجر في التقریب (ص ٦٦٠) : مقبول. لكن للحديث طريق آخر أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/١٦٧) مختصراً من طريق نافع عن ابن عمر. فيتقوى به. وفي رواية لابن سعد ان ابن عمر زوجها مولى له فولدت غلاماً قال نافع: فلقد رأيت عبداً لله بن عمر يأخذ ذلك الصبي فيقبله ثم يقول: واهأ لريح فلانه. يعني الجارية التي أعتق.

(١) سورة البقرة : آية/٢٤٥ .

(٢) انظر كشف الأستار في زوائد البزار (٤٣/٣) ومسند أبي يعلى الموصلي (٤٠٤/٨) والمعجم الكبير للطبراني (٣٠١/٢٢) كلهم من طريق خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٤/٩)، (٣٢٥): رواه أبو يعلى والطبراني: ورواهما ثقات ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . لكن الإسناد فيه حميد الأعرج وقد ضُعب. التقریب (١٨٢) لكن للقصة شاهد عن عمر بن الخطاب بمعناه ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٣/٣) وعزاه للطبراني في الأوسط قال: وفيه إسماعيل بن قيس وهو ضعيف فيتقوى الحديث به .

الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴿١﴾ كان ثابت بن قيس بن الشماس رضي الله عنه رفيع الصوت، فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنسا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزينا يبكي . ففقدته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده في بيته منكساً رأسه فقال: ما شأنك . فقال: ثابت رضي الله عنه: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أبي من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة» . (٢)

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان جهوري الصوت أيضاً فإنه لما نزلت صار إذا خاطب النبي صلى الله عليه وسلم يهمس همساً خشية أن يحبط عمله . يقول ابن الزبير رضي الله عنهما: «فما كان عمر رضي الله عنه يُسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه» (٣) حقاً لقد كان الصحابة رضي الله عنهم جيلاً قرآنياً فريداً ترى أحدهم كأنه مصحف يمشي على الأرض يتغلب أحدهم على مشاعره ويخالف هوى نفسه ليستجيب للقرآن ويتمثل للقرآن، فهذا أبو بكر رضي الله عنه لما وقع من مسطح بن أثاثة - وهو ابن خالة أبي بكر - ما وقع من الكلام في عائشة رضي الله عنها في

(١) سورة الحجرات آية (١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ك: التفسير ب: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (٥٩٠/٨) ومسلم ك: الإيمان ب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله (١١٠/١) وللحديث روايات

في غير الصحيحين ذكرها ابن كثير في التفسير (٢٦٣/٤) تفسير سورة الحجرات .

(٣) صحيح البخاري الموضوع السابق (٥٩٠/٨).

قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، وفي رواية والله لا أنفقه بنافعة . فلما نزل قول الله تعالى ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا وليصنعوا ألأتحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾^(١) قال أبو بكر: بلى والله أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها عنه أبداً.^(٢) وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدّم عليه عيينة بن حصن فاستأذن له الحُرُّ بن قيس وكان من نفر الذين يدينهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر. فلما دخل عليه عيينة قال: هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به . فقال الحرّ: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین﴾^(٣) وإن هذا من الجاهلین والله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله.^(٤)

فانظر إلى تأثير القرآن في حياتهم وتهذيبه لنفوسهم وتقويمه لأخلاقهم . وكفى بكلام الله مؤثراً ومربياً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فهل تعي أمتنا دور القرآن في التربية ؟ نسأل الله ذلك .

(١) سورة النور آية (٢٢).

(٢) رواه البخاري آخر حديث الإفك ك: التفسير سورة النور(٤٥٥/٨).

(٣) سورة الأعراف آية (١٩٩).

(٤) أخرجه البخاري ك: التفسير ب: خذ العفو وأمر بالعرف (٣٠٤،٣٠٥/٨).

الوقففة السادسة والأخيرة: التربية المتوازنة

لقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في تربيته لأصحابه على التوسط الذي لا غلو فيه ولا جفاء، وذلك بإعطاء كل شيء حقه، فالنفس لها حظها من العبادة والطاعة ولها حظها من الترويح والراحة. والجسد له حقه وحظه من المأكول والمشرب وان لا يكلف مالا يطيق والأهل من الزوجة والأولاد لهم حقهم من الرعاية العناية ولكل شيء حقه. والإسلام أعطى كل شيء حقه.

والرسول صلى الله عليه وسلم سار في تربية أصحابه سيراً متوازناً لم يكلفهم ما يغلبهم ولم يكثر عليهم فِيمَلُهُمْ وَيُسْمِمُهُمْ. ولم يعط جانباً على حساب الجوانب الأخرى بل توسط لا إفراط فيه ولا تفريط، وهذا المنهج هو الأذعى للاستمرار وملازمة الاستقامة والمداومة على العمل وهو المنهج الشامل الصالح لكل البشر يقول صاحب كتاب طريق البناء التربوي في الإسلام: «أما الإسلام فيتفرد بشمولية منهجه التربوي لهذا الكائن وتوازنه، فيعالجه معالجة شاملة متوازنة لاتغفل عن شيء عروحه وعقله وجسده، وما يتطلبه كل عنصر من مستلزمات ومناخ يزاوُل فيها نشاطه منسجماً مع مناخات العناصر الأخرى، والذي يخول للإسلام النجاح في هذا المضمار أنه دين الله عز وجل وهو الصانع والمبدع والخالق لهذا الكائن وبالتالي فهو أعلم وأخبر بصنعتة وهو الحقيق أن يوجد المنهج الملائم مع هذه الفطرة ﷻ الأي علم من خلق وهو اللطيف الخبير»^(١) ونتيجة هذه الشمولية يتوصل الإسلام إلى استغلال كل طاقات هذا الكائن بل يصل إلى الحد الأقصى لهذه الطاقات ولذلك فإن استثمار الإسلام في عهدة الأول للعدد القليل من المسلمين وقدرته على الوصول والاستفادة من

(١) سورة الملك آية ١٤.

الحد الأقصى لطاقتهم صنع الأعاجيب في عالم الأرض وأمام جحافل الغناء من البشر الذين لم تستطع مناهجهم أن تستثمر طاقتهم الفطرية المكنونة، فالكائن البشري هو الكائن البشري ولكن النتيجة متباينة ومختلفة بين منهج الإسلام ومنهج الناس^(١). إن هذا التوازن والشمول الذي تميز به الإسلام دلت عليه النصوص الكثيرة فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت فلانة تذكر من صلاحها قال: «مه، عليكم بما تطيقون فوالله لا يملّ الله حتى تملوا» وكان أحب الدين إليه مادام عليه صاحبه أخرجه البخاري^(٢) وعنها رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وإن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قلّ» وعنها رضي الله عنها قالت: «كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبه». وعنها رضي الله عنها قالت: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله قال: أدومها وإن قلّ. وقال: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون» أخرجه البخاري^(٣) فترى من خلال الأحاديث السابقة أن النبي صلى الله عليه وسلم يهدينا إلى أن القليل المداوم عليه من العمل خير من الكثير المنقطع والقليل المستمر أحب إلى الله ورسوله وذلك ما يتواءم مع فطرة الإنسان وقدرته، فهو أدعى لتطبيق شريعة الله دون حرج ولا مشقة وذلكم هو اليسر والسماحة وهو الرفق والتوسط وهذه الصفات من سمة المنهج الإسلامي الرباني ومن خصائص التربية النبوية. ثم إن التشدد والغلو والتنطع سبب للهلاك كما كان حال السابقين الذين تشددوا فشدد الله عليهم وتنطعوا

(١) طريق البناء التربوي الإسلامي تأليف د. عقيل قاسم النشمي ص ٨٨، ٨٩.

(٢) أخرجه البخاري ك: الإيمان ب: أحب الدين إلى الله أدومه (١٠١/١).

(٣) انظر صحيح البخاري بشرح الفتح ك: الرقاق ب: القصد والمداومة في العمل (٢٩٤/١١).

فهلكوا ويؤكد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله «هلك المتنطعون»
 قالها ثلاثاً^(١) ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسير مع أصحابه سيراً
 واقعياً بعيداً عن إحداث المشقة والخرج مما يباعد المسلم عن السامة والملل.

روى البخاري في صحيحه عن أبي وائل قال: كان عبدالله بن مسعود
 رضي الله عنه يُذَكِّرُ الناس كل خميس، فقال رجل: يا أبا عبد الله لرحمن
 لوددت أنك ذكرتنا كل يوم قال أما إنه يعني من ذلك أي أكره أن أملككم وإني
 أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بما مخافة السامة
 علينا.^(٢) فهذا الهدي النبوي يتناسق مع ما تقتضيه سماحة الإسلام ويسره .

وعندما رأى صلى الله عليه وسلم في بعض أصحابه جنوحاً عن التوسط
 وبعداً عن السماحة واليسر ردّهم إلى سنته وهديه .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج
 النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما
 أخبروا كأنهم تَفَالُوهَا . فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر
 له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال
 آخر: أنا أصوم الدهر فلا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً،
 فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أنتم الذين قلتُم كذا وكذا؟ أما
 والله إني لأخشاكم وأتقاكم، ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء
 فمن رغب عن سنتي فليس مني» متفق عليه^(٣).

(١) أخرجه مسلم ك: العلم ب: هلك المتنطعون (٤/٢٠٥٥).

(٢) صحيح البخاري ك: العلم ب: من جعل لأهل العلم أياماً معلومة (١/١٦٣).

(٣) صحيح البخاري ك: النكاح ب: التغييب في النكاح (٩/١٠٤) ومسلم ك: النكاح

(٢/١٠٢٠) ح: ١٤٠١ واللفظ للبخاري.

فهذه سنته صلى الله عليه وسلم ليس فيها غلو ولا إجحاف في حق النفس وإعطاء لكل شيء حقه . وتوسط في الأمور . ولم يقرّ صلى الله عليه وسلم من يشق على نفسه بالعبادة ويتجاوز الاعتدال .

دخل مرة صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين السارين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا، حُلُوهُ ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد)) متفق عليه^(١) وأقرّ صلى الله عليه وسلم سلمان لما أنكر على أبي الدرداء رضي الله عنهما تشدده وتقصيره في حق أهله ونفسه، فعن أبي جحيفة عبد الله بن وهب رضي الله عنه قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبي الدرداء ليس له حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كُلْ فإني صائم . قال: ما أنا بأكل حتى تأكل فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم . فنام ثم ذهب يقوم فقال له: نم فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن فصليا جميعاً فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعطى كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان» رواه البخاري^(٢).

ها هو صلى الله عليه وسلم يقرّ ويؤكد منهج التوسط والاعتدال وإعطاء

(١) رواه البخاري ك: التهجد ب: ما يكره من التشدد في العبادة (٣/٣٦) ومسلم ك: صلاة المسافرين (١/٥٤١) ح: ٧٨٤.

(٢) صحيح البخاري ك: الصوم ب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع (٤/٢٠٩) ح:

كل شيء حقه بلا غلو ولا تغليب جانب على آخر فأبو الدرداء رضي الله عنه لما أقبل على الآخرة وآثر العبادة والزهد وغلب ذلك على حق أهله وجسده أنكسر عليه أخوه سلمان رضي الله عنه فالأخوة بينهما تقتضي التناصح والتواصي بالحق . ولما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم صدق سلمان في قوله لأن هذا هو الحق والمنهج الذي يجب أن يتبع . ونرى في قصة أخرى لما علم صلى الله عليه وسلم أن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يصوم النهار ويقوم الليل . دعاه وقال: يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت: بلى يا رسول الله قال: فلا تفعل، صُم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك - أي ضيفك - عليك حقاً وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله، فشددت فشدد علي . قلت يا رسول الله إني أجد قوة قال فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزدد عليه قلت: وما كان صيام داود عليه السلام؟ قال: نصف الدهر - فكان عبدالله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم.^(١)

فهذا منهج النبي صلى الله عليه وسلم منهج اعتدال وتوسط، وعلى هذا ربى أصحابه رضي الله عنهم فنعم المربي ونعم المربين ونعم الأستاذ ونعم التلاميذ جعلنا الله ممن يقتفي أثرهم ويسير على نهجهم ويهتدي بهدي المصطفى عليه الصلاة والسلام.

(١) أخرجه البخاري ك: الصوم باب حق الجسم في الصوم (٤/٢١٧، ٢١٨) ح: ١٩٧٥.

الخاتمة

وختاماً. فهذه آخر الوقفات ولعلّ الله أن ييسر وقفات أخرى فأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ومنهجه يحتاج إلى وقفات كثيرة في هذا الباب لمن تأمل، ونخلص في آخر هذا البحث إلى الفوائد والنتائج التالية:

- أن هذه الأمة إن أرادت الخير والفلاح والنجاح والعز والتمكين فعليها الأخذ بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في التربية والاقتداء به.

- ضرورة العناية بالعقيدة والبداءة بها في الدعوة وترسيخها في نفوس الناشئة.

- أهمية العبادة وخاصة الصلاة في تهذيب النفس وتقويم السلوك.

- أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى للأخلاق مكانة رفيعة حيث جعلها من مقاصد بعثته ورتّب على الالتزام بها الثواب الجزيل.

- ضرورة القدوة في التربية وأثرها العظيم في النفوس وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم قدوة في التاريخ.

- دور القرآن العظيم في تربية الصحابة وأنه أهم ما يعتنى به في تربية الأجيال.

- أن منهج النبي صلى الله عليه وسلم هو المنهج المتوازن الكامل الصالح لتربية الأجيال في كل زمان.

هذا والله الهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المراجع والمصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- التربية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . نشأتها وتطورها للدكتور:
حامد سالم الحربي ط: رابطة العالم الإسلامي . مكة المكرمة.
- ٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ط: مطبعة فضالة-المحمدية المغرب الطبعة الثانية .
- ٤- السلسلة الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني ط: المكتب الإسلامي .
- ٥- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جمعه: محمد فؤاد عبد الباقي ط: دار إحياء التراث بيروت لبنان.
- ٦- المستدرک على الصحيحين للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى ((٤٠٥هـ)) ط: دار الفكر . بيروت.
- ٧- المسند لأبي يعلى الموصلي المتوفى ((٣٠٧هـ)) تحقيق: حسين سليم أسد ط:
دار المأمون للتراث دمشق .
- ٨- المعجم الكبير للإمام الطبراني تحقيق: حمدي السلفي الطبعة الأولى .
بغداد.
- ٩- المعجم الوسيط إعداد مجمع اللغة العربية بمصر الطبعة الثانية . دار
المعارف ١٤٠٠.
- ١٠- النهاية في غريب الحديث للإمام مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير
تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ط: المكتبة الإسلامية.
- ١١- النهج التربوية للعلماء والمربين المسلمين تأليف: د. يوسف محمد النجار
ط: دار ابن حزم . بيروت. الأولى ١٤٢٠هـ.
- ١٢- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ يوسف بن الزكي المزني ت

- ١٣- تقريب التهذيب للحافظ: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . تحقيق: محمد عوامة ط: دار الرشيد. حلب .
- ١٤- تهذيب التهذيب للحافظ: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق: إبراهيم الزبيق وعادل مرشد ط: مؤسسة الرسالة . .
- ١٥- تفسير القرآن العظيم للإمام: أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى(٥٧٧٤هـ)ط: دار الفكر بيروت .
- ١٦- تزيه الشريعة. علي بن محمد الكناي. ت(٩٦٣هـ)تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصديق. ط: دار الكتب العلمية. بيروت.
- ١٧- تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ط: نشر رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالرياض.
- ١٨- جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ط: مؤسسة الرسالة.
- ١٩- دلائل النبوة للإمام أبي بكر بن الحسين البيهقي ت: (٤٥٨هـ) تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي ط: دار الكتب العلمية. بيروت . .
- ٢٠- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت(٢٧٥هـ) تحقيق: عزت الدعاس وعادل السيد ط: دار الحديث حمص سوريه.
- ٢١- سنن ابن ماجه للإمام محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط: دار الفكر بيروت . .
- ٢٢- سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى الترمذي المتوفى(٢٧٩هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ط: دار احياء التراث بيروت.
- ٢٣- سنن النسائي للإمام أحمد بن شعيب النسائي ت(٣٠٣هـ) تحقيق: د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي ط: دار الكتب العلمية .

بيروت .

٢٤- صحيح البخاري بشرح فتح الباري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري
ت ((٢٥٦هـ)) ط: السلفية .

٢٥- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ت: ((٢٦١هـ))
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . ط: دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٢٦- طريق البناء التربوي الإسلامي تأليف د. عجيل جاسم النشمي ط: دار
الدعوة. الكويت . الثانية . ١٤١٢هـ.

٢٧- فتح الباري. للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ت ((٨٥٦هـ))
تحقيق: العلامة ابن باز. ط: الدارالسلفية.

٢٨- كشف الأستار. للإمام نور الدين علي الهيثمي. ت ((٨٠٧هـ)) تحقيق:
حبيب الرحمن الأعظمي. ط: مؤسسه الرساله.

٢٩- مجمع الزوائد. للإمام نور الدين علي الهيثمي. ت ((٨٠٧هـ)) الطبعة
الثالثة. ط: دار الكتاب العربي. بيروت.

٣٠- مسند أحمد. للإمام أحمد بن حنبل. ت ((٢٤١هـ)) ط: دار صادر.
بيروت.

٣١- موارد الظمان. في زوائد صحيح ابن حبان للإمام نور الدين الهيثمي
تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة ط: دار الكتب العلمية. بيروت.

٣٢- موطأ مالك. للإمام مالك بن انس. ت ((١٧٩هـ)) تحقيق: محمد فؤاد
عبد الباقي ط: دار إحياء التراث العربي.

٣٣- موسوعة أطراف الحديث النبوي إعداد: محمد السعيد بن بسيوني ط:
عالم التراث بيروت - وقفة تربوية - مقالات المجموعة الثالثة - للشيخ

عبد الحميد البلابي ط: مكتبة المنار الإسلامية . الأولى. الكويت.

١٤٢١هـ.

٣٤- نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس
للحافظ ابن رجب الحنبلي تحقيق: محمد ناصر العجمي ط: دار البشائر
الثالثة بيروت . .

المقالات

- كيف ربّى النبي صلى الله عليه وسلم أمة تقود الأمم .مجلة الوعي
الإسلامي العدد: ٣٣٤ الكاتب: علاء محمد حسنين
- معالم من هديه صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه مجلة الوعي
الإسلامي العدد: ٣٧٧ بقلم: د.سيد نوح
- المنهج التربوي في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم . مجلة منار
الإسلام العدد: ٣٣٤ بقلم: أحمد عبد التواب أحمد عبد القادر.

فهرس الموضوعات

- ١٠٣ مقدمة وتمهيد
- ١٠٥ أولاً: أسس تربية النبي صلى الله عليه وسلم
- ١٠٥ الوقفة الأولى: التربية على العقيدة والعبادة:
- ١١٨ الوقفة الثانية: التربية الأخلاقية:
- ١٢٩ الوقفة الثالثة: التربية بالقدوة:
- ١٣٥ ثانياً: أساليب تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه
- ١٣٥ الوقفة الرابعة: التربية بالثواب والعقاب
- ١٤٣ الوقفة الخامسة: التربية بالقرآن:
- ١٥٠ الوقفة السادسة والأخيرة: التربية المتوازنة:
- ١٥٥ الخاتمة
- ١٥٦ فهرس المراجع والمصادر
- ١٦٠ فهرس الموضوعات

بَحْثُ عَقْدِي^{٢٨} فِي لَفْظِ (السَّيِّدِ)

إِعْدَادُ :

د. يُوْسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّعِيدِ

الأستاذ المشارك في جامعة الإمام محمد بن سعود

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد: فهذا بحث جمعت فيه ماوقفت عليه مما يتعلق بلفظ " السيد " من الأحكام الاعتقادية، والذي حملني على الكتابة في هذا الموضوع: أهميته، وهذه الأهمية يمكن إيجاز بيانها في الآتي:

أولا: تعلقه بمبحث أسماء الله - تعالى - يعني هل هذا اللفظ من أسماء الله - تعالى - أو ليس من أسمائه، ولا ريب أن البحث في هذا من أشرف البحوث، إذ شرف العلم بشرف المعلوم .

ثانيا: وجود مسائل كثيرة متعلقة به تحتاج إلى بحث، فهناك - على سبيل المثال - بعض النصوص جاء فيها ما فهم منه بعض العلماء المنع من إطلاق لفظ السيد على المخلوق، بينما جاءت نصوص صريحة تدل على جواز ذلك، وهذه تحتاج إلى نظر .

ثالثا: لما لهذا الموضوع من ارتباط وثيق بألفاظ الناس، فهذا اللفظ يسمع كثيرا في وسائل الإعلام المختلفة، ويوجد في المكاتبات، وفي المحادثات وغير ذلك، والناس يحتاجون إلى بيان حكم إطلاق هذا اللفظ .

رابعا: استخدام هذا اللفظ في غير محله من كثير من الناس، كإطلاقه على المنافق والكافر والفاسق والمبتدع ونحو ذلك، وإطلاقه على المخلوق ويقصد به ما يقصد به لفظ الرب والإله، وهذا عند كثير من الغلاة .

خامسا: وجود بعض البدع المتعلقة بهذا الموضوع .

ولكوني لم أقف على بحث يلم شتات هذا الموضوع، فقد استعنت

بسيدي ومولاي، وهو خير مستعان به على الكتابة في هذا الموضوع، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

● خطة البحث:

جاء البحث بعد هذه المقدمة في ثلاثة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: التعريف اللغوي .

الفصل الثاني: حكم إطلاقه على الله - تعالى - ومعناه في حقه، وآثار هذا

الاسم، وحكم الدعاء به، ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: حكم إطلاقه على الله - تعالى - .

المبحث الثاني: معناه في حق الله - جل وعلا - .

المبحث الثالث: آثار هذا الاسم .

المبحث الرابع: حكم الدعاء به .

الفصل الثالث: تعلقه بالمخلوقين، ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: حكم إطلاقه على المخلوقين .

المبحث الثاني: سيادة النبي - ﷺ - وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سيادته في الدنيا والآخرة .

المطلب الثاني: في بيان أنه - ﷺ - لم يخبر بسيادته على وجه الفخر .

المطلب الثالث: في بيان شمولية سيادته لآدم - ﷺ - وبنيه .

المطلب الرابع: في بيان تحريم إطلاق لفظ (سيد ولد آدم) أو (سيد

الناس) أو (سيد الكل) ونحوها على أحد غير النبي - ﷺ - .

المبحث الثالث: حكم إطلاقه على المرأة .

المبحث الرابع: حكم إطلاقه على المنافق والكافر .

المبحث الخامس: حكم إطلاقه على المبتدع .

الخاتمة .

الفصل الأول: التعريف اللغوي

السيد: من ساد يسود سيادة وسوددا وسيدودة .

وهذه الكلمة على وزن فيعل من فعل واوي: ساد يسود، وهذا قول أهل البصرة^(١)، وإنما جمعوه على (سادة) على وزن (فَعَلَّة) التي لا يجمع عليها إلا (فاعل) لأنهم قدروا أنهم جمعوا (سائد) كقائد وقادة، وذائد وذادة، والجمع القياسي لـ (فيعل): (فاعل) ولذلك جمعوا (سيد) على (سيائد) وهو قياس؛ لكنه قليل الاستعمال .

وقيل: وزنه على (فيعل) ولذلك جمع على (سادة) قياسا، كما في (سري) و (سراة) ولا نظير لهما، يدل على ذلك أنه يجمع على سيائدة - بالهمز - مثل: أفيال وأفائلة، وتبيع وتبائعة^(٢) .

والذين قالوا: إن أصله سيود - على وزن فيعل - قالوا: إن الواو فيه قلبت إلى ياء؛ لأجل الياء الساكنة قبلها، ثم أدغمت^(٣) .
وسيد صفة مشبهة، وفيه معنى أقوى من اسم الفاعل المجرد " سائد "، فقد نقل صاحب القاموس أن السائد دون السيد^(٤) .

كما أنه يمتاز عن صيغة اسم الفاعل بالتحقق والثبوت .

(١) انظر: الكتاب لسيبويه (٣٦٥/٤)، المقتضب للمبرد (١٢٥/١)، الصحاح للجوهري (سود) (٤٩٠/٢) .

(٢) انظر: الصحاح (سود) (٤٩٠/٢) .

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤١٨/٢)، لسان العرب (٢٢٨/٣) .

(٤) القاموس المحيط للفيروز أبادي (سود) .

قال الفراء (ت ٢٠٧): « هذا سيد قومه اليوم، فإذا أخبرت أنه عن قليل يكون سيدهم قلت: هو سائد قومه وسيد »^(١).

وقد ذكر اللغويون معاني عدة لهذا اللفظ، فقد جاء عن عكرمة أنه قال: « السيد: الذي لا يغلبه غضبه »^(٢).

وقال قتادة (ت ١١٧ أو ١١٨): « هو العابد، الورع، الحليم »^(٣).
وقال أبو خيرة هشل بن زيد - رحمه الله تعالى -: « سمي سيداً؛ لأنه يسود سواد الناس، أي: معظمهم »^(٤).

وقال الأصمعي (ت ٢١٢) - رحمه الله تعالى -: العرب تقول: السيد: « كل مقهور مغمور بحلمه »^(٥).

وقال النضر بن شميل (ت ٢٠٣) - رحمه الله تعالى -: « السيد: الذي فاق غيره، ذو العقل والمال والدفع والنفع، المعطي ماله في حقوقه، المعين بنفسه، فذلك السيد »^(٦).

وقال الراغب (ت ٥٠٢) - رحمه الله تعالى -: « والسيد: المتولي للسواد، أي: الجماعة الكثيرة، وينسب إلى ذلك، فيقال: سيد القوم، ولا يقال: سيد الثوب وسيد الفرس، ويقال: ساد القوم يسودهم، ولما كان من

(١) الصحاح (سود).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٣٥/١٣)، لسان العرب (٢٢٩/٣).

(٣) تهذيب اللغة (٣٥/١٣).

(٤) تهذيب اللغة (٣٥/١٣)، لسان العرب (٢٢٩/٣).

(٥) تهذيب اللغة (٣٥/١٣)، لسان العرب (٢٢٩/٣).

(٦) تهذيب اللغة (٣٥/١٣)، لسان العرب (٢٢٩/٣).

شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذب النفس قيل لكل من كان فاضلا في نفسه: سيد، وعلى ذلك قوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾^(١)، وقوله: ﴿وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾^(٢) فسمى الزوج سيذا لسياسة زوجته، وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا﴾^(٣) أي: ولاتنا وسائسنا^(٤).

وقال الفراء (ت ٢٠٧) - رحمه الله تعالى -: «السيد: الملك، والسيد: الرئيس، والسيد: الحليم، والسيد: السخي، وسيد العبد: مولاه، والأنثى من كل ذلك بالهاء، وسيد المرأة: زوجها، وسيد كل شيء أشرفه وأرفعه»^(٥).

وقال ابن الأثير (ت ٦٠٦) - رحمه الله تعالى -: «والسيد يطلق على الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، ومتحمل أذى قومه، والزوج، والرئيس، والمقدم»^(٦).

والسودد والسؤدد: الشرف.

والمسؤد - بضم الميم، وفتح السين، وفتح الواو المشددة -: السيد.

والمسود - بفتح الميم، وضم السين -: من ساده غيره.

(١) آل عمران، آية (٣٩).

(٢) يوسف، آية (٢٥).

(٣) الأحزاب، آية (٦٧).

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص ٢٤٧).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٣٥/١٣)، لسان العرب (٢٢٩/٣).

(٦) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤١٨/٢)، وانظر: لسان العرب لابن منظور، مادة

(سود) (٢٢٨/٣).

واستاد القوم بني فلان: قتلوا سيدهم، أو أسروه، أو خطبوا إليه^(١).
وتسود الرجل: إذا ساد، وسود: إذا جعله غيره سيديا .
قال عمر - رضي الله عنه -: « تفقهوا قبل أن تسودوا »^(٢) .
قال شمر: معناه: تعلموا العلم قبل أن تزوجوا، فتصيروا أرباب بيوت،
فتشغلوا بالزواج عن العلم، من قولهم: استاد الرجل^(٣) .
وقال أبو عبيد: « يقول: تعلموا العلم ما دمتم صغارا قبل أن تصيروا
سادة رؤساء منظورا إليهم »^(٤) .
وبناء على ما تقدم ظهر أن ثمة معاني لهذا اللفظ، وهذه المعاني لها أثر
كبير في توجيه النصوص الواردة، فإنزال النصوص على شيء من هذه المعاني
يرفع الإشكال، والله أعلم .

(١) انظر: تهذيب اللغة، مادة (ساد) (٣٤/١٣)، الصحاح للجوهري (سود) (٤٩١/٢)،

لسان العرب (سود) (٢٢٩/٣)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقا (٣٩/١)، ووصله ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٤/٥)

رقم (٢٦١١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٥/٢) رقم (١٦٦٩).

(٣) تهذيب اللغة (٣٤/١٣)، النهاية في غريب الحديث (٤١٨/٢)، لسان العرب (٢٢٩/٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث (٤١٨/٢)، لسان العرب (٢٢٩/٣).

الفصل الثاني:

المبحث الأول: إطلاق السيد على الله - تعالى

إن اسم (السيد) من أسماء الله - جل وعلا - الثابتة، ولم يأت لفظه في القرآن الكريم^(١)، وهذا الاسم الكريم من الأسماء الدالة على صفات عديدة .
والدليل على أنه من أسماء الله - تعالى - حديث عبد الله بن الشخير -
رضي الله عنه - حيث قال: « انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله - ﷺ - فقلنا: أنت سيدنا، فقال رسول الله - ﷺ -: « السيد الله» قلنا: فأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولاً، فقال - ﷺ -: « قولوا بقولكم أو ببعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»^(٢) .

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/١٩٢)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/٦٧)،
الحجة في بيان المحجة لقوام السنة التيمي (١/١٥٥).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/٧٠) رقم (١٠٠٧٥)، وأحمد في مسنده (٤/٢٤-
٢٥)، وابن أبي الدنيا في الصمت رقم (٧٣) كلهم من طريق مهدي بن ميمون عن غيلان
ابن جرير عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه به .

وأخرجه أبو داود في سننه (٤/٢٥٤) رقم (٤٨٠٦)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٨٣)،
وابن منده في التوحيد (٢/١٣٢) رقم (٢٨١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٦٨)
رقم (٣٣)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٩/٤٦٨) رقم (٤٤٧) من طريق
سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن مطرف به .

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/٧٠) رقم (١٠٠٧٤)، وأحمد في المسند (٤/٢٤-
٢٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص١٣٨)، وابن منده في التوحيد (٢/١٣٢)
رقم (٢٨٠) من حديث شعبة سمعت قتادة قال سمعت مطرفاً به .

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/٤٦٤) : (إسناده جيد)، وقال الحافظ ابن حجر في =

وقد أثبت هذا الاسم جماعة من العلماء منهم: الحافظ ابن مندة^(١) (٣١٠ - ٣٩٥)، والحلي^(٢) (٣٣٨ - ٤٠٣)، وأبو بكر البيهقي^(٣) (٣٨٤ - ٤٥٨)، وقوام السنة أبو القاسم إسماعيل التيمي الأصبهاني^(٤) (٤٥٧ - ٥٣٥).
وذهب جماعة من العلماء إلى أنه ليس من أسماء الله - تعالى -، وذلك لأنهم يرون ضعف الحديث الوارد في هذا الاسم^(٥)، ولكونه لم يأت في الكتاب ولا في حديث متواتر^(٦).

قيل للإمام مالك - رحمه الله تعالى - : ((يقولون: السيد هو الله، قال: أين

= فتح الباري (١٧٩/٥) : (رجاله ثقات، وقد صححه غير واحد).
وأخرجه ابن منده في التوحيد (١٣٢/٢) رقم (٢٨١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣١٨/٥) من طريق يعقوب بن سفيان عن مسلم بن إبراهيم عن الأسود بن شيبان عن أبي بكر بن ثمامة بن النعمان الراسبي عن يزيد بن عبد الله أبي العلاء عن أبيه .
وهذا إسناد رجاله ثقات سوى أبي بكر بن ثمامة، فقد ذكره الحافظ ابن حبان في الثقات (٥٦٥/٥)، وذكره البخاري في تاريخه (١١/٩)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣٤٠/٩)، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، ولم يذكر من روى عنه غير الأسود بن شيبان .

- (١) انظر: كتاب التوحيد (١٣٢/٢).
- (٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١٩٢/١).
- (٣) انظر: الأسماء والصفات (٦٧/١).
- (٤) انظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (١٥٥/١).
- (٥) انظر: ألف باء للبلوي (٢٣١/١).
- (٦) انظر: إكمال المعلم (١٨٩/٧)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٧/١٥)، إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للأبي (٦٢/٦)، مكمل إكمال إكمال المعلم للسوسى (٦٣/٦).

هو في كتاب الله - تعالى؟^(١) .

ولكن المحققين من أهل الحديث قالوا بثبوته، ومن قال به: الحافظ ابن مفلح (ت ٧٦٣)، والحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢)، والعظيم آبادي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم من المثبتين لهذا الاسم الكريم .

ومن ضعفه فإنه لم يذكر سبب تضعيفه، إلا أن يكون قد وقف على طريق ضعيفة، فإن كان كذلك فإن الروايات الثابتة التي ذكرت في تخريج هذا الحديث كافية عن تلك الطريق؛ لأن أسانيدنا صحيحة .

أما كونه لم يأت في الكتاب، فإن عدم مجيئه في الكتاب لا يعني أنه ليس اسماً، لأن هناك أسماء ثبتت بالسنة وليست في الكتاب .

والمنهج الحق هو عدم التفرقة بين ما ورد به الكتاب وبين ما جاءت به السنة .

أما كونه ليس في حديث متواتر، فإن أحاديث الآحاد متى ما صحت كانت حجة، والتفريق بينها وبين المتواترة في باب الاعتقاد من جراب أهل الكلام المذموم .

فهذا الاسم الكريم ثابت لله - تعالى .

(١) المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي (٣٠٦/٧)، الذخيرة للقراقي (٣٣٩/١٣)، عمدة القاري (٩/١١).

المبحث الثاني: معنى هذا الاسم الكريم

إذا أطلق السيد على الله - تعالى - فهو بمعنى المالك والمولى والرب^(١).
قال الحلبي - رحمه الله تعالى -: « ومعناه: المحتاج إليه على الإطلاق،
فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي إليه يرجعون، وبأمره يعملون، وعن رأيه
يصدرون، ومن قوته يستمدون .

فإذا كانت الملائكة، والإنس والجن خلقا للباريء - جل ثناؤه - لم يكن
بهم غيبة في بدء أمرهم وهو الموجود، إذ لو لم يوجد لهم لم يوجدوا، ولا في الإبقاء
بعد الإيجاد، ولا في العوارض أثناء البقاء كان حقا له - جل ثناؤه - أن يكون
سيدا، وكان حقا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم^(٢) .

فالسؤدد كله حقيقة لله، والخلق كلهم عبيده، إذ إن الله - تعالى - هو
المالك لعبيده، فنواصيهم بيديه، المتولي أمرهم، القائم على كل نفس بما كسبت،
فما من معنى من معاني السيادة إلا والله - تعالى - أكمله .

قال ابن الأنباري - رحمه الله تعالى -: « والسيد هو الله، إذ كان مالك
الخلق أجمعين، ولا مالك لهم سواه^(٣) .

وقال الأزهري (ت ٣٧٠) - رحمه الله تعالى -: « وأما صفة الله - جل
ذكره بـ (السيد)، فمعناه أنه مالك الخلق، والخلق كلهم عبيده^(٤) .

وقال أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨) - رحمه الله تعالى -: « قوله: السيد

(١) انظر: حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن قاسم (ص ٣٩٤).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/١٩٢)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/٦٩).

(٣) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، مادة (ساد) (٣٥/١٣).

(٤) لسان العرب (٣/٢٢٩).

الله، يريد أن السؤدد حقيقة لله - عز وجل - وأن الخلق كلهم عبيد له^(١) .
وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : « السيد إذا أطلق عليه - تعالى - فهو
بمعنى المالك والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق »^(٢) .
فهذه بعض معاني السيد في حق الله - تعالى - إذ إن الإتيان على معاني
هذا الاسم كلها مما يكاد يكون من المتعذر .

(١) معالم السنن (١٧٦/٧) .

(٢) بدائع الفوائد (٢١٣/٣) .

المبحث الثالث: آثار هذا الاسم

إن لهذا الاسم آثارا عظيمة، وذلك لعظمة هذا الاسم وكثرة معانيه، فمن هذه الآثار:

- ١- إثبات السيادة لله - تعالى - من جميع الوجوه .
 - ٢- وجوب إفراده - جل وعلا - بالربوبية، إذ هو رب كل شيء ومليكه، وخالقه ومدبره، وكل شيء راجع إليه، فمن اعتقد أن مع الله - تعالى - متصرفا في هذا الكون: ملكا مقربا، أو نبيا مرسلا، أو وليا صالحا .
- وقد خالف في هذا الأمر كثير من الغلاة، فقد ذكر كثير من المتصوفة عن بعض من يعتقدون فيهم الولاية أن لهم تصرفا في هذا الكون، حيث ذكروا من يسمونه بالقطب، وزعموا أن له تصرفا في الوجود .
- يقول محيي الدين بن عربي الصوفي الأندلسي: « واعلم أن لكل بلد أو إقليم قطبا غير الغوث، به يحفظ الله - تعالى - تلك الجهة، سواء كان أهلها مؤمنين أو كفارا، وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم، لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه »^(١) .

ويقول التجاني: « إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقا في جميع الوجود جملة وتفصيلا، حيثما كان الرب إلهًا، كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه ألوهية الله - تعالى - فلا يصل إلى الخلق شيء كائنا ما كان من الحق إلا بحكم القطب، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود، فترى الكون كله أشباحا لا حركة، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا، ثم تصرفه في مراتب الأولياء، فلا

(١) البواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر لابن عربي (٨٣/٢).

تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه، فهو المتصرف فيها جميعا، والممد لأربابها، به يرحم الوجود، وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد وجوده في الوجود»^(١).

ومن نظر في كثير مما يزعمه المتصوفة كرامات للأولياء يجدها من هذا الجنس^(٢).

فاعتقاد ذلك مخالف لاعتقاد السيادة لله - تبارك تعالى .

٣- وجوب إفراده - جل وعلا - بالعبادة، فإنه إذا كان سيد كل شيء وربّه ومليكه وخالقه ورازقه، وكل شيء تحت تصرفه وتقديره، فإنه يمتنع حينئذ أن يعبد غيره، أو يسأل غيره، أو يرجى غيره، أو يتوكل على غيره ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣).

فمن صرف شيئا من أنواع العبادة من توكل ودعاء واستغاثة واستعانة وذبح ونذر وحلف وغير ذلك، فقد خالف مقتضى هذه السيادة، وجعل السيادة لغير الله - تعالى - .

وكثير من الناس في هذا العصر قد صرفوا كثيرا من أنواع العبادة لغير الله - تعالى - وهم - بزعمهم - يعتقدون أنهم فعلوا ذلك لهذا الأمر، وحال هؤلاء حال من قال الله - تعالى - فيهم ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ

(١) جواهر المعاني (٢/٨٠).

(٢) انظر على سبيل المثال: طبقات الأولياء لابن الملقن (ص ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٧٢)، سير الأولياء في القرن السابع الهجري (ص ٧٣، ٩٧)، طبقات الصوفية الكبرى للشعراني (٢/٨٨) (١٠١/٢) (١٠٦/٢)، جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١/٢٦١) (٢/٨٤) (٢/٢٤٤) (٢/٢٥٤) (٢/٢٧٥) (٢/٢٨٦) (٢/٤٣٦).

(٣) الزمر، آية (٦٣).

هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ومن أخبر الله - تعالى - عنهم بقوله: ﴿الَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ﴿٢﴾ .
فالمشركون الأوائل ما عبدوا غير الله إلا لأجل أنهم يعتقدون أنهم ليسوا
أهلاً لعبادة الله - تعالى - من غير واسطة .

٤- وجوب إفراده - جل وعلا - بالأسماء الحسنى والصفات العلى،

كما قال - تعالى -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٣﴾، وكما قال - تعالى -:
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤﴾، وقال - تعالى -: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٥﴾، وقال -
تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦﴾، وقال - تعالى -: ﴿رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٧﴾ إلى غير
ذلك من الآيات الدالة على هذا الأمر .

وعليه، فالمعطلة الذين يعطلون الله - تعالى - عما ثبت له من الأسماء

الحسنى والصفات العلى، ما قالوا بسيادة الله - تعالى - لأن تعطيله عنها إثبات

(١) يونس، آية (١٨).

(٢) الزمر، آية (٣).

(٣) الشورى، آية (١١).

(٤) الأعراف، آية (١٨٠).

(٥) طه، آية (٨).

(٦) النحل، آية (٦٠).

(٧) مريم، آية (٦٥).

للنقص، والنقص ينافي السيادة أو كماها .

والمثلة الذين مثلوا الله - تعالى - بخلقه، ما أنبتوا السيادة لله - تعالى -

لأن التمثيل بالخلق نقص، إذ الخلق سمته النقص .

٥- وجوب جعل شرعه هو الحاكم والسيد على كل أمر، فالحكم لله -

تعالى - وحده، فالأمر أمره، والنهي فميه، وأما التحاكم إلى غيره، فهو قدح في

هذه السيادة .

فمن جعل غير شرع الله حاكما يتحاكم إليه، فقد اتخذ سيذا غير الله،

فالذين يجعلون العقول حاكمة على شرع الله - تعالى - ماقدروا هذه السيادة حق

قدرها، والذين يتحاكمون إلى القوانين الوضعية الشيطانية، أعطوا هذه القوانين

السيادة، والذين يقدمون آراء الرجال، ويقلدون الآباء والشيوخ والأحبار

والرهبان، ما جعلوا الله - تعالى - سيذا، وإنما جعلوا السيادة للمتبعين .

قال - تعالى - مخبرا عن أهل النار: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا

فَاضْلَوْنَا سَبِيلًا ﴾^(١)

قال - تعالى - : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

وقال - تعالى - : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾^(٢) .

وقال - تعالى - : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

إلى غير ذلك من الآثار الجليلة التي دل عليها هذا الاسم .

(١) الأحزاب، آية (٦٧).

(٢) الشورى، آية (٢١).

المبحث الرابع: حكم دعاء الله - تعالى - بـ " ياسيدي "

كره الإمام مالك (ت ١٧٩) - رحمه الله تعالى - الدعاء بهذا اللفظ^(١)، وقال: « إنما في القرآن ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾، ما في القرآن أحبُّ إلي؛ ودعاءُ الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - »^(٢).

وكراهة الإمام مالك - رحمه الله تعالى - للدعاء بهذا الاسم؛ لكون هذا الاسم مما لم يثبت عنده؛ حيث لم يعده اسماً من أسماء الله - تعالى - .
فالأصل الذي بنى عليه الإمام مالك - رحمه الله تعالى - كراهته للدعاء بهذا الاسم، أصل صحيح، وهو أنه لا يدعى الله - تعالى - إلا بأسمائه الحسنى، وأسمائه - جل وعلا - توقيفية، غير أن هذا الاسم - على الصحيح من أقوال العلماء - ثابت، وعليه فيجوز دعاء الله - تعالى - به، والله - تعالى - أعلم .

(١) انظر: البيان والتحصيل لابن رشد (١/٤٥٦)، إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض

(٧/١٨٩)، إكمال إكمال المعلم (٦/٦٢)، مكمل إكمال إكمال المعلم (٦/٦٢).

(٢) عمدة القاري (٩/١١).

الفصل الثالث: تعلقه بالمخلوقين

المبحث الأول: حكم إطلاقه على المخلوقين

جاءت نصوص دالة على جواز إطلاق السيد على المخلوقين، وجاءت

أحاديث فهم منها بعض العلماء النهي عن ذلك .

وقد تعددت أقوال العلماء في كيفية الجمع بينها، وسأذكر هنا - أولاً -

أدلة الجواز، فأدلة المنع، ثم أقوال العلماء في الجمع بينها، والراجح في نظري:

أولاً: أدلة الجواز:

١- قوله - تعالى -: ﴿ وَالْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾^(١) .

٢- قوله - تعالى -: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٢) .

فقد احتج الإمام مالك - رحمه الله تعالى - على الجواز بهاتين الآيتين^(٣) .

وقال الجصاص - رحمه الله تعالى -: « وقوله تعالى: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا

مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يدل على أن غير الله - تعالى - يجوز أن يسمى بهذا الاسم؛ لأن

الله - تعالى - سمي يحيى سيداً^(٤) .

٣- قوله - ﷺ -: « أنا سيد ولد آدم^(٥) » .

(١) يوسف، آية (٢٥).

(٢) آل عمران، آية (٣٩).

(٣) انظر: عمدة القاري (١١/٨ - ٩).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٩٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٢١٥) رقم (٣١٦٢)، و(٤/١٧٤٥) رقم (٤٤٣٥)،

ومسلم في صحيحه (١/١٨٤).

- ٤- قول النبي - ﷺ - في حق سعد بن معاذ - ﷺ -: « قوموا لسيدكم »^(١) .
- ٥- قوله - ﷺ - في حق سعد بن عبادَةَ: « اسمعوا إلى ما يقول سيدكم، إنه لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير مني »^(٢) .
- ٦- قوله - ﷺ - في الحسن بن علي - رضي الله عنهما -: « إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين طائفتين من المسلمين »^(٣) .
- ٧- وقوله - ﷺ -: « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة »^(٤) .

- (١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٠٧/٣) رقم (٢٨٧٨) و(١٥١١/٤) رقم (٣٨٩٥) و(٢٣١٠/٥) رقم (٥٩٠٧)، ومسلم في صحيحه (١٣٨٨/٣) رقم (١٧٦٨) .
- (٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١١٣٥/٢) رقم (١٤٩٨) .
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٦٢/٢) و(١٣٢٨/٣) و(١٣٦٩/٣) و(٢٦٠٢/٦) .
- (٤) أخرجه الترمذي في جامعه (٣٣٩/٤)، والإمام أحمد في المسند (٣/٣) رقم (١١٠٠٢)، وفي فضائل الصحابة (٧٧٩/٢) رقم (١٣٨٤)، والحاكم في المستدرک (١٨٢/٣)، وأبو نعيم في الحلية (٧١/٥)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢٠٧/٤) و(٩٠/١١) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري .
- قال الترمذي: (حديث حسن صحيح) .
- وقال الحاكم: (قد صح من أوجه كثيرة، وأنا أتعجب من أنهما لم يخرجاه) .
- وأخرجه الترمذي في جامعه (٦٦٠/٥) رقم (٣٧٨١)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٠/٥) رقم (٨٢٩٨) و(٩٥/٥) رقم (٨٣١٥)، وأحمد في المسند (٣٩٢/٥) رقم (٢٣٣٧٨)، وابن حبان في صحيحه (٤١٣/١٥) رقم (٦٩٦٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٨/٣) رقم (٢٦٠٩)، وفي المعجم الأوسط (٢٣٨/٦) رقم (٦٢٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (١٩٠/٤)، والحاكم في المستدرک (٤٢٩/٣) رقم (٥٦٣٠) كلهم من حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله تعالى عنه .
- قال الترمذي: (حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل) .
- وقال الألباني: (وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير ميسرة بن حبيب، وهو ثقة) .

- ٨- قوله - ﷺ -: « أبو بكر وعمر سيذا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين » (١).
- ٩- قوله - ﷺ -: « إذا نصح العبد سيده، وأحسن عبادة ربه، كان له أجره مرتين » (٢).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٨/١) رقم (١٠٠)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٠/١٥) رقم (٦٩٠٤)، والدولابي في الكنى والأسماء (١٢٠/١) من حديث أبي جحيفة - رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذي في جامعه (٦١٠/٥) رقم (٣٦٦٤)، والطبراني في الأوسط (٦٨/٧) رقم (٦٨٧٣)، وفي الصغير (١٧٣/٢)، والضياء المقدسي في المختارة (٢٤٤/٦) رقم (٢٢٦٠) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه .

قال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه) .

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥٩/٤) رقم (٤٤٣١)، والبزار في مسنده (١٣٢/٢) رقم (٤٩٠) من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - .

وأخرجه عبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة (١٨٨/١) رقم (٢٠٠) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه .

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢١٦/١٤ - ٢١٧) من حديث ابن عباس - رضي الله عنه .

وأخرجه الترمذي في جامعه (٦١١/٥) رقم (٣٦٦٥)، وابن ماجه في سننه (٣٦/١) رقم (٩٥)، والطبراني في الأوسط (٣٥٩/٤) رقم (٤٤٣١)، والبزار في مسنده (٦٧/٣) رقم (٨٣١)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٤٠٥/١) رقم (٥٣٣) من طرق عن علي - رضي الله عنه .

قال الألباني - رحمه الله تعالى -: (وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب، إلا من بعض طرقه حسن لذاته) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٠٠ / ٢) رقم (٢٤١٢) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - .

- ١٠ - قوله - ﷺ -: « المملوك الذي يحسن عبادة ربه، ويؤدي إلى سيده الذي له عليه من الحق والنصيحة والطاعة، له أجران »^(١) .
- ١١ - قوله - ﷺ -: « نعم ما لأحدهم يحسن عبادة ربه، وينصح لسيده »^(٢) .
- ١٢ - قوله - ﷺ -: « لا يقل أحدكم: أطعم ريك، وضئ ريك، اسق ريك، وليقل: سيدي مولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي أمي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي »^(٣) .
- ١٣ - قوله - ﷺ -: « كلكم راع فمسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »^(٤) .
- ومن الأدلة - أيضا - ما جاء عن صحابة رسول الله - ﷺ - ومن ذلك :
- ١ - قول عمر لأبي بكر - رضي الله عنهما - يوم السقيفة بمشهد من أبي بكر وغيره من المهاجرين والأنصار: « بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله - ﷺ - »^(٥) ولم ينكر أحد على عمر . - ﷺ - .
- ٢ - قول عمر - ﷺ -: «أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا» يعني بلالا^(٦) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٠١/٢) رقم (٢٤١٣) من حديث أبي موسى الأشعري .
 (٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٠٠/٢) رقم (٢٤١١) من حديث أبي هريرة .
 (٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٠١/٢) رقم (٢٤١٤) من حديث أبي هريرة .
 (٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٠١/٢) رقم (٢٤١٦) من حديث أبي هريرة .
 (٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٤١/٣) رقم (٣٤٦٧) .
 (٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٧١/٣) رقم (٣٥٤٤) .

ثانيا: أدلة المنع:

أولا: حديث عبد الله بن الشخير - رضي الله عنه - حيث قال: « انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا: أنت سيدنا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «السيد الله» قلنا: فأفضلنا فضلا، وأعظمتنا طولا، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «قولوا بقولكم أو ببعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»^(١)

ثانيا: حديث أنس - رضي الله عنه - وهو أن رجلا قال للنبي: يا خيرنا وابن خيرنا، وباسيدنا وابن سيدنا، فقال رسول الله: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستفزنكم الشيطان، أنا عبد الله ورسوله»^(٢)

ثالثا: قوله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقولوا للمنافق: سيد، فإنه إن يك سيدا، فقد أسخطتم ربكم»^(٣).

(١) سبق تحريجه .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧١/٦) رقم (١٠٠٧٨)، وأحمد في مسنده (١٥٣/٣) رقم (١٢٥٧٣) وعبد بن حميد في مسنده كما في المنتخب (٣٩٠/١) رقم (١٣٠٩) و(٣٩٧/١) رقم (١٣٣٧)، وابن حبان في صحيحه (١٣٣/١٤) رقم (٦٢٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٢/٦)، والضياء في المختارة (٢٥/٥) رقم (١٦٢٦) كلهم من طريق حماد بن سلمة. قال الضياء: (إسناد صحيح).

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧١/٦) رقم (١٠٠٧٩) من طريق حماد بن سلمة قال: حدثنا ثابت وحميد عن أنس .

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٦/٤) رقم (٤٨٧١)، والضياء في المختارة (٩٥/٦) - ٩٦) رقم (٢٠٨٠) كلاهما من طريق حماد بن سلمة قال: حدثنا حميد عن أنس . قال الحافظ ابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٢٨٨) : (إسناده صحيح على شرط مسلم).

(٣) روا أبو داود في سننه (٢٩٥/٤) رقم (٤٨٨٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٠/٦) رقم (١٠٠٧٣)، وأحمد في مسنده (٣٤٦/٥ - ٣٤٧) رقم (٢٢٩٨٩)، والبخاري في الأدب =

أقوال العلماء في هذه الأدلة:

١- ذهب طائفة من العلماء إلى القول بمنع إطلاق ذلك على المخلوقين، أخذوا بالأدلة الدالة على ذلك، ورأوا أن حديث عبد الله بن الشخير ناسخ لما سواه من الأحاديث؛ لأن هذا الحديث كان عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة .

مناقشة هذا القول:

هذا القول متعقب بأمور:

الأول: أن أحاديث المنع مقابلة بمثلها، وهي الأحاديث الدالة على الجواز .

الثاني: أن دعوى النسخ تحتاج إلى دليل، ولا دليل يدل على ذلك، وأما كون حديث عبد الله بن الشخير يعد هو الناسخ؛ لكونه عام الوفود، فلربما تكون بعض الأحاديث بعد ذلك .

= المفرد (ص ٢٧٦) رقم (٧٦٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١٨١) رقم (٣٩١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٤٧/١٥) رقم (٥٩٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٩/٤) رقم (٤٨٨٣)، وابن حزم في المحلى (٢١٩/١١) كلهم من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن بريدة عن النبي - صلى الله عليه وسلم . وهذا إسناد صحيح كما قال ذلك المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٣٥٩) .

وأخرجه نعيم بن حماد في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٨٦) من طريق ابن حوط عن قتادة به بلفظ: (إذا قال الرجل للمنافق سيذا، فقد أهان الله) .

ورواه الحاكم في المستدرک (٣٤٧/٤) رقم (٧٨٦٥)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١٩٨/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣١٢/٤) رقم (٥٢٢٠)، والخطيب في تاريخ

بغداد (٤٥٤/٥) من طريق عقبة بن عبد الله بن الأصم عن عبد الله بن بريدة به .

قال الحاكم: (حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه) وتعقبه الذهبي بقوله: (عقبة ضعيف).

الثالث: أن حديث النهي عن قول ذلك للمنافق، لا يدل على منع قولها لمن ليس كذلك .

٢- النهي عنه في المخاطبات، كقول القائل: ياسيدي، وأما ذكره مع عدم الخطاب فهذا لا ينهي عنه^(١) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: « وقد كان بعض أكابر العلماء يأخذ بهذا، ويكره أن يخاطب أحدا بلفظه أو كتابه بالسيد »^(٢) .
وهذا القول ذكره الحافظ ابن حجر عن الإمام مالك بن أنس^(٣) - رحمه الله تعالى .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٨٥): « وأما استدلالهم بقول النبي - ﷺ -: « قوموا إلى سيدكم » فالظاهر أن النبي - ﷺ - لم يواجه سعدا به »^(٤) .

قالوا: لأن المخاطب ربما يكون في نفسه عجب وعلو، ولما يلحق القائل من الذل والخضوع^(٥) .

وهذا القول متعقب بالأحاديث التي فيها الأمر بالمخاطبة بهذا اللفظ، كقوله - ﷺ -: « وليقل: سيدي ومولاي ».

٣- حمل النهي على إطلاقه على غير المالك، والإذن بإطلاقه على المالك، وقد اختار هذا القول ابن حجر^(٦) - رحمه الله تعالى .

(١) انظر: تكملة فتح الملهم شرح صحيح مسلم لمحمد تقي العثماني (٤/٤١٦).

(٢) فتح الباري (٥/١٧٩).

(٣) انظر: فتح الباري (٥/١٧٩).

(٤) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (٢/٨٣٩).

(٥) انظر: القول المفيد (٣/٢٨٠).

(٦) انظر: فتح الباري (٥/١٧٩).

وحجة هؤلاء هي النصوص الواردة في توجيه الممالك إلى ذلك .
وهذا القول متعقب بالأحاديث التي فيها توجيه هذا القول من غير
الممالك، كحديث سعد بن معاذ، وحديث الحسن والحسين سيدا شباب أهل
الجنة، وغيرها من الأحاديث .

٤- حمل النهي على إطلاقه على المالك، وجواز إطلاقه على غيره، فهو
عكس القول السابق .

وحجة هؤلاء أنه إذا أطلق على المالك، فلربما انصرف الذهن إلى
الله - تعالى^(١) .

وهذا القول متعقب بالأحاديث التي فيها الإذن بذلك للمالك، كقوله:
« وليقل: سيدي ومولاي » .

قيل للإمام مالك - رحمه الله تعالى - : « هل كره أحد بالمدينة قوله لسيدته:
يا سيدي ؟ قال: لا »^(٢) .

٥- حمل النهي عن ذلك على الكراهة الترتيبية على سبيل الأدب،
والأدلة الأخرى دالة على الجواز^(٣) .

وهذا القول متعقب بأمرين:
الأول: كثرة الأحاديث الدالة على كثرة الاستعمال، فلو كان الأدب
بجلاؤها، لما كثرت هذه الكثرة، ولما وجه النبي - ﷺ - الممالك إلى قول ذلك،
بل إنه - ﷺ - عدل بالممالك إلى قول هذا اللفظ عن قول الألفاظ الأخرى
المستبشعة في حق المخلوق نحو: (ربي) .

(١) انظر: فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد للحيلاني (١/٣٠٠) .

(٢) انظر: عمدة القاري للعيبي (٨/١١) .

(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٣/٢١٣)، الفروع لابن مفلح (٣/٥٦٨)، إبطال التنديد

لابن عتيق (ص ١٦٧) .

الثاني: قال الشيخ سليمان بن حمدان - رحمه الله تعالى -: « قال في إبطال التنييد: وهذان الحديثان دليل على الأدب مع الله - عز وجل -، وقوله: « أنا سيد ولد آدم» وشبهه دليل على الجواز، فأقول: إذا كان الحديثان دليلاً على الأدب مع الله - عز وجل - فما الذي أجاز سوء الأدب ومخالفة الأحاديث الصحيحة ؟ .

أما الاستدلال على جواز سوء الأدب بقوله - ﷺ -: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، فلا يدل على الجواز؛ لأن هذا إخبار منه - ﷺ - عما فضله الله به على البشر، تحدثاً بنعمة الله - تعالى - عليه، عملاً بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١)» (٢)

٦- حمل النهي عن اتخاذ ذلك عادة شائعة؛ لأنها ربما أورثت كبراً، وحمل الجواز على استعمال ذلك في النادر (٣) .

وهذا القول متعقب بتوجيه النبي - ﷺ - - المالك إلى قول ذلك، ومعلوم أن كون المالك يقولون ذلك، يعني أنه سيكون عادة شائعة .

المناقشة والترجيح:

بعد النظر في الأقوال السابقة وأدلة كل فريق ظهر لي جواز إطلاق ذلك على المخلوق بشروط:

أحدها: عدم إرادة أي معنى من معاني الربوبية أو الألوهية، فإذا أريد شيء من ذلك فلا .

ومن ذلك: أن يلمح في هذا اللفظ معنى السيادة العامة على جميع الخلق.

(١) الضحى، آية (١١).

(٢) الدر النضيد (ص ٣٣٦ - ٣٣٧).

(٣) انظر: فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد لفضل الله الجليلي (١/٣٠٠).

وبه يوجه قوله - ﷺ - لما خوطب بالسيادة: ((السيد الله))، فإنه لما كان التعريف بأل يفيد ذلك، منع من ذلك، ووجههم لما هو أحسن .
وأما إذا لم يلمح ذلك فلا مانع من إطلاقه؛ لإطلاق القرآن ذلك في حق يحيى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - ولإطلاقه - ﷺ - هذا اللفظ على بعض الناس، كما في الأحاديث السابقة .

قال الشيخ حسين (ت ١٢٢٤) وعبد الله (ت ١٢٤٣) ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله تعالى -: ((قول: سيدي ونحوه، إن قصد به أن ذلك الرجل معبوده الذي يدعو عند الشدة لتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، فإن ذلك شرك أكبر، وأما إن كان مراده غير ذلك، كما يقول التلميذ لشيخه: سيدي، أو يقال للأمير والشريف، أو لمن كان من أهل بيت رسول الله - ﷺ -: هذا سيد، فلا بأس به، ولكن لا يجعل عادة وسنة بحيث لا يتكلم إلا به))^(١) .

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن (ت ١٢٩٢) - رحمه الله تعالى - لما سئل عن حكم إطلاقه على المخلوق: ((هذه الألفاظ تستعملها العرب على معان كسيادة الرئاسة والشرف... فإطلاق هذه الألفاظ على هذا الوجه معروف لا ينكر، وفي السنة من ذلك كثير، وأما إطلاق ذلك في المعاني المحدثه كمن يدعي أن السيد هو الذي يدعى ويعظم... فهذا لا يجوز، بل هو من أقسام الشرك))^(٢) .

وقال الشيخ محمد بشير السهسواني (ت ١٣٢٦) - رحمه الله تعالى -: ((فالنهي عن إطلاق السيد والمولى على غير الله محمول على السيد والمولى بمعنى الرب، والرخصة محمولة عليهما بمعنى آخر من سائر المعاني))^(٣) .

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤٥/١).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢٠٨/٣).

(٣) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص ٥٤١).

ويقول صديق حسن خان (ت ١٣٠٧) - رحمه الله تعالى -: « ولفظ

السيد له معنيان:

أحدهما: أن السيد هو الذي يكون مالكا مختارا بنفسه وحده، ولا يكون محكوما عليه من أحد، بل يكون حاكما مستقلا بذاته كشأن الملوك في الدنيا، فهذا الأمر إنما هو شأن الله - تعالى - ليس غيره سييدا بهذا المعنى .

وثانيهما: أن السيد رعوي لآخر، ولكن له فضل على عامة الرعايا، ممتاز منهم بالمزايا، ينزل إليه حكم الحاكم أولا، ثم يبلغ إليهم من لسانه وبواسطته ... فالنبي بهذا المعنى سيد لأمته، والإمام سيد أهل عصره ... فإن هؤلاء الكبار يتمسكون بحكم الله - تعالى - أولا بأنفسهم، ثم يبلغونه إلى أصاغرهم ويعلمونهم .

وهكذا نبينا - ﷺ - سيد أهل العالم أجمعهم وأكتنهم وأبصعهم، ومرتبته عند الله - عز وجل - أعلى من الجميع، وأكبر من الكل، وهو - ﷺ - أقوم الخلق، وأكبرهم في القيام بأحكام الله - تعالى - وكل الناس محتاجون إليه في تعلم سبيل الله وشرائعه .

وعلى هذا يصح أن يقال له: سيد العالم، بل يجب أن يعتقد فيه هذه السيادة العامة الشاملة للجميع .

وأما بناء على الأول، فليس هو - ﷺ - سيد ثمة واحدة، فضلا عن غيرها؛ لأنه - عليه السلام - لا يقدر على التصرف في ثمة من تلقاء نفسه»^(١).

ثانيها: كون الموصوف بذلك أهلا للسيادة، أما إذا لم يكن أهلا لها فلا .
ودليل هذا: حديث النهي عن القول للمناقق ياسيد .

قال العلامة النووي (ت ٦٧٦) - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر بعض

(١) الدين الخالص (٢/٢٢١).

الأحاديث الدالة على الجواز وبعض الأحاديث الدالة على المنع: « والجمع بين هذه الأحاديث أنه لا بأس بإطلاق: فلان سيد، ويسيدي، وشبه ذلك، إذا كان المسود فاضلا خيرا، إما بعلم، وإما بصلاح، وإما بغير ذلك، وإن كان فاسقا، أو متهما في دينه، أو نحو ذلك، كره أن يقال: سيد»^(١).

وذكر العلامة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله تعالى - أن إطلاق ذلك على المخلوق يجوز بشرط «أن يكون الوجه إليه السيادة أهلا لذلك، أما إذا لم يكن أهلا، كما لو كان فاسقا أو زنديقا فلا يقال له ذلك، حتى ولو فرض أنه أعلا منه مرتبة أو جاها ... فإذا كان أهلا لذلك، وليس هناك محذور، فلا بأس به، وأما إن خشى المحذور، أو كان غير أهل فلا يجوز»^(٢).

٣- انتفاء المفسدة، فإن كانت المفسدة في الخطاب منع من ذلك، وإن كانت المفسدة في قولها وإن لم يكن موجهها له الخطاب كأن يكون بضمير الغيبة منع منه، وإن كان يخشى من المفسدة؛ للغلو أو التدرج فيه، منع من ذلك، فالحكم يدور مع علته وجودا وعدما .

ودليل هذا هو إنكار النبي - ﷺ - ذلك في حديث عبد الله بن الشخير، حيث كان مخاطبا به؛ فإن ذلك العام كان عام وفود، والناس كانوا حديثي عهد بكفر وجاهلية، والغلو فيهم فاش، فلخشيتهم - ﷺ - من الغلو فيه أو التدرج في ذلك فهاهم عن ذلك .

(١) الأذكار النووية (ص ٣١١١-١٢).

(٢) القول المفيد (٣/٢٨٠).

المبحث الثاني: سيادة النبي - ﷺ

المطلب الأول: سيادته في الدنيا والآخرة

لقد جاء في الحديث عن النبي - ﷺ - أحاديث تدل على سيادته - ﷺ -

ومن هذه الأحاديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « أتي رسول الله ﷺ بلحم، فرفع إليه الذراع -

وكانت تعجبه - فنهس منها نهمسة، ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل

تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعونهم

الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا

يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من

يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم فيأتون آدم عليه

السلام، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه،

وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى

إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله

ولن يغضب بعده مثله، وإنه هاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي،

اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا، فيقولون: يا نوح إنك أنت أول

الرسول إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى

إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي - عز وجل - قد غضب اليوم غضبا لم يغضب

قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي

نفسى نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، يأتون إبراهيم فيقولون:

يا إبراهيم أنت نبي الله وخليته من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى

ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن

يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنبا - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد - ﷺ - فيأتون محمدا - ﷺ - فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي - عز وجل - ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»^(١).

قال القاضي عياض (ت ٥٤٤) - رحمه الله تعالى -: «هو سيدهم - ﷺ -

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/١٧٤٥ - ١٧٤٦) رقم (٤٤٣٥)، ومسلم في صحيحه (١/١٨٤ - ١٨٥) رقم (١٩٤).

في الدنيا والآخرة، لكن خصص القيامة لارتفاع دعوى السؤدد فيها، وتسليم الكل له ذلك، وكون آدم ومن ولد تحت لوائه، كما قال - تعالى -: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١) أي: انقطعت دعاوى الدعاة في الملك ذلك اليوم، وبقي الملك لله وحده، الذي قهر جميع الجبابرة والمدعين الملك وأفناهم، ثم أعادهم وحشرهم عرابة فقراء إليه»^(٢).

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر معاني السيادة: «وقد تحقق كمال تلك المعاني كلها لنبينا محمد - ﷺ - في ذلك المقام الذي يحمده ويفبطه فيه الأولون والآخرون، ويشهد له بذلك النبيون والمرسلون، وهذه حكمة عرض الشفاعة على خيار الأنبياء، فكلهم تبرأ منها ودل على غيره، إلى أن بلغت محلها، واستقرت في نصابها»^(٣).

وقال النووي - رحمه الله تعالى -: (وأما قوله - ﷺ -: «يوم القيامة» مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة، فبسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد، ولا يبقى منازع ولا معاند ونحوه، بخلاف الدنيا، فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من معنى قوله - تعالى -: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ مع أن الملك له - سبحانه - قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعى الملك أو من يضاف إليه مجازاً، فانقطع كل ذلك في الآخرة»^(٤).

(١) غافر، آية (١٦).

(٢) إكمال المعلم بوفائد مسلم للقاضي عياض (١/٥٨٢٢-٨٣)، وانظر: شرح النووي على مسلم (٣/٦٦)، و(١٥/٣٧)، فتح الباري (٦/٣٧٢).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/٤٢٦).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٥/٣٧)، وانظر: شرح الطيبي لمشكاة المصابيح (١١/٣٦٣٢)، =

وقال العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠) - رحمه الله تعالى -: « السيد: من اتصف بالصفات العلية والأخلاق السنية، وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين .
أما في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق العظيمة .

وأما في الآخرة، فلأن الجزاء مرتب على الأخلاق والأوصاف، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات، فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات»^(١) .

وقال المناوي (ت ١٠٣١) - رحمه الله تعالى -: « قوله: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» خصه لأنه يوم مجموع له الناس، فيظهر سؤدده لكل أحد عيانا، ووصف نفسه بالسؤدد المطلق المفيد للعموم في المقام الخطابي على ما تقرر في علم المعاني، فيفيد تفوقه على جميع ولد آدم حتى أولوا العزم من الرسل واحتياجهم إليه ... وتخصيصه ولد آدم ليس للاحتراز، فهو أفضل حتى من خواص الملائكة كما نقل الإمام عليه الإجماع ومراده إجماع من يعتد به من أهل السنة»^(٢) .

فقد بين النبي - ﷺ - وجه كونه سيد الناس يوم القيامة، حيث إنه بين أن أفضل الرسل تأخروا عن هذه الرتبة الشريفة والمقام المحمود، الذي هو الشفاعة لأهل الموقف كلهم، حتى بلغت النبي - ﷺ - .

= مهجة المحافل وبغية الأمائل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل للعامري بشرح جمال

الدين الأشخر اليميني (١٨٩/٢).

(١) بداية السؤل في تفضيل الرسول (ص ٣٤).

(٢) فيض القدير للمناوي (٤١/٣).

المطلب الثاني:

في بيان أنه - ﷺ - لم يخبر بسيادته على وجه الفخر

كونه سيد الناس، وسيد ولد آدم - لم يرد بذلك فخرا، حيث نفاه - ﷺ - بقوله: «ولا فخر» .

قال الحافظ النووي - رحمه الله تعالى - : « قال العلماء: وقوله - ﷺ - : أنا سيّد ولد آدم، لم يقله فخرا، بل صرح بنفي الفخر في الحديث المشهور: «أنا سيّد ولد آدم ولا فخر» وإنما قاله لوجهين:

أحدهما: امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(١) .

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تليغه إلى أمته؛ ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه - ﷺ - بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله - تعالى^(٢) .

وقال العز بن عبد السلام - رحمه الله تعالى - : «وإنما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : أنا سيّد ولد آدم، لتعرف أمته منزلة من ربه - عز وجل^(٣) .

وقال المناوي - رحمه الله تعالى - : «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، أي أقول ذلك شكرا لا فخرا، فهو من قبيل قول سليمان - عليه الصلاة والسلام - : ﴿عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾^(٤) أي لا أقوله تكبرا وتفاخرا وتعازما على الناس .

وقيل: لا أتكبر به في الدنيا، وإلا ففيه فخر الدارين .

وقيل: لا أفخر بذلك، بل فخري بمن أعطاني هذه الرتبة .

(١) الضحى، آية (١١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣٧/١٥)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (٤١٧/٢).

(٣) بداية السؤل في تفضيل الرسول (ص ٢٤).

(٤) النمل، آية (١٦).

والفخر: ادعاء العظمة والمباهاة، وهذا قاله للتحديث بالنعمة وإعلاما للأمة ليعتقدوا فضله على جميع الأنبياء»^(١).

المطلب الثالث:

في بيان شمولية سيادته لآدم - ﷺ - وبنيه

إن سيادة النبي - ﷺ - لبني آدم شاملة لآدم - ﷺ - وبنيه، وما جاء في حديث «أنا سيد ولد آدم» لا ينفي كونه سيدا لآدم، يدل على هذا اللفظ الآخر للحديث «أنا سيد الناس يوم القيامة» والناس يدخل فيهم آدم عليه السلام .
وقد بين النبي - ﷺ - بم صار سيدهم، وهو إتيان الناس لآدم فمن بعده من الأنبياء ليشفعوا لهم، فيتأخروا عنها، حتى تكون النوبة لمحمد - ﷺ - فيتولى أمرها، ويقوم بها، وَيُشْفَعُ وَيُشْفَعُ .

قال العلامة السندي (ت ١١٣٨) - رحمه الله تعالى -: « قالوا في حديث: أنا سيد ولد آدم: إن الاسم يشمل آدم أيضا والله تعالى أعلم »^(٢) .
وهذا هو الظاهر، ويدل عليه الحديث الآخر، وهو قوله - ﷺ -: « أنا سيد الناس يوم القيامة » ثم ذكر - ﷺ - بم صار سيدهم، وهو إتيان الناس آدم فمن بعده من الرسل ممن ذكروهم، وتأخروهم عن الشفاعة، حتى شفّع فيهم محمد - ﷺ .
ويدل عليه - أيضا - قوله - ﷺ - في حديث أبي سعيد الخدري - ﷺ -: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وييدي لواء الحمد، ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي »^(٣) .

(١) فيض القدير (٤٢/٣)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (٤١٧/٢)، شرح الشفا لملا علي قاري (٥٨٧/٢).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١٨١/١).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه (٣٠٨/٥) رقم (٣١٤٨) و(٥٨٧/٥) رقم (٣٦١٤) وقال: =

المطلب الرابع:

في بيان تحريم إطلاق لفظ (سيد ولد آدم) أو (سيد الناس)

أو (سيد الكل) ونحوها على أحد غير النبي - ﷺ .

إن مما اختص الله - تعالى - به نبيه محمداً - ﷺ - وفضله به على سائر الناس: كونه سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة^(١)، فهذه الميزة لا يشركه فيها أحد، وعليه، فلا يجوز منازعته - ﷺ - في الخصيصة، وذلك بوصف أحد بها. قال ابن القيم (ت ٧٥١) - رحمه الله تعالى -: « وكذلك تحريم التسمية بسيد الناس، وسيد الكل، كما يحرم سيد ولد آدم، فإن هذا ليس لأحد إلا لرسول الله - ﷺ - وحده، فهو سيد ولد آدم، فلا يحل لأحد أن يطلق على غيره ذلك »^(٢).

وقد ذكر الحافظ السيوطي (ت ٩١١) - رحمه الله تعالى - أن (السيد) من أسماء النبي - ﷺ - وبين معناه، فقال: « وهو الرئيس الذي يتبع وينتهي إلى قوله، وقيل: السيد في الدين، وقيل: الحسن الخلق، وقيل: الذي يطيع ربه، وقيل: الفقيه العالم، وقيل: الذي ساد في العلم والعبادة والورع، وقيل: الحليم، وقيل: التقي، وقيل: الذي لا يغضب، وقيل: الكريم على الله، وقيل: الكبير، وقيل: الذي لا يحسد، وقيل: المطاع، وقيل: الذي يفوق أقرانه في كل شيء من الخير، وقيل: القانع بما قسم له، وقيل: الراضي بقضاء الله، وقيل: المتوكل على الله، وقيل: الذي عظمت همته أن يحدث نفسه بدار الدنيا » ثم قال: « ونبينا -

= (هذا حديث حسن صحيح).

(١) انظر: المواهب اللدنية للقسطاني (٤/٦١٧)، مرشد المختار إلى خصائص النبي المختار لابن طولون (ص ٣٩٤).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص ١١٥).

ﷺ - بالصفات المذكورة كلها»^(١).

وعليه فإنه - صلى الله عليه وسلم - قد حاز معاني السيادة كلها، فليست تجتمع لأحد غيره، فلا يسوغ حينئذ أن يطلق على أحد غيره مثل هذه الألفاظ .

(١) الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة (ص ١٧٧).

المبحث الثالث: إطلاق لفظ السيدة على المرأة

لقد جاءت نصوص كثيرة صحيحة تدل على جواز إطلاق هذا اللفظ على المرأة، ومن هذه النصوص:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «أقبلت فاطمة تمشي، كأن مشيتها مشي النبي - ﷺ - فقال النبي ﷺ: مرحبا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا؛ فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثا؛ فضحكت، فقلت: ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن، فسألتهما عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ، فسألتهما، فقالت: أسر إلي إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أرى إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي، فبكت فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك» (١).

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس، فركب نبي الله ﷺ، وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر وإن ركبتني لتمس فخذ نبي الله ﷺ، ثم حسر الإزار عن فخذيه حتى إني أنظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، قالها ثلاثا، قال: وخرج القوم إلى أعمامهم، فقالوا: محمد والخميس يعني الجيش، قال: فأصبناها عنوة، فجمع السبي، فجاء دحية، فقال: يا نبي الله أعطني جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٢٦/٣) رقم (٤٣٢٦)، و(٢٣١٧/٥) رقم (٥٩٢٨)، ومسلم في صحيحه (١٩٠٤/٤) رقم (٢٤٥٠) و(١٩٠٥/٤) رقم (٢٤٥٠).

تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها، فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ، قال: خذ جارية من السبي غيرها، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ -: « لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، ولا يقولن المملوك: ربي وربتي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون، والرب: الله عز وجل»^(٢).

فهذه النصوص دالة على جواز إطلاق هذا اللفظ على المرأة، وإطلاق هذا اللفظ على المرأة مقيد بما قيد به إطلاقه على الرجل، فلا يجوز إطلاقه على المنافقة والكافرة والمبتدعة ونحوهن، لعموم النهي عن ذلك.

كما أنه لا ينبغي إطلاق مثل (ست الناس) و (ست العرب) و(ست العلماء) و (ست الكل) وما في حكمها، فقد سئل النووي - رحمه الله تعالى - عن له بنت، فسمها، بأحد هذه الأسماء، فأجاب بأن هذه الألفاظ ألفاظ ليست عربية، بل هي باطلة من حيث اللغة، وأما من حيث الشرع، فمكروهة كراهة شديدة، وينبغي لمن جهل وسمى به أن يغيره^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٥/١) رقم (٣٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٩٤/٤) رقم (٤٩٧٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٦٩/٦)

رقم (١٠٠٧٢)، وأحمد في مسنده (٤٢٣/٢) رقم (٩٤٦٥)، والبيهقي في شعب الإيمان

(٣١٢/٤) رقم (٥٢١٩)، وابن حزم في المحلى (٢٤٩/٩)، وقد صححه الشيخ الألباني في

السلسلة الصحيحة (٤٥٦/٢)، وفي صحيح الجامع رقم (٧٦٤٣).

(٣) انظر: المعيار المعرب للونشريسي (٣٧٣/١٢).

المبحث الرابع: إطلاقه على المنافق والكافر

إن المنافق والكافر ومن في حكمهم قد نهي الله - تعالى - عن إعزازهم وإكرامهم بعد إذ أذهم، وأمر - جل وعلا - بإصغارهم واحتقارهم وإذلالهم .

قال الله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَنْهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾^(١) .

وقال - تعالى - : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^(٢) .

وأمر - جل وعلا - بالغلظة عليهم، فقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسِ الْمَصِيرُ ﴾^(٣) .

قال الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤) - رحمه الله تعالى - : « أمر - تعالى - رسوله - ﷺ - بجهاد الكفار والمنافقين، والغلظة عليهم، كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة »^(٤) .

ومخاطبتهم بهذه الألفاظ فيها من التودد والاحترام ما ليسوا جديرين به، فإذا قال لهم العبد المسلم ذلك، فقد أعزهم بعد إذ أذهم الله، وأكرمهم بعد إذ أهانهم الله .

وقد كان - ﷺ - يكره استعمال اللفظ الشريف المصون في حق من

(١) الحج، آية (١٨) .

(٢) التوبة، آية (٢٩) .

(٣) التوبة، آية (٧٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧١/٢) .

ليس كذلك، واستعمال اللفظ المهين المكروه فيمن ليس من أهله، وإطلاق السيادة على المنافق والكافر ومن في حكمهم من هذا القبيل^(١).
وقد جاء النص عن رسول الله - ﷺ - في النهي عن إطلاق لفظ السيادة عليهم صريحا .

قال - ﷺ -: « لا تقولوا للمنافق: سيد، فإنه إن يك سيذا، فقد أسخطتم ربكم».

وقد بين العلماء كيف أنّ من أطلق السيادة على المنافق مسخطاً لربه، فقد ذكر الطحاوي (ت ٣٢٢) - رحمه الله تعالى - أن سبب ذلك هو أنه وضع المنافق بخلاف المكان الذي وضعه الله - عز وجل - بذلك^(٢).

وذكر ابن الأثير - رحمه الله تعالى - وجهها آخر، فقال في بيان معنى هذا الحديث: « فإنه إن كان سيدكم - وهو منافق - فحالكم دون حاله، والله لا يرضى لكم ذلك»^(٣).

فقد بين أن سبب النهي هو أن القائل جعل المنافق سيذا له، فيكون هذا القائل دونه، فلما كان دونه كانت حاله أشد من حاله .
وأما العلامة الطيبي (ت ٧٤٣) - رحمه الله تعالى - فذهب إلى أن سبب السخط أحد أمرين:

الأول: هو كون من جعله سيذا، فقد جعله واجب الطاعة، فإذا أطاعه القائل، كان ذلك سببا لسخط الرب - جل وعلا - .

الثاني: أن السخط حاصل بمجرد قولها له، وإن لم يك سيذا في الحقيقة

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٩/٢)، فيض القدير للمناوي (٤١١/١).

(٢) انظر: شرح مشكل الآثار (٢٤٩/١٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤١٨/٢).

والواقع، وجعل الطيبي معنى (إن يك) إن يُقَل له^(١).
وأما ملا علي قاري - رحمه الله تعالى - فذهب إلى أن قول ذلك للمنافق
سبب للسخط من وجهين:

أحدهما: أن يكون سيد قوم أو صاحب عبيد وإماء وأموال، فإطلاق
هذا اللفظ عليه يكون تعظيماً له، وتعظيم المنافقين سبب لسخط الرب - جل
وعلا - لأن الله - تعالى - أمر بالغلظة عليهم .

ثانيهما: أن يكون المنافق ليس كذلك، يعني ليس بصاحب دنيا ولا
جاه، فإذا قيل له ذلك، كان كذباً بالاتفاق، والكذب حرام، وهو من أسباب
السخط^(٢).

فلا يحل بعد هذا البيان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يطلق
هذا اللفظ على منافق أو كافر .

(١) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن (١٠/

٣٠٩٥)، وانظر: عون المعبود للعظيم آبادي (٢٢١/١٣).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١١٩/٩)، عون المعبود (٢٢١/١٣).

المبحث الخامس: إطلاق هذا اللفظ على المبتدع

لقد اشتد السلف - رحمهم الله تعالى - على أهل البدع، وهووا عن تعظيمهم وإكرامهم، وذلك لما لهم من الخطر على الإسلام وأهله . وقد جاءت النصوص عنهم محذرة من ذلك .

قال إبراهيم بن ميسرة (ت ١٣٢) - رحمه الله تعالى -: « من وقر صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام »^(١) .
وبنحو ذلك قال الفضيل بن عياض^(٢) (ت ١٨٧) .

وكان طاوس (ت ١٠٦) - رحمه الله تعالى - يطوف بالبيت، فلقيه معبد الجهني (ت ٨٠)، فقال له طاوس: أنت معبد؟ قال: نعم، فالتفت طاوس إلى من معه وقال: « هذا معبد، فأهينوه »^(٣) .

بل حكى الإمام أبو إسماعيل الصابوني (ت ٤٤٩) إجماع أهل السنة والجماعة على وجوب قهر أهل البدع وإذلالهم، فقال: « واتفقوا - مع ذلك - على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم، وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد عنهم، ومن مصاحبهم ومعاشرهم، والتقرب إلى الله - عز وجل - بمجانبتهم ومهاجرتهم »^(٤) .

فالسلف - رحمهم الله تعالى - يرون إذلال أهل البدع وقهرهم، ترك الانبساط معهم، والسلام عليهم، ومؤاكلتهم، ومجالستهم، فضلا عن تقديمهم

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الصغرى (ص ١١٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٣٩/١) .

(٢) ذكره ابن بطة في الإبانة الصغرى (ص ١١٣) .

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٣٨/٢) .

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٣٤) .

في المجالس وتعظيمهم، وإظهار إكرامهم .

وقد ألحق السلف أهل البدع بالمنافقين في تحريم إطلاق لفظ السيد عليهم، وذلك لأن هذا اللفظ يدل على تعظيمهم واحترامهم .
واستدلوا على ذلك بحديث: « لا تقولوا للمناق يا سيد» .

قال المنذري (ت ٦٥٦) - رحمه الله تعالى - في الترغيب والترهيب:
«باب الترهيب من قوله لفاسق أو مبتدع: ياسيدي أو نحوها من الكلمات الدالة على التعظيم»^(١) .

وقال النووي - رحمه الله تعالى - في رياض الصالحين «باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيد ونحوه»^(٢) .

(١) الترغيب والترهيب (٣/٣٥٩) .

(٢) رياض الصالحين (ص ٤٨٠) .

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد خلص الباحث في هذا البحث إلى الأمور التالية:

أولاً: إثبات كون السيد من أسماء الله - تعالى - الحسنی؛ لثبوت النص بذلك، وكل ما ثبت لبقية الأسماء من حيث الاحترام ومشروعية الدعاء بها وغير ذلك، فهو ثابت له .

ثانياً: جواز إطلاق هذا الاسم على المخلوقين بشرط عدم دلالة على أي من معاني الربوبية أو الألوهية، وبشرط كون المسمى به أهلاً لذلك، مع أمن الفتنة والفساد .

ثالثاً: ما دل على السيادة العامة على جميع الخلق، فإنها لا تصح إلا ل محمد - صلى الله عليه وسلم - وأما غيره فلا يجوز إطلاقها بهذا الاعتبار .

رابعاً: إخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - عن سيادته، إنما جاء على سبيل التبليغ للأمة، وامتثالاً لأمر به بالتحدث بنعمة الله - تعالى - عليه، وليعرف الناس بذلك فضله، فيعاملوه بمقتضى ذلك .

خامساً: سيادة النبي - صلى الله عليه وسلم - لبني آدم شاملة لآدم - عليه السلام - وبنيه .

سادساً: تحريم إطلاقه على المنافق والكافر والمبتدع .

سابعاً: جواز إطلاقه على المرأة .

والله - تعالى - أسأل التوفيق والسداد .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

قائمة المصادر والمراجع

١. إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد، للشيخ حمد بن علي بن عتيق، مكتبة الرياض الحديثة، ط ٤/١٣٨٩.
٢. الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة بمكة المكرمة، ط ١/١٤١٠.
٣. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين بن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١.
٤. أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص، دار الكتاب العربي بيروت.
٥. الآداب الشرعية، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، ط ٣/١٤١٩، مؤسسة الرسالة بيروت.
٦. الأدب المفرد، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار المعرفة، ط ١/١٤٠٧.
٧. الأسماء والصفات، لأبي بكر البيهقي، حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادى للتوزيع بجددة، ط ١/١٤١٣.
٨. أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، تحقيق د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى، ط ١/١٤٠٩.
٩. إكمال إكمال المعلم، لأبي عبد الله الإبي، دار طبرية بالرياض.
١٠. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء بمصر، ط ١/١٤١٩.
١١. ألف باء، لأبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي، عالم الكتب بيروت.
١٢. البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله،

مكتبة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة النبوية، ط ١٤١٠/١
(أجزاؤها تخرج تباعاً) .

- ١٣ . بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي بيروت .
- ١٤ . بداية السؤل في تفضيل الرسول للعزيز بن عبد السلام السلمي
الدمشقي، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط ١٤٠٦/٤ .
- ١٥ . بهجة الحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمائل،
لع ماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري، بشرح جمال الدين محمد الأشخر
اليمني، دار صادر بيروت .
- ١٦ . البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، لأبي
الوليد محمد بن أحمد بن رشد، حققه مجموعة من الأساتذة، دار الغرب
الإسلامي بيروت، ط ١٤٠٨/١ .
- ١٧ . التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب
الثقافية بيروت .
- ١٨ . تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب
العلمية بيروت .
- ١٩ . تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن
المباركفوري، دار الكتب العلمية .
- ٢٠ . تحفة الأخيار المعروف بالأذكار النووية، لأبي زكريا يحيى النووي، دار
الملاح للنشر والتوزيع بدمشق .
- ٢١ . تحفة المودود بأحكام المولود، للحافظ لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن
قيم الجوزية، دار الكتاب العربي بيروت، ط ١٤٠٣/٢ .
- ٢٢ . الترغيب والترهيب، للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، دار
الكتب العلمية بيروت، ط ١٤١٧/١ .

- ٢٣ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الفكر ببيروت، ١٤٠٢ .
- ٢٤ . تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، لمحمد تقي العثماني، مكتبة دار العلوم بكراتشي، ط١/١٤١٥ .
- ٢٥ . هذيب اللغة، لأبي منصور الأزهرى، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، دون ذكر رقم الطبعة ولا تأريخها .
- ٢٦ . التوحيد ومعرفة أسماء الله - عز وجل - وصفاته على الاتفاق والنفرد، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده لابن منده، تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر فقيهي، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ط١/١٤٠٩ .
- ٢٧ . الثقات، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي، مجلس دائرة المعارف العثمانية .
- ٢٨ . جامع البيان عن تفسير القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري، دار الفكر ببيروت .
- ٢٩ . جامع الترمذي، حققه أحمد شاکر وآخرون، مكتبة الحلبي، ١٣٩٨ .
- ٣٠ . جامع كرامات الأولياء ليوסף بن إسماعيل النبهاني، تحقيق: إبراهيم عوض، طبع مصطفى البابي الحلبي، ط٣/١٤٠٤ .
- ٣١ . الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٧١ .
- ٣٢ . جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني، لعلي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي، دار الجليل ببيروت، ١٤٠٨ .
- ٣٣ . حاشية السندي على سنن ابن ماجه، دار الكتب العلمية ببيروت .
- ٣٤ . حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، ط٢/١٤٠٣ .

- ٣٥ . الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للإمام الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق ودراسة د. محمد بن ربيع المدخلي، و د. محمد بن محمود أبو رحيم، دار الراجعية للنشر والتوزيع بالرياض، ط ١٤١١/١ .
- ٣٦ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي ببيروت، ط ١٤٠٥ / ٤ .
- ٣٧ . الدر النضيد على أبواب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان، مكتبة الصحابة بجدّة، ط ١٤١٣/٤ .
- ٣٨ . دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد المعطي قلججي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط ١٤٠٥/١ .
- ٣٩ . الدين الخالص، لصديق حسن خان، مكتبة ابن تيمية بمصر .
- ٤٠ . الذخيرة، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط ١٩٩٤/١ .
- ٤١ . ذكر أخبار أصبهان، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الدار العلمية، ط ١٤٠٥/٢ .
- ٤٢ . الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة - ﷺ - للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ببيروت، ط ١٤٠٥/١ .
- ٤٣ . رياض الصالحين، لأبي زكريا يحيى النووي، تحقيق رضوان دعبول، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط ١٣٩٩/١ .
- ٤٤ . زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ مصور عن الطبعة الأولى .

- ٤٥ . الزوائد على الزهد لابن المبارك، تأليف نعيم بن حماد المروزي، بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت .
- ٤٦ . السنة، لابن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، للشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط ١/١٤٠٠ .
- ٤٧ . سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر .
- ٤٨ . سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق فواز زمري وزميله، دار الكتاب العربي، ط ١/١٤٠٧ .
- ٤٩ . السنن الكبرى، لأبي بكر البيهقي، دار الفكر .
- ٥٠ . سنن النسائي الصغرى (المجتبى)، ترقيم عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب .
- ٥١ . سير الأولياء في القرن السابع الهجري، لصفى الدين الحسين بن جمال الدين الأنصاري الخزرجي، تحقيق: مأمون محمود ياسين وعفت وصال حمزة، دار العالم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط ١ .
- ٥٢ . شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، ط ١/ دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض .
- ٥٣ . شرح الشفا في شمائل صاحب الاصفى، لملا علي قاري، تحقيق محمد حسنين مخلوف، مكتبة ابن تيمية .
- ٥٤ . شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٣٩٢ .
- ٥٥ . شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وزملاؤه، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١/١٤١٥ .
- ٥٦ . الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل

- الأهواء المارقين، للإمام عبيد الله محمد بن بطة العكبري، تحقيق وتعليق ودراسة: د. رضا ابن نعيان معطي، المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة، ١٤٠٤ .
٥٧. الصارم المنكي في الرد على السبكي، للحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، دار الريان للنشر والتوزيع ببيروت، ط١/١٤١٢ .
٥٨. الصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢ / دار العلم للملايين ببيروت .
٥٩. صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ودار الإمامة، ط٣/١٤٠٧ .
٦٠. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد الباقي، دار إحياء التراث العربي .
٦١. الصمت وأدب اللسان، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ببيروت .
٦٢. صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، لمحمد بشير السهسواني، صححه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، مطابه نجد التجارية بالرياض، ط٥/١٣٩٥ .
٦٣. طبقات الأولياء لسراج الدين أبي حفص عمر بن علي المصري المعروف بابن الملتن، حققه وخرجه: نور الدين شربية، دار المعرفة ببيروت، ط٢/١٤٠٦ .
٦٤. الطبقات الكبرى، لعبد الوهاب الشعراني، دار الفكر العربي ببيروت .
٦٥. عقيدة السلف أصحاب الحديث، للإمام أبي إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني، مطبوع ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، إدارة الطباعة المنيرية، مصورة عن طبعة ١٣٤٣ .

٦٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١/١٣٩٢ .
٦٧. عمل اليوم والليلة، لأبي بكر بن السني، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير عيون، دار البيان بدمشق، ط ١/١٤٠٧ .
٦٨. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق عبد العظيم آبادي، دار التراث بالقاهرة .
٦٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، علق على الأجزاء الأولى منه الشيخ عبد العزيز بن باز، ط ٢/ المكتبة السلفية .
٧٠. فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب، تحقيق د. الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، دار الصمعي للنشر والتوزيع بالرياض، ط ٢/١٤١٧ .
٧١. الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، لابن علان، دار الفكر.
٧٢. الفروع، لابن مفلح، راجعه: عبد الستار أحمد فرج، عالم الكتب، بيروت، ط ٤/ ١٤٠٥ .
٧٣. فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق د. وصي الله عباس، مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى، ط ١/١٤٠٣ .
٧٤. فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، لفضل الله الجليلاني، نشر: الصدف ببلشرز بالباكستان، ١٣٧٨ .
٧٥. القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به جمعا وترتيبا وتصويبا، وعزا آياته، وخرج أحاديثه، ووضع فهارسه، وأشرف على طبعه: د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل ود. خالد بن علي المشيقيح، دار العاصمة بالرياض، ط ١/١٤١٥ .

٧٦. الكاشف عن حقائق السنن = شرح الطيبي على مشكاة المصابيح،
لشرف الدين الطيبي، تحقيق ودراسة د. عبد الحميد هندراوي، مكتبة
نزار مصطفى الباز، ط ١٤١٧/١ .
٧٧. الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ (سيبويه) تحقيق
وشرح عبد السلام هارون، ط ٢/ مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي
باليرياض .
٧٨. الكنى والأسماء، للدولابي .
٧٩. لسان العرب، لجمال الدين بن منظور، دار صادر .
٨٠. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع
وترتيب فهد السليمان، دار الوطن بالرياض، ط ١٤١٢/١ .
٨١. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، دار العاصمة، مصورة عن الطبعة
الأولى .
٨٢. الحلى، لأبي محمد علي بن حزم الظاهري، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة ابن
تيمية بالقاهرة .
٨٣. مرشد المختار إلى خصائص المختار - ﷺ - لشمس الدين محمد بن علي
ابن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي، تحقيق د. بهاء محمد الشاهد،
مكتبة الإمام الشافعي .
٨٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان القاري، دار
الكتاب الإسلامي .
٨٥. المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم، حققه مصطفى عبد
القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١٤١١/١ .
٨٦. مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث،
دمشق وبيروت، ط ١٤٠٤/١ .

٨٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي .
٨٨. المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، ١٤٠٩ .
٨٩. معالم السنن، للإمام الخطابي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت .
٩٠. المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق عوض الله وعبد الحسن الحسيني، دار الحرمين بمصر، ط ١٤١٥/١ .
٩١. المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله المازري، وتعليق وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط ١٩٨٨/١ .
٩٢. المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، لأحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٤٠١ .
٩٣. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت .
٩٤. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو وزملاؤه، دار ابن كثير بدمشق وبيروت، ط ١٤٢٠/٢ .
٩٥. المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق د. محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب بيروت .
٩٦. مكمل إكمال إكمال المعلم، لأبي عبد الله السنوسي، دار طبرية بالرياض .
٩٧. المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق مصطفى بن العدوي شلباية، دار الأرقم ١٤٠٥ (أجزاؤه صدرت تباعا في أوقات مختلفة).

٩٨. المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي، دار الكتاب العربي، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٣٢ .
٩٩. النهاج في شعب الإيمان، لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي، تحقيق حلمي محمد فودة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١/١٣٩٩ .
١٠٠. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق صالح ابن أحمد الشامي، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق وعمان، ط ١/١٤١٢ .
١٠١. النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات بن الأثير، تحقيق د. محمود الطناحي، والطاهر الزاوي، المكتبة العلمية، ط ٢ .
١٠٢. اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر، لمحيي الدين بن عربي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤٠٤ .

فهرس الموضوعات

١٦٣	مقدمة
١٦٥	الفصل الأول: التعريف اللغوي
١٦٩	الفصل الثاني:
١٦٩	المبحث الأول: إطلاق السيد على الله - تعالى
١٧٢	المبحث الثاني: معنى هذا الاسم الكريم
١٧٤	المبحث الثالث: آثار هذا الاسم
١٧٨	المبحث الرابع: حكم دعاء الله - تعالى - بـ "ياسيدي"
١٧٩	الفصل الثالث: تعلقه بالمخلوقين
١٧٩	المبحث الأول: حكم إطلاقه على المخلوقين
١٩١	المبحث الثاني: سيادة النبي
١٩١	المطلب الأول: سيادته في الدنيا والآخرة
١٩٥	المطلب الثاني: في بيان أنه لم يخبر بسيادته على وجه الفخر
١٩٦	المطلب الثالث: في بيان شمولية سيادته لآدم وبنيه
		المطلب الرابع: في بيان تحريم إطلاق لفظ (سيد ولد آدم) أو (سيد الناس) أو (سيد الكل) ونحوها على أحد غير النبي
١٩٧	
١٩٩	المبحث الثالث: إطلاق لفظ السيدة على المرأة
٢٠١	المبحث الرابع: إطلاقه على المنافق والكافر
٢٠٤	المبحث الخامس: إطلاق هذا اللفظ على المبتدع
٢٠٦	الخاتمة
٢٠٧	قائمة المصادر والمراجع
٢١٧	فهرس الموضوعات

أَحْكَامُ الْأَضْطَبَاعِ وَالرَّمَلِ فِي الطَّوَافِ

إعداد:

د. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الزَّاحِمِ

الأستاذ المشارك في كلية الشريعة في الجامعة

المقدمة

الحمد لله الذي وعد المحسنين بمجزيل الإنعام، والصلاة والسلام على أفضل من صلى وقام، وحج وصام، وطاف بالبيت الحرام. أما بعد :

فقد كتبت - بفضل الله وتوفيقه - بحثاً عدّة حول الطواف، نُشرت - بحمد الله وتوفيقه - في مجلة البحوث الإسلامية، التابعة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء. فرأيت من المناسب أن أستكمل جوانب الموضوع، فأتناول السنن والمستحبات. ولم أر ما يمنع تجزئة الكتابة فيها، ليكون أيسر للإنجاز، وأدعى لمواصلة العمل حسب الطاقة والجهد .

وابتدأت ذلك بالاضطباع، لأنه أول السنن التي يقوم بها من أراد الشروع في الطواف. قال ابن الهمام: «وينبغي أن يضطبع قبل الشروع في الطواف بقليل»^(١). وقرئت معه الرمل، لاشتراكهما في كثير من الأحكام .

والله أسأل أن يُعين على الإتمام، وأن يُهيأ الأسباب لبحث بقية الجوانب الأخرى المتعلقة بالطواف. وقد سميت به : (أحكام الاضطباع والرمل في الطواف)

■ خطة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وسبعة مطالب، وخاتمة .

أما المقدمة: فقد ضممتها: الافتتاحية، وأهمية الموضوع، وخطته، ومنهجه.

وأما التمهيد: فأوضحت فيه علاقة الرمل بالاضطباع، وما بينهما من ارتباط في الأحكام.

وأما المطالب : فهي على النحو التالي :

(١) فتح القدير ٤٥٢/٢ .

- المطلب الأول : تعريف الاضطباع والرمل .
 - المطلب الثاني : دليل مشروعية الاضطباع والرمل .
 - المطلب الثالث : الحكمة من مشروعية الاضطباع والرمل .
 - المطلب الرابع : حكم الاضطباع والرمل .
 - المطلب الخامس : وقت الاضطباع والرمل .
 - المطلب السادس : الطواف الذي يُشرع فيه الاضطباع والرمل ،
 - المطلب السابع : من يُشرع له الاضطباع والرمل .
 - وأما الخاتمة : فمضمونها خلاصة البحث، وما توصلت إليه من نتائج .
- منهج البحث :

سلكت في كتابة هذا البحث، وجمع مادته العلمية، المنهج التالي :

١. جمعت المادة العلمية من مصادرها المعتمدة، سواء أكانت من الفقه العام، أم من فقه المناسك .
٢. رَقَمْتُ الآيات القرآنية الواردة، وعزوتها إلى سورها .
٣. خرَّجت الأحاديث النبوية، وآثار الصحابة رضي الله عنهم، فإن كانت في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت بتخرجه منهما، وإن كان في غيرهما، اجتهدت في تخرجه من كتب السنة المعتمدة، وبيان درجته صحة، أو ضعفاً، مستعيناً في ذلك - بعد الله - بأقوال علماء الحديث قديماً وحديثاً .
٤. عند تخريج الحديث أشير إلى اسم الكتاب والباب، وإلى ما يُحدد ذلك من أرقام. فأقول مثلاً: «» أخرجه البخاري في اللباس، باب اشتمال الصماء (٢٠) (٤٢/٧) » وأعني بذلك: أن البخاري أخرجه في كتابه الجامع الصحيح. في كتاب اللباس، باب اشتمال الصماء. ورقم الباب عشرون. وإذا كان الرقم بعد الجزء والصفحة، فهو لبيان رقم الحديث. وأكتفي أحياناً بذكر رقم الحديث، كما في الإشارة إلى سنن ابن ماجه، أو ما أورده

- الألباني في كتبه. وأكتفي حيناً آخر، بذكر رقم الجزء والصفحة، كما في الإشارة إلى مستدرک الحاكم على الصحيحين، والسنن الكبرى للبيهقي. وهذا الاختلاف في الإحالات يرجع إلى مناسبة ذلك للكتاب الحال إليه .
٥. رجعت إلى « مسند الإمام أحمد » الموسوعة الحديثية، لبيان درجة الحديث صحة، أو ضعفاً، وتبتهت على ذلك بقولي: « في التعليق على المسند » .
٦. وثقت الأقوال من مصادرها الأصلية. وذلك بالرجوع في كل مذهب إلى كتبه المعتمدة. وأنقل من مصدر واحد، أو أكثر في كل مذهب ما يؤكد صحة ما عزوته لتلك المذاهب. وإن كان في هذا الصنيع نوع تطويل، أو إتقال للحواشي، إلا أن الذي دفعني إليه ما رأيته من وقوع كثير من الباحثين في أخطاء، وأوهام في العزو والنسبة، أو النقل والتوثيق .
٧. تبتهت على الرواية المشهورة، أو المعتمدة في المذهب، بالرجوع إلى المصادر المعنية في ذلك من كل مذهب .
٨. شرحت الكلمات الغريبة، والمصطلحات العلمية، إذا اقتضى الأمر ذلك. ولم أتكلف شرح الواضحات لذوي الاختصاص .
٩. أغفلت الترجمة للأعلام، مراعاة للاختصار .
- وأسأل الله العلي العظيم بأسمائه الحسنی، وصفاته العلاء، أن يوفقني إلى السداد، ويلهمني الرشد والصواب .
- وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله ذُخراً لي يوم الدين. وأن يغفر لي ولوالدي، ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين. إنه ولي ذلك، والقادر عليه .
- وصلی الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد : علاقة الرمل بالاضطباع

الاضطباع والرمل في الطواف فعلان مترابطان، يُشرعان معاً، وأحكامهما، وأدلتهما متقاربة. ولذا فإن كثيراً من العلماء يصرّحون بهذا التلازم، والترابط بينهما .

قال النووي: «قال أصحابنا: الاضطباع ملازم للرمل^(١). فحيث استحينا الرمل بلا خلاف، فكذا الاضطباع، وحيث لم نستحبه بلا خلاف، فكذا الاضطباع، وحيث جرى خلاف، جرى في الرمل والاضطباع جميعاً. وهذا لا خلاف فيه^(٢)».

وقال البهوتي: «ومن لا يُشرع له الرمل، لا يُشرع له الاضطباع^(٣). ومن هنا كانت مناسبة الحديث عنهما، والتعرف على أحكامها في آن واحد، لاتحاد أدلتها غالباً، واشتراكهما في كثير من الأحكام والمسائل. ولا يعني هذا التلازم والترابط بينهما أنه إذا ترك أحدهما لعذر أو غيره، تُرك الآخر. قال الإمام الشافعي: « فإذا طاف الرجل ماشياً، لا علة به تمنعه الرمل، لم أحب أن يدع الاضطباع مع دخوله الطواف^(٤). وقال الماوردي: « فإن ترك الرمل لعلّة، اضطبع. وإن ترك الاضطباع لجرح به، رمل^(٥)».

(١) تنبيه: جاء في رحلة الصديق إلى البيت العتيق، لصديق حسن خان ص ٩١: «قال الشافعية: هو -

أي: الاضطباع - في طواف ليس فيه رمل» فهذا إما أن يكون خطأ مطبعياً، وإما سبق قلم.

(٢) المجموع ٤٣/٨.

(٣) كشف القناع ٥٥٨/٢.

(٤) الأم ١٧٤/٢.

(٥) الحاوي للماوردي ١٤١/٤.

المطلب الأول : تعريف الاضطباع والرمل .

قبل الشروع في بيان أدلة مشروعية الاضطباع والرمل، ومعرفة الحكمة من مشروعيتها، وأحكامهما. يحسن البدء بتعريفهما، والتعرف على حقيقتهما. وسأعرض لتعريف كلٍ منهما في فرع مستقل .

• الفرع الأول : تعريف الاضطباع ^(١).

الاضطباع، افتعال من الضَّبَع بِاسْكَان الباء، وهو العَضُد. وقيل: النَّصْف الأعلى من العَضُد. وقيل: منتصف العَضُد. وقيل: الإِبْط. قال ابن فارس: اشتقاقها من ضَبَع اليد، وهو المد. والجمع أَضْبَاع، كفَرخ وأفراخ. والمَضْبَعَةُ: اللحمة تحت الإبط من قُدَم. وقال الجوهري: يقال للإبط: الضَّبَع، للمجاورة .
والضَّبَع والضَّبَاع: رفع اليدين في الدعاء .

والضَّبُع : بضم الباء الموحدة، وسكونها، أخبث السَّبَاع. ويُجمع الضَّبُع على ضِبَاع، والضَّبُع على أَضْبُع. والضَّبُع: السَّنَةُ الْمُجْدِبَةُ. ومنه قول عباس بن مرداس :

أبا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ
وَضَبَعَتِ النَّاقَةُ تَضْبَعُ ضَبْعاً وَضَبَعَةً: إِذَا أَرَادَتِ الْفَحْلَ .

قال ابن فارس: «(الضاد، والباء، والعين، أصل صحيح، يدل على معان ثلاثة: أحدها: جنس الحيوان. والآخر: عضو من أعضاء الإنسان. والثالث:

(١) انظر في معنى الاضطباع: معجم مقاييس اللغة ٣/٣٨٧، الصحاح ٣/١٢٤٧، القاموس المحيط ص ٩٥٦، لسان العرب ٨/٢١٦، المرَب ص ٢٧٩، المصباح المنير ٢/٣٥٧، النهاية في غريب الحديث ٣/٧٣، تحرير ألفاظ التنبيه ص ١٥٠. مادة: ضبع.

صفة من صفة التُّوقِ»^(١).

واضْطَبَعَ الشَّيْءُ: أَدْخَلَهُ تَحْتَ ضَبْعِيهِ. وَيُقَالُ لِلِاضْطَبَاعِ أَيْضاً: التَّأْبُطُ، وَالتَّوَشُّحُ. وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً: الْيَابِطَةُ، لِأَنَّهُ يَجْعَلُ وَسْطَ الرِّدَاءِ تَحْتَ الْإِبْطِ، وَيُبْدِي ضَبْعَهُ الْأَيْمَنَ .

وَأَصْلُهُ: اضْطَبَعَ. وَإِنَّمَا قَلِبَتِ النَّاءُ طَاءً، لِمَجَاوِرَةِ حَرْفِ الاسْتِعْلَاءِ، كَمَا يُقَالُ: اضْطَبَعَ، وَاصْطِيَادٌ، وَاضْطِرَارٌ، وَاضْطِهَادٌ .

وَالِاضْطَبَاعُ فِي الصَّلَاةِ: اشْتِمَالُ الصَّمَاءِ. وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مَفْسُراً فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ لُبْسَتَيْنِ، وَعَنْ بَيْعَتَيْنِ» الْحَدِيثُ. وَفِيهِ: «وَاللِبْسَتَيْنِ: اشْتِمَالُ الصَّمَاءِ، وَالصَّمَاءُ أَنْ يَجْعَلَ ثَوْبَهُ عَلَى أَحَدِ عَاتِقَيْهِ، فَيَبْدُو أَحَدَ شِقَيْهِ لَيْسَ عَلَيْهِ ثَوْبٌ ..»^(٢).

وَالِاضْطَبَاعُ فِي الطَّوَافِ: أَنْ يَجْعَلَ وَسْطَ رِدَائِهِ مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ الْأَيْمَنِ، وَيُغْطِي بِهِ عَاتِقَهُ الْأَيْسَرَ. وَيَكُونُ الْمَنْكَبُ الْأَيْمَنُ مَكْشُوفاً. سُمِّيَ بِهِ لِإِبْدَاءِ أَحَدِ الضَّبْعَيْنِ .

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: «الِاضْطَبَاعُ أَنْ يَشْتَمَلَ بَرْدَائِهِ عَلَى مَنْكَبِهِ الْأَيْسَرَ، وَمِنْ تَحْتِ مَنْكَبِهِ الْأَيْمَنِ، حَتَّى يَكُونَ مَنْكَبُهُ الْأَيْمَنُ بَارِزاً»^(٣). وَقَالَ فِي إِرْشَادِ السَّارِيِّ: «أَيُّ: عَلَى هَيْئَةِ أَرْبَابِ الشَّجَاعَةِ، إِظْهَاراً لِلْجَلَادَةِ فِي مِيدَانِ الْعِبَادَةِ»^(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٨٧.

(٢) أخرجه البخاري في اللباس، باب اشتمال الصماء (٢٠) ٤٢/٧. وانظر: التمهيد

٢١/١٦٩، ١٧٠، المبدع ١/٣٧٥.

(٣) الأم ٢/١٧٤. وانظر: مختصر المزني مع الحاوي ٤/١٣٩.

(٤) ص ٨٨. وانظر: مفيد الأنام ص ٢٣٨.

• الفرع الثاني: تعريف الرَّمَل (١).

الرَّمَل، بفتح الراء والميم، سُرْعَة المشي. قال ابن الأثير: « يُقال: رَمَلَ يَرْمُلُ - بضم الميم - رَمَلاً وَرَمَلاً، إذا أسرع في المشي وهزَّ منكبيه » (٢).
 وَرَمَلَ الحَصِيرَ يَرْمُلُهُ رَمَلاً، وَرَمَّ لَهُ، وَأَرَمَّ لَهُ، إذا سَخَفَ نَسْجَهُ.
 والرَّمَالُ ما رُمِلَ. أي: نُسِجَ. قال الزمخشري: « ونظيره الحُطَامُ، والرُّكَامُ، لما حُطِمَ وَرُكِمَ » (٣).
 والرَّمَلُ: القليل الضعيف من المطر، وجمعه أرمال. وترمَل القَتيل بدمه، إذا تَلَطَّخَ .

والرَّمَل من الشَّعْر، كل شَعْر مهزول غير مؤْتَلِف البناء .
 والمُرْمَل: الذي لا زاد معه، سُمِّيَ بذلك لأحد شيئين: إما لِرِقَّة حاله، وإمَّا لِصَوْقِهِ بِالرَّمَلِ من فقره. كما يُقال: للفقير: التَّرِبُ. وأرْمَلَ القوم، نَفَد زَادِهِمْ .
 وَأَرَمَلَتِ المرأةُ: إذا مات زوجها. فهي أَرَمَلَةٌ. سُمِّيَتْ بذلك لذهاب زاداها، وفقد كاسيها.

ورجل أَرْمَل، وامرأة أَرَمَلَةٌ: محتاجة. والأرامل يقع على الذكور

(١) انظر في معنى الرمل: معجم مقاييس اللغة ٤٤٢/٢، الصحاح ١٧١٣/٤، لسان العرب ٢٩٤/١١، المعرَّب ص ١٩٨، غريب الحديث لأبي عبيد ٤١٥/٤، الفائق ٨٣/٢، النهاية في غريب الحديث ٢٦٥/٢، تحرير ألفاظ التنبيه ص ١٥٠. مادة: رمل.
 وانظر أيضاً: المبسوط ١٠/٤، الهداية ٤٥٣/٢، طلبه الطلبة ص ٦٨، تحرير ألفظ التنبيه ص ١٥٢، التعريفات ص ١١٢، المجموع ٤٠/٨، شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٥/٨، إيضاح المناسك ص ٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢٦٥/٢.

(٣) الفائق ٨٣/٢.

والنساء. قال ابن منظور: ولا يُقال للمرأة التي لا زوج لها، وهي موسرة، أرملة. قال جرير:

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن حاجة هذا الأرملة الذكر والأرمل من الشاء: الذي اسودت قوائمه كلها.

والرَّمَل: نوع من التراب. وجمعه رَمَال. قال الجوهري: « الرَّمَل واحد الرَّمَال، والرَّمَلَة أخص منه » (١). ورَمَل الطعام: جعل فيه الرَّمَل. وقال ابن فارس: « الرء، والميم، واللام، أصل يدل على رِقَّة في شيء يتضام بعضه إلى بعض » (٢).

والرَّمَل في الطواف: الإسراع في المشي مع تقارب الخطى (٣)، من غير

(١) الصحاح للجوهري ١٧١٣/٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤٤٢/٢.

(٣) تنبيهه: هكذا عرّف عامة العلماء الرمل: بأنه الإسراع في المشي ..، وأما ابن نجيم من الحنفية فقد أورد تعريفاً آخر عزاه لصاحب الهداية، فقال: (والرمل كما في الهداية: أن يهز في مشيته الكتفين، كالمبارز يتبختر بين الصفيين. وقيل: هو إسراع مع تقارب الخطى، دون الوثوب والعدو) البحر الرائق ٣٥٥/٢. وانظر: الهداية مع فتح القدير ٤٥٣/٢. وتعريف صاحب الهداية قريب من تعريف صاحب المبسوط، إذ عرّفه السرخسي بقوله: (الرمل هو: الاضطباع، وهز الكتفين. وهو أن يُدخل أحد جانبي رداءه تحت إبطه ويلقيه على المنكب الآخر، ويهز الكتفين في مشيه، كالمبارز الذي يتبختر بين الصفيين). المبسوط ١٠/٤. وأما قاضيخان فلم يُشر إلى المشي مطلقاً في تعريفه للرمل. فقال ٢٩٢/١: (يرمل في السلثة الأول. يعني: يهز كتفيه، ويُري من نفسه القوة والجلادة. ويمشي على هيئته في الأربع).

والذي يظهر لي: أنه ليس بين هذه التعاريف تعارض. فمراد من أطلق المشي، أو أغفل ذكره، أن يكون مشياً فيه سرعة. ولذلك قيّد بعض الحنفية المشي بقبود فيها معنى =

وَتُبِّ وَلَا عَدُوًّا^(١)، ويهز الكتفين في مشيه، كالمبارز الذي يتبختر بين الصفيين. وهو: الْحَبُّ^(٢). قال ابن عبد البر: «وأما الرَّمْلُ، فهو المشي خبيأً، يشتد فيه، دون الهرولة»^(٣).

= الإسراع. فقال ابن الهمام في فتح القدير ٤٦٢/٢: (الرمل في الطواف إنما هو مشي فيه شدة وتصلب). وقال في الدر المختار ٤٩٨/٢: (ورمل. أي: مشى بسرعة مع تقارب الخطى، وهز الكتفين). ونحو ذلك في حاشية الطحطاوي على مراقبي الفلاح ص ٤٧٩. وفي الفتاوى الهندية ٢٢٦/١: (الرمل: أن يُسرَع في المشي ويهز كتفيه، شبه المبارز يتبختر بين الصفيين).

فاقتصار العظيم آبادي في تعريف الرمل عند الحنفية على ما ذكره صاحب الهداية، لا يخلو من قصور. انظر: عون المعبود ٢٣٦/٥.

(١) تنبيه: قال خليل في منسكه ص ٦٩: (وليحذر مما يفعله بعضهم من الجري في طواف القدوم. فإن الرمل المسنون أن يهز منكبيه، ويُسرَع في مشيه دون الجري).

(٢) الخبب: ضرب من العَدُوِّ. قال النووي: هو الرمل. وقال الشافعي: (الرمل: هو الخبب. لا شدة السعي) انظر: مختصر المزني ١٤٠/٤. وقال: (ولا أحب أن يثب من الأرض وثباً) الأم ١٧٤/٢. وانظر: النهاية ٣/٢، التمهيد ٧٠/٢، شرح النووي على صحيح مسلم ٧/٩.

(٣) تنبيه: وصّف ابن عبد البر الرمل بأنه: (دون الهرولة) ومراده بالهرولة: العدو. وخالفه في ذلك آخرون، فوصفوا الرمل بالهرولة. كالجوهري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأبو الحسن المالكي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والرمل مثل الهرولة، وهو مسارعة المشي مع تقارب الخطى). مجموع الفتاوى ١٢٢/٢٦. وقال أبو الحسن المالكي في كفاية الطالب ٦٦٧/١: (الخبب، الرمل، وهو الهرولة. فوق المشي، ودون الجري). وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح إلى عمر بن عبد العزيز: «أنه كان يهول في الطواف» انظر: هداية السالك ٧٩٦/٢. وتوسط ابن دريد بين الرأيين، فقال: (هو شبيه بالهرولة، وأصله أن يُحرَك المشي منكبيه في مشيه). انظر: شرح الزرقاني على الموطأ ٤٠٣/٢.

والذي يظهر لي: أنه لا تعارض بينهم. إذ الجميع متفقون على أن الرمل ليس عدواً سريعاً، =

وهيأته أن يُحرك منكبیه لشدة الحركة في مشیه»^(١). قال صديق خان:
«ومعنى الرمل: الإسراع في المشي مع تقارب الخطى. وهو دون العدو، وفوق
المشي المعتاد. ولا يعدو، كما يفعل العوام»^(٢).

= أو سعيًا شديدًا. قال الماوردي في الحاوي ٤/١٤٠: (أما الرمل فهو: الخبب. فوق المشي،
ودون السعي). وقد نسب الزركشي على ذلك في شرحه ٢/١٩٢. فقال: (تسبيه:
الرمل. قال الجوهري: الهرولة. وقال الأزهري: الإسراع، وفسر الأصحاب الرمل: بإسراع
المشي، مع تقارب الخطى من غير وثب).

(١) الاستذكار ١٢/١٢٦.

(٢) رحلة الصديق ص ٩٢. وقال النووي في المجموع ٨/٤٥: (قال المتولي: تكره المبالغة في
الإسراع في الرمل. بل يرمل على العادة، لحديث جابر).

المطلب الثاني : دليل مشروعية الاضطباع والرمل .

دل على مشروعية الاضطباع والرمل في الطواف أحاديث كثيرة، منها :

- ١- عن ابن عباس رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتمروا من جعرانة^(١)، فاضطبعوا، وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم، ووضعوها على عواتقهم، ثم رملوا» وفي لفظ: «وقذفوها على عواتقهم اليسرى»^(٢).
- ٢- وعن يعلى بن أمية رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطبعاً وعليه بُرد»^(٣).

(١) الجعرانة: موضع بين مكة والطائف. وهي على سبعة أميال من مكة. وهي بالتخفيف. قال ابن المديني: العراقيون يُثَقِّلُون (الجعرانة، والحديبية) والحجازيون يخففونها، فأخذ به المحدثون. وقال الشافعي: المحدثون يخطفون في تشديدها. وكذلك قال الخطابي. قال البلادي: لا زالت تُعرف في رأس وادي سرف، حين تعلقه في الشمال الشرقي من مكة.

انظر: المصباح المنير ١/١٠٢، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٨٣.
(٢) أخرجه أحمد ١/٣٧١، واللفظ له. وبنحوه ١/٣٠٦، وأبو داود في المناسك، باب الاضطباع في الطواف ٢/١٧٧ (١٨٨٤)، والبيهقي ٥/٧٩، بإسناد صحيح على شرط مسلم. انظر: نصب الراية ٣/٤٣، هداية السالك ٢/٨٠٦، الإرواء ٤/٢٩٢، التعليق على المسند ٥/٤٥٩.

(٣) أخرجه الترمذي في الحج، باب ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف مضطبعاً ٢/١٧٥ (٨٦١)، والبيهقي ٥/٧٩، من طريق قبيصة عن الثوري. وقال: هذا حديث الثوري عن ابن جريج، لا نعرفه إلا من حديثه، وهو حديث حسن صحيح، والدارمي ٢/٤٣ من طريق يوسف عنه دون زيادة «وعليه برد»، وابن ماجه (٢٩٥٤) من الطريقين. ونسبه على أن الزيادة من طريق قبيصة. وأبو داود، باب الاضطباع في الطواف ٢/١٧٧ (١٨٨٣)، والبيهقي ٥/٧٩ من طريق محمد بن كثير عنه بلفظ: « .. ببرد أخضر»، وأحمد ٤/٢٢٣، ٢٢٤، من طريق وكيع بلفظ: «برد حضرمي» ومن طريق عمر بن هارون ٤/٢٢٣ بلفظ: « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مضطبعاً بين الصفا والمروة برد له نجراني ». ومن طريق عبد الله ابن الوليد ٤/٢٢٢ بلفظ: « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مضطبعاً برداء حضرمي » ، كلهم كما قال الترمذي: من طريق الثوري عن ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير، عن ابن يعلى عن =

- ٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول حَبًّا ثلاثاً، ومشى أربعاً. وكان ابن عمر يفعل ذلك»^(١).
- ٤- وعن جابر رضي الله عنه في وصف حجة النبي ﷺ وفيه: «.. حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم» الحديث^(٢).
- ٥- وعن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: «(فِيمَ الرَّمْلَانِ^(٣)) الآن، والكشف عن المناكب، وقد أطأ الله^(٤) الإسلام، ونفى الكفر وأهله؟ ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ»^(٥).

= إياه. إلا أن ابن جريج يدلسه عن ابن يعلى مرة، ويرويه عن رجل مبهم عن ابن يعلى مرة أخرى. قال في التعليق على المسند ٤٧٣/٢٩: إسناده قوي.

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في الحج، باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة (٨٠) ١٧٠ / ٢، ومسلم في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ٦/٩.

(٢) أخرجه مسلم في الحج، باب حجة النبي ﷺ ١٧٤/٨.

(٣) الرَّمْلَانِ: قيل: تنثية الرمل. والمراد: الرمل في الطواف، والسعي بين الصفا والمروة. قال ابن الأثير: وهو قول غريب حكاه الحربي، وقال: الرملان مصدر. والمصدر يكثر مجيئه على هذا الوجه في أنواع الحركة، كالتَّزْوَانِ، والتَّسْلَانِ، والرَّسْفَانِ وأشباه ذلك. ويؤيد ذلك أن عمر رضي الله عنه أراد الرَّمْلَ الذي أمر به النبي ﷺ في عمرة القضية، لُيرى المشركين جلدتهم، لما وهنتهم حمسى يثرب. أما السعي بين الصفا والمروة، فهو شعار قديم، من عهد هاجر أم إسماعيل عليه السلام. فإذا المراد بقول عمر: رملان الطواف وحده. قال محب الدين الطبري: وكذلك شرحه أهل العلم. لا خلاف بينهم فيه. فليس للتنثية فيه وجه. والله أعلم.

انظر: النهاية ٢/٢٦٥، ٢٦٦، القرى ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٤) أطأ الله، بتشديد الطاء. أي: أثبتته وأحكمه. أصله وطىء، فأبدلت الواو همزة، كما في وقتت، وأقتت. وقال الخطابي: إنما هو وطأ. أي: ثبته وأرساه. والواو قد تبدل ألفاً. ونحوه قاله ابن الأثير. انظر: معالم السنن ٢/١٩٥، النهاية ١/٥٣، عون المعبود ٥/٢٣٩.

(٥) أخرجه أحمد ١/٤٥، وأبو داود، باب الرمل ١٧٨/٢ (١٨٨٧)، وابن ماجه (٢٩٥٢)، وابن خزيمة (٢٧٠٨)، والحاكم ١/٤٥٤، وقال: صحيح على شرط مسلم، وأبو يعلى =

المطلب الثالث : الحكمة من مشروعية الاضطباع والرمل .

الأصل في مشروعية الاضطباع والرمل: أن المشركين قالوا - قبل دخول النبي ﷺ وأصحابه ﷺ مكة في عمرة القضية سنة سبع - : إنه يقدم عليكم غداً قوم قد وهنتهم الحمى، ولقوا منها شدة، فجلسوا مما يلي الحجر. وأمر النبي ﷺ أصحابه ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين، ليرى المشركون جلددهم. فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم. هؤلاء أجلد من كذا وكذا. قال ابن عباس ﷺ: ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم^(١).

فرملوا واضطبعوا ليرى المشركون قوتهم بالرمل، وصحة أبدانهم بالاضطباع. قال ابن عباس ﷺ: «إنما سعى رسول الله ﷺ ورمل بالبيت، ليُري المشركين قوته»^(٢).

وعنه ﷺ قال: قال النبي ﷺ لأصحابه حين أرادوا دخول مكة في عمرته

(١٨٨)، والبيهقي ٧٩/٥. كلهم من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبيه. قال النووي في المجموع ١٩/٨: رواه البيهقي بإسناد صحيح. وقال في التعليق على المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، ورجاله ثقات، رجال الشيخين، غير همام بن سعد، فمن رجال مسلم. وهو حسن الحديث. وأخرجه البخاري في المناسك، باب الرمل في الحج والعمرة (٥٧) ١٦١/٢ من طريق محمد بن جعفر، عن زيد بن أسلم بلفظ: «.. ما لنا وللرمل؟ إنما كنا نراءى به المشركين، وقد أهلكهم الله. ثم قال: شيء صنعته النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه».

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس ﷺ. أخرجه البخاري في الحج، باب كيف كان بدء الرمل (٥٥) ١٦١/٢ مختصراً، ومسلم في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ١٢/٩ مع شرح النووي.

(٢) أخرجه مسلم ١٣/٩.

بعد الحديدية: «ثم إن قومكم غداً سيرونكم، فليروكم جُلداً. فلما دخلوا المسجد استلموا الركن ثم رملوا، والنبي ﷺ معهم حتى إذا بلغوا إلى الركن اليماني مشوا إلى الركن الأسود، ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم مشى الأربع»^(١). وفي لفظ «أن النبي ﷺ اضطبع فاستلم وكبر، ثم رمل ثلاثة أطواف، وكانوا إذا بلغوا الركن اليماني وتغيّبوا من قريش مشوا، ثم يطلعون عليهم يرملون. تقول قريش: كأنهم الغزلان. قال ابن عباس: فكانت سنة»^(٢). قال الشوكاني: «والحكمة في فعله - أي: الاضطباع - أنه يُعين على إسراع المشي»^(٣).

ثم استمر النبي ﷺ يرمل بعد ذلك في عُمَرِهِ وِحِجَّتِهِ، فرمل في طوافه أول قدومه مكة في حجة الوداع من الحَجَرِ إِلَى الحَجَرِ ثلاثاً، ومشى أربعاً. فاستقرت سنة الرمل والاضطباع. فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم، سعى ثلاثة أطواف، ومشى أربعة، ثم سجد سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة»^(٤). وعنه رضي الله عنه قال: «رمل رسول الله ﷺ من الحَجَرِ إِلَى الحَجَرِ ثلاثاً، ومشى أربعاً»^(٥). وقال عمر رضي الله عنه: «مالنا والرمل.

(١) أخرجه أحمد ٣١٤/١، وابن ماجه (٢٩٥٣)، وابن حبان كما في الإحسان (٣٨١٤) كلهم من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن خثيم، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس به. قال في التعليق على المسند ٥٩/٥: إسناده قوي على شرط مسلم. رجاله ثقات، رجال الشيخين، غير ابن خثيم، فمن رجال مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود في المناسك، باب في الرمل ١٧٩/٢ (١٨٨٩) من طريق الأنباري، عن يحيى بن سليم، عن ابن خثيم. قال ابن جماعة في هداية السالك: إسناده لا بأس به ٨٠٢/٢.

(٣) نيل الأوطار ١١١/٥.

(٤) متفق عليه. أخرجه البخاري في الحج، باب من طاف بالبيت إذا قدم مكة (٦٣) ١٦٣/٢، ومسلم باب استحباب الرمل ٧/٩. وأخرج البخاري نحوه في الرمل في الحج والعمرة (٥٧) ١٦١/٢ بلفظ: «سعى النبي ﷺ ثلاثة أشواط ومشى أربعة في الحج والعمرة».

(٥) أخرجه مسلم في الحج، باب استحباب الرمل ٩/٩.

إنما كنا راعينا به المشركين، وقد أهلكهم الله؟ ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نُحب أن نتركه»^(١).

قال ابن تيمية: «إن العبادة قد تُشرع أولاً لسبب ثم يزول ذلك ويجعلها الله سبحانه عبادة وقربة، كما قد رُوي في: الرمل والاضطباع، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار»^(٢).

وقال بعض العلماء: إن الحكمة في بقاء مشروعيته بعد زوال العلة، تذكُر ما أنعم الله تعالى به على المسلمين من العزِّ والكثرة بعد القلة، والقوة بعد الضعف، فيكون ذلك باعثاً على الانقياد، ويحصل به تعظيم الأولين، لما كانوا عليه من احتمال المشاق في امتثال أمر الله تعالى، والمبادرة عليه، وبذل الأنفس فيه^(٣).

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب الرمل في الحج والعمرة (٥٧) ١٦١/٢.

(٢) شرح العمدة ٤٢٢/٣. وقال الخطابي في معالم السنن ١٩٤/١: (فيه دليل على أن النبي ﷺ قد يسُن الشيء لمعنى، فيزول وتبقى السنة على حالها). وقال المحب الطبري: (وقد يحدث شيء من أمر الدين لسبب، ثم يزول السبب ولا يزول حكمه، كالعرابا، والاعتسال للجمعة ونحو ذلك) القرى ص ٣٠٢.

(٣) انظر: هداية السالك ٨٠٣/٢، إعانة الطالبين ٢٩٩/٢، عون المعبود ٢٣٩/٥. وقال الحافظ في فتح الباري ٤٧٢/٣: (إن عمر كان همَّ بترك الرمل في الطواف، لأنه عرف سببه، وقد انقضى، فهمَّ أن يتركه، لفقد سببه، ثم رجع عن ذلك، لاحتمال أن تكون له حكمة ما اطلع عليها، فرأى الاتباع أولى من طريق المعنى. وأيضاً إن فاعل ذلك إذا فعله تذكر السبب باعث على ذلك، فيتذكر نعمة الله على إعزاز الإسلام وأهله).

المطلب الرابع : حكم الاضطباع والرمل.

اتفق العلماء - رحمهم الله - على أنه ﷺ اضطبع ورمل في طوافه، إلا أنهم اختلفوا في بقاء مشروعيتها بعد زوال سببهما، بتمكن الإسلام وظهوره، وذهاب الشرك وأهله من مكة .

واختلف القائلون بمشروعيتها في حكمهما، هل هما من شروط الطواف وواجباته، أم من سننه ومندوباته ؟ وسأعرض لذلك في الفروع التالية :

• الفرع الأول : مشروعية الاضطباع .

اختلف العلماء - رحمهم الله - في بقاء مشروعية الاضطباع في الطواف، على قولين :

القول الأول : إن الاضطباع مشروع، وهو سنة باقية .

وإلى هذا القول ذهب: جمهور العلماء، ومنهم: أصحاب المذاهب الثلاثة: الحنفية، والشافعية، والحنابلة^(١).

القول الثاني : لا يُشرع الاضطباع، وأنه ليس بسنة بعد ذهاب سببه، بظهور الإسلام .

وإلى هذا القول ذهب: المالكية^(٢). وحكى ابن المنذر عن مالك أنه قال:

(١) انظر: المبسوط ١٠/٤، بدائع الصنائع ١٤٧/٢، الهداية ١٤٠/١، حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، الأم ١٧٤/٢، حلية العلماء ٢٨٤/٣، الحاوي الكبير ١٤٠/٤، الوسيط ٦٤٨/٢، المهذب والمجموع ١٩/٨، إعانة الطالبين ٣٠٠/٢، المغني ٢١٦/٥، فتح الباري ٤٧٢/٣، نيل الأوطار ١١١/٥، عون المعبود ٢٣٦/٥، قال ابن قدامة في المغني: (ويستحب الاضطباع في طواف القدوم ..، وبهذا قال الشافعي، وكثير من أهل العلم). وقال ابن حجر في فتح الباري: (وهو مستحب عند الجمهور، سوى مالك. قاله ابن المنذر).

(٢) انظر: البيان والتحصيل ٤٤٩/٣، ٤٥٠، المغني ٢١٦/٥، الحاوي ١٤٠/٤، المجموع ٢١/٨.

لا يعرف الاضطباع، ولا رأيت أحداً يفعله^(١).

الأدلة :

استدل أصحاب القول الأول، وهم الجمهور، بما يلي :

١- بما سبق ذكره من الأدلة الثابتة عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وأنهم طافوا مضطبعين. فدل ذلك على مشروعية الاضطباع .

ولم يأت ما يدل على نسخه^(٢).

٢- وعن أسلم مولى عمر بن الخطاب قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: ((فيمم

الرّمْلان الآن، والكشف عن المناكب، وقد أطأ الله الإسلام، ونفى الكفر

وأهله؟ ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ))^(٣).

فدل ذلك على بقاء حكم الاضطباع، وفعله من لدن الصحابة رضي الله عنهم بعد

وفاة النبي ﷺ .

= فتح الباري ٤٧٢/٣، نيل الأوطار ١١١/٥، عون المعبود ٢٣٦/٥.

ونقل سند عن مالك أنه قال في الموازية: (ولا يحسر عن منكبيه، ولا يحركهما). انظر:

هداية السالك ٨٠٨/٢، وفي العتبية: (سئل مالك عن حَسْر المحرم عن منكبيه، إذا هو

طاف بالبيت الطواف الواجب في الرمل. قال: لا يفعل). قال ابن رشد- الجذ -: (زاد

في كتاب ابن المواز، ولا يحركهما. وهذا كما قال. إذ ليس من السنة أن يحسر عن

منكبيه، ولا يحركهما بقصد منه إلى ذلك. فإذا انحسر منكباه، أو تحركا لشدة الرمل، فلا

بأس به. فقد قيل: إن الرمل هو الخبب الشديد، دون الهرولة. الذي يحرك منكباه لشدته (

انظر: العتبية مع البيان.

(١) انظر: حلية العلماء ٢٨٤/٣.

(٢) قال ابن قدامة: (وقد ثبت بما روينا أن النبي ﷺ وأصحابه فعلوه، وقد أمر الله تعالى

باتباعه، وقال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [سورة الأحزاب، آية: ٢١]. المعني

.٢١٦/٥

(٣) تقدم نخرجه.

واستدل أصحاب القول الثاني، القائلون بعدم استحبابه، بما يلي :

١- إن رسول الله ﷺ إنما فعله وأمر به في عمرة القضية، حين قالت قريش: أما تتررون إلى أصحاب محمد قد وعكنهم حمى يثرب. فقال لأصحابه: «ارملوا». كفعل أهل النشاط والجَلَد، ليغيظ قريشاً. قال مالك: وهذا السبب قد زال، فيجب أن يزول حكمه^(١).

٢- وبما يُشبهه الإجماع على عدم مشروعيته. فقال مالك: «لم أسمع أحداً من أهل العلم ببلدنا يذكر أن الاضططاع سنة»^(٢).

• الرأي المختار :

لا ريب أن ما ذهب إليه جمهور العلماء في هذه المسألة، وهو أن الاضططاع سنة باقية، ومن مستحبات الطواف، وهو الرأي المختار، لما يلي :

١. إن الأدلة على أن النبي ﷺ كان يضطبع في عُمَرِهِ، بل وفي حجته أيضاً^(٣)، نصوص صريحة صحيحة. وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٤)، وقال ﷺ في حجته: «لتأخذوا عني مناسككم»^(٥).

(١) انظر: الحاوي ٤/١٤٠.

(٢) انظر: المغني ٥/٢١٦، البيان والتحصيل ٣/٤٤٩.

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٥/١٥٧: (فأما الاضططاع في حجة الوداع، فقد قال قبيصة، والفريابي عن خثيم، عن أبي الطفيل، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبه، عن ابن يعلى بن أمية، عن أبيه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت مضطبعاً» رواه الترمذي من حديث الثوري. وقال: حسن صحيح ..).

(٤) سورة الأحزاب، آية : ٢١.

(٥) بهذا اللفظ أورده الفقهاء. وهو جزء من حديث أخرجه مسلم في الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة ٩/٤٤. ولفظه: «.. رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا عني مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه ..» الحديث .

٢. ثبت أن الصحابة رضي الله عنهم اضطبعوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، كما دلّ على ذلك أثر عمر رضي الله عنه.

٣. إن قول ابن عباس رضي الله عنهما أكثر ما فيه أن سبب الاضطباع والرمل ما ذكره، ولكنهما صارا سنة بذلك السبب، فيبقى بعد زواله، كرمي الجمار بسببه رمي الخليل عليه السلام الشيطان، ثم بقي بعد زوال ذلك السبب ^(١).

٤. ينتقض قول الإمام مالك بعدم مشروعية الاضطباع لزوال سببه، بالرمل، فإنه يقول ببقاء مشروعيته مع زوال سببه ^(٢).

٥. إن بقاء السبب ليس بشرط لبقاء الحكم، كالبيع والنكاح وغيرهما ^(٣).

٦. إن القول بزوال السبب ممنوع، لأن الحكم يجوز أن يثبت بعلة متعددة. فذهاب بعضها لا يستلزم زوال الحكم، وكون النبي صلى الله عليه وسلم اضطبع في حجة الوداع بعد ذهاب غلبة المشركين، دليل على بقاء علة أخرى للحكم، كتذكّر نعمة الأمن بعد الخوف، ليُشكر الله عليها ^(٤).

(١) المبسوط ١٠/٤. وعبر الكاساني عن ذلك بقوله: (إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رمل بعد زوال ذلك السبب، صار الرمل سنة مبتدأة، فنتبع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، وإن كان لا نعقل معناه. وإلى هذا أشار عمر رضي الله عنه حين رمل في الطواف). بدائع الصنائع ١٤٧/٢. وقال الماوردي في الخاوي ١٤٠/٤: (قال الشافعي: رمل مضطبعاً، فقد أخرج بسنته، ثم فعل مثل فعله مع زوال سببه. وأكثر مناسك الحج، كانت لأسباب زالت، وهي باقية).

(٢) انظر: المجموع ٢١/٨.

(٣) انظر: بدائع الصنائع ١٤٧/٢.

(٤) انظر: منسك ملا القاري ص ١٠٨. وقد عبر عن ذلك ابن نجيم في البحر الرائق ٣٥٤/٢ بقوله: (واعلم أن الأصل زوال الحكم، ثم زوال العلة، لأن الحكم ملزوم لوجود العلة، ووجود الملزوم بدون اللازم محال. وقول من قال: إن علة الرمل في الطواف زالت، وبقي الحكم. ممنوع، فإن النبي صلى الله عليه وسلم رمل في حجة الوداع تذكيراً لنعمة الأمن بعد الخوف، ليُشكر عليها، فقد أمر الله بذكر نعمه في مواضع من كتابه، وما أمرنا بذكرها إلا لنشكرها.

٧. إِنْ مَنْ عَلِمَ حِجَّةَ عَلِيٍّ مِنْ لَمْ يَعْلَمَ، وَلَيْسَ الْعَكْسُ. فَخَفَاءَ هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْإِمَامِ مَالِكٍ لَا يَكُونُ سَبَبًا فِي إِبْطَالِهَا، وَعَدَمِ الْعَمَلِ بِهَا. وَلِذَا نَقُولُ نَحْوَ مَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، فَيَمُنُّ أَنْكَرَ سَنَةِ الرَّمْلِ: قَدْ ثَبِتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اضْطَبَعَ بَعْدَ عَمْرَةَ الْقُضِيَّةِ، فَصَارَتْ سَنَةً مَعْمُولًا بِهَا، لَا يَضُرُّهَا مِنْ جَهْلِهَا وَأَنْكَرَهَا^(١). وَقَالَ صَدِيقُ خَانَ: « وَلَا يُشْرَعُ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ: الاضْطَبَاعُ فِي الطَّوَافِ، وَلَا فِي غَيْرِهِ. وَالْحَدِيثُ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُمْ »^(٢). وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

• الْفَرْعُ الثَّانِي: مَشْرُوعِيَّةُ الرَّمْلِ .

اختلف العلماء - رحمهم الله - كذلك في بقاء مشروعية الرمل في الطواف بعد زوال سببه، وذهاب وقت الحاجة إليه، بظهور الإسلام وتمكنه، واضمحلال الشرك وأهله من مكة. على قولين :

القول الأول : إن الرمل سنة باقية، وشعيرة ثابتة، وإن زال سببها، وذهب وقت الحاجة إليها، شأها شأن كثير من السنن والشعائر في مناسك الحج والعمرة الباقية وإن ذهب سببها، كالسعي، ورمي الجمار ونحو ذلك .
وإلى هذا القول ذهب جمهور العلماء، ومنهم أصحاب المذاهب الأربعة^(٣).

= ويجوز أن يثبت الحكم بعلة متبادلة، فحين غلبت المشركين كانت علة الرمل، إيهام المشركين قوة المؤمنين. وعند زوال ذلك تكون علة تذكير نعمته الأمن: كما أن علة الرِّقِّ في الأصل استنكاف الكافر عن عبادة ربه، ثم صار علة حكم الشرع بقره، وإن أسلم. وكالخراج فإنه يثبت في الابتداء، ولهذا لا يُبدأ به على المسلم، ثم صار علة حكم الشرع بذلك حتى لو اشترى المسلم أرض خراج، لزمه عليه الخراج .

(١) انظر: الاستذكار ١٣٧/١٢ .

(٢) رحلة الصديق ص ٩١ .

(٣) انظر: أحكام القرآن للحصص ٩٧/١، المبسوط ١٠/٤، بدائع الصنائع ١٤٧/٢ ، =

القول الثاني: إن الرمل ليس بمشروع، ولا يُستحب في الطواف. وإنما فعله النبي ﷺ لسبب وقد زال بظهور الإسلام. فإن شاء رمل، وإن شاء لم يرمل. وهذا القول مروى عن جماعة من التابعين، منهم: عطاء، ومجاهد، وطاوس، والحسن، وسالم، والقاسم، وسعيد بن جبير، وعلي بن الحسين^(١). وهو الأشهر عن ابن عباس^(٢)، وبه قال

= الاستذكار ١٢/١٢٧، الرسالة مع شرحها تنوير المقالة ٣/٤٣٥، قوانين الأحكام الشرعية ص ١٣٩، المجموع ٨/٤١، المغني ٥/٢١٧. وقد ترجم لذلك البخاري في صحيحه بقوله: (باب الرمل في الحج والعمرة). قال ابن حجر في فتح الباري ٣/٤٧١: (والقصد إثبات بقاء مشروعيته، وهو الذي عليه الجمهور). وقال الكاساني في بدائع الصنائع ٢/١٤٧: (وهو قول عامة الصحابة^(٣)). وقال ابن عبد البر في التمهيد ٢/٧٠: (روي ذلك عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر. واختلف فيه على ابن عباس. وهو قول مالك وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأبي حنيفة وأصحابه، والثوري، وأحمد ابن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وجماعة فقهاء الأمصار).

تنبية: نسب ابن رشد هذا القول إلى ابن عباس^(٤)، ولم يذكر قوله المشهور. انظر: بداية المجتهد ١/٣٤٠. وهو سبق قلم، أو وهم.

(١) انظر: المصنف لابن أبي شيبة ٣/٢٧٧، التمهيد ٢/٧٠ / الاستذكار ١٢/١٢٧، ١٢٨.
(٢) انظر: المراجع السابقة، وشرح الزرقاني على الموطأ ٢/٤٠٣، شرح معاني الآثار ٢/١٨٠، المبسوط ٤/١٠، بدائع الصنائع ٢/١٤٧، فتح القدير ٢/٤٥٤، حاشية ابن عابدين ٢/٤٩٨.

تنبية: لم تعزُ مصادر الحنفية السابقة هذا القول إلا لابن عباس وحده، مما يدل على أن المروي عن هؤلاء التابعين خلافه. بل صرح بذلك ابن الهمام في فتح القدير ٢/٤٥٤ فقال: (ذهب الحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعطاء إلى أنه لا رمل بين الركبتين. وذهب ابن عباس^(٥) فيما نقل عنه إلى أنه لا رمل أصلاً. ونقله الكرماني عن بعض مشايخنا). وظاهر هذا: أن هؤلاء التابعين مخالفون لابن عباس، وأنهم يقولون بمشروعية الرمل، إلا أنهم قد يختلفون مع الجمهور في قدره. وسيأتي التنبية على أن الصحيح موافقتهم له.

بعض الحنفية (١).

الأدلة :

استدل أصحاب القول الأول، بالأحاديث الدالة على أن النبي ﷺ رمل

في طوافه. ومن ذلك :

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما : «أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول، حَبًّا ثلاثاً، ومشى أربعاً» .

٢- وعن جابر رضي الله عنه في وصف حجة النبي ﷺ وفيه: «.. حتى إذا أتينا البيت معه استلم الرُّكنَ فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم» .

٣- وعن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: «فيم الرَّمْلانِ الآن، والكشف عن المناكب، وقد أظأ الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله؟ ومع ذلك لا ندع شيئاً كن نفعله على عهد رسول الله ﷺ» (٢).

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة،

= بل لم يعزُ ابن قدامة هذا القول لأحد، حتى لابن عباس، ولعله رأى أنه رجع عن ذلك حيث روى عن النبي ﷺ الرمل بعد عمرة القضية، وفتح مكة وظهور الإسلام بها، أو أن ثبوت الروايات الصحيحة، وما عليه عامة الصحابة لا تحتمل نقل الخلاف في ذلك. فقال ٢١٧/٥ بعد أن بين حكم الرمل وأنه سنة: (ولا نعلم فيه بين أهل العلم خلافاً. وقد ثبت : « أن النبي ﷺ رمل ثلاثاً، ومشى أربعاً » . رواه جابر، وابن عباس، وابن عمر، وأحاديثهم متفق عليها. فإن قيل: إنما رمل النبي ﷺ وأصحابه لإظهار الجلد للمشركين .. قلنا: قد رمل النبي ﷺ وأصحابه، واضطبع في حجة الوداع بعد الفتح. فثبت أنها سنة ثابتة. وقال ابن عباس: « رمل النبي ﷺ في عَمَرِهِ كلها، وفي حجته، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، والخلفاء من بعده » رواه أحمد في المسند ١/٢٢٥).

(١) انظر: فتح القدير ٢/٤٥٤، حاشية ابن عابدين ٢/٤٩٨.

(٢) تقدم تخريج هذه الأحاديث الثلاثة في المطلب الثاني.

فرملوا بالبيت ثلاثاً، ومشوا أربعاً»^(١).

٥- وعنه عليه السلام قال: «رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته، وفي عمره كلها، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، والخلفاء»^(٢).

فدلّت هذه الأحاديث والآثار على: أن الرمل سنة باقية، لأن النبي صلى الله عليه وسلم رمل في حجته، ولم يبق بمكة يومئذ أحد من المشركين. كما رمل الصحابة رضي الله عنهم بعده اتباعاً لسنة.

واستدل أصحاب القول الثاني، بما يلي:

١- عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: زعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمل بالبيت، وأن ذلك سنة؟ قال: صدقوا، وكذبوا. قلت: ما صدقوا، وما كذبوا؟ قال: صدقوا، رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت، وكذبوا، ليست بسنة^(٣).
إن قريشاً قالت زمن الحديبية: دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النعف^(٤). فلما صالحوه على أن يجيء في العام المقبل فيقيم ثلاثة أيام

(١) أخرجه أبو داود في المناسك، باب في الرمل ١٧٩/٢ (١٨٩٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١٨٠/٢، والبيهقي ٧٩/٥. من طريق ابن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس به. وأخرجه أحمد ٣٧١/١، وأبو داود (١٨٨٤)، والبيهقي ٧٩/٥، من طريق ابن خثيم، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس بنحوه، وتقدم في المطلب الثاني.

(٢) أخرجه أحمد ٢٢٥/١، وأخرجه البيهقي مرسلًا عن عطاء ٨٣/٥. وذكره في التلخيص ٢٥٠/٢ وسكت عنه. وانظر نيل الأوطار ١١١/٥.

(٣) مراد ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «ليست بسنة» أي: أنه أمر لم يُسن فعله لكل المسلمين، على معنى القرية، كالسنن التي هي عبادات، ولكنه شيء فعله النبي صلى الله عليه وسلم لسبب خاص. انظر: معالم السنن ١٩٣/١، القرى ص ٢٩٧.

(٤) النعف: جمع نعفة، وهي دود تكون في أنوف الأنعام. ويُقال للرجل إذا استُحقر واستضعف: ما هو إلا نعفة. انظر: معالم السنن ١٩٣/١، النهاية ٨٧/٥، القاموس المحيط ص ١١٠٨، القرى ص ٢٩٧.

بمكة، فقدم رسول الله ﷺ وأصحابه، والمشركون على جبل قَعَيْقَعَانَ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ارملوا بالبيت ثلاثاً» وليست بسنة (١).

٢- وعنه ﷺ قال: «قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة، وقد وهنتهم حمى يثرب. قال المشركون إنه يقدم عليكم غداً قوم قد وهنتهم الحمى، ولقوا منها شدة. فجلسوا مما يلي الحجر، وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين، ليرى المشركون جلدَهم. فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا. قال ابن عباس ﷺ: ولم يمنع أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط الأربعة إلا الإبقاء عليهم» (٢).

٣- وعنه ﷺ قال: «إنما سعى رسول الله ﷺ ورمل بالبيت ليرى المشركين قُوته» (٣). قالوا: إن أمر النبي ﷺ لأصحابه ﷺ أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون، دليل على أن الرمل إنما كان ليرى المشركون أن بهم قوة، وأنهم ليسوا بضعفاء، لا لأن ذلك سنة (٤). وما يدل على ذلك، أنه لم يفعل ذلك لما حج (٥). كما دلّ عليه الحديثان التاليان :

(١) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود (١٨٨٥)، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١٧٩/٢ من طريق أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل به. وأخرجه مسلم في الحج، باب استحباب الرمل ١٠/٩ - ١٢، وأحمد ٢٢٩/١، والبيهقي ٨٢/٥، وغيرهم من طرق عن أبي الطفيل بنحوه ومختصراً.

(٢) أخرجه مسلم في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ١٢/٩، ١٣.

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في الحج، باب ما جاء في السعي (٨٠) ١٧١/٢، ومسلم ١٣٩/٩، واللفظ له.

(٤) انظر: شرح معاني الآثار ١٧٩/٢.

(٥) المرجع السابق ١٨٠/٢.

٤- روى الحجاج بن أرطاة عن أبي جعفر وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ أهل مكة أن بأصحابه هزلاً، فلما قدم مكة قال لأصحابه: «شدوا ميازرکم، وارملوا حتى يرى قومکم أن بکم قوة» ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرمل ^(١).

٥- وروى العلاء بن المسيب عن الحكم عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن النبي صلى الله عليه وسلم رمل في العمرة، ومشى في الحج» ^(٢).

• الرأي المختار :

إن ما ذهب إليه الجمهور من القول: بمشروعية الرمل، وبقاء استحبابه، هو الرأي المختار، لما يلي :

١. إن ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما من رمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم في الأشواط الثلاثة الأول من الحجر إلى الركن، ومشيهما ما بين الركنين، حكاية عما كان في عمرة القضية، وأن سبب مشروعية الرمل إنما كان ليرى المشركون أن بهم قوة، وأنهم ليسوا بضعفاء ..، أكثر ما فيه أن سببه ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما، ولكنه صار سنة بذلك السبب، فبقي بعد زواله، كرمي الجمار، سببه رمي إبراهيم الخليل عليه السلام، الشيطان، ثم بقي بعد زوال ذلك السبب سنة ثابتة ^(٣).

(١) أورده ابن عبد البر في التمهيد ٧٢/٢. ولم أجد عند غيره.

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١٨٠/٢، وأورده ابن عبد البر في التمهيد ٧٥/٢.

(٣) انظر: المبسوط ١٠/٤، وقد ترجم لذلك ابن خزيمة في صحيحه ٢١١/٤: (باب ذكر الدليل على أن السنة قد كان يسنها النبي صلى الله عليه وسلم لعله حادثة، فتزول العلة، وتبقى السنة قائمة إلى الأبد. إذ النبي صلى الله عليه وسلم إنما رمل في الابتداء واضطبع، ليرى المشركين قوته، وقوة أصحابه، فبقي الاضطباع والرمل سنتان إلى آخر الأبد). ثم أورد حديث أسلم عن عمر بن الخطاب المتقدم في الأدلة. وانظر: شرح الزركشي ١٩١/٢.

٢. إن ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من إنكار سنية الرمل، لأنه إنما كان لإظهار القوة للمشركين، لعله رجع عن ذلك، إذ أنه ممن روى الرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد عمرة القضية، وذهاب المشركين، وذلك في عمرة الجعرانة، وفي حجة الوداع، وروى ذلك عن الخلفاء بعده رضي الله عنهم. قال البيهقي: «قد مضى في الحديث الثابت عن جابر بن عبد الله في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم، حجة الوداع أنه حين أتى البيت، استلم الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، وفيما روينا عن ابن عباس في عمرة الجعرانة، وذلك بعد عمرة القضية، أنهم رملوا ثلاثاً واضطبعوا» (١).

٣. إن رواية الحجاج بن أرطاة عن ابن عباس رضي الله عنه لا يُعارض بها ما رواه الثقات. فقد قال عنه الحافظ ابن حجر: «صدوق، كثير الخطأ والتدليس» (٢). وقال ابن عبد البر: «فهذا يدلُّ على ضعف رواية الحجاج، وأن ما قال أهل الحديث فيه: أنه ضعيف، مدلس، لا يُحتج بحديثه، لضعفه، وسوء نقله عندهم، حقٌّ. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رمل في حجته، فبطل ما خالفه. ولو كان ما حكاه الحجاج في روايته عن ابن عباس رضي الله عنه صحيحاً لم يكن فيه حجة، لأنه ناف، والذي حكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل، وأخبر أنه عاينه يصنع ذلك مثبت، والمثبت أولى من النافي في وجه الشهادات والأخبار» (٣).

(١) السنن الكبرى ٨٢/٥. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١٥٧/٥ بعد أن أورد الأحاديث الدالة على رمل النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «.. فكان ابن عباس يُنكر وقوع الرمل في حجة الوداع. وقد صح بالنقل الثابت، كما تقدم، بل فيه زيادة تكميل الرمل من الحجر إلى الحجر، ولم يمش ما بين الركنين اليمانيين، لزوال تلك العلة المشار إليها، وهي الضعف، وقد ورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس: «أهم رملوا من الجعرانة واضطبعوا» وهو ردٌّ عليه، فإن عمرة الجعرانة لم يبق في أيامها خوف، لأنها بعد الفتح).

(٢) التقريب ص ٢٢٢.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٥٧/٢. وانظر: الاستدكار ١٣٤/١٢.

٤. إن ما رواه العلاء بن المسيب عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم رمل في عمرته، ومشى في حجه. قيل: بأنه حديث لا يثبت، لأنه رواه الحفاظ موقوفاً على ابن عمر^(١)، ولو كان مرفوعاً، كان قد عارضه ما هو أثبت منه^(٢)، كحديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول، خبَّ ثلاثاً، ومشى أربعاً..»، وكان ابن عمر يفعل ذلك^(٣). وحديث عقبه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف في الحج والعمرة أول ما يقدم فإنه يسعى ثلاثة أطواف بالبيت^(٤)، ثم يمشي أربعة، ثم يصلي سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة»، وعن عبيد الله بن عمر عن نافع: «أن ابن عمر رضي الله عنهما رمل من الحجر إلى الحجر. وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله^(٥). فهذه الآثار كلها عن ابن عمر رضي الله عنهما تدفع حديث العلاء بن المسيب^(٦). وقد ذكر حماد بن سلمة عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه كان إذا قدم مكة طاف بالبيت ورمل، ثم طاف بين الصفا والمروة. وإذا لبى بها من مكة، لم يرمل بالبيت، وأخر الطواف بين الصفا والمروة إلى يوم النحر^(٧). وروى مالك عن نافع عن ابن

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر ٥٧/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم ٨/٩: (قوله: «يسعى ثلاثة أطواف» فمراده يرمل. وسمّاه سعيًا مجازاً، لكونه يُشارك السعي في أصل الإسراع، وإن اختلفت صفتها).

(٥) أخرجها كلها مسلم في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ٦/٩ - ٩.

(٦) قال ابن عبد البر بعد أن أورد ما رواه الشافعي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رمل ثلاثة أشواط، ومشى أربعة. يعني في حجته. قال: (هذا خير من حديث العلاء ابن المسيب ..، وأصح وأثبت إن شاء الله). الاستذكار ١٣٨/١٢.

(٧) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١٨٢/٢. وأورده ابن عبد البر في التمهيد ٧٦/٢.

عمر نحوه^(١). وفي هذا الأثر عن ابن عمر أنه كان يرمل في الحجة إذا كان إحرامه بها من غير مكة، وكان لا يرمل في حجته إذا أحرم بها من مكة. قال ابن عبد البر: « وهذا إجماع. من أحرم بالحج من مكة لا رمل عليه، إن طاف بالبيت قبل خروجه إلى منى. وعلى هذا يصح حديث مجاهد إن كان موقوفاً، وكانت حجة ابن عمر فيه مكية. وأما مرفوعاً، فلا يصح، لدفع الآثار الصحاح له في أن رسول الله ﷺ رمل في حجته، ولم تكن له حجة غيرها ﷺ »^(٢). وقال الطحاوي: « فلا يخلو ما رواه مجاهد من أحد وجهين: إما أن يكون منسوخاً، فما نسخته فهو أولى منه. أو يكون غير صحيح عنه، فهو أحرى أن لا يُعمل به، وأن يجب العمل بخلافه »^(٣).

٥. ثبت أنه ﷺ رمل في حجته، وكان ذلك بعد ظهور الإسلام بمكة، وخلوها من الشرك وأهله، وعدم الحاجة لإظهار القوة للمشركين، من حديث ابن عمر، وجابر رضي الله عنه^(٤). قال الطحاوي: « فلما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه رمل في حجة الوداع ولا عدو، ثبت أنه لم يفعله إذ كان العدو، من أجل العدو. ولو كان فعله إذ كانوا من أجلهم، لما فعله في وقت عدمهم. فثبت بذلك أن الرمل في الطواف من سنن الحج المفعولة فيه، التي لا ينبغي تركها. وقد فعل ذلك أيضاً أصحاب رسول الله ﷺ من بعده »^(٥).

(١) بلفظ: « أن عبد الله بن عمر كان إذا أحرم من مكة، لم يطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة حتى يرجع من منى، وكان لا يرمل إذا طاف حول البيت إذا أحرم من مكة ». الموطأ كتاب الحج، باب الرمل في الطواف ١/٣٦٥ (١١١).

(٢) التمهيد لابن عبد البر ٧٦/٢.

(٣) شرح معاني الآثار ١٨٢/٢.

(٤) تقدم ذكر ذلك في المطلب الثاني.

(٥) شرح معاني الآثار ١٨٢/٢. قال الكاساني في بدائع الصنائع ١٤٧/٢: (لكننا نقول: =

٦. ثبت أن عمر، وابن مسعود، وابن عمر رضي الله عنهم رملوا في طوافهم ^(١). فإما أن يُقال: بعدم التعارض بينهما، وأن سبب المشروعية لا يمنع بقاء الحكم بعد ذهاب سببه، لثبوت النصوص الدالة على ذلك. وإما أن يُقال: بالنسخ عند التعارض، للعلم بالتأخر. والله أعلم.

• الفرع الثالث : حكم الاضطباع والرمل .

اتفق العلماء - رحمهم الله - القائلون بمشروعية الاضطباع على أنه مستحب، وسنة من سنن الطواف ^(٢). فمن تركه، صح طوافه، ولا شيء عليه. وإنما فاته

= الرواية عن ابن عباس رضي الله عنه لا تكاد تصح، لأنه قد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل بعد فتح مكة ..، وكذا أصحابه رضي الله عنهم بعده رملوا، وكذا المسلمون إلى يومنا هذا، فصار الرمل سنة متواترة. فإما أن يُقال: إن أول الرمل كان لذلك السبب، وهو إظهار الجلادة، وإبداء القوة للكفرة، ثم زال ذلك السبب، وبقيت سنة الرمل على الأصل المعهود، أن بقاء السبب ليس بشرط لبقاء الحكم، كالبيع والنكاح وغيرهما. وإما أن يُقال: لما رمل النبي صلى الله عليه وسلم بعد زوال ذلك السبب، صار الرمل سنة مبتدأة، فنتبع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، وإن كان لا نقل معناه. وإلى هذا أشار عمر رضي الله عنه حين رمل في الطواف، وقال: مالي أهرز كنتفي، وليس ههنا أحد رأيته. لكن اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قال: لكن أفعل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(١) تقدمت الإشارة إلى بعض تلك الآثار. وانظر: مسند الشافعي ١/٣٣٩ (١٧٦)، التمهيد ٧٤/٢. قال ابن عبد البر في الاستذكار ١٢/١٣٧: (وقد ثبت عن عمر، وابن مسعود، وابن عمر أنهم كانوا يرملون في الطواف ثلاثاً. طواف القدوم، فصار سنة معمولاً بها، لا يضرها من جهلها وأنكرها).

(٢) انظر: الإفصاح ١/٢٦٩، المبسوط للشيباني ٢/٤٠٠، شرح معاني الآثار ٢/١٨٢، المبسوط ٤/١٠، حاشية ابن عابدين ٢/٤٩٥، حلية العلماء ٣/٢٨٥، ٣٨٤، الوسيط ٢/٦٤٨، المهذب والمجموع ٨/١٩، ٤١ هداية السالك ٢/٨٠٧، المغني ٥/٢١٦، ٢١٧، مجموع الفتاوى ٢٦/١٢٢، فتح الباري ٣/٤٧٢.

أجر فضيلة المتابعة. قال الشافعي: ((وإن لم يضطبع بحال، كرهته له، كما أكره له ترك الرمل في الأطواف الثلاثة، ولا فدية عليه، ولا إعادة))^(١).

واختلف العلماء - رحمهم الله - القائلون ببقاء مشروعية الرمل، هل هو من شروط الطواف وواجباته، أم من سننه ومستحباته؟ اختلفوا في ذلك على قولين:

القول الأول: إنه مستحب في الطواف. فمن تركه، صح طوافه، ولا شيء عليه. وإنما فاته أجر فضيلة المتابعة. قال الترمذي: ((قال الشافعي: إذا ترك الرمل عمدًا، فقد أساء، ولا شيء عليه))^(٢).

وإلى هذا القول ذهب: جمهور العلماء، ومنهم: أصحاب المذاهب الأربعة^(٣).

(١) الأم ١٧٤/٢.

(٢) السنن ٢١٢/٣.

(٣) انظر: الإفصاح ٢٦٩/١، شرح معاني الآثار ١٨٢/٢، المبسوط ١٠/٤، حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، الفتاوى الهندية ٢١٩/١، الاستذكار ١٢٧/١٢، تنوير المقالة مع الرسالة ٤٣٥/٣، قوانين الأحكام الشرعية ص ١٣٩، التاج والإكليل ١٠٩/٣، الشرح الصغير ٣٥٥، ٣٥٢/٢، الأم ١٧٤/٢، حلية العلماء ٢٨٥/٣، الوسيط ٦٤٨/٢، المهذب والمجموع ٤٥/٨، هداية السالك ٨٠٧/٢، المغني ٢٢٢/٥، مجموع الفتاوى ١٢٢/٢٦، فتح الباري ٤٧٢/٣. وقال ابن عبد البر في التمهيد ٧٧/٢: (وهو قول عطاء، وابن جريج، والشافعي فيمن اتبعه، وقول الأوزاعي، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثور). وقال ١٣٠/٢: (الذي عليه أكثر الفقهاء: أن ذلك خفيف لا شيء فيه). وقال الخطابي في معالم السنن ١٩٤/١: (وقال عامة أهل العلم ليس على تاركه شيء).

تنبيه: يرى المالكية مشروعية الرمل لكل مُحْرَم، سواء أكان آفاقياً، أم كان محرماً من دون المواقيت، كالتنعيم. إلا أن مشروعية الرمل لهما مختلفة، فمن أحرم من المواقيت، فيُسن له الرمل. وأمّا من أحرم من دونها، فيُنْدَب له الرمل. قال الدردير في الشرح الصغير: (ومحل =

القول الثاني : إنه واجب في الطواف . فمن تركه، فعليه دم . فإن كان محمولاً، رمل به حامله .

وإلى هذا القول ذهب: إبراهيم النخعي^(١)، والحسن البصري، والثوري، وعبد الملك بن الماجشون^(٢)، وابن حزم^(٣)، واختلفت الرواية فيه عن مالك^(٤) .

= استئان الرمل فيها إن أحرم بحج أو عمرة أو بهما من المواقيت، بأن كان آفاقياً، أو من أهله ..، وندب للطواف: رمل في الثلاثة الأول، لمحرم بحج أو عمرة، من دون المواقيت، كالتنعيم والجعرانة). ومعنى ذلك أن مشروعية الرمل لمن أحرم من دون المواقيت دون من أحرم من المواقيت. قال المواق: (يُستحب لمن اعتمر من الجعرانة، أو التنعيم، أن يرمل، وليس وجوبه - يُريد مشروعيته - عليه، كوجوبه على من حج، أو اعتمر من المواقيت). ومع وَصَف المالكية الرمل بأنه سنة، إلا أنهم لا يقولون بوجوب الدم بتركه.

(١) انظر: المحلى ٩٦/٧. وقال ابن حزم: (وروينا عن إبراهيم عليه الفدية).

(٢) انظر: التمهيد ٧٧/٢، الاستذكار ١٣٨/١٢، ١٣٩، حلية العلماء ٢٨٥/٣، المغني ٢٢٢/٥،

شرح مسلم للنووي ١٠/٩. ونسبه للثوري، الخطابي في معالم السنن ١٩٤/١.

(٣) المحلى ٩٦/٧. وقال: (أمر النبي ﷺ أصحابه أن يرملوا، وأن يمشوا ما بين الركبتين، فهذا

أمر واجب). وقال: (إذ أمر رسول الله ﷺ بالخبب في الأشواط المذكورة، فقد علمهم من أين يبتدون؟ وكيف يمشون؟ فصار ذلك أمراً. وأمره عليه السلام فرض).

(٤) انظر: التمهيد ٧٧/٢، الاستذكار ١٣٨/١٢، ١٣٩، تنوير المقالة ٤٣٦/٣، شرح مسلم

للسنوي ٧/٩. قال ابن عبد البر في التمهيد: (واختلف قول مالك وأصحابه فيمن ترك

الرمل في الطواف، والهرولة في السعي، ثم ذكر وهو قريب. فمرة قال: يُعيد. ومرة قال:

لا يعيد. وبه قال ابن القاسم. واختلف قول مالك أيضاً فيما حكاه ابن القاسم عنه، هل

عليه دم مع حاله هذه إذا لم يُعد أم لا شيء عليه؟ فمرة قال: لا شيء عليه. ومرة قال:

عليه دم. وقال ابن القاسم: هو خفيف، ولا نرى فيه شيئاً. وكذلك روى ابن وهب في

موطأه عن مالك، أنه استخفه، ولم ير فيه شيئاً. وروى معن بن عيسى عن مالك: أن عليه

دماً. قال ابن القاسم: رجع عن ذلك. وقال عبد الملك بن الماجشون: عليه دم. وهو قول =

الأدلة :

استدل أصحاب القول الأول، بما يلي :

- ١- عن ابن عباس أنه قال فيمن ترك الرمل: «لا شيء عليه»^(١).
- ٢- وبالبراءة الأصلية. إذ أن الرمل شيء مختلف فيه، هل هو سنة ومشروع، أم لا ؟ فإيجاب الدم على من تركه، وإخراج مال من يد صاحبه، إنما يكون في شيء واجب بيقين، لا شك فيه. والأصل براءة الذمم^(٢).
- ٣- إن ترك الرمل ليس إسقاطاً لنفس العمل، وإنما هو سقوط لهيئة العمل، والهيات لا تُجبر^(٣).

= الحسن البصري، وسفيان الثوري. وذكر ابن حبيب بن مطرف، وابن القاسم: أن عليه في قليل ذلك وكثيره دماً). وقال النووي في شرح مسلم ١٠/٩: (وكان مالك يقول به - أي: وجوب الدم - ثم رجع عنه). ونحوه في تنوير المقالة.

تنبية: عزا ابن رشد في بداية المجتهد ٣٤٠/١ القول بوجوب الدم بتركه إلى الجمهور فقال: (واختلفوا في حكم الرمل في الثلاثة الأشواط الأول للقادم، هل هو سنة أو فضيلة ؟ فقال ابن عباس: هو سنة، وبه قال الشافعي، وأبو حنيفة، وإسحاق، وأحمد، وأبو ثور. واختلف قول مالك في ذلك وأصحابه. والفرق بين القولين: أن من جعله سنة، أوجب في تركه الدم. ومن لم يجعله سنة، لم يوجب في تركه شيئاً) وهو وَهْمٌ بَيْنٌ. وقول ابن رشد: إنه سنة مع إيجاب الدم بتركه. موافق لمصطلح المالكية في إطلاقهم السنة، وإرادة الواجب الذي يجب بتركه دم في المناسك. انظر: بحث: أنواع الطواف وحكمه. ص ٢٩٠. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٠).

- (١) أورده ابن عبد البر معلقاً في التمهيد ٧٧/٢، والاستذكار ١٣٩/١٢، وكذا ابن حزم في المحلى ٩٦/٧. وقال: (وروينا عن ابن عباس، وعطاء: ليس على من ترك الرمل شيء).
- (٢) انظر: التمهيد ٧٧/٢، الاستذكار ١٣٩/١٢.
- (٣) انظر: التمهيد ٧٧/٢، الحاوي ١٤٢/٤، شرح الرزكشي ١٩٤/٢، شرح مسلم للنووي ٧/٩. وعبر عن هذا المعنى ابن قدامة في المغني ٢٢٢/٥، فقال: (إن الرمل هيئة في الطواف، فلا يجب بتركه إعادة ولا شيء، كهيئات الصلاة).

٤- إن تارك طواف القدوم لا يلزمه جبران أصلاً، فتارك هيأته، أولى بعدم الوجوب^(١).

٥- إن ترك الاضطباع في الطواف لا يجب به شيء، فكذلك ترك الرمل فيه^(٢).

استدل أصحاب القول الثاني، بما يلي :

١- بحديث ابن عباس رضي الله عنه وفيه: «... وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين»^(٣). قالوا: فهذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم بالرمل، فدل ذلك على وجوبه^(٤).

٢- إن الرمل نُسك. فمن تركه، فعليه دم، لقول ابن عباس رضي الله عنه: «مَنْ نَسِيَ مِنْ نَسْكَه شَيْئاً، أَوْ تَرَكَه، فَلْيَهْرِقْ دَمًا»^(٥). قال ابن عبد البر: «وَمَنْ جَعَلَهُ نَسْكَاً، حَكَمَ فِيهِ بِذَلِكَ»^(٦).

• الرأي المختار :

الذي يظهر - والله أعلم - هو رجحان القول الأول، القائل: إنه ليس على

(١) انظر: الحاوي ١٤٢/٤، المغني ٢٢٢/٥، وهذا محل نظر، لأن المالكية يرون وجوب طواف القدوم.

(٢) انظر: المغني ٢٢٢/٥.

(٣) تقدم تحريجه.

(٤) انظر: المحلى ٩٦/٧.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ في الحج، باب ما يفعل من نسي من نسكه شيئاً ٤١٩/١ من طريق أيوب السختياني عن سعيد بن جبیر به، والدارقطني من طرق عن أيوب السختياني عن سعيد ابن جبیر به ٢٤٤/٢، والبيهقي ٣٠/٥، ١٥٢، قال النووي في المجموع ١٠١/٨ (حديث: «من ترك نسكاً فعليه دم» رواه مالك، والبيهقي وغيرهما بأسانيد صحيحة عن ابن عباس موقوفاً عليه، لا مرفوعاً). ووافقه الألباني في الإرواء (١١٠٠).

(٦) التمهيد ٧٧/٢.

تارك الرمل شيء، لوجهة ما ذكروه من حجج من حيث الجملة، ولما يلي :

١. إن غاية ما استدل به أصحاب القول الثاني، أثر ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا بالاتفاق لا يلزم في كل فعل من أفعال النسك. إذ من النسك ما هو من باب السنن والسندوبات، بل منها ما يكون من باب المباحات. فالمراد بالنسك الذي يجب بتركه دم، ما كان من باب الواجبات ^(١).
٢. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فيمن ترك الرمل : « أنه لا شيء عليه » فدل ذلك على أن ترك الرمل ليس من النسك الموجب للدم .

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٩٥/٢٠.

المطلب الخامس : وقت الاضطباع والرمل .

الاضطباع والرمل من أعمال الطواف، فيكون فعلهما، وقت ابتداء الشروع في الطواف، ولا بأس من الاستعداد بالاضطباع قبل الشروع فيه بوقت يسير^(١). قال ابن تيمية: « وأول ما يضطبع، إذا أراد أن يستلم الحجر، قبل أن يستلم، فيما ذكره كثير من أصحابنا ...، وهو ظاهر حديث ابن عباس. وقال أحمد في رواية المروزي: يضطبع بعد أن يستلم الحجر »^(٢). وقال الشافعي: « وإن تمياً بالاضطباع قبل دخوله الطواف، فلا بأس »^(٣).

أما ما يفعله كثير من العوام، من ملازمة الاضطباع من حين الإحرام، فهو من الأخطاء. وقد نبّه على ذلك بعض العلماء. قال في إرشاد الساري: «وليس كما يتوهمه العوام من أن الاضطباع سنة جميع أحوال الإحرام. بل الاضطباع سنة مع دخوله في الطواف »^(٤).

واتفقوا على أن وقت الرمل في الأشواط الثلاثة الأول من الطواف^(٥)،

(١) وهو معنى ما عبّر عنه الجاسر في مفيد الأنام ص ٢٣٨ بقوله: (والاضطباع محله، إذا أراد الشروع في الطواف). وقال ابن جماعة في هداية السالك ٨٠٧/٢: (ويُسْتَحَب الاضطباع مع دخوله في الطواف، لحديث ابن عباس، فإن اضطبع قبله بقليل فلا بأس). وانظر: شرح الإيضاح ص ٢٣٠، فتح القدير ٤٥٢/٢، حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، منسك ملا القاري ص ٨٨.

(٢) شرح العمدة ٤٢٢/٣. وانظر: هداية السالك ٨٠٨/٢.

(٣) الأم ١٧٤/٢.

(٤) ص ٨٨. وانظر: مفيد الأنام ص ٢٣٨. ونقل ابن عابدين في حاشيته ٤٨١/٢ عن بعض المحشين قوله: (إن أكثر كتب المذهب ناطقة بأن الاضطباع يُسن في الطواف لا قبله في الإحرام، وعليه تدل الأحاديث، وبه قال الشافعي).

(٥) انظر: تحفة الفقهاء ٤٠١/١، وبدائع الصنائع ١٤٧/٢، الفتاوى الهندية ٢٢٦/١، فتاوى =

لثبوت ذلك من فعله ﷺ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في دليل المشروعية. قال السرخسي: «على هذا اتفق رواة نسك رسول الله»^(١). وقال النووي: «ويفترق الرمل عن الاضطباع بشيء واحد، وهو أن الاضطباع مسنون في جمع الطوفات السبع. وأما الرمل فإنما يُسن في الثلاث الأول، ويمشي في الأربع الأواخر»^(٢).

واتفقوا على أن من ترك الرمل في شوط من الثلاثة الأول، أتى به في الاثنين الباقيين. وأن من تركه في اثنين، أتى به في الثالث^(٣). وأن من تركه في الثلاثة، لم يقضه في الأربعة الباقية، لأنها هيئة فات موضعها، فسقطت، كالجهر في الركعتين الأوليين، ولأن المشي هيئة في الأربعة، كما أن الرمل هيئة في الثلاثة، فإذا رمل في الأربعة الأخيرة، كان تاركاً للهيئة في جميع طوافه^(٤).

= قاضيخان ٢٩٢/١، إرشاد الساري ص ٨٨، تنوير المقالة مع الرسالة ٤٣٥/٣، قوانين الأحكام الشرعية ص ١٣٩، منسك خليل ص ٦٨، الشرح الكبير ٤١/٢، ٤٣، المجموع ٤١/٨، المغني ٢٢٠/٥، هداية السالك ٨٠٢/٢، المحرر في الفقه ٢٤٥/١، المحلى ٩٥/٧. وسيأتي قريباً حكاية الخلاف في ذلك عن ابن الزبير رضي الله عنه.

تنبيه: نَبّه ابن القيم في زاد المعاد ٣٠٥/٢ على ما وقع فيه ابن حزم في هذا الباب. فقال: (ومنها وَهَمٌّ فاحش لأبي محمد بن حزم، أنه رمل في السعي ثلاثة أشواط، ومشى أربعة. وأعجب من هذا الوهم، وهمه في حكاية الاتفاق على هذا القول، الذي لم يقله أحد سواه).

(١) المبسوط ١١/٤. وانظر: الهداية ٤٥٤/٢.

(٢) المجموع ٢١/٨.

(٣) قال ابن قدامة في المغني ٢٢١/٥: (كذلك قال الشافعي، وأبو ثور، وأصحاب الرأي، لأن تركه للهيئة في بعض محلها لا يُسقطها في بقية محلها، كترك الجهر في إحدى الركعتين الأولتين، لا يُسقطه في الثانية).

(٤) انظر: مراجع الاتفاق السابقة، ومنسك خليل ص ٦٨، منسك ملا القاري ص ١٠٨.

لكنهم اختلفوا من ذلك في مسائل، منها :
وقت الاضطباع في الطواف. هل هو في جميع أشواطه، أو في بعضها ؟ وفي
استدامته بعد الطواف حال الصلاة، وأثناء السعي ^(١).

(١) تنبيه: سأتناول في هذا البحث الاضطباع في الصلاة لارتباطها بالطواف. أما الاضطباع في السعي فإنه يرتبط بأحكام السعي. وخلاصة مسألة الاضطباع في السعي: أن العلماء اختلفوا في ذلك على قولين:

١- ذهب جمهور العلماء، من الحنفية، والحنابلة، وهو وجه للشافعية إلى: أن الاضطباع لا يُستحب، ولا يُشرع في السعي، وإنما يُقتصر فيه على الطواف. وحجتهم في ذلك: أنه لم يثبت أن النبي ﷺ اضطبع في السعي. فدل ذلك على عدم مشروعيته فيه. إذ السنة في الاقتداء به ﷺ. قال أحمد: (ما سمعت فيه شيئاً). وأن الاضطباع تَعَبُّدٌ محض، لا يُعقل معناه، فلا يصح فيه القياس.

٢- وذهب الشافعية في الأصح إلى: أنه يُستحب الاضطباع في السعي، كما يُستحب ذلك في الطواف. وحجتهم في ذلك: حديث يعلى بن أمية ؓ قال: « رأيت النبي ﷺ مضطبعاً بين الصفا والمروة ببرد نجراي » أخرجه أحمد ٢٢٣/٤. وقالوا: يُضطبع في السعي لأنه أحد الطوافين، فأشبهه الطواف بالبيت.

والمسألة متوقفة على صحة حديث يعلى. وبالنظر في تخريجه تبين ضعف هذه الرواية، وعدم صحتها. إذ أخرجه أحمد من طريق عمر بن هارون، عن الثوري. وقد روى هذا الحديث عن الثوري آخرون، لم يذكروا: « بين الصفا والمروة ». منهم قبيصة، ومحمد ابن كثير، ووكيع وغيرهم. كلهم كما قال الترمذي من طريق الثوري عن ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير، عن ابن يعلى، عن أبيه. (وقد تقدّم تخريج حديث يعلى، في أدلة المشروعية). وبهذا يتبين مخالفة عمر بن هارون لغيره. ومثل هذه المخالفة لا تُقبل من الثقة. فكيف تُقبل منه. وقد وصفه ابن حجر في التقريب ص ٧٢٨: بأنه متروك. فما ذهب إليه أصحاب القول الأول، من عدم مشروعية الاضطباع في السعي، هو الراجح. والله أعلم.

ومن وقت الرمل، اختلفوا في حكمه في جميع الأشواط السبعة. وفي موضعه. هل الرمل في جميع الشواط، فيرمل من الحجر إلى أن يعود إليه، أو من الحجر إلى الركن اليماني؟ وسأتناول ذلك في الفروع التالية:

• الفرع الأول: وقت الاضطباع.

اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن الاضطباع يكون في الطواف الذي يُرمل فيه. قال النووي: «وكل طواف سُنَّ فيه الرمل، سُنَّ فيه الاضطباع، وما لا، فلا»^(١). وقال ابن جماعة: «وإنما يُضطبع في الطواف الذي يُرمل فيه»^(٢). لكنهم اختلفوا في وقت الاضطباع في الطواف. هل يكون في جميع أشواطه، أو يُقتصر فيه على الأشواط التي يُرمل فيها، وهي الأشواط الثلاثة الأولى؟ اختلفوا في ذلك على قولين:

القول الأول: إن الاضطباع سنة في جميع الطواف.

= (تتمة) على هذا القول اختلف الشافعية، هل يكون الاضطباع في جميع مسافة السعي بين الصفا والمروة، ومن أول السعي إلى آخره، أو إنما يضطبع في موضع سعيه، دون موضع مشيه؟ وجهان. وصف النووي الثاني منهما: بالشذوذ.

انظر: حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، المغني ٢١٧/٥، الشرح الكبير ٨١/٩، شرح العمدة ٤٢٣/٣، كشاف القناع ٥٥٦/٢، روضة الطالبين ٨٨/٣، إعانة الطالبين ٣٠٠/٢، فتح الوهاب ٢٤٦/١، القرى ص ٣٠٤. ووصف النووي في المجموع ٢٠/٨ القول الموافق للجمهور بالشذوذ. فقال: (وفيه وجه شاذ، إنه لا يُسَنُّ فيه. ممن حكاه: الرافعي). وقال عن القول الآخر: (هذا هو المذهب، وبه قطع الجمهور).

(١) روضة الطالبين ٨٨/٣، وقال في المجموع ٢١/٨: (.. وهذا لا خلاف فيه).

(٢) هداية السالك ٨٠٧/٢.

وإلى هذا ذهب: جمهور العلماء، ومنهم أصحاب المذاهب الأربعة^(١).
القول الثاني: إن الاضطباع إنما يُشرع في الأشواط الثلاثة الأول، التي يُرمل فيها، فإذا فرغ من الرمل، سوّى رداءه.
 وإلى هذا القول ذهب: أحمد في رواية، وقاله الأثرم من الحنابلة^(٢).
 الأدلة:

استدل أصحاب القول الأول، بما يلي:
 بحديث يعلى بن أمية رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف مضطبعاً»^(٣). قالوا: فدلّ ذلك على اضطباعه صلى الله عليه وسلم أثناء طوافه، فينصرف إلى جميع الطواف^(٤).
 واحتج أصحاب القول الثاني، فقالوا:
 إن الاضطباع إنما هو معونة على الرمل، وإنما فعل تبعاً له، فإذا لم يرمل، لم يضطبع^(٥).

• الرأي المختار:

ما ذهب إليه الجمهور، من أن الاضطباع يكون في جميع الطواف، هو
 الرأي المختار، لما يلي:

(١) انظر: حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، إرشاد الساري ص ٨٨، شرح الإيضاح ص ٢٥٧، روضة الطالبين ٨٨/٣، المجموع ٢٠/٨، هداية السالك ٨٠٧/٢، المغني ٢١٧/٥، الشرح الكبير ٨١/٩، شرح العمدة ٤٢٣/٣، الإنصاف ٨٠/٩، المنتهى ١٤١/٢. وقال المرادوي: (الصحيح من المذهب، أن الاضطباع يكون في جميع الأسبوع).

(٢) انظر: المغني ٢١٧/٥، الشرح الكبير ٨١/٩، الفروع ٤٩٥/٢، وأطلقهما الزركشي في شرحه ١٩٠/٢، الإنصاف ٨٠/٩.

(٣) تقدم تخريجه في المطلب الثاني.

(٤) انظر: المغني ٢١٧/٥.

(٥) انظر: شرح العمدة ٤٢٣/٣.

١. إن حديث يعلى رضي الله عنه ظاهر فيما ذهب إليه أصحاب هذا القول، إذ يشمل جميع أشواط الطواف .
٢. لو ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم اقتصر في اضطباعه على بعض الطواف، لثقل كما ثقل اقتصاره في الرمل على الأشواط الثلاثة الأول . والله أعلم .

• الفرع الثاني : الاضطباع في الصلاة .

اختلف العلماء - رحمهم الله - القائلون بمشروعية الاضطباع في جميع الطواف، في استدامته بعد الطواف، والصلاة على تلك الهيئة. اختلفوا في ذلك على قولين:

القول الأول : إن الاضطباع خاص بالطواف. فلا يُستحب استدامته في ركعتي الطواف. بل إن الصلاة على هذه الهيئة مكروهة. فإذا فرغ من طوافه ستر عاتقيه .

وإلى هذا ذهب : جمهور العلماء، منهم: الحنفية^(١)، والأصح عند الشافعية^(٢)، والحنابلة .

(١) انظر: حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، منسك ملا القاري ص ٨٨.

(٢) انظر: الوسيط ٦٤٩/٢، الحاوي ١٤٠/٤، شرح الإيضاح ص ٢٥٧، روضة الطالبين

٨٨/٣، إغانة الطالبين ٣٠٠/٢، مغني المحتاج ٤٩٠/١، فتح الوهاب ٢٤٦/١، هداية

السالك ٨٠٨/٢. قال النووي في المجموع ٢٠/٨ : (وهل يُسن الاضطباع في ركعتي

الطواف؟ فيه وجهان: الأصح، لا يسن، لأن صورة الاضطباع مكروهة في الصلاة. فإن

قلنا لا يُسن في الصلاة، طاف مضطبعاً. فإذا فرغ من الطواف، أزال الاضطباع وصلى ثم

اضطبع فسعى. وإن قلنا: إنه يضطبع في الصلاة. اضطبع في أول الطواف، ثم أدامه في

الطواف ثم في الصلاة، ثم السعي، ولا يزيله حتى يفرغ من السعي.

واعلم أن هذين الوجهين في استحباب الاضطباع في ركعتي الطواف مشهوران في كتب

الخراسانيين، وقطع جمهور العراقيين بعدم الاستحباب، واتفق الخراسانيون على أنه =

ولذلك نسب العلماء على ستر المنكب عند صلاة ركعتي الطواف، لكثرة ما يقع من الإخلال بذلك. قال الموفق ابن قدامة: «وإذا فرغ من الطواف سوى رداءه، لأن الاضطباع غير مستحب في الصلاة»^(١). بل حكى غير واحد كراهة الصلاة في تلك الحال. قال ابن تيمية: «فإذا قضى طوافه سوى ثيابه، ولم يضطبع في ركعتي الطواف، لأن الاضطباع في الصلاة مكروه. هكذا قال القاضي، وابن عقيل وغيرهما»^(٢).

القول الثاني: يستحب استدامة الاضطباع بعد الفراغ من الطواف، فيصلي الركعتين على تلك الهيئة. وإلى هذا القول ذهب: الشافعية في وجهه^(٣). الأدلة:

استدل أصحاب القول الأول، بما يلي:

١- بقول يعلى بن أمية رضي الله عنه: «إن النبي صلى الله عليه وسلم طاف مضطبعاً»^(٤). وظاهره أن

= الأصح. قال القاضي حسين، وإمام الحرمين وغيرهما: سبب الخلاف: أن الشافعي قال: «ويدم الاضطباع حتى يكمل سعيه». فقال بعضهم: سعيه بياء مثناة بعد العين. وقال بعضهم: سبعة. بياء موحدة قبل العين، إلى الطوفات السبع. ثم المذهب الصحيح المشهور السذي قطع به الجمهور، أنه يضطبع في السعي بين الصفا والمروة، ومن أول السعي إلى آخره. وحكى الدارمي وجهاً عن ابن القطان أنه إنما يضطبع في موضع سعيه دون موضع مشيه. وهذا شنود مردود. والله أعلم.

(١) المغني ٢١٧/٥. وانظر: الشرح الكبير ٨١/٩.

(٢) شرح العمدة ٤٢٣/٣. وانظر: منسك ملا القارص ٨٨، روضة الطالبين ٨٨/٣.

(٣) انظر: المصادر السابقة للشافعية. وقال النووي في روضة الطالبين: (ولا يسن في ركعتي الطواف على الأصح، لكراهة الاضطباع في الصلاة، فعلى هذا إذا فرغ من الطواف أزال الاضطباع ثم صلى الركعتين).

(٤) تقدم تحريجه في المطلب الثاني.

ذلك مختص بالطواف، دون الصلاة .

- ٢- لا يُشْرَعُ الاضْطَبَاعُ قَبْلَ الطَّوَافِ، فَكَذَلِكَ لَا يُشْرَعُ بَعْدَ الْفِرَاقِ مِنْهُ (١).
 ٣- إِنْ الصَّلَاةُ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ، وَهِيَ كَوْنُهُ مَضْطَبِعًا، لِبَسَةِ اشْتِمَالِ الصَّمَاءِ (٢)،
 الَّتِي جَاءَ النَّهْيُ عَنْهَا فِي عَدَّةِ أَحَادِيثٍ (٣).

أَمَّا أَصْحَابُ الْقَوْلِ الثَّانِي، فَلَمْ أَقِفْ لَهُمْ عَلَى دَلِيلٍ أَوْ تَعْلِيلٍ. وَيُمْكِنُ أَنْ
 يُسْتَدَلَّ لَهُمْ بِمَا يَلِي :

- ١- بِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مَرْفُوعًا: «الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلَاةٌ، إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَبَاحَ
 فِيهِ الْمَنْطِقَ، فَمَنْ نَطَقَ فَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِخَيْرٍ» (٤). فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ يُشْرَعُ
 فِي الصَّلَاةِ مَا يُشْرَعُ فِي الطَّوَافِ .

- ٢- إِنْ الصَّلَاةُ تَابِعَةٌ لِلطَّوَافِ وَمَلْحَقَةٌ بِهِ، فَأَخَذَتْ حُكْمَهُ فِي اللَّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ .
 ٣- إِنْ الاضْطَبَاعُ يُشْرَعُ فِي الطَّوَافِ وَكَذَا فِي السَّعْيِ (٥)، وَالصَّلَاةُ بَيْنَهُمَا،
 فَيَسْتَمِرُّ مَضْطَبِعًا مِنْ حِينَ ابْتِدَاءِ الْمَشْرُوعِيَّةِ إِلَى انْتِهَائِهَا .

(١) شرح العمدة ٣٥٢/٤.

(٢) انظر أقوال العلماء في بيان لبسة اشتمال الصماء: شرح العمدة ٣٥٢/٤ - ٣٥٧، البحر
 الرائق ٢٦/٢، بدائع الصنائع ٢١٩/١.

(٣) منها: حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لبستين، واللبستان: اشتمال
 الصماء. والصماء أن يجعل ثوبه على أحد عاتقيه، فيبدو أحد شقيه ليس عليه ثوب.
 واللبسة الأخرى احتبائه بثوبه، وهو جالس، ليس على فرجه منه شيء» رواه البخاري.
 وقد تقدم نخرجه في المطلب الأول.

(٤) أخرجه أحمد، والنسائي، والدارمي، والحاكم، وابن خزيمة، وابن حبان وغيرهم. وقال
 الألباني في الإرواء ١٥٨/١: (وجملة القول: إن الحديث مرفوع صحيح. ووروده أحياناً
 موقوفاً، لا يُعْلَلُ).

(٥) أي: على المذهب عند الشافعية، القائلين بهذا القول.

• الرأي المختار :

إن ما ذهب إليه جمهور العلماء، من أن على من فرغ من طوافه أن يستر منكبيه، وأن لا يصلي مضطبعاً، هو الرأي المختار، وذلك لما يلي :

١. لم يثبت أن النبي ﷺ صلى مضطبعاً في عُمَرِهِ، أو حجته، ولو فعل ذلك لتوفرت الدواعي لنقله، وخاصة في حجته، كما نُقل غير ذلك من أفعاله ﷺ في مناسكه .

٢. إن الواصفين لطوافه ﷺ ذكروا الاضطباع والرمل فيه. وخصوا الرمل بأنه في الأشواط الثلاثة الأول. فدل ذلك على أن الاضطباع كان في جميع الأشواط .

٣. إن الاضطباع في الصلاة هيئة جاء النهي عنها، فتكره مطلقاً، سواء أكانت بعد طواف، أم في غيره. ولم يرد دليل بالتخصيص. والله أعلم .

• الفرع الثالث : موضع الرمل من البيت .

اختلف العلماء - رحمهم الله - في موضع الرمل من البيت. هل هو من الحَجَرِ الأسود إلى أن يعود إليه، أو من الحجر إلى الركن اليماني ؟ اختلفوا في ذلك على قولين :

القول الأول : إن الرمل في الأشواط الثلاثة الأول كلها. فيرمل من الحجر الأسود إلى أن يعود إليه، لا يمشي في شيء من ذلك .
وإلى هذا القول ذهب: الجمهور، ومنهم: أصحاب المذاهب الأربعة^(١).

(١) انظر: المبسوط ١١/٤، تحفة الفقهاء ٤٠١/١، البحر الرائق ٢، ٣٥٣، بداية المبتدي ٤٥٤/٢ حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، الفتاوى الهندية ٢٢٦/١، الأم ١٧٤/٢، الحاوي ١٤١/٤، المجموع ٤١/٨، مختصر الخرقى ص ٤٧، المغني ٢١٨/٥، مجموع الفتاوى ١٢١/٢٦. قال الموفق ابن قدامة: (روي ذلك عن: عمر، وابن عمر، وابن مسعود، وابن =

قال الكاساني: « وهذا قول عامة العلماء »^(١). وروى محمد بن الحسن عن أبي حنيفة أنه قال: « الرمل في الطواف، ثلاثة أشواط، من الحجر الأسود، إلى الحجر الأسود، ويمشي أربعة أشواط. وكذلك قال أهل المدينة. وقالوا: وذلك الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا »^(٢).

القول الثاني: إن الرمل إنما هو من الحجر الأسود، إلى الركن اليماني. فيمشي ما بين الركنين .

وهذا القول مروى عن: طاوس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله^(٣).

= الزبير رضي الله عنه، وبه قال: عروة، والنخعي، ومالك، والثوري، والشافعي، وأصحاب الرأي). وقال النووي: (فيه طريقان. الصحيح المشهور، وبه قطع الجمهور، يستوعبه..، والثاني: حكاة إمام الحرمين وغيره، فيه قولان. وذكرهما الغزالي وجهين. أصحهما هذا).

(١) بدائع الصنائع ١٤٧/٢.

(٢) كتاب الحجعة ٢٧٨/٢. وانظر: الموطأ، كتاب الحج، باب الرمل في الطواف ١/٣٦٤.

(٣) انظر: المغني ٥/٢١٨، الميسوط ٤/١١، بدائع الصنائع ١٤٧/٢، فتح القدير ٢/٤٥٤.

تسيبه: سبق في الفرع الثاني، من المطلب الرابع: (مشروعية الرمل) بيان أن المروي عن هؤلاء التابعين: عدم مشروعية الرمل. وقد صرح بذلك ابن عبد البر، فقال: (قول مالك، والشافعي، وأبي حنيفة وأصحابهم، والثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه: أن الرمل سنة ..، وقال آخرون: ليس الرمل بسنة، ومن شاء فعله، ومن شاء لم يفعله. وروي ذلك عن جماعة من التابعين منهم: عطاء، وطاوس، ومجاهد، والحسن، وسالم، والقاسم، وسعيد بن جبير. وهو الأشهر عن ابن عباس) الاستذكار ١٢/١٢٧.

ونسبت هذه المصادر لهم القول بالرمل من الحجر إلى الركن. وظاهر هذا أنهم يقولون بمشروعية الرمل، إلا أنهم يخالفون الجمهور في موضعه. وقد صرح بذلك ابن الهمام في فتح القدير ٢/٤٥٤ فقال: (ذهب الحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعطاء إلى أنه لا رمل

وبه قال الشافعية في قول أو وجه^(١)، وجعله ابن حزم لمن شاء^(٢).
الأدلة :

- استدل أصحاب القول الأول، وهم الجمهور، بما يلي :
- ١- بحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رمل رسول الله ﷺ من الحجر، إلى الحجر ثلاثاً، ومشى أربعاً»^(٣).
 - ٢- وعنه رضي الله عنه أنه كان يرمل من الحجر، إلى الحج. ثم يقول: «هكذا فعل رسول الله ﷺ»^(٤).
 - ٣- وعن جابر رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ رمل من الحجر الأسود حتى انتهى إليه، ثلاثة أطواف».
 - ٤- وعنه رضي الله عنه : «أن رسول الله ﷺ رمل الثلاثة أطواف من الحجر إلى الحج» رواه ن جميعاً مسلم^(٥). قال «حديث جابر حديث حسن صحيح،

بين الركبتين. وذهب ابن عباس رضي الله عنهما فيما نُقل عنه إلى أنه: لا رمل أصلاً .
والتحقيق في هذا: أن المروي عن هؤلاء التابعين موافق لما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما، فإن الأدلة التي استدل بها هؤلاء على الرمل من الحجر إلى الركن، هي نفس أدلة ابن عباس رضي الله عنه على عدم مشروعية الرمل، فكلهم استدل بأحاديث طوافه ﷺ في عمرة القضية، إذ اقتصر في رمله من الحجر إلى الركن. فالصواب ما حكاه ابن عبد البر. والله أعلم.

(١) انظر: الوسيط ٢/٦٥٠، المجموع ٤١/٨.

(٢) قال ابن حزم في المحلى ٧/٩٥: (ثم يطوف بالبيت من الحجر الأسود إلى أن يرجع إليه سبع مرات، منها ثلاث خبياً...، ومن شاء أن يخب في الثلاث الطوافات، وهي الأشواط من الركن الأسود ماراً على الحجر إلى الركن اليماني، ثم يمشي رفقاً من اليماني إلى الأسود في كل شوط من الثلاثة، فذلك له).

(٣) انظر: المبسوط ٤/١١.

(٤) أخرجه الشافعي، كما في ترتيب مسنده ١/٣٤٢ (٨٨٤).

(٥) في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ٨/٩، ٩. مع شرح النووي.

والعمل على هذا» (١).

٥- وعن عطاء: «أن رسول الله ﷺ رمل من سبعة أشواط ثلاثة أطواف خيباً، ليس بينهن مشي» (٢).

واستدل أصحاب القول الثاني، بما يلي:

١- بحديث ابن عباس ؓ قال: «قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة، وقد وهنتهم حمى يثرب. قال المشركون: إنه يقدم عليكم غداً قوم وهنتهم الحمى، فلقوا منها شدة. فجلسوا مما يلي الحجر. وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين، ليرى المشركون جلدهم. فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا. قال ابن عباس: ولم يمنعه من أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم» (٣).

٢- إن الرمل في الأصل كان لإظهار الجلادة للمشركين، والمشركون إنما كانوا يطلعون على المسلمين من ذلك الجانب، فإذا صاروا إلى الركن اليماني، لم يطلعوا عليهم، لصيرورة البيت حائلاً بينهم وبين المسلمين (٤).

• الرأي المختار:

ما ذهب إليه الجمهور، من استيعاب الرمل من الحجر الأسود، إلى أن

(١) السنن ٢١٢/٣.

(٢) أخرجه الشافعي، كما في ترتيب مسنده ٣٤٣/١ (٨٨٥).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في الحج، باب كيف كان بدء الرمل (٥٥) ١٦١/٢، وفي

المغازي، باب عمرة القضاء (٤٣) ٨٦/٥، ومسلم في الحج، باب استحباب الرمل في

الطواف ١٢/٩. وقد استدل بمعناه في المبسوط ١١/٤.

(٤) انظر: بدائع الصنائع ١٤٧/٢.

- يعود إليه، في الأشواط الثلاثة الأول، هو الرأي المختار، لما يلي :
١. إن الروایتين باستيعاب الرمل بالبيت، وعدم استيعابه صحیحتان، فیتعین الجمع بينهما، وطریق الجمع: أن یحمل حدیث ابن عباس بأنه كان في عمرة القضية، سنة سبع من الهجرة، قبل فتح مكة، وكان أهلها مشركين حينئذ. وأما حدیث ابن عمر، وجابر فقد كان في حجة الوداع، سنة عشر، فيكون متأخراً، فیتعین الأخذ به (١).
 ٢. لو قيل: بالتعارض بينهما، فإن رواية ابن عباس فيها نفي الرمل بين الركنين، ورواية ابن عمر، وجابر ثبت الرمل بينهما، والمثبت مقدم على النافي (٢).
 ٣. لو اقتضى الأمر الترجيح بين الروایتين، فإن ابن عباس كان في تلك الحال صغيراً، لا يضبط مثل جابر، وابن عمر، فإنهما كانا رجلين يتبعان أفعال النبي ﷺ ويحرصان على حفظها، فهما أعلم، وروایتها تقدم (٣).
 ٤. إن جُلّ الصحابة رضی اللہ عنہم كانوا يرملون من الحجر إلى الحجر، فلو علموا من النبي ﷺ ما قال ابن عباس، ما عدلوا عنه إلى غيره (٤).
 ٥. یحتمل أن يكون ما رواه ابن عباس قضية عين اختصّ بها الذين كانوا في عمرة القضية، لضعفهم، والإبقاء عليهم. وما رواه ابن عمر، وجابر سنة لجميع الناس (٥).
 ٦. الجواب عن قولهم: إن الرمل كان لإظهار القوة والجلادة... إن الرمل في

(١) انظر: المغني ٢١٩/٥، المجموع ٤٢/٨، القرى ص ٣٠٢.

(٢) انظر: المغني ٢١٩/٥، فتح القدير ٤٥٥/٢.

(٣) انظر: المغني ٢١٩/٥.

(٤) انظر: المغني ٢١٩/٥.

(٥) انظر: المغني ٢١٩/٥.

عمرة القضية كان لذلك السبب، وقد زال، وبقي حكمه، أو صار الرمل بعد ذلك سنة مبتدأة، لا لِمَا شُرِعَ له أولاً. بل لمعنى آخر لا نعقله^(١). والله أعلم.

• الفرع الرابع : قَدْرُ الرَّمْلِ مِنَ الطَّوَافِ .

اختلف العلماء - رحمهم الله - القائلون بمشروعية الرمل، في قدره. هل يقتصر فيه على الأشواط الثلاثة الأول منه، أو يُشرع في جميع الطوافات السبع؟ اختلفوا في ذلك على قولين :

القول الأول : إن الرمل إنما يُشرع ويُسن في الأشواط الثلاثة الأول من الطواف. وأن السُنَّةَ في الأربعة الأخر إنما هو المشي المعتاد. بل من ترك الرمل في الثلاثة الأول، لم يُشرع له قضاؤها في الأربعة الأخر .
وإلى هذا ذهب : جمهور العلماء^(٢).

القول الثاني : إن الرمل يُسن في جميع الطوافات السبع .
وإلى هذا ذهب : عبد الله بن الزبير رضي الله عنه^(٣). وذهب ابن حزم^(٤)، وبعض الحنفية إلى جوازه^(٥).

(١) انظر: بدائع الصنائع ١٤٧/٢. ولا يعارض هذا ما جاءت الإشارة إليه من احتمال حكمٍ أخرى ذكرها العلماء، كتذكر نعمة الله بظهور الإسلام.

(٢) انظر حكاية الاتفاق على ذلك في أوّل هذا المطلب.

(٣) انظر: المحلى ٩٦/٧، القرى ص ٣٠٣، شرح النووي على صحيح مسلم ١٠/٩.

(٤) انظر: المحلى ٩٦/٧. وقال بعد أن ذكر أثر ابن عمر وأنه كان يرمل الثلاث، ويمشي الأربع (فهذا بيان الرمل إنما هو في الثلاثة الأشواط الأول، وأن الرمل في جميع تلك الأشواط جائز).

(٥) انظر: المبسوط للشيباني ٤٠٥/٢، ٤٠٦، المبسوط ٤٩/٤، بدائع الصنائع ١٣٥/٢، البحر

• الرأي المختار :

لم أقف على حجة لما ذهب إليه ابن الزبير رضي الله عنه ومن معه. غاية ما ذكره العلماء عن ابن الزبير: أنه فعل ذلك. فعن مجاهد قال: خرج ابن الزبير، وابن عمر رضي الله عنهما فاعتمروا من الجعرانة، وفيه: «... فلما دخل ابن الزبير، ناداه ابن عمر: أرمِل الثلاث الأول. فرمل ابن الزبير السبع كله»^(١). وعنه أنه كان يُسرع المشي في الطواف، وربما كان يرمل السبع كله^(٢). وقال النووي: «قال عبد الله بن الزبير: يُسن - أي: الرمل - في الطواف السبع»^(٣).

ولا ريب أن مثل ذلك لا تُعارض به السُنَّة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في اقتصار الرمل على الأشواط الثلاثة الأول^(٤). والأقرب في تأويل فعل ابن الزبير ما جاء من أنه كان يُسرع المشي في الطواف، فكان الناظر إليه يحسبه يرمل الأشواط كلها. فعن عمرو بن دينار قال: رأيت ابن الزبير يطوف بالبيت، فَيُسرع المشي، ما رأيت أسرع مشياً منه^(٥).

= الرائق ٣٥٥/٢. قال السرخسي: (وإن رمل في طوافه كله، لم يكن عليه شيء، لأن المشي على هيئته في الأشواط الأربعة من الآداب، وبترك الآداب، لا يلزمه شيء).

(١) أخرجه ابن حزم في المحلى من طريق عبد الرزاق ٩٦/٧. وأورده في القرى ص ٣٠٣.

(٢) أورده في القرى ص ٣٠٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٠/٩.

(٤) مضى تقرير ذلك في دليل مشروعية الرمل، وفي أول هذا المطلب.

(٥) القرى ص ٣٠٤. وقال: وأخرج حديث ابن الزبير سعيد بن منصور، والبيهقي. ولفظه:

«إن ابن الزبير كان يُسرع في المشي في الطواف» وأخرجه عبد الرزاق ٥٦/٥ (٨٩٨٢)،

والفاكهي في أخبار مكة ٢١٤/١ (٣٦٩).

وقد سئل مالك عن الطائف بالبيت يمشي مشيه الذي كان يمشي أم يُسرع؟ قال: إن

أحب أن يُسرع في مشيه، فذلك له. وإن أحب أن يتند في مشيه، فلا بأس بذلك. وربما =

ويؤيد ذلك وبعضه، أنه رُوي عنه خلاف ذلك. فقد روى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه، أنه رأى عبد الله بن الزبير أحرم بعمره من التنعيم. قال: ثم رأيت يسهى حول البيت الأشواط الثلاثة. وروى أيضاً عن هشام بن عروة أن أباه كان إذا طاف بالبيت يسهى الأشواط الثلاثة، يقول:

اللهم لا إله إلا أنا وأنت تُحي بعد ما أمتاً

يخفض صوته بذلك»^(١).

ولذا ذهب بعض العلماء إلى حكاية الإجماع على قول الجمهور. فقال النووي: «وأما قوله ثلاثة، وأربعة. فمُجمَع عليه. وهو أن الرمل لا يكون إلا في الثلاثة الأول من السبع»^(٢).

وحكى بعضهم عدم العلم بخلافه. فقال ابن قدامة: «وهو - أي: الرمل - سنة في الأشواط الثلاثة الأول من طواف القدوم. ولا نعلم فيه بين أهل العلم خلافاً»^(٣).

وحذّر بعضهم من خلافه. فقال خليل في منسكه: «وليحذر مما يفعله

= أسرع الإنسان لحاجة عرضت له. قال ابن رشد - الجد - : قوله: " أن له أن يُسرِع " معناه ما لم يبلغ إسرعه أن يكون خيباً، لئلا يكون قد رمل الأشواط السبعة. وذلك مخالف للسنة. انظر: البيان والتحصيل ٢٤/٤، ٢٥.

(١) الموطأ في الحج، باب الرمل في الطواف ١/٣٦٥ (١٠٩، ١١٠)

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٨/٩.

(٣) انظر: المغني ٥/٢١٧. ولعل حكايته لذلك، لعدم الخلاف في هذه المسألة بعد عصر التابعين، إذ لم يرو عن أحد من فقهاء الأمصار، أو غيرهم من المتأخرين الخلاف في ذلك. والله أعلم. قال النووي في شرحه لصحيح مسلم ٩/١٠: (كون الرمل ليس سنة مقصودة هو مذهبه - أي: ابن عباس - وخالفه جميع العلماء من الصحابة والتابعين، وأتباعهم ومن بعدهم، فقالوا: هو سنة).

بعضهم... من الجري في جميع السبعة الأشواط»^(١).

وهذا يتبين أن ما ذهب إليه جمهور العلماء، من القول: إن الرمل إنما يُسن ويُشرع في الأشواط الثلاثة الأول، وأن السنة في الأربعة الأخر إنما هو المشي. هو الرأي المختار. والله أعلم.

(١) منسك خليل ص ٦٩. وعبارة خليل هذه يُحتمل أنها تتناول التحذير من الجري أيضاً في الطواف، إذ السنة في ذلك الرمل، وهو دون الجري. كما سبق التنبيه على ذلك في التعريف.

تنبيه: جاء عن بعض الحنفية أن من رمل في طوافه كله، لم يكن عليه شيء، لأن المشي على هينته في الأشواط الأربعة من الآداب. وبترك الآداب لا يلزمه شيء. لكنه لم يسلم من التعقب. قال ابن نجيم في البحر الرائق ٣٥٥/٢: (وفي الولولجية: ولو رمل في الكل، لم يلزمه شيء. اهـ. وينبغي أن يكره تنزيها لمخالفة السنة) وقال الكاساني في بدائع الصنائع ١٣٥/٢: (ولو رمل في الكل... لا شيء عليه، لكنه يكون مسيئاً، لتركه السنة).

المطلب السادس : الطواف الذي يُشرع فيه الاضطباع والرمل

اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن الاضطباع والرمل يُشرعان في طواف القادم إلى مكة معتمراً، أو حاجاً. سواء أكان هذا الطواف طواف عمرة، للمعتمر أو المتمتع، أم طواف قدوم للمفرد أو القارن، إذا سعى بعده^(١). قال النووي: «واعلم أن طواف القدوم إنما هو في حق مفرد الحج، وفي حق القارن، إذا كانا قد أحرما من غير مكة، ودخلاها قبل الوقوف^(٢). فأما المكّي فلا يُتصور في حقه قُدُوم، إذ لا قدوم له. وأما من أحرّم بالعمرة فلا يُتصور في حقه طواف قدوم. بل إذا طاف عن العمرة، أجزأه عنها، وعن طواف القدوم، كما تُجزئ الفريضة عن تحية المسجد. حتى لو طاف المعتمر بنية القدوم، وقع عن طواف العمرة»^(٣).

واختلفوا هل يُشرع الاضطباع والرمل في طواف القادم، إن لم يسع عقبه، بأن أختّر السعي إلى طواف الإفاضة؟ أو هما خاصان بكل طواف يعقبه سعي، سواء أكان طواف قدوم، أم طواف عمرة، أم طواف زيارة؟ وهل يُشرعان في طواف الإفاضة إن تحلل قبله؟ وكيف يكون اضطباعه فيه؟ وهل يقضي الرمل في الأشواط الأخيرة إن نسيه قبل ذلك؟ هذا ما سأتناوله في الفروع التالية :

• الفرع الأول : هل الاضطباع والرمل خاصان بالطواف الأول؟

اختلف العلماء - رحمهم الله - في ذلك على قولين :

(١) انظر: منسك خليل ص ٦٨.

(٢) إلا أن الحنابلة يرون مشروعية طواف القدوم بعد الوقوف بعرفة لمن لم يتمكن من دخول مكة قبل ذلك، خلافاً للجمهور الذين يرون أن طواف القدوم يفوت بالوقوف بعرفة.

انظر: أنواع الطواف وأحكامه ص ٢٢١. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٠).

(٣) انظر: شرح الإيضاح ص ٢٢٨، ٢٢٩.

القول الأول : إن الاضطباع والرمل لا يُشرعان إلا في طواف القدوم، أو طواف العمرة، سواء سعى بعده، أم لم يسع، لأن الاضطباع والرمل إنما يكونان في الطواف الأول حين يقدم إلى مكة .

وإلى هذا القول ذهب : الحنابلة في المذهب، والشافعية في قول (١).

قال الزركشي: « لا يرمل في طواف الزيارة، ولا طواف الوداع ولا غيرهما، إلا في الطواف أول ما يقدم مكة، وهو طواف القدوم، أو طواف العمرة » (٢).

القول الثاني : إن الاضطباع والرمل يُشرعان في كل طواف يعقبه سعي. سواء أكان طواف قدوم، أم طواف عمرة، أم طواف زيارة - على تقدير تأخير السعي .

وإلى هذا القول ذهب: الحنفية (٣)، والمشهور عند المالكية (٤)، والشافعية

(١) انظر: المغني ٢٢٠/٥، الشرح الكبير ٨٠/٩، المقنع لابن البنا ٦١٩/٢، المبدع ٢١٨/٣، كشاف القناع ٥٥٥/٢، ٥٥٨، الوسيط ٦٥١/٢، المجموع ٢٠/٨، شرح النووي على صحيح مسلم ٧/٩. بل اعتبره الطبري أظهر قول الشافعي. فقال بعد أن أورد أثر ابن عمر: « كان لا يرمل إذا طاف حول البيت، إذا أحرم من مكة » : (فيه دلالة على اختصاص الرمل بطواف القدوم .. وهذا أظهر قول الشافعي). القرى ص ٣٠٣.

(٢) شرح الزركشي على مختصر الخرقى ١٩٤/٢.

(٣) انظر: تحفة الفقهاء ٤٠٣/١، بدائع الصنائع ١٤٧/٢، البحر الرائق ٣٥٤/٢، الفتاوى الهندية ٢٢٦/١، فتاوى قاضيخان ٢٩٢/١، حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، ٥١٨، منسك الملا علي القاري ص ٨٨، ١٠٨، هداية السالك ٨٠٥/٢. (نَبّه) ابن عابدين على أنه يُشرع الاضطباع في طواف الإفاضة إذا أحرّ السعي، ما لم يكن لابساً. فقال: (.. كل طواف بعده سعي كطواف القدوم والعمرة، وكطواف الزيارة، إن كان أحرّ السعي، ولم يكن لابساً).

(٤) انظر: منسك خليل ص ٦٨، الشرح الكبير على مختصر خليل ٤٣/٢، إيضاح المناسك =

في الأصح^(١)، وبعض الخنابلة^(٢).

= ص ٦، وقال ابن جماعة في هداية السالك ٨٠٥/٢: (والمشهور عند المالكية: أن الرمل إنما يكون في طواف يعقبه سعي).

(١) انظر: الحاوي ١٤٠/٤، الوسيط ٦٥٢/٢، شرح النووي على صحيح مسلم ٧/٩، هداية السالك ٨٠٤/٢، إغانة الطالبين ٢٩٩/٢. وقال النووي في المجموع ٤٦/٨، ٤٧: (الطواف الذي يُشرع به الرمل قد اضطربت طرق الأصحاب فيه، ولخصها الرافعي متقنة فقال: لا خلاف أن الرمل لا يسن في كل طواف، بل إنما يسن في طواف واحد، وفي ذلك الطواف قولان مشهوران أصحهما عند الأكثرين أنه يسن في طواف يستعقب السعي. والثاني: يسن في طواف القدوم مطلقاً. فعلى القولين، لا رمل في طواف الوداع بلا خلاف. ويرمل من قدم مكة معتمراً على القولين، لوقوع طوافه مجزئاً عن القدوم مع استعقابه السعي، ويرمل أيضاً الحاج الأفقي إذا لم يدخل مكة إلا بعد الوقوف. أما من دخل مكة محرماً بالحج قبل الوقوف وأراد طواف القدوم فهل يرمل؟ ينظر إن كان لا يسعى عقبه ففيه القولان: الأول: الأصح لا يرمل. والثاني: يرمل. وعلى الأول إنما يرمل في طواف الإفاضة لاستعقابه السعي، فأما إن كان يسعى عقب طواف القدوم، فيرمل فيه بلا خلاف، وإذا رمل فيه وسعى بعده لا يرمل في طواف الإفاضة بلا خلاف، إن لم يرد السعي بعده. وإن أراد إعادة السعي بعده لم يرمل بعده أيضاً على المذهب، وبه قطع الجهور، وحكى البغوي فيه قولين، والأول أشهر. أصحهما عند المصنف، والبغوي، والرافعي وآخرين: لا يرمل. والثاني: يرمل، وبه قطع الشيخ أبو حامد. ولو طاف للقدوم ونوى أن لا يسعى بعده، ثم بدا له وسعى، ولم يكن رمل في طواف القدوم. فهل يرمل في طواف الإفاضة؟ فيه الوجهان، ذكرهما القاضي أبو الطيب في تعليقه.

ولو طاف للقدوم فرمل فيه ولم يسع، قال جمهور الأصحاب: يرمل في طواف الإفاضة، لبقاء السعي. قال الرافعي: الظاهر أنهم فرّعوه على القول الأول، وهو الذي يعتبر استعقاب السعي، وإلا فالقول الثاني لا يعتبر استعقاب السعي، فيقتضي أن يرمل في الإفاضة).

(٢) انظر: المغني ٢٢١/٥، الشرح الكبير ١٠٣/٩، الفروع ٤٩٩/٢، المبدع ٢١٨/٣، هداية =

قال النووي: « فعلى هذا القول، إذا طاف للقدوم وفي نيته أنه يسعى بعده، استُحِبَّ الرمل فيه. وإن لم يكن هذا في نيته، لم يرمل فيه. بل يرمل في طواف الإفاضة »^(١). وقال الشاشي: « فإن طاف للقدوم ورمل واضطبع، ولم يسع عقبيه، فإنه يسعى عقيب طواف الإفاضة ويرمل ويضطبع »^(٢).

الأدلة:

استدل أصحاب القول الأول، بما يلي:

- ١- بحديث يعلى بن أمية رضي الله عنه: « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم، طاف بالبيت، وهو مضطبع يُرد له حضرمي »^(٣).
- ٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف في الحج، أو العمرة، أوّل ما يقدم، سعى ثلاثة أطواف، ومشى أربعة، ثم سجد

= السالك ٨٠٦/٢. قال ابن قدامة: (قال القاضي: لو طاف فرمل واضطبع، ولم يسع بين الصفا والمروة، فإذا طاف بعد ذلك للزيارة، رمل في طوافه ..، وهذا قول مجاهد، والشافعي).

تنبیه: قال النووي في المجموع ٢٠/٨: (الأصح من القولين: إنه إنما يُسَنُّ الرمل والاضطباع في طواف يعقبه سعي، وهو إما القدوم، وإما الإفاضة، ولا يُتصور في طواف الوداع). ونحوه قول صاحب الفروع، والمبدع: (ذكر القاضي، وصاحب التلخيص إذا تركهما فيه، أو لم يستعقب طواف القدوم، أتى بهما في طواف الإفاضة أو غيره. ولم يذكر ابن الزاغوني الرمل والاضطباع إلا في طواف الإفاضة، ونفاهما في طواف الوداع). فمرادهم بنفسه في طواف الوداع: إذا كان طواف الوداع مستقلاً، أما إذا أُخِّرَ الإفاضة إلى حين الوداع، فحينئذ يُتصور الاضطباع في طواف الوداع. والله أعلم .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٧/٩.

(٢) حلية العلماء ٢٨٥/٣.

(٣) تقدم تخريجه.

سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة»^(١).

٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت، الطواف الأول، خبَّ ثلاثاً، ومشى أربعاً...، وكان ابن عمر يفعل ذلك»^(٢).

٤- وعن جابر رضي الله عنه في وصف حجة النبي ﷺ وفيه: «... حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم» الحديث^(٣).

٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة، فرملوا بالبيت ثلاثاً، ومشوا أربعاً»^(٤).

فهذه الأحاديث جميعها دالة على أن اضطباعه ﷺ كان في طواف القدوم.

أما حديث يعلى، وابن عمر، وجابر، فصریحة في ذلك، فقد نصّ في حديث يعلى على أن طوافه ﷺ كان حين قدومه. وكذا جاء وصف هذا الطواف بأنه الأول في حديث ابن عمر^(٥). وكان وصف جابر لحجه ﷺ مفصلاً وبيّن أن هذا الطواف كان حين وصولهم إلى البيت.

وأما حديث ابن عباس في طواف العمرة، فظاهرٌ فيه أيضاً، لأن طواف النبي ﷺ إنما كان حين دخل مكة. فطواف العمرة يقوم مقام طواف القدوم^(٦).

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في الحج، باب من طاف بالبيت إذا قدم مكة (٦٣) ١٦٣/٢، ومسلم في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ٧/٩ بشرح النووي.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) قال الطبري بعد إيراد حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (في هذا دليل على أن الرمل إنما هو في طواف القدوم، وفي طواف العمرة، لأنه كطواف القدوم) القرى ص ٢٩٧.

(٦) قال صاحب المبدع ٢١٨/٣: (وليس في غير هذا الطواف رمل ولا اضطباع، لأنه عليه =

واستدل أصحاب القول الثاني، بما يلي :

١- بحديثي يعلى، وابن عباس رضي الله عنهما - المتقدمين - ووجه استدلالهم منهما : أن اضطباعه رضي الله عنه في ذلك الطواف، لأنه سعى بعدهما. فدل ذلك على مشروعية الاضطباع في كل طواف يعقبه سعي .

٢- وبحديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم. وكونه صلى الله عليه وسلم لم يرمل في طواف الإفاضة، وطواف الوداع، لأنه لم يسع بعدهما. فدل ذلك على أن الاضطباع إنما يكون في طواف يعقبه سعي .

٣- إن من ترك الاضطباع والرمل في طواف القدوم، أتى بهما في طواف الإفاضة، لأنهما سنة أمكن قضاؤها، فتقضى، كسنة الصلاة ^(١).

٤- إن السعي تبع للطواف، فلو أخت السعي إلى طواف الإفاضة، وقلنا لا يرمل في الطواف، لكونه رمل في طواف القدوم، أفضى إلى أن يكون التابع أكمل من المتبوع، وهذا لا يصح ^(٢).

• الرأي المختار :

ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، القائلون: إن الاضطباع والرمل لا يُشرعان إلا في طواف القدوم، أو طواف العمرة، سواء سعى بعده، أم لم يسع. هو الأرجح والمختار. وذلك لما يلي :

١. ظاهر هذه المسألة أنها متنازعة الأطراف، إذ أن ما استدل به الفريقان مشترك بينهما، فلم يقدّم دليل صريح - من السنة - لأحد الفريقين. وجه

= السلام وأصحابه إنما فعلوا ذلك في الطواف الأول).

وانظر: كشاف القناع ٢/٥٥٥، المجموع ٤٢/٨.

(١) انظر: الشرح الكبير ٩/١٠٣.

(٢) انظر: المغني ٥/٢٢١، الشرح الكبير ٩/١٠٤.

ذلك: أن اضطباع النبي ﷺ ورملة إنما كان في طوافه الأول، طواف القدوم. ولم يثبت أنه ﷺ اضطبع ورمل في طواف بعده. فصح أن يُقال: باختصاص الاضطباع والرمل فيه. وصح أن يُقال أيضاً: إن اضطباعه ﷺ ورملة إنما كان في طواف أعقبه سعي. وكان الدليل صريحاً في المسألة لو ثبت أنه ﷺ أتم السعي عن طواف القدوم (١).

٢. لم يبق بعد ذلك للفريق الثاني إلا الحجتان العقليتان، وهما:

أ- إن التابع لا ينبغي أن يكون أكمل من المتبوع (٢). وإثبات سنة وعبادة بمثل هذه الحججة الضعيفة غير سديد، إذ الأصل في العبادات الحظر والمنع.

ب- قياس قضائهما عند تركهما على سنن الصلاة. وهو قياس لا يصح، لأن من تركهما في الثلاثة الأول، لا يقضيهما في الأربعة الأخر اتفاقاً، ومن ترك الجهر في صلاة الفجر، لا يقضيه في صلاة الظهر (٣).

٣. يؤكد هذا ويعضده ما سيأتي من ترجيح عدم مشروعية الاضطباع والرمل للمكي، إذ لم يثبت أنه ﷺ أمر أحداً من أهل مكة بهما في طواف الإفاضة،

(١) إلا ما يرد على الحنفية من أن القارن يسعى مرة ثانية، وهم يقولون بأنه ﷺ كان قارناً، ولم يثبت أنه ﷺ رمل في طواف الإفاضة، بل الثابت أنه لم يرمل فيه. فقد روى البيهقي ٨٤/٥ عن ابن عباس ؓ: « أن النبي ﷺ لم يرمل في السبع الذي أفاض فيه » وقال عطاء: لا رمل فيه.

(٢) قال ابن قدامة في معرض الرد على هذه الحججة ومناقشتها: (إن المتبوع لا تتغير هيئته تبعاً لمتبوعه، ولو كانا متلازمين، لكان ترك الرمل في السعي تبعاً لعدمه في الطواف أولى من الرمل في الطواف تبعاً للسعي). المغني ٢٢١/٥.

(٣) انظر: الشرح الكبير ١٠٣/٩، ١٠٤. وقال: (لا يقتضي القياس أن يقضي هيئة عبادة في عبادة أخرى).

وهو الطواف الذي يختص به المكّي، مع عدم اضطباعه ورملة ﷺ في هذا الطواف^(١).

٤. لم يثبت أن النبي ﷺ أمر من جاء مراهقاً، فلم يدخل مكة إلا بعد الوقوف بعرفة بالاضطباع والرمل في طوافه^(٢)، فدل ذلك على ذهاب وقته .

(١) فعن ابن عباس ؓ: « أن النبي ﷺ لم يرمل في السبع الذي أفاض فيه » رواه أبو داود في المناسك، باب الإفاضة في الحج (٢٠٠١)، وابن ماجه (٣٠٦٠)، وابن خزيمة (٢٩٤٣)، والحاكم ٦٤٨/١. وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، والبيهقي ٨٤/٥. وأورده ابن حجر في تلخيص الخبير ٢/٢٥، وسكت عنه. وقال ابن البنا في شرحه ٦١٩/٢: (روي عن النبي ﷺ أنه أمرهم بذلك في طواف القدوم، ولم يأمرهم في بقية الطواف، ولا فعله). وانظر: نيل الأوطار ١١١/٥.

(٢) ثبت أن بعض الصحابة لم يدرك النبي ﷺ في حجته إلا يوم عرفة، من حديث عروة بن مضرّس الطائي. قال: أتيت النبي ﷺ وهو بجمّع، فقلت: يا رسول الله، إني جئتك من جبلي طيء، أتعبت نفسي، وأنصبت راحلتي، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه. فهل لي من حج؟ فقال: « من شهد معنا هذه الصلاة - يعني صلاة الفجر بجمع - ووقف معنا حتى تُفيض منه، وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلاً، أو نهاراً، فقد تم حجّه، وقضى تفثه ». أخرجه أحمد ٤/١٥، ٢٦١، ٢٦٢، وأبو داود في المناسك، باب من لم يدرك عرفة ٢/١٩٦ (١٩٥٠)، والترمذي في الحج، باب من أدرك الإمام بجمع ٢/١٨٨ (٨٩٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في المناسك، باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح ٥/٢٦٣ (٣٠٣٩ - ٣٠٤٣)، وابن ماجه (٣٠١٦)، والدارمي ٢/٩٥، والطيالسي ص ١٨١ (١٢٨٢)، وابن خزيمة (٢٨٢٠، ٢٨٢١)، وابن حبان في الإحسان ٦/٦١ (٣٨٣٩، ٣٨٤٠)، والحاكم ١/٤٦٣، المنتقى لابن الجارود ص ١٢٣ (٤٦٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٢/٢٠٨، والدارقطني ٢/٢٣٩، والبيهقي ٥/١١٦، ١٧٣، وقال ابن حجر في تلخيص الخبير ٢/٢٥٦ (١٠٤٩): (وصحح هذا الحديث: الدارقطني، والحاكم، والقاضي أبو بكر بن العربي على شرطهما). ووافقهم الألباني في الإرواء (١٠٦٦).

٥. يعضد ذلك ما ثبت من حال ابن عمر رضي الله عنه أنه كان لا يرمل إذا أهلّ من مكة^(١).

وبهذا يتبيّن: أن ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، هو أرجح الأقوال، وهو الرأي الذي اختاره. والله أعلم.

• الفرع الثاني: هل يُشرع تكرار الاضطباع والرمل في الحج؟

اختلف القائلون بمشروعية الاضطباع والرمل في كل طواف يعقبه سعي، هل يُشرع تكرارهما في الحج أم لا؟ اختلفوا على قولين:

القول الأول: يُشرع تكراره في الحج لمن أحرم متمتعاً، أو قارناً.

وإلى هذا ذهب الحنفية^(٢).

لأنهم طردوا قاعدتهم المشار إليها: «إن الاضطباع والرمل يُشرعان في كل طواف يعقبه سعي»^(٣).

(١) سيأتي تحريجه في مشروعية الرمل لأهل مكة.

(٢) انظر: البحر الرائق ٣٥٥/٢، حاشية ابن عابدين ٥٣٢/٢، هداية السالك ٨٠٦/٢.

تنبيه: قول بعض الحنفية، كابن نجيم: (إذا كان قارناً لم يرمل في طواف القدوم، إن كان رمل في طواف العمرة) خلاف ما عليه جمهور الحنفية. وقد نسبّه على ذلك ابن عابدين في حاشيته، فقال: (تنبيه: أفاد أنه يضطبع ويرمل في طواف القدوم، إن قدّم السعي، كما صرح به في الباب. قال شارحه القاري: وهذا ما عليه الجمهور، من أن كل طواف بعده سعي فالرمل فيه سنة، وقد نصّ عليه الكرماني حيث قال في باب القران: يطوف طواف القدوم، ويرمل فيه أيضاً، لأنه طواف بعده سعي. وكذا في خزنة الأكمل، وإنما يرمل في طواف العمرة، وطواف القدوم، مفرداً كان أو قارناً. وأما ما نقله الزيلعي عن الغاية للسروجي من أنه إذا كان قارناً لم يرمل في طواف القدوم، إن كان رمل في طواف العمرة، فخلاف ما عليه الأكثر. اهـ).

(٣) انظر: القول الثاني في المسألة السابقة.

والمتمتع يطوف ويسعى لعمرة، ثم يطوف ويسعى لحجه، فعليه طوافان وسعيان، فكل طواف أعقبه بسعي يُشرع له الاضطباع والرمل فيه. والقارن عند الحنفية كالمتمتع عليه طوافان وسعيان، فيُشرع له ما يُشرع للمتمتع من تكرار الاضطباع والرمل^(١).

القول الثاني: لا يُشرع الاضطباع والرمل إلا في طواف واحد في الحج .
وإلى هذا ذهب الشافعية^(٢).

ومن الحجّة لهم في ذلك ما يلي :

١ - حديث ابن عمر رضي الله عنهما : «أن النبي ﷺ كان إذا طاف الطواف الأول، خبّ ثلاثاً، ومشى أربعاً»^(٣).

(١) انظر: أنواع الطواف وأحكامه ص ٢٢٧، مجلة البحوث الإسلامية العدد (٥٠)، وقال السرخسي في المبسوط ٣٢/٤ في بيان أفعال القارن والمتمتع في الحج: (ويزور - أي: القارن - البيت، فيطوف به أسبوعاً يرمل في الثلاثة الأول، ويمشي في الأربعة الأواخر على ركعتين، ويسعى بين الصفا والمروة على قياس ما بيناه في الحج، لأن هذا أول طواف يأتي به في الحج، وقد بينا أن الرمل في أول طواف الحج سنة، والسعي عقيب أول طواف الحج. وهذا بخلاف المفرد، لأنه طاف للقدوم في الحج هناك وسعى بعده، فلهذا لا يرمل في طواف يوم النحر ولا يسعى بعده، ولو كان هذا المتمتع بعد ما أحرم بالحج طاف وسعى قبل أن يروح إلى منى، لم يرمل في طواف الزيارة يوم النحر، ولم يطف بين الصفا والمروة).

(٢) انظر: المجموع ٢٠١٩/٨، شرح النووي على صحيح مسلم ٧/٩، نيل الأوطار ١٠٩/٥. قال في المجموع: (اتفقت نصوص الشافعي، والأصحاب على استحباب الاضطباع في الطواف، واتفقوا على أنه لا يُسن طواف الحج والعمرة، وأنه يُسن في طواف العمرة، وفي طواف واحد في الحج، وهو طواف القدوم، أو الإفاضة، ولا يُسن إلا في أحدهما).

(٣) تقدم تخريجه.

قالوا: فدلّ ذلك على أنه لم يعد في غيره^(١).

٢- إن الثابت عن النبي ﷺ أنه لم يرمل في عمّره وحجته إلا مرة واحدة، فدلّ ذلك على أن الاضطباع والرمل إنما يُشرعان مرة واحدة في النسك من حج أو عمرة .

٣- لم يثبت أن الصحابة رضي الله عنهم رملوا في طواف الإفاضة حين حجوا مع النبي ﷺ، وقد سَعَوْا عقبه، لأهمهم كانوا متمتعين. فدلّ ذلك على أن الاضطباع والرمل، وإن شرعاً في كل طواف يعقبه سعي، إلا أنهما لا يُشرعان إلا مرة واحدة في الحج .

• الرأي المختار:

يظهر أن الرأي الأول هو أقوى هذين الرأيين، إلا أنه سبق اختيار أن الاضطباع والرمل إنما يُشرعان في طواف القدوم. والله أعلم .

• الفرع الثالث : الاضطباع والرمل من غير إحرام .

إذا لم يطف الحاج للقدوم قبل الوقوف بعرفة، أو لم يضطبع في طواف القدوم لكونه لم يسع بعده، ودخل مكة لطواف الإفاضة بعد التحلل الأصغر، وقد خلع ملابس الإحرام. فهل يُشرع له الاضطباع والرمل في هذه الحال، أم لا ؟
لم تنصّ أكثر المصادر التي وقفتُ عليها على هذه المسألة، ويمكن القول بأن العلماء اختلفوا في ذلك على قولين :

القول الأول : لا يُشرع الاضطباع والرمل في غير ملابس الإحرام .

القول الثاني : يُشرع الاضطباع والرمل وإن لم يكن الطائف لابساً

ملابس الإحرام .

(١) انظر: المهذب مع المجموع ٤٠/٨ .

قال البكري: « ويُسْن أن يضطبع الذَّكَر في طواف يرمَل فيه، وهو الذي يعقبه السعي، ولو كان لابساً »^(١).

وقال ابن عابدين: « من لبس المخيط لعذر هل يُسْن له التشبه به، لم يتعرض له أصحابنا. وقال بعض الشافعية يتعذر في حقه، أي: على وجه الكمال فلا يُنَافِي ما ذكره بعضهم أنه قد يُقال يُشْرَع له، وإن كان المنكب مستوراً بالمخيط للعذر. قلت: والأظهر فعله »^(٢).

وقال في إرشاد الساري: « ويفرض أنه لم يكن لابساً، فلا يُنَافِي ما قال في البحر من أنه لا يُسْن في طواف الإفاضة، لأنه قد تحلل من إحرامه، ولبس المخيط، والاضطباع في حال بقاء الإحرام. وهذا ظاهر - ثم نبه على مسألة نحوها، فقال: - ولكن من لبس المخيط لعذر، هل يُسْن في حقه التشبه به؟ ولم يتعرض له أصحابنا. وذكر بعض الشافعية: أن الاضطباع إنما يُسْن لمن لم يلبس المخيط، أما من لبسه من الرجال، فَيُتَعَذَّر في حقه الإتيان بالسنة - أي: على وجه الكمال - فلا يُنَافِي ما ذكره بعضهم من أنه قد يُقال: يُشْرَع له جعل وسط رداءه تحت منكبه الأيمن، وطرفيه إلى الأيسر، وإن كان المنكب مستوراً بالمخيط للعذر. قال في عمدة المناسك: وهذا لا يبعد لما فيه من التشبه بالمضطبع عند العجز عن الاضطباع، وإن كان غير مخاطب فيما يظهر. قلت: الأظهر، فعله. فإن ما لا يُدْرِك كله، لا يُتْرَك كله. ومن تشبه بقوم فهو منهم ».

• الرأي المختار :

ليس في هذه المسألة من النصوص والأدلة ما يمكن الاعتماد عليه في

(١) إعانة الطالبين ٢/٣٠٠.

(٢) حاشية ابن عابدين ٢/٤٩٥. وقال ١٨/٥١٨: (وأما الاضطباع فساقط مطلقاً في هذا

الطواف - أي: طواف الإفاضة). وانظر: منسك ملا القاري ص ٨٨.

الترجيح والاختيار، إلا ما قد مضى تقريره، وترجيحه في مسائل أخرى. والذي أختاره في هذه المسألة، بناءً على ما تقدم، هو القول: بعدم مشروعية الرمل والاضطباع في غير ملابس الإحرام، وذلك لما يلي :

١. لم يثبت عن النبي ﷺ أنه اضطبع، أو رمل وهو غير محرم، أو أنه أمر أحداً بذلك .

٢. لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم فعلوا ذلك .

٣. لا ريب أن النبي ﷺ إنما اضطبع هو وأصحابه بأرديتهم، وهم مُحْرِمُونَ، فالاضطباع بغير تلك الحال، ليس فيه اقتداء واتباع، بل إحداث وابتداع .

٤. مضى تقرير ارتباط كل من الاضطباع والرمل بالآخر^(١)، فحيث لا يُشرع الاضطباع في حال عدم الإحرام، فكذا لا يُشرع الرمل في تلك الحال .

٥. مضى في المسألة السابقة، تقرير اختصاص مشروعية الاضطباع والرمل بطواف القدوم، وترجيح عدم مشروعية طواف القدوم للمراهق^(٢)، الذي لم يدخل قبل الوقوف بعرفة، وبذلك يتبين عدم مشروعية الاضطباع والرمل بغير ملابس الإحرام لمن دخل مكة بعد التحلل الأصغر .

٦. سيأتي في المسألة التالية، تقرير عدم مشروعية قضاء الاضطباع والرمل في غير وقتها، وعدم صحة القياس في ذلك .

٧. إن القول بأن ما لا يُدرك كله، لا يُترك كله. ومن تشبه بقوم فهو منهم. إنما يصح في حق العاجز عن الفعل، إما لمرض، أو ضرر، أو فقد ونحو ذلك. ولا ريب أن من تحلل لا يُقال بأنه عاجز عن لبس إزار ورداء، والاضطباع به. وإنما يُقال: قد فات وقت المشروعية. ففرق بين الحالين . والله أعلم بالصواب .

(١) انظر: التمهيد من هذا البحث.

(٢) انظر: بحث: أنواع الطواف وأحكامه. ص ٢٢٤، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٠).

• الفرع الرابع : كيف يصنع من رُحِم في الطواف ؟

من لم يتمكن من الرمل بسبب الزحام. فهل يُشرع له الوقوف، ليمكن من الرمل؟ وهل يكون البُعد عن البيت أولى من القُرب منه إذا تمكّن من الرمل معه ؟

اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن القرب من البيت مع الرمل أولى، ليجمع بين الرمل والقرب ^(١)،

حتى ولو كان عند البيت زحام يسير يتمكن من الوقوف ^(٢) أثناء طوافه

(١) قال الشافعي: (والدنو من البيت أحب إليّ، لأن رسول الله ﷺ كان أقرب أصحابه إلى البيت، ولأن المقصود بالطواف البيت. فإذا كان أقرب إلى المقصود، كان أولى). وانظر: فتح القدير ٤٥٥/٢، البحر الرائق ٣٥٥/٢، التاج والإكليل ٧٥/٣ مواهب الجليل ١٠٩/٣، كفاية الطالب ٦٦٨/٢، الحاوي ١٤١/٤، إعانة الطالبين ٢٩٩/٢، المغني ٢٢٠/٥، شرح العمدة ٤٤٢/٣، الفروع ٤٩٨/٢، منتهى الإرادات ١٤٤/٢، الإقناع مع شرحه ٥٥٩/٢.

(٢) تنبيه: القول بالوقوف أثناء الطواف ليمكن من الرمل، إن لم يترتب على ذلك أذى، أو ضرر متفق عليه، كما سيأتي قريباً تقريره. وقال السرخسي في المبسوط ١١/٤: (إن زحمت الناس في رملك، فقم. فإذا وجدت مسلماً، فارمل، لأنه تعذر عليه إقامة السنة في الطواف للزحام، فليصبر حتى يتمكن من إقامة السنة، كالمزحوم يوم الجمعة، يصبر حتى يتمكن من السجود). وتعقب ذلك ملا القاري، فقال: في منسكه ص ٩١: (وأما عبارته في الكبير «فإذا رُحِم الناس في الرمل، يقف حتى تزول الزحمة، ويجد مسلماً، فيرمل» فموهمة أنه يقف في الأثناء، وهو مستبعد جداً، عرفاً وعادة، لما فيه من الحرج والمشقة، ولكون الموالاة بين الأشواط وأجزاء الطواف سنة متفق عليها. بل قال بعض العلماء: إنها واجبة. فلا تترك لحصول سنة مختلف فيها. والله أعلم. فلو حصل التراحم في الأثناء، يفعل ما يقدر عليه، ويترك ما لا يقدر عليه، فإن ما لا يدرك كله، لا يترك بعضه). إلا أن ابن عابدين نسبّه على من تعقب ذلك، ورام الجمع، فقال في حاشيته ٤٩٨/٢: (قوله =

دون إيذاء، أو ضرر يلحقه، أو يُلحقه بالآخرين^(١). قال النووي: «القرب من البيت مستحب للطائف، ولو تعذر الرمل مع الزحمة، فإن رجا فرجة، ولا يتأذى أحد بوقوفه، ولا يضيق على الناس، وقف، ليرمل»^(٢).

واتفقوا أيضاً: على أن البعد من البيت مع الرمل، أولى من القرب منه مع عدمه^(٣). قال النووي: «لأن فضيلة الرمل هيئة للعبادة في نفسها، والقرب من الكعبة هيئة في موضع العبادة لا في نفسها، فكان تقديم ما تعلق بنفسها أولى. والله أعلم»^(٤).

= «وقف» وفي شرح الطحاوي: يمشي حتى يجد الرمل، وهو الأطهر، لأن وقوفه مخالف للسنة - قاري على النقاية، وفي شرحه على الباب - لأن الموالاتة بين الأشواط وأجزاء الطواف، سنة متفق عليها. بل قيل: واجبة، فلا يتركها لسنة مختلف فيها. اهـ - قال ابن عابدين: - قلت: ينبغي التفصيل جمعاً بين القولين، بأنه إن كانت الزحمة قبل الشروع، وقف، لأن المبادرة إلى الطواف مستحبة، فيتركها لسنة الرمل المؤكدة، وإن حصلت في الأثناء، فلا يقف لثلاث تفوت الموالاتة).

(١) انظر: فتح القدير ٢/٤٥٥، البحر الرائق ٢/٣٥٥، حاشية الطحطاوي ١/٤٧٩، الحاوي ٤/١٤١، إعانة الطالبين ٢/٣٠٠، مواهب الجليل ٣/١٠٩، المغني ٥/٢٢٠، مجموع الفتاوى ٢٦/١٢٢، الفروع ٢/٤٩٨، منتهى الإرادات ٢/١٤٤، كشف القناع ٢/٥٥٩.

(٢) المجموع ٨/٤٣.

(٣) انظر: فتح القدير ٢/٤٥٥، البحر الرائق ٢/٣٥٥، إعانة الطالبين ٢/٣٠٠، مواهب الجليل ٣/١٠٩. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٢٦/١٢٢: (فإن لم يمكن الرمل للزحمة، كان خروجه إلى حاشية المطاف والرمل، أفضل من قربه إلى البيت بدون الرمل، وأما إذا أمكن القرب من البيت مع إكمال السنة، فهو أولى. ويجوز أن يطوف من وراء قبة زمزم، وما وراءها من السقائف المتصلة بجيطان المسجد).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٧/٩.

قال الشافعي: « فإذا كان زحام لا يمكن معه أن يَخُبَّ، فكان إن وقف، وجد فرجة، وقف. فإذا وجد الفرجة رمل. وإن كان لا يطمع بفرجة، لكثرة الزحام، أحببت أن يصير حاشية في الطواف، فيمكنه أن يرمل، فإنه إذا صار حاشية، أمكنه أن يرمل، ولا أحب ترك الرمل »^(١).

وقالوا: المحافظة على فضيلة تتعلق بنفس العبادة، أولى من المحافظة على فضيلة تتعلق بمكانها، أو زمانها^(٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « قال أصحابنا يُستحب للطائف الدنو من البيت في الطواف إلا أن يؤذي غيره، أو يتأذى بنفسه، فيخرج إلى حيث أمكنه. وكلما كان أقرب، فهو أفضل، وإن كان الأبعد أوسع مطافاً وأكثر خطىً، فإن لم يمكنه الرمل مع القرب، لقوة الازدحام، فإن رجا أن تخف الزحمة، ولم يتأذ أحد بوقوفه، انتظر ذلك، ليجمع بين قربه من البيت، وبين الرمل، فإن ذلك مقدم على مبادرته إلى تمام الطواف. وإن كان الوقوف لا يُشرع في الطواف. قال أحمد: فإن لم تقدر أن ترمل، فقم حتى تجد مسلكاً ثم ترمل. فإن لم يمكنه الجمع بين القرب والرمل. فقال القاضي وغيره: يخرج إلى حاشية المطاف، لأن الرمل أفضل من القرب، لأنه هيئة في نفس العبادة، بخلاف القرب، فإنه هيئة في مكانها »^(٣).

(١) الأم ١٧٤/٢، ١٧٥.

(٢) انظر: كشاف القناع ٥٥٩/٢، إعانة الطالبين ٣٠٠/٢. وقال السيوطي في الأشباه والنظائر ص ١٤٧: (القاعدة الثانية والعشرون: الفضيلة المتعلقة بنفس العبادة، أولى من المتعلقة بمكانها ..، الدنو من الكعبة في الطواف مستحب، والرمل مستحب، فلو منعه الزحمة من الجمع بينهما، ولم يمكنه الرمل، وأمكنه مع البعد، فالمحافظة على الرمل مع البعد أولى من المحافظة بلا رمل لذلك). وقال الماوردي في الحاوي ١٤١/٤: (وإنما كان الرمل أوكد، لأنه سنة والدنو فضيلة، والسنة أوكد من الفضيلة، ولأن الرمل من هيئات الطواف المقصودة، وليس الدنو من البيت من هيئته).

(٣) شرح العمدة ٤٤٢/٣، ٤٤٣. ثم أورد قول ابن عقيل من الحنابلة، وأجاب عليه. فقال: =

وأشار بعض الحنابلة إلى أنه إن كان يتمكن من الرمل، أو الدنو من البيت بتأخير الطواف، دون تضرر به، أو برفقته، فهو أولى. ولم يخل من تعقب^(١).
فإن كان لا يتمكن من الرمل مع البُعد، أو كان في حاشية المطاف نساء، ويخشى أن يتضرر، أو يتضررون من ذلك، كان الدنو من البيت، أولى^(٢).

(وقال ابن عقيل: يطوف قريباً على حسب حاله، ولأن الرمل هيئة فهو، كالتحافي في الركوع والسجود، ولا يترك الصف الأول، لأجل تعذرها. وكذلك هنا لا يترك المكان القريب من البيت لأجل تعذر الهيئة. والأول أولى، لأن الرمل سنة مؤكدة بحيث يكره تركها، والطواف من حاشية المطاف لا يكره، بخلاف التأخر إلى الصف الثاني في الصلاة، فإنه مكروه كراهة شديدة. والفرق بين الصف الأول، وبين داخل المطاف: أن المصلين في صلاة واحدة، ومن سنة الصلاة إتمام الصف الأول، بخلاف الطائفين، فإن كل واحد يطوف منفرداً في الحكم فنظير ذلك أن يصلي منفرداً في قبلي المسجد مع عدم إتمام هيئات الصلاة، فإن صلاته في مؤخره مع إتمامها أولى. وأيضاً فإن تراص الصف وانضمامه سنة في نفسه فاغتفر في جانبها زوال التحافي بخلاف ازدحام الطائفين فإنه ليس مستحباً، وإنما هو بحسب الواقع. وأيضاً فإن فضيلة الصف الأول ثبتت بنصوص كثيرة بخلاف داخل المطاف. على أن المسألة التي ذكرها فيها نظر. فأما إن خاف إن خرج أن يختلط بالنساء، طاف على حسب حاله ولم يخرج).

(١) انظر: الفروع ٤٩٨/٢، منتهى الإرادات ١٤٤/٢، الإقناع مع شرحه ٥٥٩/٢. قال صاحب الفروع: (وهو - أي: الرمل - أولى من الدنو من البيت، والتأخير له أولى). وقال صاحب المبدع: (وفي الفصول: لا ينتظر للرمل، كما لا يترك الصف الأول لتعذر التحافي في الصلاة).

(٢) انظر: المجموع ٤٣/٨، إعانة الطالبين ٣٠٠/٢، مواهب الجليل ١٠٩/٣، المغني ٢٢٠/٥. قال ابن قدامة: (فإن كان قُرب البيت زحام فظن أنه إذا وقف لم يؤذ أحداً، وتمكن من الرمل، وقف ليجمع بين الرمل والدنو من البيت، وإن لم يظن ذلك، وظن أنه إذا كان في حاشية الناس تمكن من الرمل، فعل، وكان أولى من الدنو. وإن كان لا يتمكن من الرمل أيضاً، أو يختلط بالنساء، فالدنو أولى، ويطوف كيفما أمكنه، وإذا وجد فرجة رمل فيها).

وهل يسقط عنه الرمل في مثل هذه الحال التي لم يتمكن من الرمل فيها على الصفة المشروعة حسب السنة، أو يرمل حسب قدرته وطاقته؟ وهل يتحرك في مشيه إن زُحِمَ عن الرمل، ويُبرَى من نفسه أنه لو أمكنه الرمل لرمل؟
اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال :

القول الأول : إنه إن لم يتمكن من الرمل على الصفة المشروعة، كما جاءت بها السنة، ترك الرمل، ومشى على عادته .
وإلى هذا القول ذهب: الحنفية^(١).

القول الثاني : إنه يرمل حسب قدرته وطاقته، فإن تعذر ذلك، مشى مشياً معتاداً على سجيته .
وإلى هذا القول ذهب: المالكية، والحنابلة^(٢).

(١) انظر: تحفة الفقهاء ٤٠١/١، بداية المبتدي وشرحها الهداية ٤٥٤/٢، ٤٥٥، بدائع الصنائع ١٤٧/٢، هداية السالك ٧٠٥/٢. قال في البداية: (فإن زحمه الناس في الرمل، قام. فإذا وجد مسلماً رمل) قال في شرحها: (لأنه لا بد له، فيقف حتى يقيمه على وجه السنة، بخلاف الاستلام، لأن الاستقبال بدل له).

(٢) انظر: الشرح الكبير ٤١/٢، الشرح الصغير ٣٥٣/٢، مواهب الجليل ١٠٩/٣، المغني ٢٢٠/٥، هداية السالك ٨٠٥/٢. قال الخطاب في شرحه قول خليل في مختصره ((وللزحمة الطاقه)): (قال في المدونة ((وإن زوحم في الرمل فلم يجد مسلماً، رمل بقدر طاقته)) قال سند: يستحب للطائف الدنو من البيت، هو المقصود، فإن كان بقرب البيت زحام لا يمكنه أن يرمل فيه، فإن كان يعلم أنه إذا وقف قليلاً وجد فرجة، تربص، فإذا وجد فرجة رمل. وإن لم يطمع بفرجة لكثرة الزحام، فإن علم أنه إن تأخر إلى حاشية الناس أمكنه الرمل، فليتأخر، ورملة مع ذلك أولى من قربه بالبيت، رمل، فإن كان لا يمكن التأخير، أو كان ليس في حاشية الناس فرجة، فإنه يمشي ويعذر في ترك الرمل. انتهى. قال عبد الحق: وذكر بعض البغداديين أنه إذا زوحم في الرمل، فلم يجد مسلماً إنما يرمل إذا قدر على المشي، فأما إذا لم يستطع وهو قائم في موضعه، فليس يؤمر أن يتحرك =

القول الثالث : إنه إن لم يتمكن من الرمل، تحرك في مشيه، ليري من نفسه أنه لو أمكنه الرمل، لرمل .

وإلى هذا القول ذهب : الشافعية ^(١) .

قال الماوردي: « الرمل مسنون، والدنو من البيت مستحب. فإذا أمكنه الرمل والدنو من البيت، فعلهما معاً، وإن لم يمكنه الرمل مع دنوه من البيت، فله حالان :

أحدهما : أن يعلم أنه إذا وقف يسيراً، وجد فرجة، وأمكنه الرمل من غير أن يستضر بوقوفه الطَّوَّاف، فالأولى، أن يقف، ولا يثب من الأرض في وقوفه، لأنه لم يفعله أحد يُقتدى به .

والثاني : أن يعلم أنه إن وقف، لم يجد فرجة، أو علم أنه يجد فرجة، لكن إن وقف، استضر بوقوفه الطواف، فهذا يبعد من البيت، ويصير في حاشية الطواف، ليرمل، لأن الرمل أوكد من الدنو من البيت ^(٢) .

• الرأي المختار :

بتأمل هذه الأقوال والنظر فيها، نجد أن أصحاب القول الأول، رأوا أن الرمل هيئة مستحبة في الطواف، إن تعذر الإتيان بها على الصفة المشروعة التي جاءت بها السنة، سقطت، ولا حاجة إلى الإتيان بديل عنها، لأنها صفة لم تأت السنة بها .

= إذا لم يطق المشي. ويدل على هذا قول مالك في كتاب محمد: إنه لا يحرك منكبيه في الرمل. فاعلم ذلك. انتهى).

(١) انظر: المجموع ٤٣/٨، شرح النووي على صحيح مسلم ٧/٩، هداية السالك ٨٠٤/٢. قال النووي في المجموع: (ومتى تعذر الرمل، استحَب أن يتحرك في مشيه، ويُري من نفسه أنه لو أمكنه الرمل، رمل. نص عليه الشافعي، واتفق عليه الأصحاب).

(٢) الحاوي ١٤١/٤.

وأن من قال بالرمل حسب طاقته وقدرته، فإنهم يتفقون مع هذا القول بأنه إن تعذر الرمل، مشى على سجيته، ولم يقولوا بالتحرك أثناء المشي. وإنما قيدوا الرمل بقدر الاستطاعة، مستأنسين بالعمومات في هذا الباب، نحو قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ^(١) وقوله ﷺ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(٢).

وقوله ﷺ: ﴿ إِذَا أَمَرْتَكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتَوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ^(٣). وأن هذا نحو ما ذكره العلماء من استحباب إمرار الموسيقى على رأس من لا شعر له ^(٤).
 أما ما ذهب إليه أصحاب القول الثالث، من التحرك حال المشي، فالذي يظهر: ضعف هذا القول، لأن فيه تكلفاً لم تأت السنة به. وهل غير المستطيع للرمل في حاجة - وهو في هذه الحال - لأن يُري نفسه، أو غيره عدم قدرته على الرمل!؟

وإن كان النووي وغيره من علماء الشافعية قد نصوا على أن هذا القول قد نص عليه الشافعي. فقد نصّ على خلافه. فقال: «رمل إذا أمكنه الرمل، ومشى إذا لم يمكنه الرمل، سجية مشيه. ولم أحب أن يثب من الأرض وثوب الرمل، وإنما يمشي مشياً» ^(٥). فهذا القول فيه موافقة لظاهر السنة، ويتفق مع أقوال المذاهب الأخرى. وهو الأحرى بالأخذ والاعتبار. والله أعلم بالصواب.

(١) سورة التغابن، آية : ١٦.

(٢) سورة البقرة، آية : ٢٨٦.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٢) ١٤٢/٨،

ومسلم في الحج، باب فرض الحج مرة في العمر ١٠٠/٩. من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) انظر: المجموع ٤٣/٨.

(٥) الأم ١٧٥/٢.

• الفرع الخامس : قضاء الاضطباع والرمل .

سبق بيان حكم الاضطباع والرمل في الطواف، فعلى قول الجمهور بمشروعتيهما واستحبابهما، فلا يترتب على تركهما فدية، ولا محذور. بل ترك للفضيلة. قال النووي: «ولو ترك الاضطباع والرمل ..، في الطواف، فطوافه صحيح، ولا إثم عليه، ولا دم عليه. ولكن فاتته الفضيلة. قال الشافعي والأصحاب: هو مسيء. يعنون إساءة لا إثم فيها»^(١).

فهل يُشرع لمن تركهما في موضعهما، تدارك ذلك وقضاؤهما فيما بعد؟ ومتى يكون ذلك؟ هذا ما سأتناوله في المسألتين التاليتين :

❖ المسألة الأولى : قضاء الاضطباع .

مضت الإشارة إلى اختلاف العلماء - رحمهم الله - في وقت الاضطباع. وهل هو في جميع الطواف، أو في الأشواط التي يُرمل فيها^(٢)؟ ومضت الإشارة أيضاً إلى أن الاضطباع ملازم للرمل ومرتب به، وأنه لا يعني عدم فعل أحدهما في موضعه لترك الآخر لعذر أو غيره^(٣). وعلى ذلك: فمن ترك الاضطباع في بعض الأشواط لعذر، أو غيره، فإنه يُشرع له تداركه فيما بقي من الأشواط. قال الشافعي: «فإن ترك الاضطباع في بعض السبع، اضطبع فيما بقي منه، وإن لم يضطبع بحال، كرهته له، كما أكره له ترك الرمل في الأطواف الثلاثة، ولا فدية عليه، ولا إعادة»^(٤). وأما القائلون: إن الاضطباع ملازم للرمل في الأشواط الثلاثة، فيكون

(١) المجموع ٤٥/٨. وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في الفرع الثالث، من المطلب الرابع.

(٢) في الفرع الأول من المطلب الخامس.

(٣) في التمهيد من هذا البحث.

(٤) الأم ١٧٤/٢. وانظر: الحاوي ١٤٠/٤.

تدارك الاضطباع، كتدارك الرمل. وأما من ترك الاضطباع والرمل في طواف القدوم، فسيأتي بيان ذلك في المسألة التالية .

❖ المسألة الثانية : قضاء الرمل .

اتفق العلماء - رحمهم الله - القائلون بمشروعية الرمل في الأشواط الثلاثة الأول، على أن من ترك الرمل في الشوط الأول أو الثاني، لا يدعه في باقي الأشواط الثلاثة الأول .

وأن من تركه في الأشواط الثلاثة الأول، أو بعضها، لم يقضه في الأربعة الأخيرة، لأنه هيئة في محل، فلا يُقضى في غيره، كمن ترك الجهر بالقراءة في الركعتين الأوليين من صلاة العشاء، لا يقضيه في الأخيرتين ولأن السنة في الأشواط الأربعة الأخيرة المشي، فإذا قضى الرمل في الأربعة أخلّ بالسنة في جميع الطواف، وكان تاركاً للسُنَّتين^(١)، فإخلاله بسنة أيسر من إخلاله بستين^(٢) .

قال السرخسي: « وإن مشى في الثلاثة الأول، أو في بعضها، ثم ذكر ذلك، لم يرمل فيما بقي، لأن الرمل في الأشواط الثلاثة سنة، فإذا فاتت من موضعها، لا تقضى. والمشي على هيئته^(٣) في الأربعة الأخر، من آداب

(١) دلّ على السُنَّتين جميعاً حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول خبّ ثلاثاً، ومشى أربعاً .. » وقد تقدم تحريجه في المطلب الثاني.

(٢) انظر: المسوط للشيباني ٤٠٦/٢، فتح القدير ٤٥٥/٢، البحر الرائق ٣٥٥/٢، حاشية ابن عابدين ٤٩٨/٢، الفتاوى الهندية ٢٢٦/١، الأم ١٧٥/٢، الحاوي ١٤١/٤، المهذب مع المجموع ٤١، ٤٠/٨، إعانة الطالبين ٢٩٩/٢ هداية السالك ٨٠٤/٢، المغني ٢٢٠/٥، المحرر في الفقه ٢٤٦/١، الفروع ٤٩٧/٢، منتهى الإرادات ١٤٢/٢. قال النووي: (وهذا لا خلاف فيه. وهو نظير من قطعت مسبحة اليمنى، لا يشير في التشهد باليسرى).

(٣) المشي على هيئته. أي: على تأنيه. ويُقال أيضاً: على هيئته. أي: على سجيته وطبيعته.

انظر: إعانة الطالبين ٢٩٩/٢، القاموس المحيط ص ٧٣، ١٦٠١.

الطواف، أو من السنن، فإن ترك في الثلاثة الأول ما هو سنتها، لا يترك في الأربعة الأخر ما هو سنتها»^(١).

واختلف العلماء - رحمهم الله - إن ترك الرمل والاضطباع في طواف القدوم، وقد سعى عقبه^(٢). فهل يُشرع له قضاؤهما في طواف غيره أو لا؟ اختلفوا في ذلك على قولين:

القول الأول: إنه لا يُشرع له قضاؤهما.

وإلى هذا القول ذهب: الحنفية^(٣)، والشافعية في المذهب^(٤)، والحنابلة في المشهور^(٥).

القول الثاني: إنه يُشرع له قضاؤهما.

وإلى هذا القول ذهب: الشافعية في وجه^(٦)، وبعض الحنابلة^(٧).

(١) المبسوط ٤/٤٩.

(٢) أما إذا لم يسع عقبه، فقد مضت الإشارة إلى قول القائلين بمشروعية الرمل في كل طواف يعقبه سعي. في الفرع الأول من المطلب السادس.

(٣) قال ابن عابدين في حاشيته ٥١٨/٢: (قوله "إن كان سعى قبل" لم يقل إن كان رمل وسعى قبل، إشارة إلى أنه لو كان سعى قبل، ولم يرمل، لا يرمل هنا، لأن الرمل إنما يشرع في طواف بعده سعي، كما مر. ولا سعي ههنا كما في العناية، وكذا في اللباب، وفيه "وأما الاضطباع فساقط مطلقاً في هذا الطواف" اهـ. سواء سعى قبله أو لا).

(٤) انظر: المهذب مع المجموع ٤٠/٨، وفي حلية العلماء ٢٨٥/٣: (وذكر القاضي أبو الطيب في ذلك وجهين، وذكر أن المذهب أنه لا يقضيه).

(٥) انظر: المغني ٥/٢٢١، كشاف القناع ٥٥٨/٢. قال الموفق ابن قدامة: (ولا يُسن الرمل والاضطباع في طواف سوى ما ذكرناه - أي: طواف القدوم -).

(٦) انظر: المهذب مع المجموع ٤٠/٨، حلية العلماء ٢٨٥/٣، وحكاة عن الشيخ أبي حامد.

(٧) انظر: المغني ٥/٢٢١، المبدع ٣/٢١٨، المحرر ١/٢٤٦، كشاف القناع ٥٥٨/٢. قال صاحب المبدع: (وذكر القاضي، وصاحب التلخيص: إذا تركهما به، أو لم يسع عقب

القول الثالث : إنه يُشعر له قضاء الرمل إذا لم يطف للقدم قبل الوقوف بعرفة^(١)، سواء أكان تركه لطواف القدم بعدر، أم لا. ولا يُشعر له قضاء الرمل إذا طاف للقدم وترك الرمل، سواء أكان تركه للرمل بعدر، أم لا .
وإلى هذا القول ذهب : المالكية^(٢).

الأدلة :

استدل أصحاب القول الأول، بما يلي :

- ١- من فاته الرمل في الطواف، لم يقضه فيما بعده، كمن تركه في الثلاثة الأول، لا يقضيه في الأربعة الأخيرة^(٣).
- ٢- من فاته الرمل والاضطباع، لم يقضه في طواف غيره، كمن فاته الجهر في الصباح، لم يقضه في الظهر^(٤).
- ٣- لا يقتضي القياس أن تُقضى هيئة عبادة في عبادة أخرى^(٥).

= طواف القدم، أتى بهما في طواف الإفاضة، أو غيره. وذكر ابن الزاغوني: أن الرمل والاضطباع في طواف الإفاضة، ونفاهما في طواف الوداع). وفي هداية السالك ٨٠٦/٢ : (وقال القاضي: إذا لم يسع عقب طواف القدم، أو سعى عقبه ولم يرمل، رمل في طواف الإفاضة مطلقاً).

(١) تخصيص القضاء بالرمل، لما مضى تقريره في الفرع الأول من المطلب الرابع، من أن المالكية لا يرون مشروعية الاضطباع أصلاً.

(٢) انظر: الشرح الكبير ٤٣/٢. قال الدردير: (ولم يطف للقدم فيرمل بالإفاضة. أي في الأشواط الثلاثة الأول من طواف الإفاضة لمراهق ونحوه من كل من لم يطف للقدم، لفقد شرطه أو نسيانه، بل ولو تعمد تركه بخلاف من طاف للقدم وترك الرمل فيه عمداً أو سهواً، فلا يُندب الرمل في الإفاضة).

(٣) انظر: المغني ٢٢١/٥.

(٤) انظر: المغني ٢٢١/٥، الكافي ٤٣٢/١، كشاف القناع ٤٨٠/٢.

(٥) انظر: المغني ٢٢١/٥، كشاف القناع ٤٨٠/٢.

واستدل القول بمشروعية القضاء^(١)، بما يلي :

- ١ - إنه سنة أمكن قضاؤها، فتقضى، كسنة الصلاة^(٢).
- ٢ - إنه إن لم يقضهما، فاتته سنة الرمل والاضطباع^(٣).

• الرأي المختار :

ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، القائلون بعدم مشروعية قضاء الاضطباع والرمل إذا تركهما في وقتها المشروع لهما، هو الرأي المختار، لما يلي :

- ١ . تقدم في الفرع الأول من هذا المطلب: ترجيح القول باختصاص الاضطباع والرمل في طواف القدوم. فلا يُشرعان في غيره .
- ٢ . قوة ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من أن من ترك الاضطباع والرمل، لا يُشرع له قضاؤهما، لأنهما ستان مضى وقتها، فلا تُقضىان في غيره .
- ٣ . إن قياس قضاء الاضطباع والرمل على قضاء سنن الصلاة، لا يصح، لأن القياس لا يقتضي قضاء هيئة عبادة في عبادة أخرى.
- ٤ . إن قياس الاضطباع والرمل في الطواف على الجهر بالقراءة في الصلاة، أقرب من القياس على سنن الصلاة، لأن كلا منهما هيئة عبادة .
- ٥ . إن الاتفاق على عدم مشروعية قضاء الرمل في الأشواط الأربعة الأخيرة، يعضد القول بعدم قضائهما في طواف آخر. والله أعلم .

(١) هذا الاستدلال يشمل أصحاب القول الثاني، والثالث.

(٢) انظر: المغني ٥/٢٢١. وقال: (وهذا لا يصح، لما ذكرنا في من تركه في الثلاثة الأول، لا يقضيه في الأربعة، وكذلك من ترك الجهر في صلاة الجهر، لا يقضيه في صلاة الظهر، ولا يقتضي القياس أن تُقضى هيئة عبادة في عبادة أخرى).

(٣) انظر: المجموع ٤٠/٨.

المطلب السابع : من يُشرع له الاضطباع والرمل .

اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن الاضطباع والرمل مشروعان للرجال^(١).

واتفقوا أيضاً : على أنهما لا يُشرعان للنساء^(٢).

وحكاه ابن المنذر ، وابن عبد البر إجماعاً^(٣). وقال النووي: « الاضطباع مسنون للرجال، ولا يُشرع للمرأة بلا خلاف »^(٤). لأنهما شرعا لإظهار الجلد، وليس مطلوباً منهن. بل إنما يُقصد فيهن الستر، وفي الاضطباع والرمل، تعرض للانكشاف^(٥).

(١) انظر: البحر الرائق ٣٨٢/٢، إيضاح المناسك ص ٦٨، الرسالة مع تنوير المقالة ٤٣٥/٣، البيان والتحصيل ٤٥٠/٣، قوانين الأحكام الشرعية ص ١٣٩، الشرح الكبير ٤١/٢، ٤٣، أقرب المسالك ٣٥٢/٢، حلية العلماء ٢٨٥/٣، مغني المحتاج ٤٨٩/١، إعانة الطالبين ٢٩٩/٢ الكافي ٤٣٢/١، كشف القناع ٤٨٠/٢.

(٢) انظر: المراجع السابقة و: المبسوط ٣٣/٤، المحلى ٩٦/٧، بداية المجتهد ٣٤٠/١، الشرح الصغير ٣٥٢/٢، التاج والإكليل ١٠٩/٣، المجموع ٢٠/٨، شرح صحيح مسلم للنووي ٧/٩ روضة الطالبين ٨٨/٣، المقنع مع الشرح الكبير ١٠٢/٩، الفروع ٤٩٩/٢، التوضيح ٥١٨/٢. وعقد الماوردي فصلاً فيما تخالف فيه المرأة الرجل في الطواف. في الحاوي ٩٤/٤

فقال: (فأما ما تُخالفه في هيئات الطواف فتلاثة أشياء: أحدها، أن الرجل مأمور بالاضطباع فيه، والرمل. والمرأة منهيبة عن ذلك، بل تمشي على هيبتها، وستر جميع بدنها).

(٣) انظر: الإجماع لابن المنذر ص ٤٨، التمهيد ٨٨/٢، الاستذكار ١٣٩/١٢، الشرح الكبير ١٠٢/٩، المبدع ٢١٨/٣.

(٤) المجموع ٢١/٨.

(٥) انظر: البحر الرائق ٣٨٢/٢، الشرح الكبير ١٠٢/٩، المبدع ٢١٨/٣.

وقال الشافعي: « وليس على النساء رمل بالبيت، ولا بين الصفا والمروة، ويمشين على هينتهن، وأحب للمشهوره بالجمال أن تطوف وتسعى ليلاً. وإن طافت بالنهار سدلت ثوبها على وجهها، أو طافت في ستر»^(١). وقال الشيرازي: « ولا ترمل المرأة ولا تضطبع، لأن في الرمل تبين أعضاؤها، وفي الاضطباع، ينكشف ما هو عورة منها»^(٢). وقال البكري: « لا يُسن لها الرمل، ولو ليلاً، ولو في خلوة، لأن بالرمل تبين أعطافها، وفيه تشبه بالرجال. قال في التحفة: بل يَحْرَمُ إن قصدت التشبه. ومثل الرمل في ذلك الاضطباع. ومثل الأنتى الخنثى»^(٣).

وقد دلّ على منع الاضطباع والرمل للنساء آثار عن الصحابة رضي الله عنهم^(٤).

= تنبيه: نصّ الصاوي في بلغة السالك ٣٥٢/٢، والأزهري في إيضاح المناسك ص ٦ على أن الرجل لا يرمل إذا كان طوافه عن المرأة. قال الأزهري: (لا يرمل الرجل إذا أحرم عن المرأة). وهذا محل نظر، إذ يلزم عليه: أن المرأة ترمل إذا أحرمت عن الرجل!! والصحيح أن الإحرام إنما هو بالنية، ويفعل كل واحد منهما ما يفعله لو أحرم لنفسه.

(١) الأم ٢١١/٢.

(٢) المهذب مع المجموع ٤٠/٨. وقال النووي في شرحه ٤٥/٨: (اتفقت نصوص الشافعي، والأصحاب على أن المرأة لا ترمل ولا تضطبع، قال الدارمي، وأبو علي البندنجي وغيرهما: ولو ركبت دابة، أو حُمِلت في الطواف لمرض ونحوه، لم تضطبع، ولا يرمل حاملها. قال البندنجي: سواء في هذا الصغيرة والكبيرة، والصحيحة والمریضة. قال القاضي أبو الفتح، وصاحب البيان: والخنثى في هذا كالمرأة. والله أعلم).

(٣) إعانة الطالبين ٢٩٩/٢.

(٤) قال البيهقي في السنن الكبرى ٤٨/٥: (ورويناه عن فقهاء التابعين من أهل المدينة)، وروى سعيد بن منصور عن سليمان بن يسار: « أن السنة عندهم، أنه ليس على المرأة هرولة بالبيت، ولا سعي بين الصفا والمروة ». وروى عن مكحول: « ليس على النساء

فمن ذلك :

- ١- عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «ليس على النساء رمل بالبيت، ولا بين الصفا والمروة»^(١).
 - ٢- وعنه رضي الله عنهما أنه قال: «ليس على النساء سعي بالبيت، ولا بين الصفا والمروة»^(٢).
 - ٣- وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت: على النساء رمل؟ فقالت: «أليس لكنَّ بنا أسوة! ليس عليك رمل بالبيت، ولا بين الصفا والمروة»^(٣).
 - ٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ليس على النساء رمل»^(٤).
- واختلف العلماء - رحمهم الله - في مشروعية الاضطباع والرمل للصبي، وفي مشروعيتها لأهل مكة، وللراكب والمحمول. وسأعرض لذلك في الفروع التالية :

• الفرع الأول : الاضطباع والرمل للصبي .

اختلف العلماء - رحمهم الله - في مشروعية الاضطباع والرمل للصبي

= رمل بالبيت، ولا سعي بين الصفا والمروة»، انظر: القرى ص ٢٩٩. وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه ١٥١/٣ آثاراً أخرى عن بعض التابعين، كعطاء، والحسن، وإبراهيم. وأخرج أثر إبراهيم، أبو يوسف في كتاب الآثار ١/٩٥، ١١٦.

- (١) أخرجه الدارقطني ٢/٢٩٥، وابن أبي شيبة ٣/١٥١، وأبو نعيم في الحلية ٩/٣٦.
 - (٢) أخرجه الدارقطني ٢/٢٩٥، والبيهقي ٥/٤٨، ٨٤. وقال النووي في المجموع ٨/٤٥:
- (استدل الشافعي ثم البيهقي بما رواه في الصحيح عن ابن عمر - ثم ذكره) .
- (٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/١٥١ من طريق ليث عن مجاهد. والبيهقي ٥/٨٤ بنحوه من طريق هشام بن عروة عن أبيه.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/١٥١. من طريق ابن أبي ليلى عن عطاء.

على قولين :

القول الأول : يُشْرَعُ للصبي الاضطباع والرمل، كالرجل .

وإلى هذا القول ذهب : جمهور العلماء القائلين بمشروعتهما، من الحنفية، والمالكية في المشهور، والحنابلة، والأصح عند الشافعية ^(١).

القول الثاني: لا يُشْرَعُ له الاضطباع، ولا الرمل، لأنه ليس من أهل الجلد.

وإلى هذا القول ذهب: الشافعية في وجه ^(٢). وأطلق خليل الخلاف فيه.

فقال: « وفي الرمل بالمريض والصبي، خلاف » ^(٣).

• الرأي المختار :

ما ذهب إليه الجمهور من مشروعية الاضطباع والرمل للصبي، هو الرأي المختار، لأن الصبي ملحق بالرجل في أحكامه، ومنها ملابس إحرامه،

(١) انظر: الشرح الكبير ٤١/٢، الشرح الصغير ٣٥٢/٢، التاج والإكليل ١٠٩/٣، كفاية الطالب ٦٦٧/١، المقنع مع الشرح الكبير ١٠٢/٩، التوضيح ٥١٨/٢، المقنع لابن البناء ٦١٩/٢، شرح الزركشي ١٩٤/٢، منتهى الإرادات ١٤٣/٢، كشاف القناع ٤٤٧/٢، حلية العلماء ٢٨٥/٣، روضة الطالبين ٨٨/٣، هداية السالك ٨٠٧/٢، مغني المحتاج ٤٨٩/١، ٤٩٠، وقال النووي في المجموع ٢٠/٨: (وفي الصبي طريقان، أصحهما - وبه قطع الجمهور - يُسَنُّ له، فيفعله بنفسه، وإلا فيفعله به وليه، كسائر أعمال الحج. والثاني، فيه وجهان: أصحهما هذا، والثاني: لا يشرع له). ولم أقف على نص صريح للحنفية في ذلك، لكنه ظاهر من تعليقاتهم في منع المرأة من ذلك. قال السرخسي في المبسوط ٣٣/٤: (ولا رمسل عليها في الطواف بالبيت، ولا بين الصفا والمروة، لأن الرمل لإظهار التجلدة والقوة، والمرأة ليست من أهل القتال، لتُظْهَرِ الجلادة من نفسها، ولا يؤمن أن يبدو شيء من عورتها ..)

(٢) انظر: حلية العلماء ٢٨٥/٣، المجموع ٢٠/٨، الشرح الكبير ١٠٢/٩.

(٣) منسك خليل ص ٦٨.

ومحظوراته، إذ يُحْرَمُ في إزار ورداء، فيكون ملحقاً به في هيئة أفعاله من اضطباع ورمل...، وقد مضى تقرير أن الاضطباع والرمل وإن شُرعا في الأصل لإظهار الجلادة، إلا أنهما سنتان ثابتتان بعد ذهاب سببهما، وليس لإظهار القوة أو الجلادة فإن شق على الصبي فعلهما، لزحام، أو ضرر ونحو ذلك، فيكون حكمه حكم العاجز عن أدائهما. والله أعلم.

• الفرع الثاني: الاضطباع والرمل لأهل مكة.

اختلف العلماء - رحمهم الله - في مشروعية الاضطباع والرمل لأهل مكة، أو لمن أحرم منها من غير أهلها. على قولين:

القول الأول: لا يُشْرَعُ الاضطباع والرمل إلا للآفاقي، الذي يأتي إلى مكة من خارجها. أما أهل مكة، ومن يُحْرَمُ منها من غير أهلها، فلا يُشْرَعُ لهم الاضطباع.

وإلى هذا القول ذهب: الشافعي في القديم^(١)، والحنابلة^(٢)، وهو مروى عن ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهما^(٣)، والحسن، وعطاء^(٤). قال الترمذي: «قال بعض أهل العلم ليس على أهل مكة رمل، ولا على من أحرم منها»^(٥).

(١) انظر: مصادر الشافعية في القول الثاني.

(٢) انظر: المغني ٢٢١/٥، المحرر ٢٤٦/١، شرح العمدة ٣٥٤/٤، الفروع ٤٩٩/٢، شرح الزركشي ١٩٤/٢، كشاف القناع ٤٤٧/٢، المبدع ٢١٨/٣، هداية السالك ٨٠٨/٢. قال الموفق ابن قدامة: (قال أحمد: ليس على أهل مكة رمل عند البيت، ولا بين الصفا والمروة). وقال صاحب المبدع: (وكذا أهل مكة، لا رمل عليهم في قول الأكثر، لأن إظهار الجلد معدوم في حقهم، وحكم من أحرم منها حكم أهلها، ولو كان متمتعاً).

(٣) انظر: البيهقي ٨٤/٥، المغني ٢٢١/٥، هداية السالك ٨٠٨/٢.

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة ٣٧٤/٣، المحلى ٩٦/٧.

(٥) السنن ٢١٢/٣.

القول الثاني: يُشْرَعُ الاضْطَبَاعُ وَالرَّمْلُ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَمِنْ أَحْرَمِ مِنْهَا، كَمَا

يُشْرَعُ لغيرهم .

وإلى هذا القول ذهب : الشافعية في المذهب^(١)، والمالكية في المشهور^(٢)،

وهو مروى عن مجاهد^(٣).

الأدلة :

استدل أصحاب القول الأول، بما يلي :

١- عن نافع قال: «إن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا أحرم من مكة، لم يطف

بالبيت، ولا بين الصفا والمروة حتى يرجع من منى، وكان لا يرمل إذا

طاف حول البيت إذا أحرم من مكة»^(٤).

(١) انظر: المجموع ٤٣/٨، هداية السالك ٨٠٤/٢، إعانة الطالبين ٢٩٩/٢، مغني المحتاج ٤٩٠/٤. وقال النووي في المجموع: (وأما المكي المنشئ حجه من مكة. فهل يرمل في طواف الإفاضة؟ فإن قلنا: بالقول الثاني، لم يرمل، إذ لا قدم في حقه. وإن قلنا بالأول، رمل، لاستعقابه السعي. وهذا المذهب).

(٢) انظر: بداية المجتهد ٣٤١/١، الشرح الكبير ٤١/٢، ٤٣، الشرح الصغير ٣٥٢/٣، ٣٥٥، مواهب الجليل والتاج والإكليل ١٠٩/٣، ١١٥. وقد مضى في الفرع الثالث، من المطلب الرابع التنبيه على أن المالكية يفرقون بين مشروعية الرمل للآفاقي، الذي يُحرم من المواقيت، ومن يحرم من دونها، كالتنعيم والجعرانة، فيسن للأول، ويُندب للثاني.

(٣) انظر: مصنف ابن أبي شيبة ٢٧٧/٣، ٣٧٤. ويظهر أن الحنفية يذهبون إلى هذا القول، ولم أقف على تصريح لهم بذلك، إلا أنهم يوافقون المالكية والشافعية على أن الرمل يُشْرَعُ فِي كَلِّ طَوَافِ يَعْقِبُهُ سَعْيٌ، بَلْ يَرُونَ مَشْرُوعِيَّةَ تَكَرَّارِهِ فِي الْحَجِّ، كَمَا مَضَى تَقْرِيرُهُ فِي الْفَرْعِ الْأَوَّلِ، مِنْ الْمَطْلَبِ السَّادِسِ.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، في كتاب الحج، باب الرمل في الطواف ٣٦٥/١، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧٤/٣، والبيهقي ٨٤/٥.

- ٢- وسئل عطاء عن المجاور إذا أهلّ من مكة، هل يسعى الأشواط الثلاثة؟ قال: إنهم يسعون. فأما ابن عباس فإنه قال: «إنما ذلك على أهل الآفاق»^(١).
- ٣- إن الرمل إنما شرع في الأصل لإظهار الجلد والقوة لأهل البلد. وهذا المعنى معدوم في أهل البلد^(٢).
- ٤- الاضطباع سنة الرمل. فمن لا يُشرع له الرمل، لا يُشرع له الاضطباع، كالنساء^(٣).

واستدل أصحاب القول الثاني، بما يلي :

- ١- إن الرمل سنة ثابتة بعد زوال سببها، فيستوي فيها المكّي وغيره^(٤).
- ٢- إنه يُشرع في كل طواف يعقبه سعي، فيستوي في ذلك المكّي وغيره^(٥).

• الرأي المختار :

ليس في هذه المسألة نصوص من السنة يُعتمد عليها في الترجيح أو الاختيار. ولعل ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، القائلون: بعدم استحباب الاضطباع والرمل للمكّي، وللمحرم منها من غير أهلها، هو أولى الرايين

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/٣٧٤، المحلى ٧/٩٦.

(٢) انظر: المغني ٥/٢٢٢، شرح الزركشي ٢/١٩٤، كشف القناع ٢/٤٨٠. وقال ابن البناء في شرحه ٢/٦١٩: (لأن النبي ﷺ أمر بذلك من قدم من أهل البلدان، ليعلم أهل مكة قوتهم، وجلدهم. وهذا المعنى معدوم في أهل مكة).

(٣) انظر: الشرح الكبير ٩/١٠٣، البحر الرائق ٢/٣٨٢، إعانة الطالبين ٢/٣٠٠، نيل الأوطار ٥/١١١، حاشية ابن عابدين ٢/٥٢٨. وقال الزركشي في شرحه ٢/١٩٤: (تسبيه : يُسن الاضطباع لمن يُسن له الرمل).

(٤) أرجع ابن رشد سبب الخلاف بين القولين إلى : (هل الرمل كان لعله، أو لغير علة؟ وهل هو مختص بالمسافر أم لا؟). والسبب الثاني أظهر.

(٥) انظر: المجموع ٨/٤٣.

بِالِاخْتِيَارِ. وَذَلِكَ لِمَا يَلِي :

١. مضى تقرير أن النبي ﷺ إنما رمل في طوافه الأول في حجته. وأهل مكة لم يطوفوا مع النبي ﷺ هذا الطواف، ليقصدوا به في ذلك .
٢. مضى أيضاً تقرير أن النبي ﷺ لم يرمل في طواف الإفاضة^(١)، ولم يثبت أنه أمر أهل مكة بالرمل فيه. وهو الطواف الذي يختص به المكي. فظاهر هذا أن أهل مكة لم يرملوا في حجهم مع النبي ﷺ مطلقاً .
٣. إن ما استدل به أصحاب القول الأول من الرواية عن بعض الصحابة رضي الله عنهم في التفريق بين المكي وغيره، يعضد هذا القول ويقويه. والله أعلم .

• الفرع الثالث : الاضطباع والرمل للراكب، والحمول^(٢).

(١) في الفرع الأول من المطلب السادس.

(٢) تنبيه: عبّر بعض الحنابلة عن ذلك بـ: (حامل معذور). انظر: الفروع ٤٩٩/٢، المبدع ٢١٨/٣، التوضيح ٥١٧/٢، منتهى الإرادات ١٤١/٢، شرح منتهى الإرادات ٤٩/٢، ٥٠، وأوقع هذا التعبير اختلافاً في فهمه والمراد به. فقيل: المراد به، الطائف الذي يحمل المعذور، كصغير، ومريض في رداءه. هل يُشرع له الرمل والاضطباع أو لا ؟ وقيل: المراد به: من يحمل الطائف المعذور في عدم مشيه، لعجز بسبب صغر، أو هرم، أو مرض. هل يُشرع له. بأن يرمل به حامله أو لا ؟

ونسبّه على ذلك الجاسر في مفيد الأنام ص ٢٣٨، ٢٣٩ إذ قال: (قال في المنتهى وشرحه: ويضطبع استحباباً غير حامل معذور بحمله بردائه. انتهى. فقوله (بحمله) متعلق بمعذور، وقوله (برداءه) متعلق بيضطبع. وقال عبد الوهاب بن فيروز على قوله في شرح الزاد (إن لم يكن حامل معذور بردائه) قوله: (إن لم يكن حامل معذور) بالإضافة. أي: بأن حمل في رداءه معذوراً. انتهى.

قلست: فيما جرح إليه ابن فيروز، نظر. قال الشيخ عثمان النجدي: قوله (غير حامل معذور) وهو بالإضافة. أي: غير حامل شخصاً معذوراً، كمريض وصغير، فلا يستحب في حق الحامل الطائف به اضطباع، ولا رمل. هكذا ينبغي أن يفهم. ويدل له قول العلامة =

المراد بالراكب: من طاف ركباً على دابة، كبعير ونحوه^(١). فهل يُشرع له الاضطباع والرمل، بأن تُحرَّك الدابة أثناء سيرها، أو لا يُشرع له ذلك؟ والاضطباع تبع للرمل في ذلك^(٢).

والمراد بالحمول: من طيف به محمولاً على ظهر إنسان، أو على رأسه، لصفر، أو عجز^(٣). فهل يُشرع له الاضطباع والرمل. بأن يُسرَّع به الحامل، كهيئة الرامل، أم لا يُشرع له ذلك؟

= ابن قندس عند قول الفروع: (أو حامل معذور) أي: المعذور، إذا حمله آخر، ليطوف به، لا يرمل الحامل. انتهى. فالأظهر ما قاله الشيخ عثمان: من أن حامل المعذور لا يستحب له الاضطباع مطلقاً، سواء حمل المعذور في رداءه، أو لم يحمله فيه. ويؤيد هذا قوله في الإقناع وشرحه: ويطوف سبعة يرمل في الثلاثة منها: ماشٍ غير راكب، وغير حامل معذور، وغير نساء، وغير محرم من مكة، أو من قربها. فلا يسن هو. أي: الرمل. ومن لا يُشرع له الرمل، لا يُشرع الاضطباع. انتهى ملخصاً. ومنه يتضح عدم وجاهة ما ذهب إليه عبد الوهاب بن فيروز في حاشيته على شرح الزاد. والله أعلم). وانظر: حاشية عثمان النجدي ١٤١/٢.

وما ذهب إليه الجاسر من التنبية، هو الصواب، إذ صورته قريبة من الراكب، ولذا كان اقتراحهما في المسألة. قال أبو الفرج ابن قدامة في الشرح الكبير ١٠٨/٩: (وإذا طاف ركباً أو محمولاً، فلا رمل فيه). وهذا هو الموافق للمذاهب الأخرى. قال النووي في المجموع ٤٤/٨: (ولو طاف ركباً أو محمولاً. فهل يُستحب أن يُحرَّك الدابة لِيُسْرَع كإسراع الرامل، ويُسرَّع به حامله أم لا؟).

(١) ويُلاحق بهذا، الكراسي المتحركة، التي يستخدمها كبار السن، والعاجزون عن الحركة.

(٢) الشرح الكبير ١٠٨/٩.

(٣) طواف المحمول أصبح كثير المشاهدة وبخاصة في أيام الحج. وقد نظَّم المسؤولون عن شؤون المسجد الحرام من يقومون بإعانة العاجزين عن مباشرة أداء مناسكهم من طواف أو سعي. كما وفَّرت الكراسي المتحركة، لمن يتولى بنفسه دفع قريبه. فجزى الله هذه الدولة خير الجزاء على ما تقوم به من خدمات جليلة لحجاج بيت الله الحرام.

اختلف العلماء - رحمهم الله - في ذلك على قولين :

القول الأول: لا يُشرع للراكب ولا للمحمول، الاضطباع ولا الرمل.

وإلى هذا القول ذهب : الحنفية والحنابلة في المشهور^(١)، والمالكية في وجه^(٢)، والشافعية في قول^(٣).

القول الثاني: يُشرع لهما الاضطباع والرمل. سواء أكان الراكب

والخول بالغاً، أم صبيّاً، أم مريضاً .

وإلى هذا القول ذهب: المالكية في المشهور^(٤)، والشافعية في الأصح^(٥)،

(١) انظر: الفروع ٤٩٩/٢، المبدع ٢١٨/٣، التوضيح ٥١٧/٢، منتهى الإرادات ١٤١/٢،

كشاف القناع ٤٤٧/٢، هداية السالك ٨٠٥/٢. قال ابن جماعة: (وضح ابن قدامة:

أن الراكب، والحامل لا يرملان).

أما الحنفية، فلم أقف على ما يُساعد في نسبة هذا القول لهم، إلا قول السندي في لباب المناسك ص ٩١: (فلا يطوف بلا رمل، إلا إذا تعذر لمرض). وهي محتملة. والله أعلم.

(٢) انظر: منسك خليل ص ٦٨، وأطلق الخلاف في ذلك، فقال: (وفي الرمل بالصبي والمريض

خلاف). وقال ابن جماعة في هداية السالك ٨٠/٢: (وفي التبصرة للحمي، قال أبو

محمد: يُرمل بالمريض. وعلى قول ابن القاسم، لا يرمل بالصبي إذا طيف به محمولاً. وقال أصبغ:

يُرمل به. وعلى قول ابن القاسم هذا، لا يرمل بالمريض. وهو أحسن فيه، وفي الصبي).

(٣) انظر: حلية العلماء ٢٨/٣. قال الشاشي: (فإن كان محمولاً، رمل به حامله. وحكى

الشيخ أبو حامد، أن للشافعي - رحمه الله - قولاً آخر أن المريض لا يرمل به حامله).

(٤) انظر: الشرح الكبير ٤١/٢، الشرح الصغير ٣٥٢/٢، مواهب الجليل والتاج والإكليل

١٠٩/٣، كفاية الطالب ٦٦٧/١، هداية السالك ٨٠٥/٢. قال الدردير في الشرح

الكبير: (رمل رجل في الأشواط الثلاثة الأول فقط. ولو كان الطائف مريضاً وصبيّاً حُملاً

على دابة أو غيرها، فيُرمل الحامل، وتُحرك الدابة، كما تُحرك في بطن محسر).

(٥) انظر: روضة الطالبين ٨٧/٣، المجموع ٤٤/٨، معني المحتاج ٤٩٠/١. قال السنوي في =

ووجه عند الحنايلة^(١). قال ابن جماعة: «وإن طاف راكباً أو محمولاً، فالأصح عندهم - أي: الشافعية - أنه يرمل الحامل، سواء أكان المحمول بالغاً، أم صبيّاً. ويجرك الدابة. وفي قول قديم: لا يرمل الحامل بالمحمول، ولا يجرك الدابة»^(٢).

الأدلة :

احتج أصحاب القول الأول، بما يلي :

- ١ - إن النبي ﷺ لم يفعله، ولا أمر به^(٣).
- ٢ - إن الرمل بالراكب والمحمول، لا يتحقق به معنى الرمل من إظهار الجلادة والقوة^(٤).
- ٣ - إن الدابة والحامل قد يؤذيان الطائفتين بالحركة^(٥).
- ٤ - إن من لا يُشرع له الرمل، لا يشرع له الاضطباع^(٦).

= المجموع: (لو طاف راكباً أو محمولاً، فهل يستحب أن يجرك الدابة، ليسرع، كإسراع الرامل، ويسرع به الحامل أم لا ؟ فيه أربع طرق: أصحها، وبه قطع البغوي، وآخرون فيهما: قولان. ومنهم من حكاهما وجهين، أصحهما - وهو الجديد - يُستحب، لأنه كحركة الراكب والمحمول. والثاني: وهو القديم، لا يستحب، لأن الرمل مستحب للطائفتين، لإظهار الجلد والقوة. وهذا المعنى مقصود هنا، ولأن الدابة والحامل قد يؤذيان الطائفتين بالحركة ...)

(١) انظر: الشرح الكبير ١٠٨/٩، الفروع ٤٩٩/٢، المبدع ٢١٨/٣، كشف القناع ٤٤٧/٢. قال أبو الفرج ابن قدامة: (يخبّ به بعيره). وذكر الآجري: يرمل بالمحمول.

(٢) هداية السالك ٨٠٤/٢، ٨٠٥.

(٣) انظر: الشرح الكبير ١٠٨/٩.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: المجموع ٤٤/٨.

(٦) انظر: الشرح الكبير ١٠٣/٩، المبدع ٢١٨/٣، كشف القناع ٤٤٧/٢.

واحتج أصحاب القول الثاني، بما يلي :

١- بعموم قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(١).

٢- وقوله ﷺ: «إِذَا أَمَرْتَكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(٢). فالراكب والحمول يُشرع لهما الإتيان بما يستطيعانه. وهما يستطيعان الرمل بغيرهما. فيأتيان به .

٣- إن الرمل في هيئته، كحركة الراكب والحمول^(٣).

٤- إن الرمل سُنَّة ثابتة بعد زوال سببها، فيستوي فيها القوي وغيره^(٤).

• الرأي المختار :

ليس في هذه المسألة من النصوص ما يُستعان به على ترجيح أحد الرأيين واختياره. وما ذهب إليه أصحاب القول الأول، القائلون: بعدم مشروعية الاضطباع والرمل للراكب والحمول. هو الرأي الذي أختاره، وذلك لما يلي :

١. إن ما استدل به أصحاب القول الثاني من العمومات، قد لا تحتمله هذه المسألة، ولا يدخل فيها. إذ أن نسبة الرمل للطائف من خلال تحريك الدابة، أو سرعة الحامل، فيه بُعد ظاهر .

٢. إن من طاف راكباً أو محمولاً، فإنما فعل ذلك لعجزه، وبالعجز تسقط الواجبات، فضلاً عن السنن والمندوبات. والله أعلم .

(١) سورة التغابن، آية : ١٦ .

(٢) تقدم تخرجه .

(٣) انظر: المجموع ٤٤/٨ .

(٤) هذا نظير حجة القائلين بالرمل للمكي .

الخاتمة

وبعد هذا التجوال في هذه الأسفار، وتبع جُلّ النصوص الواردة في الاضطباع والرمل في الطواف، والوقوف على ما قاله طائفة من العلماء الفضلاء، والأئمة النجباء، من حكم وأحكام استنبطوها من ظواهر تلك النصوص وإشاراتها، يمكن إبراز أهم ما توصلت إليه من نتائج فيما يلي :

١. الاضطباع والرمل في الطواف فعلان مترابطان، يُشرعان معاً، وأحكامهما وأدلتهم متقاربة، ولذا فإن كثيراً من العلماء يُصرّحون بهذا التلازم والترابط بينهما .

٢. الاضطباع في الطواف: هو أن يُجعل وسط الرداء من تحت الإبط الأيمن، يُغطّى به العاتق الأيسر. ويكون المنكب الأيمن مكشوفاً. سُمّي به لإبداء أحد الضبَعَيْن .

٣. الرَّمْل في الطواف: هو الإسراع في المشي مع تقارب الخُطى، من غير وثب، ولا عدو، ويهز الكتفين في مشيه، كالبارز الذي يتبختر بين الصفين. وهو الخَبَب .

٤. لا تعارض بين من أطلق المشي، أو أغفل ذِكره في تعريف الرمل، إذ مراد الجميع أن يكون مشياً فيه سرعة .

٥. لا تعارض بين وَصَف الرمل بأنه هرولة، أو دوها، إذ الجميع متفقون على أن الرمل ليس عدواً سريعاً، أو سعياً شديداً .

٦. التحذير مما يفعله بعض العوام من الجري في طواف القدوم. فإن الرمل المستنون، أن يهزّ منكبيه، وأن يُسرّع في مشيه، دون الجري .

٧. دلّ على مشروعية الاضطباع والرمل في الطواف أحاديث كثيرة، جاء ذكرها في ثنايا البحث .

٨. الأصل في مشروعية الاضطباع والرمل، أن المشركين قالوا: قبل دخول النبي ﷺ وأصحابه ﷺ مكة في عمرة القضية سنة سبع : إنه يقدم عليكم غداً قوم وهنتهم الحمى ..
٩. إن العبادة قد تُشرع أولاً لسبب، ثم يزول ذلك السبب، وتبقى عبادة وقربة، كما هو الحال في: الاضطباع والرمل .
١٠. إن من حكمة بقاء مشروعية الاضطباع والرمل بعد زوال العلة، تذكُّر ما أنعم الله به على عباده المؤمنين من العزِّ والكثرة، بعد الضعف والقلَّة .
١١. إن الاضطباع والرمل سنتان باقيتان، وشعيرتان ثابتتان، وإن زال سببهما، وذهب وقت الحاجة إليهما .
١٢. يرى المالكية مشروعية الرمل لكل مُحْرِم، سواء أحرم من المواقيت أم من دونها، كالتنعيم. إلا أن مشروعية الرمل لهما مختلفة . فمن أحرم من المواقيت، فيسن له الرمل. وأما من أحرم من دونهما فيندب له الرمل.
١٣. وهَمَّ ابن رشد - في بداية المجتهد - في عزو القول بوجوب الدم بترك الرمل للجمهور .
١٤. الصحيح أنه ليس على من ترك الاضطباع أو الرمل شيء .
١٥. الاضطباع والرمل من أعمال الطواف، فيكون فعلهما، وقت ابتداء الشروع في الطواف. ولا بأس من الاستعداد بالاضطباع، قبل الشروع فيه بوقت يسير .
١٦. إن الرمل إنما يُشرع ويُسن في الأشواط الثلاثة الأول من الطواف، وأن السنة في الأربعة الأخر، إنما هو المشي المعتاد .
١٧. نبه ابن القيم في زاد المعاد على وهَمِّ فاحش لابن حزم، حيث زعم أنه ﷺ رمل في السعي ثلاثة أشواط ومشى أربعة .

- ١٨ . إن الرمل يكون في الأشواط الثلاثة الأول كلها. فيرمل من الحَجَر الأسود إلى أن يعود إليه، لا يمشي في شيء من ذلك .
- ١٩ . إن من ترك الرمل في الثلاثة الأول، لم يقضه في الأربعة الباقية، لأنها هيئة فات موضعها، فسقطت، كالجهر في الركعتين الأوليين، ولأن السنة في الأشواط الأربعة الأخيرة المشي، فإذا قضى الرمل في الأربعة الأخيرة، أخلَّ بالسنة في جميع الطواف. وكان تاركاً للستتين، فإخلاله بسنة، أيسر من إخلاله بستتين .
- ٢٠ . الأقرب في تأويل فعل ابن الزبير رضي الله عنه من أنه كان يرمل في طوافه كله: ما جاء من أنه كان يُسرِّع المشي في الطواف. فكان الناظر إليه يحسبه يرمل الأشواط كلها .
- ٢١ . إن الاضطباع يكون في الطواف الذي يُرمل فيه، وأنه سنة في جميع الطواف .
- ٢٢ . إن الاضطباع خاص بالطواف، فلا يُستحب استدامته في ركعتي الطواف. بل إن الصلاة على هذه الهيئة مكروهة، فإذا فرغ من طوافه ستر عاتقيه .
- ٢٣ . الاتفاق على أن الاضطباع والرمل يُشرعان في طواف القادم إلى مكة معتمراً، أو حاجاً، إذا سعى بعده .
- ٢٤ . إن الاضطباع والرمل لا يُشرعان إلا في طواف القدوم، أو طواف العمرة، سواء سعى بعده أم لا، لأن الاضطباع والرمل إنما يكونان في الطواف الأول حين يقدم إلى مكة .
- ٢٥ . لا يُشرع الاضطباع والرمل في غير ملابس الإحرام، إذ لم يثبت عن النبي ﷺ أنه اضطبع أو رمل وهو غير محرم، أو أنه أمر أحداً بذلك .
- ٢٦ . إن الاضطباع بغير ملابس الإحرام، ليس فيه اقتداء واتباع، بل فيه

إحداث وابتداع .

٢٧. الاتفاق على أن القُرب من البيت مع الرمل أولى، لما فيه من الجمع بين الفضيلتين .

٢٨. الاتفاق على أن البُعد من البيت مع الرمل، أولى من القُرب منه مع عدم الرمل، لأن المحافظة على فضيلة تتعلق بنفس العبادة، أولى من المحافظة على فضيلة تتعلق بمكانها أو زمانها .

٢٩. القول: بأن من يتمكن من الرمل، أو القرب من البيت بتأخير الطواف دون تضرر به، أو برفقته، فهو أولى. لم يخجل من تعقب .

٣٠. إن كان الطائف لا يتمكن من الرمل مع البُعد، أو كان في حاشية المطاف نساء، ويخشى أن يتضرر هو، أو يتضررون من ذلك، كان القُرب من البيت أولى .

٣١. من لم يتمكن من الرمل على الصفة المشروعة، رمل حسب قدرته وطاقته، فإن تعذر عليه ذلك، مشى مشياً معتاداً على سجيته .

٣٢. من ترك الاضطباع في بعض الأشواط لعذر أو غيره، فإنه يُشرع له تداركه فيما بقي من الأشواط .

٣٣. عدم مشروعية قضاء الاضطباع والرمل إذا تُركا في الطواف المشروع لهما .

٣٤. الاتفاق على أن الاضطباع والرمل مشروعان للرجال .

٣٥. الاتفاق على أن الاضطباع والرمل لا يُشرعان للنساء، وحكاه بعضهم إجماعاً .

٣٦. مشروعية الاضطباع والرمل للصبي، لأنه ملحق بالرجل في أحكامه، ومنها ملابس الإحرام، إذ يُحرم في إزار ورداء. فيكون ملحقاً به في هيئة أفعاله من اضطباع ورمل .

٣٧. لا يُشعر الاضطباع والرمل إلا للآفاقي، الذي يأتي إلى مكة من خارجها. أما أهل مكة، ومن أحرم منها من غير أهلها، فلا يُشعر لهم الاضطباع .

٣٨. لا يُشعر للراكب، ولا للمحمول الاضطباع ولا الرمل .

هذا ما يسر الله تقييده، والحمد لله آخرًا كما بدأ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثبت المصادر والمراجع

مرتبة على حسب حروف الهجاء

إيضاح الإشارات الواردة في هذا الثبت:

« ط = طبعة » « ن = ناشر » « ت = تحقيق » « م = مكتبة » .

١- القرآن الكريم . « لم ألتزم بترتيبه لشرفه » .

٢- الإجماع . لأبي بكر محمد بن المنذر . ت/ البارودي، ن/ مؤسسة الكتب الثقافية، ط/ الأولى ١٤٠٦هـ

٣- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان . لعلي بن بلبان، ن/ دار الكتب العلمية، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ

٤- أحكام القرآن . لأبي بكر أحمد الجصاص . ت/ قمحاوي، ن/ دار إحياء التراث العربي، ط/ ١٤٠٥هـ

٥- أخبار مكة، لمحمد بن إسحاق الفاكهي . ت/ د. ابن دهب، ن/ دار خضر . ط/ الثانية ١٤١٤هـ .

٦- إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري، لحسين عبد الغني، ن/ المكتبة التجارية الكبرى.

٧- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، ن/ المكتب الإسلامي، ط/ الأولى ١٣٩٩هـ

٨- الاستذكار ... لأبي عمر بن عبد البر . ط/ الأولى ١٤١٤هـ .

٩- الأشباه والنظائر . لعبد الرحمن السيوطي . ن/ دار الكتب العلمية . ط/ الأولى ١٤٠٣هـ

١٠- إعانة الطالبين . للسيد البكري الدمياطي، ن/ دار الفكر.

- ١١- الإفصاح عن معاني الصحاح. للوزير ابن هبيرة. ن/ المؤسسة السعدية .
- ١٢- الإقناع لطالب الانتفاع. لموسى الحجاوي. ت/د. التركي، ن/دار هجر، ط/الأولى ١٤١٨هـ
- ١٣- الأم . للإمام محمد بن إدريس الشافعي . ن / دار إحياء التراث .
- ١٤- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف. لعلاء الدين المرداوي. ت/د. التركي. « مطبوع مع الشرح الكبير».
- ١٥- إيضاح المناسك على مذهب مالك، لحسين الأزهرى. ن/ المطبعة الميرية بمكة ١٣٢٦هـ
- ١٦- البحر الرائق شرح كتر الدقائق. لابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم ن/دار المعرفة.
- ١٧- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. لأبي بكر الكاساني. ن /دار الكتاب العربي . ط / الثانية ١٤٠٢هـ
- ١٨- بداية المبتدي. للمرغيناني « مطبوع مع فتح القدير».
- ١٩- بداية المجتهد ونهاية المقتصد. لأبي الوليد بن رشد «الحفيد» ن/مكتبة الحلبي. ط/الرابعة ١٣٩٥هـ.
- ٢٠- البداية والنهاية، لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير. ن/ مكتبة المعارف
- ٢١- بلغة السالك على الشرح الصغير. لأحمد الصاوي « مطبوع مع الشرح الصغير».
- ٢٢- البيان والتحصيل ..، لأبي الوليد ابن رشد « الجد» ت/ الحبايي. ن/ دار الغرب الإسلامي. ط/١٤٠٤هـ
- ٢٣- التاج والإكليل لمختصر خليل. لأبي عبد الله العبدري، الشهرير بالمواق «مطبوع مع مواهب الجليل» .
- ٢٤- تحرير ألفاظ التنبيه. للنووي. ن/دار القلم. ط/ الأولى ١٤٠٨هـ

- ٢٥- تحفة الفقهاء. محمد بن أحمد السمرقندي. ن/ دار الكتب العلمية. ط/ الأولى ١٤٠٥هـ
- ٢٦- ترتيب مسند الشافعي. محمد السندي. ن/ دار الكتب العلمية.
- ٢٧- التعريفات. لعلي الجرجاني. ن/ دار الكتب العلمية، ط/ الأولى ١٤٠٣
- ٢٧م- تفسير الطبري = جامع البيان
- ٢٨- تقريب التهذيب. لابن حجر العسقلاني. ت/ أبي الأشبال. ن/ دار العاصمة. ط/ الأولى ١٤١٦هـ
- ٢٩- تلخيص الحبير... لابن حجر العسقلاني. ن/ دار المعرفة .
- ٣٠- التمهيد لما في الموطأ... لأبي عمر، يوسف بن عبد البر. ن/ وزارة الأوقاف بالمغرب. ط/ الثانية ١٤٠٢هـ
- ٣١- تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، للتائي. ت/ د. شبير. ط/ ١٤٠٩هـ.
- ٣٢- التوضيح في الجمع بين المقتنع والتنقيح. لأحمد الشويكي. ت/ الميمان، ن/ المكتبة المكية، ط/ الثالثة ١٤١٩هـ
- ٣٣- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير. للسيوطي « مطبوع مع فيض القدير » ن/ دار المعرفة .
- ٣٤- حاشية ابن عابدين = حاشية ردّ المختار. محمد أمين، ن/ مكتبة الحلبي ، ط/ الثانية ١٣٨٦هـ
- ٣٥- حاشية عثمان النجدي. « مطبوع مع منتهى الإرادات ».
- ٣٦- الحاوي الكبير شرح مختصر المزني. لعلي الماوردي. ت/ معوض وعبدالموجود، ن/ دار الكتب العلمية
- ٣٧- حلية الأولياء... لأبي نعيم الأصبهاني. ن/ دار الكتاب العربي. ط/ الثالثة ١٤٠٠هـ
- ٣٨- حلية العلماء. للقفال الشاشي. ت/ د. دراجة. ن/ مؤسسة الرسالة.

ط/الأولى ١٤٠٠هـ

٣٩- الدر المختار شرح تنوير الأبصار. لمحمد الحصكفي. « مطبوع مع حاشية ابن عابدين ».

٤٠- دقائق المنهاج، للنووي. ت/ الفوج. ن/ المكتبة المكية. ط/ الأولى. ١٩٩٦م

٤١- رحلة الصديق إلى البيت العتيق. لصديق حسن خان. ط/ ١٣٨١هـ الهند

٤٢- رسالة أبي زيد القيرواني. « مطبوعة مع تنوير المقالة » .

٤٣- الروايتين والوجهين. للقاضي أبي يعلى. ت/ د. عبد الكريم اللاحم. ط/ الأولى ١٤٠٥هـ

٤٤- روضة الطالبين. لشرف الدين النووي ، ن/ المكتب الإسلامي ، ط/ الثانية .

٤٥- زاد المعاد .. لابن قيم الجوزية. ن/ مؤسسة الرسالة. ط/ الثانية ١٤٠١

٤٦- سنن الترمذي. لأبي عيسى محمد الترمذي، ن/ دار الفكر .

٤٧- سنن الدارقطني. لعلي الدارقطني . ن / دار المحاسن .

٤٨- سنن الدارمي. لأبي محمد عبد الله الدارمي، ن/ دار إحياء السنة النبوية.

٤٩- سنن أبي داود. لأبي داود سليمان بن الأشعث، ن/ دار الفكر.

٥٠- السنن الكبرى . لأبي بكر البيهقي . ن/ مكتبة المعارف . مصور عن الطبعة الأولى ١٣٥٤ هـ .

٥١- سنن ابن ماجة . لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني. ت/ محمد عبد الباقي، ن/ المكتبة العلمية .

٥٢- شرح الإيضاح في مناسك الحج. للنووي. ت/ غيث. ط/ الرابعة ١٤٠٥هـ

٥٣- شرح الزرقاني على الموطأ. لمحمد الزرقاني. ن/ دار الكتب العلمية. ط/

الأولى ١٤١١هـ

٥٤- شرح الزركشي على مختصر الخرقى. لمحمد الزركشى. ت/الجبرين،

ن/مكتبة العبيكان، ط/الأولى ١٤١٣هـ

٥٥- شرح صحيح مسلم، للنووي. ن/ دار الفكر، ط/١٤٠١هـ

٥٦- الشرح الصغير على أقرب المسالك . لأبي البركات أحمد الدردير.

ن / مطبعة الحلبي .

٥٧- شرح العمدة في الفقه. لشيخ الإسلام ابن تيمية. ن/ م العبيكان.

ط/ الأولى ١٤١٣هـ

٥٨- الشرح الكبير على المقنع. لشمس الدين عبد الرحمن بن قدامة.

ت/د. التركي. ط/الأولى ١٤١٤هـ

٥٩- شرح معاني الآثار. لأحمد الطحاوي. ن/ دار الكتب العلمية. ط/ الثانية

١٤٠٧هـ

٦٠- شرح منتهى الإرادات. لمنصور البهوتي. ن/ دار الفكر.

٦١- الصحاح. لإسماعيل الجوهري. ت/ أحمد عطار. ط/ الثانية ١٤٠٢هـ.

٦٢- صحيح البخاري. لمحمد بن إسماعيل البخاري. ن/ المكتبة الإسلامية،

استانبول .

٦٣- صحيح ابن خزيمة. لأبي بكر محمد بن خزيمة. ت/الأعظمي، ط/ الثانية

١٤٠١هـ

٦٤- صحيح مسلم . لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. « مطبوع

شرح النووي » ن / دار الفكر .

٦٥- طلبه الطلبة في الاصطلاحات الفقهية. لنجم الدين النسفي. ن/ دار

القلم. ط/ الأولى ١٤٠٦هـ

٦٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود. للعظيم آبادي. ن/ دار الكتب

العلمية. ط/ الثانية ١٤١٥هـ

- ٦٧- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ن/ دار الكتاب العربي، ط/ مصورة عن الطبعة الأولى.
- ٦٨- الفائق في غريب الحديث. للزمخشري. ت/ علي البجاوي ومحمد إبراهيم، ن/ عيسى الحلبي، ط/ الثانية.
- ٦٩- فتاوى قاضيخان. « مطبوع مع الفتاوى الهندية »
- ٧٠- الفتاوى الهندية. مجموعة من علماء الهند. ن/ دار إحياء التراث العربي. ط/ الثالثة. ١٤٠٠هـ
- ٧١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ن/ إدارات البحوث العلمية بالمملكة .
- ٧٢- فتح القدير شرح الهداية. لابن الهمام. ن/ مكتبة الحلبي. ط / الأولى ١٣٨٩ هـ .
- ٧٣- فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب. لتركيا الأنصاري. ن/ دار الكتب العلمية. ط/ الأولى ١٤١٨هـ
- ٧٤- الفروع . لأبي عبد الله محمد بن مفلح. ن/ عالم الكتب. ط / الرابعة ١٤٠٥ هـ .
- ٧٥- القاموس المحيط . للفيروز آبادي. ن/ مؤسسة الرسالة. ط / الأولى ١٤٠٦ هـ .
- ٧٦- القرى لقاصد أم القرى. لخب الدين الطبري. ن/ مصطفى الحلبي، ط/ الثانية ١٣٩٠هـ
- ٧٧- القوانين الفقهية = قوانين الأحكام الشرعية. لابن جزي المالكي. ن / عالم الفكر . ط / الأولى .
- ٧٨- كتاب الآثار. لأبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري. ن/ دار الكتب العلمية. ط/ ١٣٥٥هـ
- ٧٩- كتاب الحجّة على أهل المدينة. لمحمد بن الحسن الشيباني. ن/ عالم

الكتب. ط/ الثالثة ١٤٠٣هـ -

٨٠- كشف القناع عن متن الإقناع. لمنصور البهوتي. ن/ مطبعة الحكومة

بمكة، ط/ ١٣٩٤هـ -

٨١- كفاية الطالب. لأبي الحسن المالكي. ت/ البقاعي. ن/ دار الفكر. ط/

١٤١٢هـ -

٨٢- لباب المناسك. للسندي. ((مطبوع مع إرشاد الساري)) .

٨٣- لسان العرب. لمحمد بن منظور. ن / دار صادر .

٨٤- المبدع في شرح المقنع. لبهان الدين إبراهيم بن مفلح. ن/ المكتب

الإسلامي، ط/ ١٩٨٠م.

٨٥- المبسوط. لشمس الدين السرخسي. ن / دار المعرفة بيروت . مصورة

١٤٠٦هـ -

٨٦- المبسوط للشيباني. لمحمد بن الحسن الشيباني. ت/ الأفغاني. ن/ دار

القرآن كراتشي.

٨٧- مجلة البحوث الإسلامية، الأعداد ((٥٠ ، ٥٣)) .

٨٨- المجموع شرح المذهب. للنووي. ن/ دار الفكر، ط/ الأولى ١٤١٧هـ -

٨٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع ابن قاسم. ن/ مجمع الملك

فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٥هـ -

٩٠- الحرر في الفقه. لمجد الدين أبي البركات بن تيمية. ن/ مطبعة السنة

المحمدية . ١٣٦٩هـ -

٩١- الخلى. لابن حزم. ت / أحمد شاكر . ن / دار التراث .

٩٢- مختصر الخرقى. لعمر بن حسين الخرقى. ن/ مؤسسة الخافقين، ط/ الثالثة

١٤٠٢هـ -

٩٣- المستدرک علی الصحیحین. لأبي عبد الله الحاكم. ن/ دار المعرفة.

٩٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ن/ المكتب الإسلامي. ط/ الخامسة.

- ٩٥- مسند الإمام أحمد ((الموسوعة الحديثية)) ت/ مجموعة من الباحثين.
ن/ مؤسسة الرسالة. ط/ ١٤١٤هـ
- ٩٦- مسند الإمام الشافعي. بترتيب السندي. ن/ دار الكتب العلمية. ط/
١٣٧٠هـ
- ٩٧- مسند الطيالسي، لسليمان بن الجارود الطيالسي. ن/ دار المعرفة.
- ٩٨- منسك خليل. لخليل بن إسحاق المالكي. ت/ الأصمعي. ن/ م دار
الكتاب العربي. ط/ الأولى ١٣٦٩هـ
- ٩٩- منسك ملا القاري = المنسك المتقسط في المنسك المتوسط. لملا علي
القاري ((مطبوع مع إرشاد الساري)) .
- ١٠٠- المصباح المنير . للفيومي . بدون ناشر ، أو تاريخ للنشر .
- ١٠١- المصنف. لعبد الرزاق الصنعاني. ت/ حبيب الرحمن الأعظمي. ط/ الثانية
١٤٠٣هـ
- ١٠٢- المصنف. لأبي بكر بن أبي شيبة. ت/ الحوت، ن/ مكتبة الرشد، ط/ الأولى
١٤٠٩هـ
- ١٠٣- معالم السنن. لأبي سليمان حمد الخطابي. ن/ المكتبة العلمية. ط/ الثانية
١٤٠١هـ
- ١٠٤- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. لعاتق البلادي. ن/ دار
مكة. ط/ الأولى ١٤٠٢هـ
- ١٠٥- معجم مقاييس اللغة. لأحمد بن فارس. ن/ دار الفكر. ط/ ١٣٩٩هـ
- ١٠٦- المغرب في ترتيب المغرب. لناصر المطرزي. ن/ دار الكتاب العربي.
بيروت.
- ١٠٧- المغني شرح مختصر الخرقى. للموفق أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة
المقدسي. ت/ د. التركي، ود. الحلو. ن/ دار هجر. ط/ الثانية .
- ١٠٨- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. ل محمد الشربيني الخطيب،

ن/ الحلبي. ط/ ١٣٧٧هـ

١٠٩- مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام.

لعبد الله الجاسر. ط/ الثالثة ١٤١٢هـ

١١٠- المقنع شرح مختصر الخرقى . لأبي علي بن البناء. ت/د. البعيمي.

ن/ مكتبة الرشد. ط/ الأولى ١٤١٤ هـ .

١١١- المقنع في فقه الإمام أحمد. لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن قدامة. ن/ م

الرياض الحديثة. ط/ ١٤٠٠هـ

١١٢- المنتقى لابن الجارود. لعبد الله بن الجارود النيسابوري. ن/ مؤسسة

الكتاب الثقافية. ط/ الأولى ١٤٠٨هـ

١١٣- منتهى الإرادات. لابن النجار، محمد بن أحمد الفتوحى. ت/ د. التركي.

ط/ الأولى ١٤١٩

١١٤- المهذب . للشيرازي . ((مطبوع مع شرحه المجموع))

١١٥- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل. للحطاب. ن/ دار الفكر. ط/ الثانية

١٣٩٨ هـ

١١٦- الموطأ . للإمام مالك بن أنس. ترقيم محمد عبد الباقي، ن/ دار إحياء

الكتب العربية .

١١٧- النهاية في غريب الحديث. لابن الأثير. ن/ المكتبة الإسلامية.

١١٨- نيل الأوطار، شرح منتقى الأخبار. محمد بن علي الشوكاني. ن/ مكتبة

الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر.

١١٩- هداية السالك، إلى المذاهب الأربعة في المناسك. لعز الدين بن جماعة

الكناني. ت/ د. عتر. ط/ الأولى ١٤١٤هـ

١٢٠- الهداية شرح بداية المبتدي . ((مطبوع مع شرح فتح القدير)) .

١٢١- الوسيط. لأبي حامد محمد الغزالي. ن/ دار السلام. ط/ الأولى.

فهرس الموضوعات

- ٢٢١ المقدمة
- ٢٢١ ■ خطة البحث :
- ٢٢٢ ■ منهج البحث :
- ٢٢٤ التمهيد : علاقة الرمل بالاضطباع
- ٢٢٥ المطلب الأول : تعريف الاضطباع والرمل .
- ٢٢٥ • الفرع الأول : تعريف الاضطباع .
- ٢٢٧ • الفرع الثاني : تعريف الرَّمَل .
- ٢٣١ المطلب الثاني : دليل مشروعية الاضطباع والرمل .
- ٢٣٣ المطلب الثالث : الحكمة من مشروعية الاضطباع والرمل .
- ٢٣٦ المطلب الرابع : حكم الاضطباع والرمل .
- ٢٣٦ • الفرع الأول : مشروعية الاضطباع .
- ٢٤٠ • الفرع الثاني : مشروعية الرمل .
- ٢٤٩ • الفرع الثالث : حكم الاضطباع والرمل .
- ٢٥٥ المطلب الخامس : وقت الاضطباع والرمل .
- ٢٥٨ • الفرع الأول : وقت الاضطباع .
- ٢٦٠ • الفرع الثاني : الاضطباع في الصلاة .
- ٢٦٣ • الفرع الثالث : موضع الرمل من البيت .
- ٢٦٨ • الفرع الرابع : قَدْر الرمل من الطواف .
- ٢٧٢ المطلب السادس : الطواف الذي يُشرع فيه الاضطباع والرمل .
- ٢٧٢ • الفرع الأول : هل الاضطباع والرمل خاصان بالطواف الأول ؟
- ٢٨٠ • الفرع الثاني : هل يُشرع تكرار الاضطباع والرمل في الحج ؟

- الفرع الثالث : الاضطباع والرمل من غير إحرام ٢٨٢
- الفرع الرابع : كيف يصنع من رُحِمِ في الطواف ؟ ٢٨٥
- الفرع الخامس : قضاء الاضطباع والرمل ٢٩٢
- ❖ المسألة الأولى : قضاء الاضطباع ٢٩٢
- ❖ المسألة الثانية : قضاء الرمل ٢٩٣
- المطلب السابع : من يُشرع له الاضطباع والرمل ٢٩٧
- الفرع الأول : الاضطباع والرمل للصبي ٢٩٩
- الفرع الثاني : الاضطباع والرمل لأهل مكة ٣٠١
- الفرع الثالث : الاضطباع والرمل للراكب، واخمول ٣٠٤
- الخاتمة ٣٠٩
- ثبت المصادر والمراجع ٣١٤
- فهرس الموضوعات ٣٢٣

مُعْجَمُ الْمُؤَلَّفَاتِ الْأُصُولِيَّةِ الشَّافِعِيَّةِ
الْمَبْتُوثَةِ فِي كَشْفِ الظُّنُونِ
وَإِيضَاحِ الْمَكُونِ وَهَدِيَّةِ الْعَارِفِينَ

إعداد:

د. تَرْحِيبِ بْنِ رَبِيعَانَ الدَّوسَرِيِّ

الأستاذ المساعد في كلية الشريعة في الجامعة

المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله
الطيبين الطاهرين، وصحابته المكرمين.

وبعد:

فإن من أعظم الطاعات والقربات التي يُتقرب بها إلى رب السموات
والأرضين وما بينهما: طلب العلم، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:
٤].

وقال - أيضاً - : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ
إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال - سبحانه - : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال - جلّ في علاه - : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١].

وقال سيد البشر: «خيركم: من تعلم القرآن وعلمه» [رواه البخاري
(١٠٨/٦) في كتاب فضائل القرآن].

وقال - صلوات ربي وسلامه عليه - : «من سلك طريقاً يتغي فيه علماً سهلاً
الله له طريقاً إلى الجنة؛ وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع،
وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء،
وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب؛ وإن العلماء ورثة
الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم؛ فمن أخذه
أخذ بحظّ وافر» [رواه أبو داود في سننه (٤٨/٥ - ٤٩)].

وإن أشرف العلوم على الإطلاق: العلم المتعلق بالله وبأسمائه وصفاته
وأفعاله وكلامه وإفراده بالعبادة؛ لأن العلم يشرف بشرف العلوم.

ويليه في المنزلة العلم المتعلق بالحلال والحرام وهو ما عُرف اصطلاحاً بالفقه.

■ نشأة علم أصول الفقه وأهميته:

إن العلم بالقواعد التي تضبط الفقه منزلتها عظيمة، وهي لا تقل في الفضل والمنزلة عن فضل علم الفقه نفسه؛ لأن شرف الفرع شرف لأصله. وهذا العلم قد اصطُح على تسميته بـ(أصول الفقه)، وهو كغيره من العلوم الشرعية مرّ بمراحل وتطور، بدءاً من عصر النبوة والرسالة والتدوين، وانتهاءً بظهور المناهج والمدارس الأصولية وطرق التأليف فيه.

وهذا العلم قد تمّ واكتمل باكتمال الشرع وقامه على يد المصطفى ﷺ؛ فإن الله لم يقبض رسوله حتى أكمل به دينه، قال - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة آية: ٣].

فهو علم تامّ كامل محفوظ في صدور وعقول الصحابة - رضي الله عنهم - كغيره من العلوم. ولم يحتاجوا إلى تدوينه وكتابته لما حباهم الله به من خصائص وفضل لن ينافسهم فيها أحد؛ فهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان والشعر والأدب والنثر؛ وهم أئمة الحفظ، وهم أهل الذكاء، والفتنة، والنباهة، والفهم. وهذه الصفات كانت لهم سجية وفيهم سليقة، لم يحتاجوا إلى اكتسابها بخلاف من جاء بعدهم.

إضافةً إلى ملازمتهم الشديدة وصحبتهم الحميدة خير البشر وسيد المعلمين والمؤدبين والمربين نبينا محمد ﷺ؛ فقد لازمه وصحبه بعضهم ثلاثاً وعشرين سنة - أي: من بعثته حتى وفاته صلى الله عليه وسلم - ، أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسادات المهاجرين وكبرائهم.

ومنهم من صحبه في غزوة أو سفر أو عمرة ونحو ذلك.

ومنهم من صحبه ولازمه عشر سنين كساتات الأنصار وأمّهات المؤمنين -

رضي الله عنهم وعنهن.

مع ما حصل لبعضهم من بركة عظيمة بسبب دعوة رسول الله ﷺ لهم بذلك، كدعوته ﷺ لأبي هريرة - رضي الله عنه - بالحفظ والضبط، فكان أحفظ الصحابة - رضي الله عنه - وأكثرهم رواية على الإطلاق.

و قد قام الصحابة - رضي الله عنهم - بنقل تلك العلوم المختلفة - ومنها علم أصول الفقه - إلى تلاميذهم من التابعين، فقال التابعون من الصحابة فضلاً كبيراً وعلماً كثيراً.

ثم قام التابعون بنقل ما علموا إلى تابعيهم، فقال تابعوهم خيراً كثيراً؛ إلا أنهم ولظروف معينة ظهرت الحاجة إلى تدوين علم أصول الفقه.

■ أسباب تدوين أصول الفقه:

إن أول من دون أصول الفقه فيما نُقل إلينا: الإمام الشافعي - رحمه الله -؛ وأهم تلك الظروف والأسباب التي دفعته إلى ذلك ما يأتي^(١):

١- أن عبدالرحمن بن مهدي - إمام أهل الحديث في بغداد - كتب إلى الشافعي رحمه الله أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة. فوضع له كتاب الرسالة^(٢).

٢- بُعد العهد عن عهد الرسالة.

٣- ضعف اللسان العربي لاختلاط أهله بالأمم الأخرى.

٤- قلة الحفاظ.

(١) انظر: هذه الأسباب وغيرها في: «أصول الفقه الميسر» (٣١/١)، و«أصول الفقه

الإسلامي» (١٢)، و«أصول الفقه» للبرديسي (٩).

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٦٤/٢-٦٥) ومقدمة أحمد شاکر للرسالة (١٠-١١).

- ٥- ضعف الملكة العلمية والسليقة؛ فانتقلت العلوم من كونها فطرة وسليقة إلى كونها مكتسبة.
 - ٦- كثرة المسائل والمشكلات لكثرة الداخلين في الإسلام واتساع رقعته.
 - ٧- ظهور بعض النحل والفرق.
 - ٨- تفرق العلماء في الأقطار، وظهور الخلاف بينهم في كثير من المسائل؛ وذلك كالاختلاف بين علماء البصرة والكوفة وعلماء مكة والمدينة وغيرها من الأقطار، مما كان داعياً ضرورياً لتدوين أصول الفقه.
- أهمية البحث:

لقد كان فضلُ السُّبْقِ في تدوين علم أصول الفقه للإمام محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله - ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن زعم من زعم خلاف ذلك؛ حيث أُلّف - رحمه الله - كتابه (الرسالة) بعد أن استقرَّ بمصر؛ حيث ضمنها أهم المباحث الأصولية؛ فتكلم عن القرآن والسنة، والناسخ والمنسوخ، وقول الصحابي، والإجماع، والقياس، والأمر والنهي، والعام والخاص، والمجمل والمبين، والاجتهاد والتقليد، وشروط المقتي، وغير ذلك.

فكانت تلك المسائل محوراً للمؤلفين في علم أصول الفقه - لاسيما من عرفت طريقتهم فيما بعد بطريقة الشافعية أو المتكلمين أو الجمهور - ، فدرست رسالته، وشرحت، ونوقشت، واستدرك عليها.

وهكذا تتابعت المؤلفات ونمت وكثرت.

لذا أحببتُ أن أجمع تلك المؤلفات في كتاب واحد؛ مستخرجاً إياها من كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) للمولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي، والمعروف بحاجي خليفة؛ وكتاب (إيضاح المكنون)، وكتاب (هدية العارفين)، وكلاهما لإسماعيل باشا البغدادي.

و قد اقتصر على هذه المؤلفات لظني أنها قد استوعبت وحوت جُل الكتب الأصولية عموماً والشافعية منها خصوصاً؛ وذلك لتأخر وفاة مؤلفيها، بخلاف كتب الطبقات وما شابهها، فإنَّ تأليفها والمؤلفات فيها تنتهي بنهاية عصر مؤلفيها.

■ خطة البحث:

وقد جعلت هذا البحث في: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية علم أصول الفقه، ونبذة موجزة عن نشأته، وأسباب تدوينه، كما اشتملت - أيضاً - على أهمية هذا البحث، والأسباب التي دفعتني إلى تأليفه، وخطة البحث، ومنهجي فيه. وأما المباحثان: فجعلت الأول منها: في سرد المؤلفات الأصولية الشافعية عموماً.

والمبحث الثاني: في ذكر المتون الحنفية المشروحة من قِبَل علماء الشافعية. وأما الخاتمة: فقد ذكرت فيها أهم نتائج البحث.

■ أسباب التأليف:

يمكن أن أجمل الأسباب التي دفعتني لهذا العمل في أمور؛ أهمها:

١- أن الشافعي - رحمه الله تعالى - أوّل من صنف في أصول الفقه، فطريقته أولى الطرق بالاعتناء والنشر لفضله وسبقه، خلافاً لمن انتسب إليه بتأسيسه طريقة تخالف - صراحةً - طريقة الشافعي ومن ثمّ نسبتها إليه بلا حق.

٢- إبراز تدرج التأليف ونموّه في أصول الفقه من عصر إلى عصر، فما على المطالع إلا النظر إلى المصنفات التي كتبت في كل قرنٍ ليدرك ذلك، وقد ذكرت ذلك التدرج والنمو في خاتمة البحث.

٣- بيان مدى اهتمام العلماء بأصول الفقه واختلاف مصنفاتهم فيه ما بين

متون وشروح ومختصرات.

٤- لتذكير طالب العلم بهذه المؤلفات المفيدة.

٥- لبيان مدى استفادة المتأخر من المتقدم، وقد أبرزت ذلك في خاتمة

البحث حيث تكلمت فيها عن أهم شروح المتون الأصولية.

٦- لمعرفة الكتب المعتمدة في المذهب، والتي حظيت باهتمام العلماء على

مرّ العصور من أصحاب المذهب وغيرهم.

٧- لوضع قائمة ميسرة لطلاب العلم الراغبين في البحث عن تلكم الكتب

لتحقيقها ودراستها ونشرها.

٨- فتح أفق جديد لطلاب العلم في إتمام هذا المشروع والبناء عليه؛ وذلك

بأن يُحدد الطالب - بعد الاستقراء التام أو شبهه -، الموجود منها من المفقود،

والمطبوع منها من المخطوط.

والمطبوع يتكلم عن طبعاته وأحسنها وتحقيقاته وأدقها.

والمخطوط بالكلام عن عدد مخطوطاته ومواطنها، ووصف مفصّل لها.

علماً بأنّي قد ذكرت شيئاً من ذلك.

٩- لجدته وابتكاره فإنّي لم أرَ أحداً كتب في هذا الباب على هذا النحو -

فيما أعلم - ، بخلاف من كتب في طبقات الأصوليين وتراجهم ومعاجهم؛ فإنهم

لم يستوعبوا المؤلفات الأصولية، بل أحياناً يذكر العلم الأصولي ولا تذكر له

مؤلفات أصولية.

١٠- لسدّ الفجوة الزمنية الكبيرة بين أول من صنف في علم الأصول -

وهو الإمام الشافعي - وبين ظهور طرق التأليف فيه.

وقد سميتُ هذا البحث بـ(معجم المؤلفات الأصولية الشافعية المبثوثة في

«كشف الظنون» و«إيضاح المكنون» و«هدية العارفين»).

■ منهجي في التأليف:

كان سيري في تأليف هذا البحث على النحو التالي:

١- حصرت جميع المؤلفات الأصولية الشافعية من كتاب (كشف الظنون) و (إيضاح المكنون) و (هدية العارفين).

وأعني بالكتب الأصولية الشافعية: ما كان متنه - إن كان له متن - شافعيًا وشارحه شافعيًا أيضًا؛ فهذا في المرتبة الأول، ويليه في الرتبة: ما كان متنه حنبليًا أو مالكيًا وشارحه شافعيًا.

أما إن كان الشارح شافعيًا والمتن حنبليًا فإني لم أذكره إلا تمييزًا للفائدة، وبيانًا لتواصل العلماء واستفادة بعضهم من بعض، وإبرازًا لجهود علماء الشافعية.

وإن كان المتن شافعيًا وشارحه غير شافعي فإني لم أعدّه من المصنفات الشافعية لكون مؤلفه غير شافعي.

٢- قمتُ بذكر المؤلفات الأصولية مرتبًا إياها زمنيًا على حسب وفيات مؤلفيها؛ فبدأتُ برسالة الإمام الشافعي - رحمه الله - ، ثم من بعده حتى سنة ١٣٤٠هـ.

٣- جعلت على الكتاب الأصولي رقمًا، وذكرتُ في الهامش بعض المصادر التي نسبت هذا الكتاب إلى مؤلفه.

٤- ذكرتُ موطن ذكر الكتاب الأصولي وتكرره في «كشف الظنون» و «إيضاح المكنون» و «هدية العارفين» معتبرًا هذه المصادر كالكتاب الواحد في أجزاء ستة؛ فإذا قلت: «شرح الرسالة (١/٨٧٣)، (٥/٢٦٥)» فإني أعني أنه ذُكر في «كشف الظنون» في الجزء الأول صفحة ٨٧٣، وتكرر ذكره في «هدية العارفين» في الجزء الأول صفحة ٢٦٥، وهكذا....

٥- قمت بتمييز هذه المؤلفات إلى مطبوع طبعة تجارية، وطبعة محققة، وإلى

محققة تحقيقاً علمياً كرسائل علمية في الجامعات، وإلى مخطوط مبيناً بعض مواطن وجوده في مكتبات العالم من غير استيعاب؛ لأن استيعاب ذلك بوصف كل مخطوط وصفاً دقيقاً، وذلك بذكر اسمه واسم مؤلفه وناسخه وسنة نسخه وخطه حسناً أو قبحاً ونوعه، وعدد صفحاته وأسطره في كل صفحة، وهل هو تام أو ناقص، سليم أو معيب؟ وهل هو مقابل أو لا؟ ونقل شيء منه من أوله ووسطه و آخره يعتبر عملاً موسوعياً يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل ومال كثير لا يتناسب مع طبيعة بحثي هذا. وإني أرجو الله أن ييسر لهذا العمل من يقوم به فلقد وضعت له - والله الحمد - لبنة البناء.

وقد بقي كثير من تلك المؤلفات من غير تمييز لعدم وقوفي على حقيقة أمرها. علماً بأني قد رجعت إلى أكثر من خمسين فهرساً من الفهارس المتخصصة في ذكر المخطوطات و المطبوعات.

وجعلت الرموز على النحو التالي:

مخ - مخطوط.

ط - مطبوع.

حقوق - حقق كرسالة علمية في جامعة.

٥- قمت بذكر الكتاب الأصولي، ثم أردفته بترجمة موجزة لمؤلفه، ثم سردت بقية كتبه الأصولية بعدها - إن وُجِدَتْ - قائلاً - هكذا -: «كتاب الخصوص والعموم»^(٣) (٦/٥). لإبراهيم بن أحمد بن إسحاق المرزوي الشافعي... إلخ.

«الفصول في معرفة الأصول»^(٥) (٦/٥). له.

٦- كل المصادر التي ذكرتها في ترجمة المؤلف ولم أذكرها عند المؤلفات الأصولية له فهذا يعني أنها لم تذكر ذلك الكتاب.

٧- اقتصرْتُ في ترجمة المؤلف على سنة وفاته، ولم أذكر سنة ولادته؛ لأن

- غرضي ترتيب المؤلفات ترتيباً زمنياً وهذا لا يكون إلا على سنة الوفاة.
- ٨- إذا اختلف في سنة وفاة المصنف فإن في الغالب الكثير أقتصر على اختيار صاحب «معجم المؤلفين» عمر رضا كحالة؛ لدقته في نظري واستيعابه لخلاف من سبقه.
- ٩- ذكرت سنة الوفاة قبل الكتاب مباشرة ليتضح التسلسل الزمني بمجرد النظر إليه.
- ١٠- وضحت ما يحتاج إلى توضيح من أماكن البلدان والنسب وأسماء الأعلام مع ضبط ما قد يشكل منها.
- ١١- جعلت له خاتمة، ذكرت فيها أهم نتائج البحث.
- ١٢- جعلت له فهرس علمية على النحو التالي:
- أ - فهرس المؤلفات الأصولية مرتبة حسب حروف المعجم.
- ب- فهرس الأعلام مرتباً حسب حروف المعجم.
- ج - فهرس المصادر والمراجع.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: المؤلفات الأصولية الشافعية

من سنة (٥٢٠٤هـ) حتى سنة (٥١٣٤هـ)

(١) ٢٠٤ «الرسالة»^(١) (١٧٣/١) (ط) . محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي، أبي عبد الله. الإمام الأعظم، والحبر المكرم. أحد الأئمة المجتهدين الأعلام، إمام أهل السنة. وُلد بغزة سنة (١٥٠هـ). له مصنفات كثيرة، منها: (الأم)، و(المسند)، و(أحكام القرآن)، وغيرها. توفي - رحمه الله - بالقرافة الصغرى بمصر يوم الجمعة سلخ رجب سنة (٢٠٤هـ)^(٢).

(٢) ٣٣٠ «أصول الصيرفي»^(٣) (١١٤/١). محمد بن عبد الله الصيرفي - بفتح الصاد نسبة إلى بيع الذهب - البغدادي، الشافعي، أبي بكر. فقيه، أصولي، متكلم. توفي بمصر سنة (٣٣٠هـ)^(٤).

(٣) ٣٣٠ «دلائل الأعلام على أصول الأحكام في أصول الفقه»^(٥) (أو البيان في

(١) انظر: الفهرست (٢٩٤) وتهذيب الأسماء واللغات (٤٧/١) وشذرات الذهب (١٠-٩/٢)،

والأعلام (٢٦/٦)، وطبقات الأصوليين (١٣٣/١)، وحسن المحاضرة (٣٠٣/١).

(٢) بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله .

(٣) انظر ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» (٣٦١/١)، و«وفيات الأعيان» (١٦٣/٤)، و«المنهج

الأحمد» (١١٩/١)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١١/١)، و«معجم المؤلفين» (٣٢/٩)،

و«الديباج المذهب» (١٥٦/٢)، والكامل في التاريخ (٤٥٣/٥).

(٤) انظر: «وفيات الأعيان» (١٩٩/٤)، و«الوافي بالوفيات» (٣٤٦/٣ - ٣٤٧).

(٥) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٨٦/٣)، و«الأعلام» (٢٢٤/٦)، و«معجم

المؤلفين» (٢٢٠/١٠)، و«الفتح المبين» (١٨٠/١)، و«الفهرست» (٣٠٠)، و«طبقات

الشافعية» للأسنوي (١٢٢/٢)، ولب الباب في تحرير الأنساب (١٦٤).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٢٠/١٠)، و«الفتح المبين» (١٨٠/١)، و«الأعلام» (٢٢٤/٦)،

و«الفهرست» (٣٠٠).

دلائل الأعلام على أصول الأحكام (٤٧٦/٣). له.

(٤) ٣٣٠ «شرح الرسالة»^(١) (٨٧٣/١). له.

(٥) ٣٣٥ «شرح رسالة الشافعي»^(٢) (٣٧/٦). لمحمد بن جعفر بن أحمد بن

يزيد الصيرفي، البغدادي الشافعي، أبي بكر. فقيه، فرضي؛ توفي بمصر

سنة (٣٣٥هـ)^(٣).

(٦) ٣٤٠ «كتاب الخصوص والعموم»^(٤) (٦/٥). لإبراهيم بن أحمد بن إسحاق

المروزي الشافعي، أبي إسحاق. فقيه، انتهت إليه رئاسة المشافعية

بالعراق بعد ابن سريج؛ توفي بمصر سنة (٣٤٠هـ)^(٥).

(٧) ٣٤٠ «الفصول في معرفة الأصول»^(٦) (٦/٥). له.

(٨) ٣٤٩ «شرح الرسالة»^(٧) (٨٧٣/١)، (٢٦٥/٥). لحسان بن محمد بن

أحمد بن هارون القزويني الأموي النيسابوري الشافعي. الحافظ،

الفقيه، أحد أئمة الدنيا. توفي سنة (٣٤٩هـ)^(٨).

(١) انظر: «طبقات الشافعية للسبكي» (١٨٦/٣)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٢٢/٢)،

و«الفهرست» (٣٠٠)، و«الفتح المبين» (١٨٠/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٢٠/١٠)، و«شذرات

الذهب» (٣٢٥/٢).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (١٥٠/٩).

(٣) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٤) انظر: «معجم المؤلفين» (٣/١)، و«الفهرست» (٢٩٩).

(٥) انظر ترجمته في: «الفهرست» (٢٩٩)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٣٧٥/٢)، و«شذرات

الذهب» (٣٥٥/٢)، و«معجم المؤلفين» (٣/١)، و«الأعلام» (٢٨/١).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (٣/١)، و«الفهرست» (٢٩٩).

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (١٩٢/٣)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٤٧٢/٢).

(٨) انظر ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» (٨٩٥/٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢٧١/٢)،

و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢٢٦/٣)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٤٧٢/٢)،

و«شذرات الذهب» (٣٨٠/٢)، و«الأعلام» (١٧٧/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٩٢/٣).

٩) ٣٥٠ «أصول الفقه»^(١) (٢٧٠/٥). للحسن - وقيل: الحسين - بن القاسم

الطبري^(٢)، الشافعي، أبي علي. فقيه، أصولي، متكلم. توفي ببغداد سنة (٣٥٠هـ)^(٣).

١٠) ٣٥٠ «الذخيرة في أصول الفقه»^(٤) (٨٥٢/١)، (٦٥/٥). لأحمد بن

حسين، وقيل: الحسن بن سهل الفارسي الشافعي أبي بكر، المعروف بابن برهان. عالم، فقيه، أصولي. توفي سنة (٣٠٥هـ)، وقيل: (٣٥٠هـ)^(٥).

١١) ٣٦٢ «الإشراف في أصول الفقه»^(٦) (٦٦/٥). لأحمد بن عامر بن بشر،

وقيل: بشر بن عامر بن حامد العامري المروزي الشافعي. فقيه،

(١) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢٦١-٢٦٢)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٥٤/٢)،

و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢٨٠/٣)، و«شذرات الذهب» (٣/٣)، و«الفتح المبين»

(١٩٦/١)، و«تاريخ بغداد» (٨٧/٨).

(٢) بفتح الطاء والباء نسبة إلى طَبْرِسْتَانَ، وهي بلاد واسعة، تقع اليوم في شمال إيران، وتسمى

مازندران. انظر: معجم أماكن الفتوح (٧٤٥)، والروض المعطار (٣٨٣)، ولب اللباب

(١٦٧).

(٣) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة.

(٤) انظر: معجم الأصوليين (١٠٥/١) و«طبقات ابن شعبة» (١٢٤/١) ومعجم المؤلفين (١٩٢/١)

(٥) انظر ترجمته في: «تهذيب الأسماء واللغات» (١٩٥/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي

(١٨٤/٢)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢٥٤/٢)، و«الأعلام» (١١٤/١)، و«معجم

المؤلفين» (٢٠٥/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (١٢٤/١).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٥٨/١)، و«الفهرست» (٣٠١)، و«البداية والنهاية» (٢٢٣/١١)،

و«شذرات الذهب» (٤٠/٣)، و«الأعلام» (١٤٢/١)، و«تهذيب الأسماء واللغات»

(٢١١/٢)، و«الفتح المبين» (١٩٩/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٢/٣).

- أصولي، تولى القضاء. توفي بمرور الروذ سنة (٣٦٢هـ) تقريباً^(١).
- (١٢) ٣٦٥ «شرح الرسالة»^(٢) (٨٧٣/١). لمحمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير، الشاشي^(٣)، الشافعي، أبي بكر. فقيه، محدث، مفسر، أصولي، لغوي. توفي في مدينة الشاش سنة (٣٦٥هـ)^(٤).
- (١٣) ٣٧١ «الفصول في الأصول»^(٥) (١٩٤/٤). لمحمد بن خفيف بن اسفكشاد الضبي - مولا هم - ، الشيرازي، الشافعي، أبي عبد الله. صوفي، شاعر، مشارك في بعض العلوم. توفي سنة (٣٧١هـ)^(٦).
- (١٤) ٣٨٦ «الكفاية في القياس»^(٧) (١٤٩٩/٢). لعبد الواحد بن الحسين بن محمد الصيمري^(٨)، الشافعي، أبي القاسم فقيه أصولي، كان حافظاً

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

- (٢) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٢٠٠/٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢٨٢/٢)، و«معجم المؤلفين» (٣٠٨/١٠)، و«الأعلام» (٢٧٤/٦)، و«الفكر السامي» (١٢٩/٢)، و«الفتح المبين» (٢٠١/١)، و«شذرات الذهب» (٥١/٣).
- (٣) نسبة إلى مدينة شاش من أعمال سمرقند وهي مدينة جميلة وأرضها مستوية لا جبل فيها ولا أرض مرتفعة وهي طاشكند المعروفة اليوم في جمهورية أوزباكستان. انظر: الروض المعطار (٣٣٥) ومعجم أماكن الفتوح (٧٣٩).
- (٤) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٧٩/٢).
- (٥) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٥١/٣)، و«الفتح المبين» (٢٠٧/١).
- (٦) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٤٩/٣)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٤٧٦/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (١٥٠/١)، و«شذرات الذهب» (٧٦/٣)، و«معجم المؤلفين» (٢٨٢، ٢٦٦/٩)، و«الفتح المبين» (٢٠٦/١).
- (٧) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٣٩/٣)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٢٧/٢)، و«الفتح المبين» (٢١٠/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٧/٦ - ٢٠٨).
- (٨) بفتح الصاد وسكون الياء نسبة إلى الصيمرة وهي بلدة في إيران بمهرجان قذف. انظر: لب اللباب (١٦٤)، ومعجم أماكن الفتوح (٧٤٥).

- للمذهب الشافعي، محيطاً بدقائقه. توفي بعد سنة (٣٨٦هـ)^(١).
- (١٥) ٣٨٦ «الإرشاد في شرح الكفاية»^(٢) (١٤٩٩) له.
- (١٦) ٣٩٦ «تهديب النظر في أصول الفقه»^(٣) (٢٠٩/٥). لإسماعيل بن أحمد ابن إبراهيم بن العباس الإسماعيلي، الجرجاني^(٤)، الشافعي، أبي سعيد. فقيه، أصولي، متكلم. توفي سنة (٣٩٦هـ)^(٥).
- (١٧) ٤٢٩ «التحصيل في أصول الفقه»^(٦) (٣٦٠/١). لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي، البغدادي، الشافعي، أبي منصور. أحد الأئمة في الأصول والفروع، وكان ماهراً في فنون كثيرة من العلوم؛ وُلد ونشأ في بغداد، وتوفي في إسفرائين - بليدة بنواحي نيسابور - سنة (٤٢٩هـ)^(٧).

- (١) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة، و«تهديب الأسماء واللغات» (٢٦٥/٢).
- (٢) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٢٧/٢ - ١٢٨)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣/٣٤٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٨/٦).
- (٣) انظر: «الأعلام» (٣٠٨/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٥٧/٢).
- (٤) بضم الجيم وسكون الراء نسبة إلى جرجان، وهي مدينة بين طبرستان وخراسان، وهي اليوم في إيران في إقليم مازندران.
- انظر: لب اللباب (٦٢)، ومعجم أماكن الفتوح (٧٠٥).
- (٥) انظر ترجمته في: «الأعلام» (٣٠٨/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٥٧/٢)، و«تاريخ بغداد» (٣٠٩/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (١٥٨/١)، و«شذرات الذهب» (١٤٧/٣).
- (٦) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٤٠/٥) و«الأعلام» (٤٨/٤) و«الفتح المبين» (٢٣٥/١).
- (٧) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للأسنوي (١٩٤/١)، و«البداية والنهاية» (٤٨/١٢) و«معجم المؤلفين» (٣٠٩/٥)، و«الأعلام» (٤٨/٤)، ومعجم أماكن الفتوح (٦٨٦) والروض المعطار (٥٧) والأنساب للسمعاني (٢٢٣/١).

١٨ (٤٦٥) «الفصول في الأصول»^(١) (١٩٤/٤). لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري، الشافعي، أبي القاسم، زين الإسلام. فقيه، أصولي، مفسر، أديب، ناظم، ناثر، صوفي، متكلم. توفي بنيسابور سنة (٤٦٥هـ)^(٢).

١٩ (٤٧٦) «التبصرة في أصول الفقه»^(٣) (٨/٥) (ط)^(٤). لإبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الشيرازي، الشافعي، جمال الدين، أبي إسحاق، فقيه، أصولي، مناظر، متصوِّف، زاهد. توفي سنة (٤٧٦هـ)^(٥).

٢٠ (٤٧٦) «اللمع في أصول الفقه»^(٦) (٨/٥) (ط)^(٧). له.

٢١ (٤٧٦) «شرح اللمع في أصول الفقه»^(٨) (٨/٥) (ط)^(٩). له.

(١) انظر: «معجم المؤلفين» (٦/٦).

(٢) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٥٣/٥)، و«وفيات الأعيان» (٢٠٥/٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٦١/١)، و«البداية والنهاية» (١١٤/١٢)، و«شذرات الذهب» (٣١٩/٣)، و«معجم المؤلفين» (٦/٦)، و«الأعلام» (٥٧/٤).

(٣) انظر: «وفيات الأعيان» (٢٩/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢١٥/٤)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٤٦/١)، و«معجم المؤلفين» (٦٩/١)، و«الأعلام» (٥١/١).

(٤) بتحقيق محمد حسن هيتو.

(٥) انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٢٩/١) و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢١٥/٤) و«طبقات ابن شعبة» (٢٤٤/١) و«تذيب الأسماء واللغات» (١٧٢/٢) و«شذرات الذهب» (٣٤٩/٣).

(٦) انظر: «وفيات الأعيان» (٢٩/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢١٥/٤)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٤٦/١)، و«معجم المؤلفين» (٦٩/١)، و«الأعلام» (٥١/١).

(٧) طبعة تجارية.

(٨) انظر: «وفيات الأعيان» (٢٩/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢١٥/٤)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٤٦/١)، و«معجم المؤلفين» (٦٩/١)، و«الأعلام» (٥١/١).

(٩) بتحقيق علي بن عبدالعزيز العميري.

(٢٢) ٤٧٨ «البرهان في أصول الفقه»^(١) (٢٤٢/١)، (٦٢٦/٥) (ط) ^(٢). لعبد الملك ابن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف الجويني^(٣)، الشافعي، المعروف بإمام الحرمين، أبي المعالي. فقيه، أصولي، متكلم، مفسر. توفي بالحنة - من قرى نيسابور - ، ودُفن في نيسابور سنة (٤٧٨هـ)^(٤).

(٢٣) ٤٧٨ «الورقات في الأصول»^(٥) (٢٠٥/٢) (ط) له.

(٢٤) ٤٨٩ «القواطع في أصول الفقه»^(٦) (١٣٥٧/٢) (ط) ^(٨). لمنصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد السمعاني - بفتح السين وسكون الميم نسبة إلى سَمْعَانَ جَدِ وَبَطْنِ مِنْ تَيْمِمْ -، التميمي، الشافعي، أبي المظفر. كان إماماً في الحديث، والتفسير، والفقه؛ وكان والدُه من أئمة

(١) انظر: «الفتح المبين» (٢٦١/١)، و«الأعلام» (١٦٠/٤)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٩٢/٥)، و«شذرات الذهب» (٣٥٩/٣)، و«معجم المؤلفين» (١٨٥/٦)، و«البداية والنهاية» (١٣٧/١٢)، و«الفكر السامي» (٣٣٠/٢)، و«مرآة الجنان» (١٢٧/٣).

(٢) بتحقيق عبدالعظيم الديب.

(٣) نسبة إلى جُوَيْنٍ، وهي قرية بسرخس من أعمال نيسابور، وهي اليوم في إيران. انظر: لب الباب (٧٢)، ومعجم أماكن الفتوح (٧١٠).

(٤) انظر ترجمته في: شذرات الذهب (٣٥٨/٣)، وطبقات السبكي (١٦٥/٥)، وطبقات الأسنوي (٣٣٨/١)، و«معجم المؤلفين» (١٨٤/٦)، و«الفتح المبين» (٢٦٠/١)، و«الأعلام» (١٦٠/٤)، و«وفيات الأعيان» (١٦٧/٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٦٢/١).

(٥) انظر: «الفتح المبين» (٢٦١/١)، و«الأعلام» (١٦٠/٤)، و«طبقات السبكي» (١٧٢/٥).

(٦) طبعة تجارية.

(٧) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٤٢/٥)، و«البداية والنهاية» (١٦٤/١٢)، و«الأعلام» (٣٠٤/٧)، و«معجم المؤلفين» (٢٦٦/١)، و«الفكر السامي» (٣٣١/٢).

(٨) بتحقيق عبدالله بن حافظ حكيمي.

الحنفية فتفقه عليه ولده أبي المظفر حتى برح في مذهب أبي حنيفة،
وصار من أركانهم ومن فحول علمائهم، ومكث كذلك ثلاثين
سنة، ثم صار إلى مذهب الشافعي بعد حجّه توفي - رحمه الله - في
مرو سنة (٤٨٩هـ) (١).

(٢٥) ٥٠٤ «التعليق في أصول الفقه» (٢) (٤٢٣/١). لعلي بن محمد بن علي
إلكيا (٣) المهراسي (٤) الطبرستاني، الشافعي، عماد الدين، أبي
الحسن. فقيه، أصولي، متكلم؛ وقد أتهم في وقته بأنه كان يمالئ
الباطنية، فترع منه التدريس، ثم شهد له جماعة من العلماء ببراءته
من ذلك منهم ابن عقيل الحنبلي، فأعيد إليه.
توفي ببغداد سنة (٥٠٤هـ) (٥).

(٢٦) ٥٠٥ «أساس القياس» (٦) (٧٩/٦) (ط) (٧). ل محمد بن محمد بن محمد

- (١) انظر ترجمته في: طبقات السبكي (٣٣٥/٥) وطبقات الأسنوي (٢٩/٢) وشذرات الذهب
(٣٩٣/٣) والأعلام (٣٠٣/٧) ومعجم المؤلفين (٢٦٦/١) ولب اللباب (١٤٠).
- (٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٢٠/٧)، وقال السبكي في طبقاته (٢٣٢/٧)، والمراغي في
«الفتح المبين» (٧/٢): إن له كتاباً في أصول الفقه. قلت: فلعلهما يعينانه.
- (٣) بهمزة مكسورة ولام ساكنة ثم كاف مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت معناه الكبير بلغة
الفرس. انظر: شذرات الذهب (٨/٤).
- (٤) براء مشددة وسين مهملة، لا تعلم نسبته لأي شيء. انظر: المصدر السابق.
- (٥) انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١٨٤/١٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٣١/٧) وطبقات
الأسنوي (٥٢٠/٢)، و«شذرات الذهب» (٨/٤)، و«الفتح المبين» (٦/٢)، و«الأعلام»
(٣٢٩/٤)، و«الفكر السامي» (٣٣٣/٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٢٠/٧).
- (٦) نصّ عليه الغزالي نفسه في كتابه «المستصفى» (١١٨/١)، بتحقيق د. حمزة حافظ.
وانظر - أيضاً - : «مؤلفات الغزالي» (٦)، و«مرآة الجنان» (١٧٩/٣).
- (٧) بتحقيق الأستاذ الدكتور فهد السدحان.

- الغزالي^(١) الفيلسوف، الصوفي، الشافعي. وُلِدَ فِي طُوسِ^(٢) بِخِرَاسَانَ.
 وَتَوَفَّى بِالطَّابِرَانَ - قَصْبَةَ بِلَادِ طُوسِ - سَنَةَ (٥٠٥ هـ)^(٣).
 (٢٧) ٥٠٥ «المستصفى»^(٤) (٧٩/٦) (ط)^(٥) له.
 (٢٨) ٥٠٥ «المنحول»^(٦) (٨١ - ٨٠/٦) (ط)^(٧) له.
 (٢٩) ٥٠٥ «شفاء العليل في القياس والتعليل»^(٨) أو «شفاء الغليل في بيان
 مسالك التعليل» (٧٩/٦) (ط)^(٩) له.
 (٣٠) ٥١٨ «الأوسط - وقيل: الوسيط - في أصول الفقه»^(١٠) (٢٠١/١)،

(١) بتشديد الزاي نسبة إلى الغزَل، وقيل: هو بالتخفيف نسبة إلى غَزَالَة قرية بطوس. انظر:
 لب اللباب (١٨٦).

(٢) وهي تشتمل على بلديتين يقال لإحدهما الطابران وللأخرى نوقان، ولهما أكثر من ألف قرية.

انظر: معجم البلدان (٥٥/٤) ومعجم أماكن الفتوح (٧٤٨) والروض المعطار (٣٩٨).

(٣) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (١٠/٤)، و«معجم المؤلفين» (٢٦٦/١١)، و«الفتح

المبين» (٤/٢)، و«الأعلام» (٢٢/٧)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢٤٢/٢).

(٤) انظر: شذرات الذهب (١٣/٤)، وطبقات السبكي (٢٢٤/٦)، ومعجم المؤلفين (٢٢٦/١١)،

والفتح المبين (٤/٢)، والأعلام (٢٢/٧)، وطبقات ابن شُهْبَةَ (٣٠١/١).

(٥) بتحقيق إبراهيم محمد رمضان، وطبع مرة أخرى بتحقيق الدكتور حمزة بن زهير حافظ.

(٦) نصّ عليه الغزالي في كتابه «المستصفى» (٥/١)، وانظر: مؤلفات الغزالي (٢١٤)، وطبقات

ابن شُهْبَةَ (٣٠١/١)، وطبقات السبكي (٢٢٥/٦)، والأعلام (٢٢/٧)، والفكر السامي

(٣٣٢/٢)

(٧) بتحقيق محمد حسن هيتو.

(٨) انظر: طبقات السبكي (٢٢٥/٦) ومؤلفات الغزالي (٣٨) والأعلام (٢٢/٧).

(٩) بتحقيق الدكتور حمد الكبيسي.

(١٠) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣١/٦)، و«الفتح المبين» (١٦/٢)، و«طبقات الشافعية»

لأسنوي (٢٠٨/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شُهْبَةَ (٢٨٧/١)، و«الأعلام» (١٧٣/١)،

و«معجم المؤلفين» (٢٢/٢).

(٨٢/٥). لأحمد بن علي بن محمد الوكيل الحنبلي، ثم الشافعي، المعروف بابن برهان، أبي الفتح. فقيه، أصولي، وكان حاذقاً الذهن، عجيب الفطرة، لا يكاد يسمع شيئاً إلا حفظه؛ توفي ببغداد سنة (٥٢٠ وقيل: ٥١٨هـ)^(١).

(٣١) ٥١٨ «الوجيز في الأصول»^(٢) (٢٠٠١/٢)، (٨٢/٥). له.

(٣٢) ٥١٨ «الوصول إلى علم الأصول»^(٣) (٢٠١٤/٢) (ط)^(٤). له.

(٣٣) ٥٦٥ «أصول الفقه»^(٥) (٩٢/٣) (٦٩٩/٥) (مخ)^(٦). لعلي بن زيد بن

محمد بن الحسين بن سليمان بن أيوب الأنصاري الأوسي، البيهقي، الشافعي. عالم، أديب، شاعر، مشارك في الفقه، والأصول، والفرائض، والحساب، والطب، وغيرها. ولي قضاء بيهق، وتوفي فيها سنة (٥٦٥هـ)^(٧).

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٠/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢٠٧/١ - ٢٠٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٨٦/١)، و«وفيات الأعيان» (٩٩/١)، و«شذرات الذهب» (٦١/٤)، و«البداية والنهاية» (٢١٠/١٢)، و«الأعلام» (١٧٣/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٢/٢)، و«الفتح المبين» (١٦/٢).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣١/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢٠٨/١)، و«وفيات الأعيان» (٩٩/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٨٧/١)، و«الأعلام» (١٧٣/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٢/٢)، و«الفتح المبين» (١٦/٢).

(٣) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٢/٢)، و«المزهر» للسيوطي (٢٠/١، ٦١).

(٤) بتحقيق عبد الحميد علي أبو زيد.

(٥) انظر: معجم المؤلفين (٩٧/٧)، وسير أعلام النبلاء (٥٨٦/٢٠)، ومعجم الأدباء (٢٢٥/١٣).

(٦) له نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٢٥١/٤٢).

(٧) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (٩٦/٧) و«الأعلام» (٢٩٠/٤) ومعجم الأدباء (٢١٩/١٣).

- (٣٤) ٥٦٥ «جلاء صَدَا الشك في الأصول»^(١) (٣٦٣/٣)، (٦٩٩/٥). له.
- (٣٥) ٥٦٥ «كتر الحجج من الأصول»^(٢) (١٥١٤/٢)، (٧٠٠/٥). له.
- (٣٦) ٥٧٢ «نور الحجّة في إيضاح الحجّة في الأصول»^(٣) (٩٨/٦). لمحمد بن محمد بن عبد، أبي المحاسن، المعروف بابن الضجة، الشافعي، أشعري مقرئ، أصولي، من أهل بغداد. توفي سنة (٥٧٢هـ)^(٤).
- (٣٧) ٥٨٧ «التنقيحات في أصول الفقه»^(٥) (٣٣٠/٣) (ط) ليحيى بن حبش بن أميرك السهروردي^(٦)، الشافعي، شهاب الدين، أبي الفتح. فقيه، أصولي، متكلم، متصوّف. قُتِلَ بسبب انحلال عقيدته في سجن قلعة حلب سنة (٥٨٧هـ)^(٨).
- (٣٨) ٦٠٢ «شرح اللمع لأبي إسحاق الشيرازي»^(٩) (في مجلدين) (٦٥٤/٥) لعثمان بن عيسى بن درباس بن خير الهدباني الماراني، الشافعي، ضياء الدين، أبي عمر. فقيه، أصولي؛ توفي في القاهرة سنة (٦٠٢هـ)^(١٠).

(١) انظر: «معجم الأدباء» (٢٢٥/١٣).

(٢) انظر: «معجم الأدباء» (٢٢٥/١٣).

(٣) انظر: الأعلام (٢٥/٧) ومعجم المؤلفين (٢٤٢/١١)، و الوافي بالوفيات (١٦٦/١).

(٤) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» للأسنوي (٤٤٢/٢)، و«وفيات الأعيان» (٢٧٠/٦)، و«شذرات

الذهب» (٢٩١/٤)، و«معجم المؤلفين» (١٨٩/١٣)، و«الأعلام» (١٤٠/٨).

(٦) بتحقيق الأستاذ الدكتور عياض السلمي.

(٧) يضم السين وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانية نسبة إلى سُهْرَوْرْدِ بلد في

خراسان بين زنجان وهمدان. انظر: لب اللباب (١٤٤) والروض المعطار (٣٢٨).

(٨) انظر ترجمته في المصادر المذكورة سابقاً عند ذكر كتابه.

(٩) انظر: وفيات الأعيان (٢٤٢/٣) وطبقات السبكي (٣٣٧/٨) وحسن المحاضرة (٤٠٨/١)،

والأعلام (٢١٢/٤)، و«معجم المؤلفين» (٢٦٦/٦)، و«شذرات الذهب» (٧/٥).

(١٠) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

- (٣٩) ٦٠٤ «شرح اللمع لأبي إسحاق الشيرازي»^(١) (٤/٤١٠)، (٦/٤٢٩) مسعود بن علي بن مسعود الأشرقي، العنسي، الشافعي، كمال الدين. متكلم، مشارك في بعض العلوم؛ توفي سنة (٦٠٤هـ)^(٢).
- (٤٠) ٦٠٦ «المحصل في علم أصول الفقه»^(٣) (٢/١٦١٥)، (٦/١٠٧) (ط)^(٤). محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي، الرازي، الشافعي، فخر الدين، أبي عبد الله، المعروف بابن الخطيب. الفقيه، الأصولي، المتكلم، الفيلسوف، الفلكي، الأديب، الشاعر، المفسر. توفي بمدينة هراة يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـ^(٥).
- (٤١) ٦٠٦ «المعالم في أصول الفقه»^(٦) (٢/١٧٢٦)، (٦/١٠٧) (ط)^(٧) له.
- (٤٢) ٦٠٦ «المحصل في أصول الفقه»^(٨) (٦/١٠٧) (ط)^(٩) له.

(١) انظر: «معجم المؤلفين» (١٢/٢٢٨).

(٢) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٣) انظر: طبقات السبكي (٨/٨٧) وشذرات الذهب (٥/٢١) وطبقات ابن شبهة (١/٣٩٨).

(٤) بتحقيق طه جابر فياض.

(٥) انظر ترجمته في طبقات السبكي (٨/٨١)، و«طبقات الأسنوي» (٢/٢٦٠)، وشذرات

الذهب (٥/٢١)، وطبقات ابن شبهة (١/٣٩٦)، ووفيات الأعيان (٤/٢٤٨)، والفتح

المبين (٢/٤٧)، والأعلام (٦/٣١٣)، ومعجم المؤلفين (١١/٧٩)، والبداية والنهاية

(١٣/٦٠).

(٦) انظر: «وفيات الأعيان» (٤/٢٤٩)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٨/٨٧)، و«طبقات

الشافعية» لابن شبهة (١/٣٩٨)، و«شذرات الذهب» (٥/٢١)، و«الفتح المبين» (٢/٤٩).

(٧) بتحقيق علي محمد عوض.

(٨) انظر: طبقات السبكي (٨/٨٧) و«وفيات الأعيان» (٤/٢٤٩)، و«الأعلام» (٦/٣١٣)،

و«الفتح المبين» (٢/٤٨).

(٩) نص علي ذلك الزركلي. انظر: الأعلام (٦/٣١٣).

- (٤٣) ٦٠٦ «منتخب المحصول»^(١) (١٦١٦/٢)، (٥٦٩/٤)، (١٠٧/٦) (حقق)^(٢). له.
- (٤٤) ٦٠٦ «المعالم شرح لمع الأدلة»^(٣) (١٥٦١/٢) (مخ)^(٤). له.
- (٤٥) ٦٠٦ «نهاية العقول في الكلام في دراية الأصول»^(٥) (١٠٧/٦-١٠٨) (مخ)^(٦). له.
- (٤٦) ٦٢١ «شرح اللمع للشيرازي»^(٧) (٤١٠/٤)، (٤٧٩/٦). لموسى بن أحمد ابن يوسف بن موسى الشافعي اليميني. فقيه، أصولي. توفي سنة (٦٢١هـ)^(٨).
- (٤٧) ٦٢١ «مختصر المحصول»^(٩) أو «تنقيح المحصول» (١٦١٦/٢)، (٤٦٣/٦) (حقق)^(١٠) لمظفر بن أبي الخير محمد بن إسماعيل بن علي، الشيخ

- (١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٩٨/١)، و«شذرات الذهب» (٢١/٥).
- (٢) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٦هـ لنيل الدكتوراه من قبل الباحث عبدالمعز بن عبدالعزيز حريز.
- (٣) انظر: «الفتح المبين في طبقات الأصوليين» (٤٩/٢)، و«الأعلام» (٣١٣/٦).
- (٤) له نسخة في الأزهرية برقم (١١٧) ٤٤٩٥ أصول، ومصورة عنها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ٣٨٠.
- (٥) انظر: الأعلام (٣١٣/٦) وطبقات ابن شعبة (٣٩٨/١) وطبقات السبكي (٨٧/٨).
- (٦) له نسخة في مكتبة أحمد الثالث برقم ١٨٧٤.
- (٧) انظر: «الأعلام»: (٣١٩/٧)، و«معجم المؤلفين» (٣٥/١٣).
- (٨) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.
- (٩) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٧٣/٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٤٢٣/١) و«الفتح المبين» (٥٥/٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٩٨/١٢)، و«الأعلام» (٢٥٧/٧).
- (١٠) في جامعة أم القرى لنيل الدكتوراه عام ١٤٠٢هـ من قبل الباحث حمزة بن زهير حافظ

- أمين الدين التبريزي^(١)، الشافعي. كان فقيهاً، أصولياً، عابداً، زاهداً. توفي في شيراز سنة (٦٢١هـ)^(٢).
- (٤٨) ٦٣٠ «شرح مشكل اللمع»^(٣) (٤١٠/٤). لأحمد بن مقبل بن عثمان بن مقبل بن عثمان بن أسعد العلبي، العدني، الشافعي. فقيه، أصولي، تولى القضاء. توفي سنة (٦٣٠هـ)^(٤).
- (٤٩) ٦٣١ «إحكام الأحكام في أصول الأحكام»^(٥) (١٧/١)، (٧٠٧/٥) (ط)^(٦) لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي^(٧)، الشافعي، سيف الدين. فقيه، أصولي، متكلم، منطقي؛ توفي بدمشق سنة (٦٣١هـ)^(٨).

- (١) بكسر التاء والراء وسكون الباء والياء والزاي نسبة إلى بلدة تبريز بأذربيجان. انظر: لب اللباب (٥١).
- (٢) انظر ترجمته في المصادر السابق ذكرها عند ذكر كتابه.
- (٣) انظر: «معجم الأصوليين» (٢٤٢/١)، و«معجم المؤلفين» (١٨٢/٢).
- (٤) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (١٨٢/٢)، و«الأعلام» (٢٥٩/١).
- (٥) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣٠٧/٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٤١٢/١) و«البداية والنهاية» (١٥١/١٣)، و«شذرات الذهب» (١٤٥/٥)، و«معجم المؤلفين» (١٥٥/٧)، و«الفتح المبين» (٥٧/٢ - ٥٨).
- (٦) بتحقيق إبراهيم العجوز.
- (٧) بكسر الميم والدال نسبة إلى آمد، مدينة بديار بكر وهي في تركيا اليوم. انظر: لب اللباب (٤)، و«معجم أماكن الفتوح» (٦٧٩).
- (٨) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٠٦/٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٤١٠/١)، و«البداية والنهاية» (١٥١/١٣)، و«وفيات الأعيان» (٢٩٣/٣)، و«شذرات الذهب» (١٤٤/٥)، و«معجم المؤلفين» (١٥٥/٧)، و«الفتح المبين» (٥٧/٢).

(٥٠) ٦٣١ «منتهى السؤل في علم الأصول»^(١) (١٨٥٧/٢)، (٧٠٧/٥) (ط)^(٢). له.

(٥١) ٦٣٨ «شرح المعالم لفخر الدين الرازي في الأصول»^(٣) (٥٠٥/٤)، (٩٣/٥). لأحمد بن محمد بن خلف بن راجح المقدسي، الشافعي، المعروف بابن الحنبلي. كان شيخاً، فاضلاً، ديناً، بارعاً في علم الخلاف، وكان متواضعاً، حسن الأخلاق؛ توفي بدمشق سنة (٦٣٨هـ)^(٤).

(٥٢) ٦٣٩ «أصول الفقه»^(٥) (٤٧٩/٦). لموسى بن يونس بن محمد بن منعة ابن مالك العقيلي الشافعي، أبي الفتح، كمال الدين. فيلسوف، علامة بالرياضيات، مفسرٌ، طبيبٌ، عارف بالموسيقى والأدب والسير، عالمٌ بشرائع اليهود والنصارى؛ قيل: إنه كان يتقن أربعة عشر علماً، وأثهم في عقيدته لغلبة العلوم العقلية عليه. توفي بدمشق في شهر شعبان سنة (٦٣٩هـ)^(٦).

(١) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٠٧/٨)، و«طبقات الشافعية لابن شهبه» (٤١٢/١)، و«وفيات الأعيان» (٢٩٤/٣)، و«الفتح المبين» (٥٨/٢).

(٢) تجارئة.

(٣) انظر: «معجم المؤلفين»: (٩٩/٢).

(٤) انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» (١٦٨/١٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبه (٤٠٣/١)، و«شذرات الذهب» (١٨٩/٥)، و«معجم المؤلفين» (٩٩/٢).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبه: (٤٢٥/١ - ٤٢٦)، و«الأعلام» (٣٣٢/٧).

(٦) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبه (٤٢٥/١)، و«البداية والنهاية» (١٦٩/١٣)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٧٨/٨)، و«وفيات الأعيان» (٣١١/٥)، و«شذرات

الذهب» (٢٠٦/٥)، و«الأعلام» (٣٣٢/٧)، و«معجم المؤلفين» (٥١/١٣).

- (٥٣) ٦٤٤ «شرح المعالم للرازي»^(١) (١٧٢٧/٢)، (٥/٤٦٠-٤٦١) (مخ)^(٢).
- لعبد الله بن محمد بن علي، الشافعي، شرف الدين، المعروف بابن التلمساني. كان فقيهاً، أصولياً، ذكياً، فصيحاً، حسن التعبير، تصدر للإقراء بالقاهرة؛ توفي بها سنة (٦٤٤هـ)^(٣).
- (٥٤) ٦٥٠ «شرح المحصول للرازي»^(٤) (١٢٥/٦). محمد بن الحسين بن محمد الحسيني، الأموي الشافعي، المعروف بقاضي العسكر، شمس الدين. فقيه، أصولي، فرضي. توفي بمصر سنة (٦٥٠هـ)^(٥).
- (٥٥) ٦٥٥ «كتاب الأصول»^(٦) (١٢٥/٦ - ١٢٦). محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي الشافعي، شرف الدين، أبي عبد الله. كان فقيهاً، محدثاً، أصولياً، نحويّاً، أديباً، زاهداً، متعبداً. توفي بين العريش وغزّة سنة (٦٥٥هـ)^(٧).
- (٥٦) ٦٥٦ «الحاصل من المحصول»^(٨) (١٦١٥/٢)، (١٢٦/٦) (حقق)^(٩).

- (١) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٦٠/٨)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٣١٦/١)، و«الأعلام»: (١٢٥/٤)، و«معجم المؤلفين»: (١٣٣/٦).
- (٢) له نسخة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ٢٢٩.
- (٣) انظر ترجمته في المصادر السابقة.
- (٤) انظر: «معجم المؤلفين»: (٢٥٢/٩)، و«حسن المحاضرة»: (٤١٣/١).
- (٥) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.
- (٦) انظر: «بغية الوعاة» (١٤٥/١)، و«معجم الأدباء» (٢١١/١٨).
- (٧) انظر ترجمته في: طبقات السبكي (٦٩/٨) والأعلام (٢٣٣/٦) ومعجم المؤلفين (٢٤٤/١٠).
- (٨) انظر: «معجم المؤلفين»: (٢٤٤/٩)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٤٥١/١)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (٤٥٢ - ٤٥١/١).
- (٩) في جامعة الأزهر لنيل الدكتوراه عام ١٩٧٦م من قبل الباحث عبدالسلام محمود صالح.

محمد بن الحسين بن عبد الله الأرموي^(١)، الشافعي، تاج الدين، أبي الفضائل. كان من أكبر تلاميذ الفخر الرازي، وكان بارعاً في العقليات، وكانت له حشمة وثروة ووجاهة، وفيه تواضع. توفي ببغداد - قبل واقعة التتار - سنة (٦٥٦هـ)^(٢).

(٥٧) ٦٦٠ «شرح مختصر ابن الحاجب»^(٣) (١٨٥٥/٢)، (٥٨٠/٥). لعبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد السلمي الدمشقي، الشافعي، المعروف بسلطان العلماء. جمع بين فنون العلم من التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والعربية، وغيرها توفي في القاهرة سنة (٦٦٠هـ)^(٤).

(٥٨) ٦٦٥ «الحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول»^(٥) (١٦١٦/١)، (٥٢٥ - ٢٥٤/٥) (ط)^(٦). لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ابن عثمان بن أبي بكر المقدسي، الدمشقي، الشافعي، شهاب الدين،

(١) بضم الألف وسكون الراء وفتح الميم نسبة إلى أرمية، وهي من بلاد أذربيجان. انظر: لب اللباب (١٠)، والأنساب (١٧٣/١).

(٢) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٢٤٤/٩)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٤٥١/١)، «طبقات الشافعية» للأسنوي: (٤٥٢ - ٤٥١/١).

(٣) انظر: «معجم المؤلفين»: (٢٤٩/٥).

(٤) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شعبة: (٤٤٠/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢٠٩/٨)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٩٧/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن الصلاح (٧٧٩/٢) و«شذرات الذهب» (٣٠١/٥) و«معجم المؤلفين» (٢٤٩/٥).

(٥) انظر: «معجم المؤلفين»: (١٢٦/٥)، و«الفتح المبين»: (٧٦/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٤٦٦/١).

(٦) بتحقيق أحمد الكويتي.

أبي محمد، المعروف بأبي شامة. محدّث، حافظ، مفسّر، فقيه، أصوليّ، مقرئ، نحويّ، مؤرّخ. توفي في دمشق في شهر رمضان مقتولاً سنة (٦٦٥هـ) (١).

(٥٩) ٦٦٥ «الأصول في الأصول» (٢) (٩٣/٣)، (٥٢٤/٥ - ٥٢٥). له.

(٦٠) ٦٧١ «مختصر المحصل للرازي في الأصول» (٣) (٥٦١/٥). لعبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس بن ربيعة الموصلّي، الشافعي، تاج الدين، أبي القاسم. كان فقيهاً، محدّثاً، حافظاً، أصوليّاً، وكان آية في القُدرة على الاختصار، تولى قضاء بغداد. توفي فيها سنة (٦٧١هـ) (٤).

(٦١) ٦٧١ «مختصر الحصول للرازي» (٥) (١٦١٦/٢)، (٥٦١/٥). له.

(٦٢) ٦٧٧ «أصول الفقه» (٦) (٩٨/٥). لأحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكندي - بكسر الكاف نسبة إلى كنده قبيلة من اليمن -، المصري،

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٦٥/٨)، و«البداية والنهاية» (٢٦٤/١٣) و«شذرات الذهب» (٣١٨/٥)، و«معجم المؤلفين» (١٢٦/٥)، و«الأعلام» (٢٩٩/٣)، و«الدارس في تاريخ المدارس»: (١٨/١).

(٢) انظر: «الفتح المبين»: (٧٦/٢)، و«الأعلام»: (٢٩٩/٣).

(٣) انظر: «معجم المؤلفين»: (٢١٣/٥).

(٤) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٩١/٨)، و«معجم المؤلفين» (٢١٣/٥)، و«الفتح المبين» (٧٨/٢)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (٥٧٤/٢)، «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٤٦٧/١)، و«شذرات الذهب» (٣٣٢/٥)، و«الأعلام» (٣٤٨/٣).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٤٦٨/١)، و«الفتح المبين» (٧٨/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٩١/٨)، و«معجم المؤلفين» (٢١٣/٥).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٦٨/١)، و«الأعلام» (١٤٧/١)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٥٤٩/١)، و«حسن المحاضرة» (٤١٧/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٤٦١/١).

الشافعي. كان إماماً، عالماً، فقيهاً، أصولياً، زاهداً، عابداً، ورعاً.

توفي بقوص في صعيد مصر سنة (٦٧٧هـ)^(١).

(٦٣) ٦٨٢ «التحصيل مختصر المحصول للرازي»^(٢) (١٦١٥/٢)، (٤٠٦/٦)

(ط)^(٣) محمود بن أبي بكر بن حامد بن أحمد الأرموي، الدمشقي،

الشافعي، سراج الدين، الشهير بالأرموي. فقيه، أصولي، منطقي،

متكلم، قاض. توفي بمدينة قونية سنة (٦٨٢هـ)^(٤).

(٦٤) ٦٨٢ «أسئلة في التحصيل»^(٥) (٩٢/١)، (٤٠٦/٦). له.

(٦٥) ٦٨٢ «رسالة في أمثلة التعارض في الأصول» (٨٤٨/١)، (٤٠٦/٦)^(٦).

له.

(٦٦) ٦٨٥ «شرح منتخب المحصول في الأصول»^(٧) (٥٦٩/٤). لعبد الله بن

عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي، أبي سعيد،

ناصر الدين، ويُعرف بالقاضي. عالم بالفقه والتفسير والعربية والمنطق،

وغيرها، تولى القضاء. توفي بتريز سنة (٦٨٥هـ)^(٨).

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة ولب اللباب (٢٢٦).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (١٥٥/١٢)، و«طبقات السبكي» (٣٧١/٨)، و«طبقات الشافعية

للأسنوي» (١٥٥/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٥٧/٢)، و«الأعلام» (١٦٦/٧)

(٣) بتحقيق عبد الحميد علي أبو زيد.

(٤) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٥) انظر مقدمة الدكتور عبد الحميد علي أبو زيد: لـ «التحصيل من المحصول» (٦٤).

(٦) انظر: المصدر السابق (٦٢).

(٧) انظر: «الفتح المبين» (٨٨/٢)، و«البداية والنهاية» (٣٢٧/١٣).

(٨) انظر ترجمته في: «طبقات السبكي» (١٥٧/٨) و«طبقات الأسنوي» (٢٨٣/١) و«شذرات الذهب

(٣٩٢/٥)، و«معجم المؤلفين» (٩٧/٦)، و«الأعلام» (١١٠/٤)، و«طبقات الشافعية» لابن

شعبة (٢٨/٢)، و«البداية والنهاية» (٣٢٧/١٣)، و«الفتح المبين» (٨٨/٢).

(٦٧) ٦٨٥ «مرصاد الأفهام إلى مبادئ الأحكام شرح مختصر ابن الحاجب»^(١)
(١٨٥٤/٢). له.

(٦٨) ٦٨٥ «منهاج الوصول إلى علم الأصول»^(٢) (١٨٧٨ / ٢)،
(٤٦٢/٥ - ٤٦٣) (ط)^(٣). له.

(٦٩) ٦٨٨ «الكاشف عن المحصول»^(٤) (١٦١٥/٢) (حقيق)^(٥) محمد بن محمود
ابن محمد بن عباد، الأصفهاني^(٦)، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله.
كان إماماً في المنطق، والكلام، والأصول، والجدل، متديناً، ورعاً،
ذا نعمة عالية، كثير العبادة. توفي بالقاهرة سنة (٦٨٨هـ)^(٧).

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة: (٢٨/٢ - ٢٩).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين»: (٩٧/٦ - ٩٨)، و«الفتح المبين»: (٨٨/٢)، و«الأعلام»: (١١٠/٤)،
و«طبقات الشافعية» للسبكي: (١٥٧/٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٨/٢)،
و«شذرات الذهب»: (٣٩٣/٥)، و«البداية والنهاية»: (٣٢٧/١٣).

(٣) بتحقيق سمير طه المجذوب.

(٤) انظر: «معجم المؤلفين» (٧/١٢)، و«الأعلام» (٨٧/٧)، و«حسن المحاضرة» (٥٤٢/١)،
و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٠٠/٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة: (٥٥/٢)،
و«شذرات الذهب» (٤٠٦/٥)، و«الفتح المبين» (٩٠/٢)، و«فوات الوفيات» (٥٢٣/٢)،
و«بغية الوعاة» (٢٤٠/١)، و«الفوائد البهية» (١٩٨).

(٥) في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. انظر: دليل الرسائل (١٠٢-١٠٤).

(٦) بكسر أوله وفتحها وفتح الفاء، ويقال: أصبهان، وهي مدينة كبيرة من مدن إيران اليوم.

انظر: لب اللباب (١٧)، ومعجم أماكن الفتوح (٦٨٧)، والأنساب (٢٨٤/١).

(٧) انظر ترجمته في «معجم المؤلفين» (٧/١٢)، و«الأعلام»: (٨٧/٧)، و«حسن المحاضرة»
(٥٤٢/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٠٠/٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة
(٥٥/٢)، و«شذرات الذهب» (٤٠٦/٥)، و«الفتح المبين» (٩٠/٢)، و«فوات الوفيات»
(٥٢٣/٢)، و«بغية الوعاة» (٢٤٠/١)، و«الفوائد البهية» (١٩٨).

(٧٠) ٦٩٠ «شرح الورقات»^(١) (٢/٢٠٠٦)، (٥/٥٢٥-٥٢٦) (مخ)^(٢).

لعبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء، الشافعي، تاج الدين،
أبي محمد، المعروف بالفركاح. كان فقيهاً، محدثاً، أصولياً،
مفسراً، ديناً، كريماً، حسن الخلق والمعاشرة. توفي بدمشق سنة
٦٩٠هـ)^(٣).

(٧١) ٦٩١ «المختصر في الأصول»^(٤) (٥/١٠٠). لأحمد بن عيسى بن رضوان،

الشافعي، كمال الدين، أبي العباس، المعروف بابن القليوبي. فقيه،
أصولي، أديب، متصوف، ولي قضاء المحلة.
توفي بعد سنة (٦٩١هـ)^(٥).

(٧٢) ٦٩١ «نهج الوصول إلى علم الأصول»^(٦) (٢/١٩٩١)، (٥/١٠٠). له.

(١) انظر: «الأعلام» (٣/٢٩٣)، و«معجم المؤلفين» (٥/١١٣)، و«الفتح المبين» (٢/٩٢)،
و«طبقات الشافعية» للسبكي (٨/١٦٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢/٣٢)،
و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (٢/٢٨٨).

(٢) له نسخ في التيمورية برقم (١١١)، وسوهاج ٢٠ أصول، ومكتبة كوبر يلي برقم ٥١٦.

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (٨/١٦٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة

(٢/٢٩)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢/٢٨٧)، و«شذرات الذهب» (٥/٤١٣)،

و«معجم المؤلفين» (٥/١١٢) و«الأعلام» (٣/٢٩٣)، و«الفتح المبين»: (٢/٩٢).

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٨/٢٣-٢٤)، و«الفتح المبين» (٢/٩٣).

(٥) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٢/٣٨)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٨/٢٣)،

و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢/٢١)، و«الفتح المبين» (٢/٩٣)، و«طبقات الشافعية»

للأسنوي (٢/٣٢٧).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين»: (٢/٣٨)، و«طبقات الشافعية» للسبكي: (٨/٢٣)، و«طبقات

الشافعية» لابن شعبة: (٢/٢١-٢٢)، و«الفتح المبين»: (٢/٩٣).

- (٧٣) ٧٠٢ «شرح عنوان الوصول إلى علم الأصول»^(١) (١١٧٦/٢). لمحمد ابن علي بن وهب بن مطيع، المنفلوطي، ثم القوصي، المصري، المالكي، ثم الشافعي، المعروف بابن دقيق العيد، تقي الدين، أبي الفتح. كان محدثاً، فقيهاً، حافظاً، أصولياً، أديباً، نحويّاً، شاعراً، خطيباً، مجتهداً مطلقاً؛ له اليد الطولى في سائر الفنون. توفي - رحمه الله - بالقاهرة سنة (٧٠٢هـ)^(٢).
- (٧٤) ٧٠٢ «شرح مقدمة المطرزي في الأصول»^(٣) (١٤٠/٦). له.
- (٧٥) ٧٠٦ «كاشف الرموز ومظهر الكنوز»^(٤) (شرح مختصر المنتهى) (١٨٥٥/٢)، (٥٨١/٥) (حقيق)^(٥). لعبد العزيز بن محمد بن علي الطوسي الشافعي، الملقّب بضياء الدين الفقيه. تولّى التدريس بدمشق، تخرّج على يديه كثيرٌ من طلبة العلم؛ وقد كان مهيباً من الحكّام والأمراء والأعيان.

- (١) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٢١٢/٩)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٨٦/٢)، و«حسن المحاضرة» (٣١٨/١)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (٢٢٩/٢).
- (٢) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي: (٢٠٧/٩)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة: (٨٤/٢)، و«الديباج المذهب»: (٣١٨/٢)، و«حسن المحاضرة»: (٣١٧/١)، و«البداية والنهاية» (٢٨/١٤)، و«شذرات الذهب» (٥/٦)، وتذكرة الحفاظ (١٤٨١/٢)، و«الفتح المبين» (١٠٢/٢)، و«معجم المؤلفين» (٧٠/١١).
- (٣) انظر: «معجم المؤلفين»: (٧٠/١١)، و«الفتح المبين»: (١٠٣/٢)، و«تذكرة الحفاظ»: (١٤٨٢/٢)، و«البدر الطالع»: (٢٢٩/٢).
- (٤) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٦٠/٥)، و«الدارس في تاريخ المدارس» (٣٥٩/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٨٥/١٠)، و«شذرات الذهب» (١٤/٦)، و«الفتح المبين» (١٠٤/٢)، و«البداية والنهاية» (٤٥/١٤)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٨١/٢).
- (٥) في جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٧هـ.

توفي في دمشق سنة (٧٠٦هـ) (١).

(٧٦) ٧١٠ «شرح مختصر ابن الحاجب» (٢) (١٨٥٣/٢)، (٤٠٦/٦) (حقيق) (٣).
 محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، الشيرازي الشافعي، قطب
 الدين. كان ملماً بالرياضيات، والمنطق، والهيئة، والطب، والتفسير،
 والفقه، والأصول؛ وكان كريماً، متطرحاً. قال السبكي في «طبقاته»: «
 (٣٨٦/١٠): «ولازمَ بالآخر الحديثَ سماعاً ونظراً...». توفي
 بتبريز سنة (٧١٠هـ) (٤).

(٧٧) ٧١١ «معراج المنهاج شرح منهاج الوصول للبيضاوي» (٥) (١٨٧٩/٢)،
 (١٤٢/٦، ١٨٧) (ط) (٦). محمد بن يوسف بن عبد الله بن
 محمود الجزري (٧)، المصري، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله.

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٠٢/١٢)، و«البدرد الطالع» (٢٩٩/٢)، و«الأعلام» (١٨٨/٧)،
 و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٢٠/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٩٢/٢)،
 و«طبقات الشافعية» للسبكي: (٣٨٦/١٠)، و«الفتح المبين»: (٢١٠/٢).

(٣) حقيق من قبل ثلاثة من طلاب مرحلة الماجستير في الجامعة الإسلامية في عام ١٤١٦هـ.

(٤) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٨٦/١٠)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي
 (١٢٠/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٩١/٢)، و«البدرد الطالع» (٢٩٩/٢)،
 و«الأعلام» (١٨٧/٧)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٢/١٢)، و«الفتح المبين» (٢٠٩/٢).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٨٩/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢٧٥/٩)،
 و«شذرات الذهب» (٤٢/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٣٨٤/١)، و«الأعلام»
 (١٥١/٧)، و«معجم المؤلفين»: (١٢٨/١٢).

(٦) بتحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل.

(٧) بفتحيتين نسبة إلى عدة بلاد منها الموصل وسنجار وحران والرها والرقعة وآمد... الخ.

انظر: لب اللباب (٦٤).

كان فقيهاً، عارفاً بالنحو، والبيان، والمنطق، والطب، أديباً، شاعراً، ذا مروءة. توفي بمصر سنة (٧١١هـ)^(١).

(٧٨) ٧١٤ «مختصر المحصول»^(٢) (١٦١٦/٢)، (٧١٦/٥) (مخ)^(٣). لعلي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب الشافعي، علاء الدين، المعروف بالباجي. فقيه، أصولي، محدث، متكلم، أشعري جلد؛ وكان يبحث مع الكبير والصغير إلا أنه كان قليل المطالعة جداً، ولا يكاد يراه أحدًا ناظرًا في كتاب. توفي بالقاهرة سنة (٧١٤هـ)^(٤).

(٧٩) ٧١٤ «غاية السؤل في أصول الفقه»^(٥) (١١٩٢/٢) (مخ)^(٦). له.

(٨٠) ٧١٥ «حل العقد والعقل في شرح مختصر السؤل والأمل»^(٧) (١٨٥٥/٢) (مخ)^(٨). لحسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني، الموصلبي، الشافعي، ركن الدين، أبي الفضائل، أبي محمد. كان علامةً، متكلمًا،

(١) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة.

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٧٩/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٤١/١٠)، و«معجم المؤلفين»: (٢٠٩/٧)، و«الفتح المبين»: (١١٣/٢).

(٣) له نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٢٠٩ مجاميع.

(٤) انظر ترجمته في: «حسن المحاضرة» (٥٤٤/١)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢٨٦/١)، و«شذرات الذهب» (٣٤/٦)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٨/٧)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٣٩/١٠)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٧٨/٢)، و«الفتح المبين» (١١٣/٢)، و«الدرر الكامنة» (١٠١/٣)، و«الأعلام» (٣٣٤/٤).

(٥) انظر: «الأعلام» (٣٣٤/٤)، و«الفتح المبين» (١١٣/٢).

(٦) له نسخة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ٣١١.

(٧) انظر: طبقات السبكي (٤٠٧/٩)، و«طبقات ابن شهبة» (٦٩/٢) والأعلام (٢١٥/٢).

(٨) نص على ذلك الزركلي في الأعلام (٢١٥/٢).

نحوياً؛ وكان جليل المقدار، معظماً عند ملوك الزمان، حسن السمّت والطالع. توفي بالموصل سنة (٧١٥هـ)^(١)

(٨١) ٧١٥ «نهایة الوصول إلى علم الأصول»^(٢) (١٩٩١/٢)، (١٤٣/٦) (مخ)^(٣) لمحمد بن عبد الرحيم بن محمد الهندي، الأرموي، الشافعي، صفّي الدين، أبي عبد الله. فقيه، أصولي، متكلم على مذهب الأشعري، وكان يحفظ ربع القرآن؛ دارت بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مناظرة سُجن بسببها. توفي بدمشق سنة (٧١٥هـ)^(٤).

(٨٢) ٧١٨ «شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي»^(٥) (١٨٧٩/٢)، (١٤٤/٦). لمحمد بن محمد الواسطي، الشافعي، غياث الدين. فقيه، أصولي، محدّث. توفي سنة (٧١٨هـ)^(٦).

(٨٣) ٧٢٩ «شرح مختصر ابن الحاجب»^(٧) (١٨٨٥/٢)، (١٤/٥). لإبراهيم بن

(١) انظر ترجمته في طبقات السبكي (٤٠٧/٩)، وطبقات ابن شهبة (٦٨/٢) وشذرات الذهب (٣٥/٦)، و«معجم المؤلفين» (٢٨٣/٣)، و«الأعلام» (٢١٥/٢).

(٢) انظر: «الفتح المبين» (١١٦/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٦٢/٩)، و«البدر الطالع» (١٨٧/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٨٣/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٦١/١٠).

(٣) له نسخة في التيمورية برقم (٥٧) أصول، وأخرى في مكتبة جاز الله بتركيا برقم ٥٦٦، ونسخة مصورة من مكتبة أحمد الثالث في الجامعة الإسلامية برقم ٤١٦.

(٤) انظر ترجمته في: «الدارس في تاريخ المدارس» (٩٧/١)، و«شذرات الذهب» (٣٧/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٥٣٤/٢)، و«البداية والنهاية» (٧٧/١٤)، و«الفتح المبين» (١١٦/٢)، و«البدر الطالع» (١٨٧/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٨٢/٢).

(٥) انظر: «معجم المؤلفين»: (٣٠٩/١١).

(٦) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٧) انظر: «معجم المؤلفين»: (٤٣/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٩٤/٢)، و«شذرات

عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء، الشافعي، المعروف بابن الفركاح، برهان الدين، أبي إسحاق. انتهت إليه معرفة مذهب الشافعية، ودقائقه، ووجوهه، مع علم متون الأحكام، وعلم الأصول، والعربية؛ وكان حسن السميت والتواضع. توفي في دمشق سنة (٧٢٩هـ)^(١).

٧٢٩ (٨٤) «مختصر المعالم في الأصول»^(٢) (٧١٧/٥). لعلي بن إسماعيل بن يوسف، الشافعي، الملقب بعلاء الدين، أبي الحسن. فقيه، متكلم، أصولي، أديب؛ تخرج عليه علماء الديار المصرية من الطوائف كلها. توفي بدمشق سنة (٧٢٩هـ)^(٣).

٧٣٢ (٨٥) «المعتبر في اختصار المختصر لابن الحاجب»^(٤) (١٨٥٦/٢) (١٤/٥). لإبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل، الخليلي، الشافعي، المكتى بأبي العباس، الملقب في بغداد بتقي الدين، وفي غيرها ببرهان الدين، المعروف بابن السراج، السلفي. كان من المشايخ المشهورين بالفضائل، والرياسة، والخير، والديانة، والعفة، والصيانة، كان إماماً في القراءات، عارفاً بالفقه والعربية. توفي ببلد الخليل

= الذهب» (٨٨/٦)، و«الأعلام» (٤٥/١)، و«الفتح المبين» (١٣٥/٢).

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (١٢٥/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٣٤/١٠)،

و«الفتح المبين»: (١٣٤/٢).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (١٢٤/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي

(١٣٢/١٠)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٣٣٤/٢)، و«شذرات الذهب» (٩٠/٦)،

و«البدية والنهاية» (١٥٣/١٤)، و«الدر الطالع» (٤٣٩/١)، و«الفتح المبين» (١٣٤/٢)،

و«الأعلام» (٢٦٤/٤)، و«معجم المؤلفين» (٣٧/٧).

(٤) انظر: «الفتح المبين»: (١٣٨/٢).

بفلسطين سنة (٧٣٢هـ)^(١).

(٨٦) ٧٣٨ «شرح مختصر المنتهى لابن الحاجب»^(٢) (١٨٥٦/٢). لعثمان بن عبد الملك الكردي، المصري، الشافعي. فقيه، أصولي، محدث. توفي سنة (٧٣٨هـ)^(٣).

(٨٧) ٧٣٩ «شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول»^(٤) (٦٥٥/٥). لعثمان بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف الطائي، الشافعي، فخر الدين، أبي عمر، المعروف بابن خطيب جبرين. فقيه، أصولي، مقري، فرضي، لغوي، نحوي، بياني؛ ولي قضاء حلب. توفي بالقاهرة سنة (٧٣٩هـ)^(٥).

(٨٨) ٧٤٣ «شرح المنهاج للبيضاوي»^(٦) (١٨٧٩/٢)، (٦٤٩/٥) (مغ)^(٧).

(١) انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» (١٦٧/١٤)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٩٨/٩)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٣٨٥/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٩٧/٢)، و«شذرات الذهب» (٩٧/٦)، و«معجم المؤلفين» (٦٩/١)، و«الأعلام» (٥٥/١)، و«الفتح المبين» (١٣٨/٢).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٦١/٦).

(٣) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٤) انظر: معجم المؤلفين (٢٦٢/٦) و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (١٢١/٢) و«البدري الطالع» (٤١٢/١) و«شذرات الذهب» (٩٤/٦) و«طبقات الشافعية للأسنوي» (٣٩٣/١) و«طبقات الشافعية للسبكي» (١٢٦/١٠) و«البداية والنهاية» (١٩٦/١٤)، و«الأعلام» (٢١٠/٤). (٥) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٦) انظر: «الفتح المبين»: (١٤٩/٢)، و«معجم المؤلفين»: (١٣٦/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (١٨٤/٢)، و«البدري الطالع»: (٤١٢/١)، و«شذرات الذهب»: (١٣٩/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (٢٣٦/٢).

(٧) له نسخة في التيمورية برقم (١٧٦)، أخرى في كتبخانه داماد برقم ٤٧٠، وثالثة في قليج على باشا برقم ٣٠٩، ورابعة في مكتبة الوزيري يزد بإيران برقم ١١١٦٠.

لعبيد الله بن محمد بن غانم بن أظهر العبيدي، الحسيني، الحنفي، الشافعي، برهان الدين، المعروف بالعبري - بضم العين وسكون الباء نسبة إلى عبّرة بطن من الأزرد -. فقيه، أصولي، متكلم، قاضٍ، مشاراً إليه في جميع الفنون، له ميل إلى مذهب الشيعة. توفي بتبريز سنة (٧٤٣هـ) (١).

(٨٩) ٧٤٥ «شرح منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب» (٢) (١٨٥٥/٢)، (١٥٣/٦). ل محمد بن مظفر الدين الشافعي، المعروف بالخلخالي (٣)، ويُعرف بالخطيبي، شمس الدين. كان إماماً في العلوم العقلية والنقلية، ذا تصانيف كثيرة مشهورة. توفي بأران (٤) سنة (٧٤٥هـ) (٥).

(٩٠) ٧٤٦ «السراج الوهاج في شرح المنهاج» (٦) (١٨٧٩/٢)، (١٠٨/٥)

(١) انظر ترجمته في: «الفتح المبين» (١٤٩/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٣٦/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (١٨٤/٢)، و«البدر الطالع»: (٤١٢/١)، و«شذرات الذهب»: (١٣٩/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (٢٣٦/٢)، ولب الباب (١٧٥).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٣٨/١٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢١٩/٢)، و«شذرات الذهب» (١٤٤/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٥٠٥/١)، و«الأعلام» (١٠٥/٧).

(٣) بفتح المعجمتين وسكون اللام الأولى نسبة إلى خَلْخَال، مدينة بطرف أذربيجان. انظر: لب الباب (٩٥).

(٤) ولاية شاسعة كانت شمال أذربيجان وغربها من أرمينية يفصل بينها وبين أذربيجان نهر أرس. انظر: معجم أماكن الفتوح (٦٨٣).

(٥) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٣٨/١٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢١٩/٢)، و«شذرات الذهب» (١٤٤/٦) و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٥٠٥/١) و«الأعلام» (١٠٥/٧).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (١٩٨/١) و«البدر الطالع» (٤٧/١) و«شذرات الذهب» (١٤٨/٦)، و«طبقات ابن شهبة» (١٦٣/٢) و«الفتح المبين» (١٥٢/٢) و«الأعلام» (١١١/١).

- (ط) (١). لأحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي، التبريزي، الشافعي، فخر الدين، أبي المكارم. كان إماماً، ديناً، وقوراً، مواظباً على الإشغال والاشتغال والتصنيف. توفي بتبريز سنة (٥٧٤٦هـ) (٢).
- (٩١) ٧٤٩ «بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب» (٣) (١٨٥٥/٢)، (٤٠٩/٦) (ط) (٤). محمود بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي الأصبهاني، الشافعي، شمس الدين، أبي الشاء. مفسر، أصولي، منطقي، متكلم، صوفي، نحوي، عروضي. توفي بالقاهرة، ودُفِنَ بالقرافة سنة (٧٤٩هـ) (٥).
- (٩٢) ٧٤٩ «شرح منهاج الأصول للبيضاوي» (٦) (١٨٧٩/٢)، (٤٠٩/٦) (ط) (٧) له.
- (٩٣) ٧٤٩ «نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول للبيضاوي» أو «نهاية

(١) بتحقيق الدكتور أكرم أوزيقان.

(٢) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٨٤/١٠)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٢٥/٢)

و«الدرر الكامنة» (٣٢٨/٤)، و«البدر الطالع» (٢٩٨/٢)، و«شذرات الذهب» (١٦٥/٦)

و«معجم المؤلفين» (١٧٣/١٢)، و«الأعلام» (١٧٦/٧)، و«الفوائد البهية» (١٩٨).

(٤) بتحقيق الدكتور محمد مظهر بقا.

(٥) انظر ترجمته في: «طبقات السبكي» (٣٨٣/١٠)، و«طبقات ابن شعبة» (٢٢٤/٢)، و«الدرر

الكامنة» (٣٢٧/٤) و«طبقات الأسنوي» (١٧٢/١)، و«البدر الطالع» (٢٩٨/٢)، و«معجم

المؤلفين» (١٧٣/١٢)، و«الأعلام» (١٧٦/٧)، و«الدارس» (٢٠٥/١)، و«الفتح المبين

(١٥٨/٢)

(٦) انظر: «الفتح المبين» (١٥٨/٢)، و«الفوائد البهية» (١٩٨)، و«شذرات الذهب» (١٦٥/٦)، و«طبقات

الشافعية لابن شعبة» (٢٢٥/٢)، و«البدر الطالع» (٢٩٨/٢)، و«الأعلام» (١٧٦/٧).

(٧) بتحقيق الدكتور عبدالكريم بن علي النملة.

الوصول في... إلخ» أو «حقائق الأصول في... إلخ»^(١) (١٨٧٩/٢) (مخ)^(٢). لفرج بن محمد بن أحمد بن أبي الفرج، الشافعي، نور الدين، أبي محمد. كان فاضلاً، مجموعاً على نفسه، من أكثر أهل العلم اشتغلاً بالعلم، وكان ذا همّة في الطلب عالية، متواضعاً، عالماً بالفقه وأصوله. توفي بدمشق بسبب الطاعون، ودُفن بمقبرة الباب الصغير سنة (٧٤٩هـ)^(٣).

٧٥٥ (٩٤) «شرح مختصر المنتهى لابن الحاجب»^(٤) (١٨٥٦/٢)، (٧٢٠/٥).
 لعلي بن الحسين بن القاسم بن منصور بن علي الموصلي، الشافعي، زين الدين، أبي الحسن، المعروف بابن شيخ العوينة. فقيه، أصولي، أديب، ناظم، ناثر، نحوي. توفي بالموصل سنة (٧٥٥هـ)^(٥).
 ٧٥٦ (٩٥) «شرح مختصر ابن الحاجب»^(٦) (٢١٤/٥). لإسماعيل بن يحيى بن إسماعيل التميمي، الشيرازي، الشافعي، مجد الدين، أبي إبراهيم.

-
- (١) انظر: «الفتح المبين»: (١٥٩/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبه: (١٩٩/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٨٠/١٠)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٧٥/١)، و«الدارس في تاريخ المدارس»: (١٧٢/١)، و«معجم المؤلفين»: (٥٨/٨).
- (٢) له نسخة في التيمورية برقم (١٣٢)، وأخرى في مكتبة أحمد ثالث برقم ١٣٤٢، وثالثة في يكي جامع برقم ٩٠، ورابعة في دار الكتب المصرية برقم ١٣٢.
- (٣) انظر ترجمته في المصادر السابقة.
- (٤) انظر: «البدر الطالع» (٤٤٣/١)، و«شذرات الذهب» (١٧٨/٦)، و«بغية الوعاة» (١٦١/٢)، و«معجم المؤلفين» (٧٧/٧)، و«الأعلام» (٢٨٠/٤)، و«الفتح المبين» (١٦٥/٣).
- (٥) انظر ترجمته في المصادر السابقة.
- (٦) انظر: «الفتح المبين» (١٦٧/٢)، و«طبقات» السبكي (٤٠٢/٩)، و«شذرات الذهب» (١٨٠/٦)، و«معجم المؤلفين» (٢٩٩/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبه (١٧١/٢).

فقيهه، أصولي، صوفي.

توفي في شيراز سنة (٧٥٦هـ)^(١).

(٩٦) ٧٥٦ «شرح مختصر المنتهى»^(٢) (١٨٥٣/٢)، (٥٢٧/٥) (ط)^(٣). لعبد

الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي^(٤)، الشافعي، الملقَّب بعضد الدين. أصولي، منطقي، متكلم، أديب.

توفي مسجوناً في قلعة بالقرب من إيج سنة (٧٥٦هـ)^(٥).

(٩٧) ٧٥٦ «في تقييد التراجيح»^(٦) (١٠٩٠/٢). لعلي بن عبد الكافي بن علي

ابن تمام بن يوسف بن موسى السبكي^(٧)، الشافعي، أبي الحسن، الملقَّب بتقي الدين. فقيهه، مفسر، أصولي، نحوي، لغوي، جدي.

توفي بمصر سنة (٧٥٦هـ)^(٨).

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٢) انظر: الفتح المين (١٦٦/٢)، وطبقات ابن شهبة (١٧٩/٢)، وطبقات السبكي (٤٦/١٠)

وطبقات الأسنوي (٢٣٨/٢)، وشذرات الذهب (١٧٤/٦)، ومعجم المؤلفين (١١٩/٥).

(٣) بمراجعة الدكتور شعبان محمد إسماعيل.

(٤) بكسر الألف والياء والجيم نسبة إلى إيج، بلدة في فارس. انظر: لب اللباب (٢٣).

(٥) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة.

(٦) انظر: «حسن المحاضرة» (٣٢٢/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٠٩/١٠).

(٧) بضم السين وسكون الباء نسبة إلى سُبُك قرية بمصر. انظر: لب اللباب (١٣٢).

(٨) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٣٩/١٠)، و«البيدر الطالع» (٤٦٧/١)،

و«شذرات الذهب» (١٨٠/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (١٩٠/٢)، و«حسن

المحاضرة» (٣٢١/١)، و«معجم المؤلفين» (١٢٧/٧)، و«الفتح المين» (١٦٨/٢)،

و«الأعلام» (٣٠٢/٤)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٧٥/٢)، و«المدارس في تاريخ

المدارس» (١٠٠/١).

٩٨ (٧٥٦) «الإمّاج في شرح المنهاج»^(١) (٧٢٠/٥ - ٧٢١) (ط)^(٢) له. حيث وصل فيه إلى أول مباحث الواجب ثم أمّه ابنه تاج الدين عبدالوهاب السبكي.

٩٩ (٧٥٦) «رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب»^(٣) (٧٢٠/٥ - ٧٢١) له. ١٠٠ (٧٥٧) «شرح المعالم للرازي»^(٤) (١٧٢٧/٢) (٧٢٢/٥). لعلي بن الحسين بن علي بن الحسين بن خلف بن محمد الحسيني، الأرموي، الشافعي، شرف الدين، أبي الحسن، المعروف بابن قاضي العسكر. من أذكاء العالم، كثير المروءة، أديب، بارع في الفقه، والأصول، والعربية. توفي بدمشق (قيل: سنة ٧٤٨، وقيل: ٧٦٨، وقيل: ٧٥٧هـ)^(٥).

١٠١ (٧٥٧) «شرح المعالم للرازي»^(٦) (١٧٢٧/٢)، (١٦/٥). لإبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المناوي^(٧)، الشافعي، شرف الدين. كان عالماً، فاضلاً، ديناً، ثبّتاً، فقيهاً، قاضياً. توفي بمصر سنة (٧٥٧هـ)^(٨).

(١) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٠٧/١٠)، و«الفتح المبين» (١٦٩/٢).

(٢) بتحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل.

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٠٧/١٠).

(٤) انظر: معجم المؤلفين (٧٥/٧) والفتح المبين (١٧٠/٢) وطبقات ابن شهبة (١٨٦/٢).

(٥) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (٧٥/٧) وشذرات الذهب (١٨٣/٦) والفتح المبين (١٧٠/٢).

وطبقات ابن شهبة (١٨٥/٢) وطبقات اسبكي (١٣٧/١٠) وحسن المحاضرة (٣٩٦/١).

(٦) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (١٥٨/٢).

(٧) بضم الميم نسبة إلى مُنيّة أبي الحُصيّب في صعيد مصر. انظر: لب اللباب (٢٥٣) ومعجم

البلدان (٢٥٣/٥).

(٨) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (١٥٧/٢)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي =

- ١٠٢ (٧٥٨) «شرح مختصر ابن الحاجب»^(١) (١٨٥٦/٢)، (١٦٠/٦).
 محمود بن علي بن إسماعيل بن يوسف التبريزي، المصري،
 الشافعي، محب الدين، أبي الثناء. كان عالماً بالفقه وأصوله،
 فاضلاً في العربية والمعاني والبديع.
 توفي بالقاهرة سنة (٧٥٨هـ)^(٢).
- ١٠٣ (٧٦١) «تنقيح - وقيل: تلقيح - الفهوم في صيغ العموم»^(٣) (٥٠٠/١)،
 (٣٥١/٥) (ط)^(٤). لخليل بن كيكليدي بن عبد الله العلاتي،
 الدمشقي، الشافعي، صلاح الدين، أبي سعيد. محدث، فقيه،
 أصولي، بَحَاث، نَظَّار، أديب، متكلم، أشعري.
 توفي بالقدس سنة (٧٦١هـ)^(٥).

= (٤٦٦/٢)، و«معجم المؤلفين» (١١/١).

- (١) انظر: «الفتح المبين» (١٧١/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٢٦/٢)، و«شذرات
 الذهب» (١٨٦/٦ - ١٨٧)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٨٤/١٠)، و«طبقات
 الشافعية» للأسنوي (٣٣٧/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٨١/١٢).
- (٢) انظر ترجمته في المصادر السابقة.
- (٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٤٥/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٦/١٠)
 و«شذرات الذهب» (١٩١/٦)، و«الفتح المبين» (١٧٥/٢)، و«ذيل تذكرة الحفاظ» (٤٥).
- (٤) بتحقيق عبدالله بن محمد آل الشيخ.
- (٥) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٤٢/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي
 (٣٥/١٠)، و«شذرات الذهب» (١٩٠/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢٣٩/٢)،
 و«الأعلام» (٣٢١/٢)، و«البدر الطالع» (٢٤٥/١)، و«المدارس في تاريخ المدارس»
 (٤٦/١)، و«معجم المؤلفين» (١٢٦/٤)، و«الفتح المبين» (١٧٥/٢)، و«ذيل تذكرة
 الحفاظ» (٤٣).

١٠٤ (٧٦١) «تفصيل الإجمال في تعارض الأقوال والأفعال»^(١) (٣/٣١٠)،
(٣٥١/٥) (حقوق)^(٢) له.

١٠٥ (٧٦٤) «شرح المنهاج»^(٣) (٢/١٨٨٠). محمد بن الحسن بن علي بن
عمر القرشي، الأموي، المصري، الشافعي، عماد الدين. فقيه،
أصولي، متكلم، صوفي، بَحَاث، نظَّار، فصيح، جدلي. توفي
بالقاهرة سنة (٧٦٤هـ)^(٤).

١٠٦ (٧٦٤) «شرح مختصر ابن الحاجب»^(٥) (٢/١٨٥٦)، (٦/٥٠٣).
هارون - وقيل: بهاء الدين، وقيل: عبد الوهاب - بن عبد الولي
ابن عبد السلام المراغي الأصل، الشافعي. فقيه، أصولي،
متكلم، له اشتغال بالفلسفة والمعقولات. توفي بالطاعون في
دمشق سنة (٧٦٤هـ)^(٦).

(١) انظر: «الدارس في تاريخ المدارس» (١/٤٦)، و«ذيل تذكرة الحفاظ» (٤٥)، و«الفتح

المبين» (٢/١٧٥)، و«معجم المؤلفين» (٤/١٢٦).

(٢) حققه عبدالرحمن المطير في مرحلة الماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

(٣) انظر: «الدرر الكامنة» (٣/٤٢٢)، و«الأعلام» (٦/٨٧)، و«الفتح المبين» (٢/١٧٧).

(٤) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للأسنوي (١/١٨٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة

(٢/٢٧١)، و«شذرات الذهب» (٦/٢٠٢)، و«حسن المحاضرة» (١/٤٢٩)، و«معجم

المؤلفين» (٩/٢٠٤)، و«الأعلام» (٦/٨٧).

(٥) انظر: «الدرر الكامنة» (٤/٣٩٩)، و«شذرات الذهب» (٦/٢٠١)، و«الأعلام» (٨/٦١)،

و«معجم المؤلفين» (١٣/١٢٩).

(٦) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٠/١٢٣)، و«طبقات الشافعية» لابن

شعبة (٢/٢٥٤)، و«الدرر الكامنة» (٤/٣٩٨)، و«شذرات الذهب» (٦/٢٠١)،

و«الأعلام» (٨/٦١)، و«معجم المؤلفين» (١٣/١٢٩)، و«الفتح المبين» (٢/١٧٩).

- (١٠٧) ٧٧١ «جمع الجوامع في أصول الفقه»^(١) (٥٩٥/١)، (٦٣٩/٥)
 (ط)^(٢). لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام
 السبكي، الشافعي، تاج الدين، أبي نصر. فقيه، أصولي،
 مؤرّخ، تولى القضاء وامتحن فيه مراراً، ودرّس في مصر والشام
 بمدارس كبار.
 توفي بالطاعون بدمشق في ذي الحجة سنة (٧٧١هـ)^(٣)
 (١٠٨) ٧٧١ «رفع الحاجب عن شرح مختصر ابن الحاجب»^(٤) (١٨٥٥/٢)،
 (٦٣٩/٥) (ط)^(٥). له.
 (١٠٩) ٧٧١ «تكملة الإبهام في شرح المنهاج للبيضاوي»^(٦) (١٨٧٩/٢)،
 (٦٣٩/٥) (ط)^(٧). له.

- (١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٥٨/٢)، و«حسن المحاضرة» (٣٢٨/١)
 و«شذرات الذهب» (٢٢٢/٦)، و«الفتح المبين» (١٨٥/٢)، و«الأعلام» (١٨٤/٤).
 (٢) انظر: معجم المطبوعات (١٠٠٣/١).
 (٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٥٦/٢)، و«حسن المحاضرة» (٣٢٨/١)
 و«شذرات الذهب» (٢٢١/٦)، و«البدر الطالع» (٤١٠/١)، و«الفتح المبين» (١٨٤/٢)،
 و«الأعلام» (١٨٤/٤)، و«معجم المؤلفين» (٢٢٥/٦).
 (٤) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٢٦/٦)، و«فهرس الفهارس» (١٠٣٧/٢)، و«حسن المحاضرة»
 (٣٢٨/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٥٨/٢)، و«شذرات الذهب» (٢٢٢/٦)،
 و«الفتح المبين» (١٨٥/٢)، و«البدر الطالع» (٤١٠/١).
 (٥) بتحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود.
 (٦) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٧) الإبهام في شرح المنهاج اشترك في تأليفه كل من علي بن عبد الكافي تقي الدين السبكي
 حيث وصل فيه إلى أول مباحث الأمر ثم أمه ابنه عبد الوهاب بن علي تاج الدين السبكي
 وقد قام الدكتور شعبان محمد إسماعيل بتحقيقه، وقد كررت ذكر الكتاب لبيان من

- (١١٠) ٧٧١ «منع الموانع شرح جمع الجوامع»^(١) (٥٩٥/١) (ط)^(٢). له.
- (١١١) ٧٧٢ «التمهيد في تنزيل الفروع على الأصول»^(٣) (٤٨٤/١) (ط)^(٤).
- لعبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر الأسنوي، الشافعي، جمال الدين، أبي محمد. مؤرخ، مفسر، فقيه، أصولي، عالم بالعربية والعروض. توفي بمصر سنة (٧٧٢هـ)^(٥).
- (١١٢) ٧٧٢ «نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول»^(٦) (١٨٧٩/٢)، (٥٦١/٥) (ط)^(٧). له.
- (١١٣) ٧٧٣ «تكملة شرح المنهاج»^(٨) (١١٣/٥). لأحمد بن علي بن عبد الكافي ابن علي بن تمام السبكي، الشافعي، بهاء الدين، أبي حامد. فقيه، أصولي، كانت له اليد الطولى في علم اللسان: العربية،
-
- = تعاقب على تأليفه؛ لأنه لم ينفرد أي منهما بتأليفه فهو كتاب واحد اشترك في تأليفه اثنان فلكل منهما جهد فيه يحفظ له.
- (١) انظر: «الأعلام» (١٨٥/٤)، و«حسن المحاضرة» (٣٢٨/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٥٨/٢)، و«شذرات الذهب» (٢٢٢/٦)، و«الفتح المبين» (١٨٥/٢).
- (٢) بتحقيق الدكتور سعيد بن علي محمد الحميري.
- (٣) انظر: حسن المحاضرة (٤٣٠/١) والأعلام (٣٤٤/٣) ومعجم المؤلفين (٢٠٣/٥).
- (٤) بتحقيق محمد حسن هيتو.
- (٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٢٢٣/٦)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٣/٥)، و«الأعلام» (٣٤٤/٣)، و«البدرد الطالع» (٣٥٢/١)، و«الفتح المبين» (١٨٦/٢).
- (٦) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٢٥٢/٢)، و«البدرد الطالع» (٣٥٣/١)، و«حسن المحاضرة» (٤٢٩/١ - ٤٣٠)، و«الأعلام» (٣٤٤/٣)، و«الفتح المبين» (١٨٧/٢).
- (٧) ومعه كتاب سلم الوصول لشرح نهاية السؤل للشيخ محمد بن حنيت المطيعي.
- (٨) انظر: معجم المؤلفين (١٢/٢)، والبدرد الطالع (٨٢/١)، وحسن المحاضرة (٤٣٥/١).

والمعاني، والبيان. توفي بمكة سنة (٧٧٣هـ)^(١).

(١١٤) ٧٧٣ «شرح مختصر ابن الحاجب»^(٢) (١٨٥٥/٢)، (١١٣/٥). له.

(١١٥) ٧٧٦ «شرح منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل»^(٣)

(٥٧٢/٤)، (١٦٨/٦). ل محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد

ابن القاسم الحسيني، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله. فقيه،

أصولي، مفسر، متكلم، كان منجماً عن الناس وعن الفقهاء

خصوصاً. توفي بدمشق سنة (٧٧٦هـ)^(٤).

(١١٦) ٧٨٦ «شرح منتهى السؤال والأمل لابن الحاجب» «النقود

والردود»^(٥) (١٨٥٤/٢)، (١٧٢/٦) (حقيق)^(٦). ل محمد بن

يوسف بن علي بن سعيد الكرمانى^(٧) البغدادي الشافعي، شمس

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٣٠/٢)، و«شذرات الذهب» (٢٢٦/٦)،

و«البدر الطالع» (٨١/١)، و«معجم المؤلفين» (١٢/٢)، و«حسن المحاضرة» (٤٣٥/١)،

و«الأعلام» (١٧٦/١).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٣١/٢)، و«البدر الطالع» (٨٢/١)، و«معجم

المؤلفين» (١٣/٢)، و«الفتح المبين» (١٨٩/٢).

(٣) انظر: «شذرات الذهب» (٢٤٤/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٧١/٢)،

و«الأعلام» (٨٧/٦)، و«الفتح المبين» (١٩٦/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٩٨/٩).

(٤) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٥) انظر: «الفتح المبين» (٢٠٢/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٣٢/٢)، و«البدر

الطالع» (٢٩٢/٢)، و«شذرات الذهب» (٢٩٤/٦)، و«الأعلام» (١٥٣/٧).

(٦) في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من قبل ثلاثة من الباحثين لنيل شهادة الماجستير.

انظر: دليل الرسائل العلمية بالجامعة الإسلامية (١٠٦).

(٧) بفتح أوله - وهو الأشهر - وربما كسرت ثم سكون، نسبة إلى كرمان، وهي ولاية كبيرة

وناحية مشهورة بين إيران وأفغانستان.

انظر: لب اللباب (٢٢١) ومعجم البلدان (٥١٥/٤) ومعجم أماكن الفتوح (٧٧٠).

الدين. فقيه، أصولي، محدث، مفسر، نحوي، بياني؛ كان مشاركاً إليه بالعراق وتلك البلاد في العلم، مقبلاً على شأنه، قانعاً باليسير، شريف النفس، متواضعاً.
توفي ببغداد سنة (٧٨٦هـ)^(١).

(١١٧) ٧٨٦ «الكواشف البرهانية بعلم أصول الفقه»^(٢) (١٨٥٤/٢). له.

(١١٨) ٧٨٨ «تدقيق الوصول إلى تحقيق - أو: علم - الأصول»^(٣) (٣٨٢/١)، (٣٨٢/٥ - ٣٨٣). لسريجاً بن محمد بن سريجا بن أحمد، المارديني^(٤)، الشافعي، زين الدين. عالم بالقراءات، والمنطق، والأدب، الفقه، وغير ذلك.
توفي بماردين سنة (٧٨٨هـ)^(٥).

(١١٩) ٧٨٨ «مستقصى الوصول إلى مستقصى الأصول»^(٦) (١٦٧٥/٢)، (٣٨٣/٥). له.

(١٢٠) ٧٨٨ «وسائل الوصول إلى مسائل الأصول»^(٧) (٢٠٠٨/٢)، (٣٨٣/٥). له.

(١) انظر ترجمته في المصادر المذكورة عند ذكر كتابه.

(٢) انظر: «الفتح المبين» (٢٠٢/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٢٩/١٢).

(٣) انظر: «معجم الأصوليين» (١١٨/٢).

(٤) بفتح أوله وكسر الراء والدال، نسبة إلى ماردين وهي بلدة مشهورة في تركيا اليوم، كان لها قلعة حصينة. انظر: لب اللباب (٢٣٣) ومعجم البلدان (٤٦/٥) ومعجم أماكن الفتوح (٧٧٥).

(٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٣٠١/٦)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٩/٤)، و«الأعلام» (٨٢/٣)، و«الدرر الكامنة» (١٣٠/٢).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (١١٨/٢).

(٧) انظر المصدر السابق.

- (١٢١) ٧٩٢ «مختصر التمهيد في تنزيل الفروع على الأصول للأسنوي»^(١)
 محمد بن سليمان بن عبد الله الصرخدي^(٢) الشافعي،
 شمس الدين، أبي عبد الله. فقيه، أصولي، نحوي، كان شديد
 التعصب للأشاعرة. توفي بدمشق سنة (٧٩٢هـ)^(٣).
- (١٢٢) ٧٩٢ «شرح منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل»^(٤)
 (٥٧٢/٤)، (١٧٤/٦). له.
- (١٢٣) ٧٩٤ «تشنيف المسامع في شرح جمع الجوامع»^(٥) (٥٩٥/١) (ط)^(٦).
 محمد بن بهادر بن عبد الله المصري، الزركشي، الشافعي، بدر
 الدين، أبي عبد الله. كان فقيهاً، أصولياً، أديباً، محدثاً، فاضلاً،
 درس وأفتى. توفي بالقاهرة سنة (٧٩٤هـ)^(٧).

- (١) انظر: «شذرات الذهب»: (٣٢٥/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٣١٧/٢)،
 و«الفتح المبين»: (٢٠٧/٢)، و«الدارس في تاريخ المدارس»: (١٦٨/١).
- (٢) نسبة إلى صَرَخَد بلدة بدمشق. انظر: لب الباب (١٦١) ومعجم البلدان (٤٥٥/٣).
- (٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٣١٦/٢)، و«الدارس في تاريخ المدارس»
 (١٦٨/١)، و«شذرات الذهب»: (٣٢٥/٦)، و«الفتح المبين»: (٢٠٧/٢)، و«الأعلام»: (١٥٠/٦)، و«معجم المؤلفين»: (٥٢/١٠).
- (٤) انظر: «الفتح المبين» (٢٠٧/٢).
- (٥) انظر: «الفتح المبين» (٢٠٩/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٢٠/٢)، و«شذرات
 الذهب» (٣٣٥/٦)، و«معجم المؤلفين» (١٢١/٩)، و«حسن المحاضرة»: (٤٣٧/١)،
 ومقدمة تحقيق «سلاسل الذهب»: (٤٨)، ومقدمة تحقيق «البحر المحيظ»: (١٥/١).
- (٦) بتحقيق الدكتور عبدالله ربيع، والدكتور سيد عبدالعزيز.
- (٧) انظر ترجمته في: طبقات ابن شهبة (٣١٩/٢) وشذرات الذهب (٣٣٥/٦) وحسن المحاضرة
 (٤٣٧/١) ومعجم المؤلفين (١٢١/٩) والأعلام (٦٠/٦)، والدرر الكامنة (٣٩٧/٣).

- ١٢٤ (٧٩٤) «البحر المحيط في الأصول»^(١) (٢٢٦/١)، (١٧٤/٦) (ط)^(٢) له.
- ١٢٥ (٧٩٤) «سلاسل الذهب»^(٣) (٩٩٥/٢)، (١٧٥/٦) (ط)^(٤) له.
- ١٢٦ (٧٩٧) «شرح منهاج الأصول إلى علم الأصول للبيضاوي»^(٥) (١٧٥/٦).
- محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي، البغدادي، الشافعي، المعروف بابن العاقولي، غياث الدين، أبي المكارم. كان مشاركاً في علوم عديدة، بارعاً في الحديث، والمعاني، والبيان، والأدب. توفي ببغداد سنة (٧٩٧هـ)^(٦).
- ١٢٧ (٨٠٤) «شرح مختصر المنتهى»^(٧) (١٨٥٦/٢). لعمر بن علي بن أحمد ابن محمد بن عبد الله الأنصاري، الأندلسي، المصري، الشافعي، سراج الدين، أبي حفص، المعروف بابن الملقن. فقيه، أصولي، محدث، حافظ، مؤرخ، صنف التصانيف الكثيرة في أنواع العلوم، واشتهرت في حياته، ونُقِلت إلى البلاد، ونفع الله بها. توفي بالقاهرة سنة (٨٠٤هـ)^(٨).

- (١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٢٠/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٢١/٩)، و«شذرات الذهب» (٣٣٥/٦)، و«الأعلام» (٦١/٦)، و«حسن المحاضرة» (٤٣٧/١).
- (٢) بتحقيق كل من: د. عمر سليمان الأشقر، د. عبدالستار أبو غدة، د. محمد سليمان الأشقر.
- (٣) انظر: «حسن المحاضرة» (٤٣٧/١)، و«طبقات المفسرين» للدودي (١٦٣/٢).
- (٤) بتحقيق الدكتور محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي.
- (٥) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٤٠/١١)، و«شذرات الذهب» (٣٥٢/٦)، و«الأعلام» (٤٣/٧).
- (٦) انظر ترجمته في المصادر السابقة.
- (٧) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٧٥/٢ - ٣٧٦)، و«البدر الطالع» (٥٠٩/١)، و«الفتح المبين» (٨/٣).
- (٨) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٤٤/٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٧٣/٢)، و«البدر الطالع» (٥٠٨/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٩٧/٧)، و«الفتح المبين» (٧/٣).

(١٢٨) ٨٠٤ «شرح المنهاج للبيضاوي»^(١) (١٨٧٩/٢)، (٧٩١/٥) (مخ)^(٢) له.

(١٢٩) ٨٠٤ «شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي»^(٣) (١٨٨٠/٢)، (٥٥٩/٦). ليوسف بن الحسن - وقيل: الحسين - بن محمود، التبريزي، الشافعي، عزّ الدين. فقيه، أصولي، محدث، مفسّر. توفي في جزيرة ابن عمر سنة (٨٠٤هـ)^(٤).

(١٣٠) ٨٠٥ «منهاج الأصولين»^(٥) (١٨٨٠/٢) (مخ)^(٦). لعمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبد الخالق، القاهري، البلقيني^(٧)، العسقلاني الشافعي، سراج الدين أبي حفص. محدث، حافظ، فقيه، أصولي، مجتهد، بياني، نحوي، مفسّر؛ تولى التدريس في مدارس كثيرة، وتولّى قضاء الشام والعسكر بمصر، مجدّد عصر المائة

(١) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٩٨/٧)، و«شذرات الذهب» (٤٥/٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٧٥/٢)، و«البدور الطالع» (٥٠٩/١)، و«حسن المحاضرة» (٤٣٨/١)، و«الفتح المبين» (٨/٣).

(٢) له نسخة في مكتبة سليم آغا برقم ٢٦٨، وأخرى في فاتح برقم ١٤٣٠، وثالثة في الأزهرية برقم (١٩٣٠) ٤٤٥١٢.

(٣) انظر: «شذرات الذهب» (٤٦/٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٩٨/٢)، و«الفتح المبين» (٩/٣)، و«معجم المؤلفين» (٢٩٢/١٣).

(٤) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٥) انظر: «الفتح المبين» (١١/٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٧١/٢ - ٣٧٢).

(٦) له نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٢٦٣.

(٧) بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف نسبة إلى بُلُقِينَة قرية من قرى مصر. انظر: لب الباب (٤٣).

الثامنة. توفي بالقاهرة سنة (٨٠٥هـ)^(١).

(١٣١) ٨٠٦ «نظم المنهاج لليضاوي»^(٢) (١٨٨٠/٢)، (٥٦٢/٥). لعبد

الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي، المصري، الشافعي، زين الدين، أبي الفضل، المعروف بالعراقي. الحافظ، الكبير، المفيد، المتقن، المحرر، الناقد، محدث الديار المصرية؛ كان عالماً بالفقه، والأصول، واللغة، والأدب. توفي بالقاهرة سنة (٨٠٦هـ)^(٣).

(١٣٢) ٨٠٨ «تشنيف المسامع في شرح جمع الجوامع»^(٤) (٥٩٦/١)، (١٧٨/٦).

محمد بن محمد بن محمد بن الخضر الزبيري، الشافعي، شمس الدين، المعروف بالعيزري. فقيه، عالم، مشارك في علوم متعددة، كثير التأليف والتصانيف. توفي سنة (٨٠٨هـ)^(٥).

(١٣٣) ٨٠٨ «البروق اللوامع فيما أورد على جمع الجوامع»^(٦) (٥٩٦/١)،

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٦٥/٢)، و«حسن المحاضرة» (٣٢٩/١) و«شذرات الذهب» (٥١/٧)، و«البدر الطالع» (٥٠٦/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٨٤/٧)، و«الأعلام» (٥٧/٥)، و«الفتح المبين» (١٠/٣):

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٦٢/٢)، و«البدر الطالع» (٣٥٥/١).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٥٩/٢)، و«حسن المحاضرة» (٣٦٠/١)، و«شذرات الذهب» (٥٥/٧)، و«البدر الطالع» (٣٥٤/١)، و«الأعلام» (٣٤٤/٣)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٤/٥).

(٤) انظر: «البدر الطالع» (٢٥٥/٢)، و«شذرات الذهب» (٧٩/٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٨٨/٢).

(٥) انظر ترجمته في: طبقات ابن شعبة (٣٨٧/٢)، و«البدر الطالع» (٢٥٤/٢)، و«الأعلام» (٤٤/٧)، و«شذرات الذهب» (٧٩/٧)، و«معجم المؤلفين» (٢٧٦/١١).

(٦) انظر: «البدر الطالع» (٢٥٥/٢)، و«شذرات الذهب» (٧٩/٧).

(١٧٨/٦) (مخ) ^(١). له.

(١٣٤) ٨٠٨ «التوضيح على مختصر ابن الحاجب» ^(٢) (١٨٥٥/٢)، (١٧٨/٦). له.

(١٣٥) ٨٠٨ «سلاح الاحتجاج في الذب عن المنهاج» ^(٣) (١٧٨/٦). له.

(١٣٦) ٨١٠ «نظم المنهاج للبيضاوي» ^(٤) (٥٩٠/٤)، (١١٩/٥). لأحمد بن يوسف بن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر الكردي، القرافي، الشافعي، شهاب الدين، المعروف بابن الشيخ يوسف العجمي. أديب، أصولي. توفي بالبحرارية سنة (٨١٠هـ) ^(٥).

(١٣٧) ٨١٣ «هادي الطريقين في أصول الفقه» ^(٦) (١٨٠/٦). لـ محمد بن علي ابن محمد بن عمر بن عيسى بن محمد، المصري، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله، المعروف بابن القطن. فقيه، مقرئ، فرضي، نحوي، مهندس. توفي سنة (٨١٣هـ) ^(٧).

(١٣٨) ٨١٩ «شرح جمع الجوامع» ^(٨) (٥٩٦/١)، (١٨٢/٦) (مخ) ^(٩). لـ محمد

(١) له نسخة في جامعة الملك سعود برقم ٢١٨١.

(٢) انظر: «البدر الطالع» (٢٥٤/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٨٨/٢).

(٣) انظر: «البدر الطالع» (٢٥٥/٢).

(٤) انظر: «معجم المؤلفين» (٢١٢/٢).

(٥) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٦) انظر: «الضوء اللامع» (١٠/٩).

(٧) انظر ترجمته في: «البدر الطالع» (٢٢٦/٢)، و«معجم المؤلفين» (٥٧/١١)، و«الأعلام» (٢٨٧/٦).

(٨) انظر: «الفتح المبين» (٢٣/٣)، و«شذرات الذهب» (١٤٠/٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٧٩/٢)، و«الأعلام» (٥٧/٦).

(٩) له نسخة في التيمورية برقم ١٢٠ أصول.

ابن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، الحموي الأصل، المصري، الشافعي، عزّ الدين، المعروف بابن جماعة. فقيه، أصولي، متكلم، أديب، لغوي، نحوي؛ كان يقول: (أعرفُ خمسة عشر علماً لا يعرف علماء عصري أسماءها). توفي بالقاهرة بالطاعون سنة (٨١٩هـ)^(١).

(١٣٩) ٨١٩ «حاشية على رفع الحاجب شرح مختصر ابن الحاجب للسبكي»^(٢) (١٨٥٥/٢)، (١٨٢/٦). له.

(١٤٠) ٨١٩ «حاشية على شرح الجاربردي لمنهاج الوصول للبيضاوي»^(٣) (١٨٨٠/٢)، (١٨٢/٦) (ط)^(٤). له.

(١٤١) ٨١٩ «حاشية على شرح العبري للمنهاج»^(٥) (١٨٨٠/٢). له.

(١٤٢) ٨١٩ «حاشية على شرح المنهاج للأسنوي»^(٦) (١٨٨٠/٢)، (١٩٢/٦). له.

(١٤٣) ٨٢٢ «شرح جمع الجوامع»^(٧) (٥٩٦/١) (مخ)^(٨). لأحمد بن عبد الله

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٣٧٨/٢)، و«حسن المحاضرة» (٥٤٨/١)، و«شذرات الذهب» (١٣٩/٧)، و«البدر الطالع» (١٤٧/٢)، و«معجم المؤلفين» (١١١/٩)، و«الفتح المبين» (٢٢/٣)، و«الأعلام» (٥٦/٦).

(٢) انظر: «الضوء اللامع» (١٧٢/٧ - ١٧٣)، و«بغية الوعاة» (٦٥/١).

(٣) انظر: «الأعلام» (٥٧/٦)، و«بغية الوعاة» (٦٥/١).

(٤) طبعة تجارية.

(٥) انظر: «بغية الوعاة» (٦٥/١).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (١١١/٩)، و«شذرات الذهب» (١٤٠/٧).

(٧) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شعبة (٤٠٥/٢ - ٤٠٦)، و«البدر الطالع» (٧٥/١)، و«شذرات الذهب» (١٥٣/٧)، و«معجم المؤلفين» (١٨٥/١)، و«الأعلام» (١٥٩/١).

(٨) له نسخة في برنستن برقم ٩٤٢ (١٦٠). انظر: معجم الأصوليين (١٥٦/١).

ابن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان العامري الغزوي، الدمشقي،
المكي، الشافعي، شهاب الدين، أبي نعيم. برع في الفقه وأصوله،
وشارك في غيرهما، مع مذاكرة حسنة في الحديث ومتعلقاته؛
تصدّر للإقراء والإفتاء، وتولّى القضاء. توفي مبطوناً بمكة سنة
٨٢٢هـ^(١).

١٤٤ (٨٢٢) «شرح المنهاج للبيضاوي»^(٢) (١٨٧٩/٢)، (١٢٢/٥). له.

١٤٥ (٨٢٤) «نظم مختصر ابن الحاجب»^(٣) (١٨٥٦/٢)، (٥٣٠/٥). لعبد الرحمن

ابن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح، البلقيني، الشافعي، جلال
الدين، أبي الفضل. كان بارعاً في الفقه، والأصول، والعربية،
والنفسير، والمعاني، والبيان؛ أفتى ودرّس، وتولّى قضاء العسكر
بالديار المصرية.

توفي بالقاهرة سنة (٨٢٤هـ)^(٤).

١٤٦ (٨٢٦) «التحريير لما في منهاج الأصول من المعقول والمنقول»^(٥) (نكت

على إيضاح الأسرار لزين الدين الخنجي)، (١٨٨٠/٢)،
(١٢٣/٥) (مخ)^(٦). لأحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٠٦/٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٨٥/١).

(٣) انظر: «معجم المؤلفين» (١٦٠/٥).

(٤) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤١٥/٢)، و«شذرات الذهب»

(١٦٦/٧)، و«معجم المؤلفين» (١٦٠/٥)، و«الأعلام» (٣٢٠/٣).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٠٩/٢)، و«البدر الطالع» (٧٤/١)، و«الفتح

المبين» (٢٨/٣)، و«معجم المؤلفين» (٢٧٠/١)، و«حسن المحاضرة» (٣٦٣/١).

(٦) له نسخة في الأزهرية برقم (٨٦٨) ٢٢٤٣١ أصول فقه، ونسخة أخرى في جامعة أم

القرى برقم ٢٩٢.

عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر، الكردي الأصل، القاهري، الشافعي، ولي الدين، أبي زرعة، المعروف بابن العراقي. فقيه، أصولي، محدث، أديب، تولى التدريس والقضاء. توفي بمصر سنة (٨٢٦هـ)^(١).

(١٤٧) ٨٢٦ «الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع في أصول الفقه للسبكي»^(٢) (٥٩٥/١) (ط)^(٣). له.

(١٤٨) ٨٣١ «النبذة الألفية في الأصول الفقهية»^(٤) (١٥٧/١) (مخ)^(٥).
 ل محمد بن عبد الدائم بن موسى بن عبد الدائم بن فارس النعمي^(٦)،
 العسقلاني الأصل، القاهري، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله.
 فقيه، محدث، أصولي، فرضي، نحوي، ناظم. توفي ببيت المقدس
 سنة (٨٣١هـ)^(٧).

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٠٧/٢ - ٤٠٩)، و«البدر الطالع» (٧٢/١)، و«شذرات الذهب» (١٧٣/٧)، و«حسن المحاضرة» (٣٦٣/١)، و«فهرس الفهارس» (١١١٨/٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٧٠/١)، و«الأعلام» (١٤٨/١)، و«الفتح المبين» (٢٦/٣).

(٢) انظر: «الضوء اللامع» (٣٤٣/١)، و«البدر الطالع» (٧٤/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٠٩/٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٧٠/١)، و«الفتح المبين» (٢٨/٣).

(٣) بتحقيق مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٢٩/٢)، و«البدر الطالع» (١٨١/٢)، و«شذرات الذهب» (١٩٧/٧)، و«حسن المحاضرة» (٤٣٩/١).

(٥) له نسخة في التيمورية برقم ١٠٦.

(٦) بفتح النون وكسر العين نسبة إلى نعيمة بطن من الكلاّع، وبالتصغير إلى نعيم جد من أجداده. انظر: لب اللباب (٢٦٤).

(٧) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٢٧/٢)، و«حسن المحاضرة» (٤٣٩/١)، =

- (١٤٩) ٨٣١ «الفوائد السنوية في شرح النبذة الألفية في الأصول الفقهية»^(١)
(١٥٧/١) (مخ)^(٢). له.
- (١٥٠) ٨٣٨ «شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول»^(٣) (٥٨٩/٤)،
(١٨٩/٦). محمد بن عبد القادر بن عمر السنجاري^(٤)
الشيرزاي، الشافعي، المعروف بالسكاكيني، نجم الدين. فقيه،
أديب، ناظم. توفي بمكة سنة (٨٣٨هـ)^(٥).
- (١٥١) ٨٤٣ «أرجوزة في الأصول» (من ألف بيت)^(٦) (٥٧/٣)، (١٩٤/٦).
محمد بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد الخوصي، القاهري،
الشافعي، المعروف بأثير الدين الخوصي. فقيه، أصولي، أديب،

- = «المدارس في تاريخ المدارس» (١٥١/١)، و«شذرات الذهب» (١٩٧/٧)، و«البدر
الطالع» (١٨١/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٣٢/١٠)، و«الأعلام» (١٨٨/٦).
- (١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٢٩/٢)، و«البدر الطالع» (١٨١/٢)، و«شذرات
الذهب» (١٩٧/٧)، و«معجم المؤلفين» (١٣٢/١٠)، و«الأعلام» (١٨٩/٦).
- (٢) له نسخة كاملة في شسترتي ٣٣٥٩، رقم ٨٢٥. ونسخة من جزئين: الجزء الأول منه:
شسترتي ٣١٤٧، ورقم ١٤٧٣، والجزء الثاني: شسترتي ٣١٥٤، ورقم ٣١٥٤.
- (٣) انظر: «شذرات الذهب» (٢٢٨/٧ - ٢٢٩)، و«معجم المؤلفين» (١٨٢/١٠)، و«الضوء
اللامع» (٦٨/٨).
- (٤) بكسر السين وسكون النون وفتح الجيم نسبة إلى مدينة سنجار وهي مدينة مشهورة في
الجزيرة وهي من العراق اليوم. انظر: معجم البلدان (٢٩٧/٣) ومعجم أماكن الفتوح
(٧٣٥) ولب اللباب (١٤١).
- (٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٢٢٨/٧)، و«معجم المؤلفين» (١٨٢/١٠)، و«الضوء
اللامع» (٦٨/٨).
- (٦) انظر: «الضوء اللامع» (٢٥٦/٨)، و«معجم المؤلفين» (٩١/١١).

ناظم، ناثر. توفي بدمشق سنة (٨٤٣هـ)^(١).

(١٥٢) ٨٤٤ «شرح جمع الجوامع للسبكي»^(٢) (٥٩٦/١)، (١٢٦/٥) (مخ)^(٣).

لأحمد بن حسين بن حسن بن علي بن يوسف، الشافعي، شهاب الدين، أبي العباس، المعروف بابن رسلان. كان إماماً في الفقه وأصوله، والعربية، مشاركاً في الحديث، والتفسير، والكلام، وغير ذلك. توفي بالقدس سنة (٨٤٤هـ)^(٤).

(١٥٣) ٨٤٤ «شرح مختصر المنتهى لابن الحاجب»^(٥) (١٨٥٦/٢)، (١٢٦/٥) له.

(١٥٤) ٨٤٤ «نهایة السؤل فی شرح منهاج الأصول للبيضاوي»^(٦) (١٨٧٩/٢)، (٥٨٩/٤) (مخ)^(٧) له.

(١٥٥) ٨٥٠ «شرح جمع الجوامع»^(٨) (٥٩٦/١). لإبراهيم بن محمد بن خليل ابن أبي بكر بن محمد المقدسي، الشافعي، المعروف بابن القباقبي. محدث بيت المقدس؛ قيل: توفي سنة (٩٠٠هـ)، وقيل: (٨٥٠هـ)^(٩).

(١) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٠٤/١)، و«البدر الطالع» (٥١/١)، و«شذرات الذهب» (٢٤٩/٧).

(٣) له نسخة في يكي جامع بتركيا برقم ٩٣ وأخرى في دار الكتب المصرية برقم ٢٣٠١٥ ب.

(٤) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٢٠٤/١)، و«البدر الطالع» (٤٩/١)، و«شذرات الذهب» (٢٤٨/٧)، و«الأعلام» (١١٧/١).

(٥) انظر: «البدر الطالع» (٥١/١)، و«شذرات الذهب» (٢٤٩/٧).

(٦) انظر: «البدر الطالع» (٥١/١)، و«شذرات الذهب» (٢٤٩/٧).

(٧) له نسخة في المكتبة الملكية في برلين برقم ٤٣٨٣.

(٨) انظر: «معجم المؤلفين» (٩٣/١).

(٩) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (١٣٧/١)، و«معجم المؤلفين» (٩٣/١).

- ١٥٦ (٨٥٥) «البرق اللامع في ضبط ألفاظ جمع الجوامع»^(١) (١٧٦/٣).
 محمد بن علي بن أحمد بن خلف بن شهاب بن علي المحلي،
 المصري، الشافعي، محب الدين، أبي الطيب، المعروف بابن
 حميد، وبابن ودن. كان لطيفاً، حسن العشرة، متواضعاً،
 صوفياً من أهل الطُّرُق. توفي بمكة سنة (٨٥٥هـ)^(٢).
- ١٥٧ (٨٦٠) «إيجاز اللامع على جمع الجوامع للسبكي»^(٣) (١٥٢/٣)،
 (٧٣٤/٥). لعلي بن يوسف بن أحمد المصري، المكي، اليمني،
 الشافعي، المعروف بالغزولي. فقيه، أصولي، نحوي، فرضي،
 ناظم، مشارك في بعض العلوم. توفي بمكة سنة (٨٦٠هـ)^(٤).
- ١٥٨ (٨٦١) «توضيح المبهم والمجهول في شرح منهاج الوصول»^(٥)
 (٣٣٩/٣)، (٥٩٠/٤)، (٧٩٣/٥). لعمر بن موسى بن
 الحسن بن محمد القرشي، المخزومي، الحمصي، القاهري،
 الشافعي، سراج الدين، أبي حفص، المعروف بابن الحمصي.
 فقيه، أصولي، متكلم، ناظم؛ كان جريئاً، مفوهاً، مشاركاً
 في الفضائل. توفي ببيت المقدس سنة (٨٦١هـ)^(٦).
- ١٥٩ (٨٦٣) «الإبهاج في شرح المنهاج»^(٧) (٥٩٠/٤)، (١٣٢/٥)

(١) انظر: (الضوء اللامع) (١٦١/٨)، و(معجم المؤلفين) (٣٠٤/١٠)، و(الأعلام) (٢٨٨/٦).

(٢) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٣) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٦٤/٧)، و«الضوء اللامع» (٥٢/٦).

(٤) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٢٦٤/٧)، و«الضوء اللامع» (٥١/٦).

(٥) انظر: «معجم المؤلفين» (٤/٨).

(٦) انظر ترجمته في: (الضوء اللامع) (١٣٩/٦)، و(الأعلام) (٦٨/٥)، و«معجم المؤلفين» (٤/٨).

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (١٦١/١).

(مخ)^(١). لأحمد بن إسحاق الشيرازي، الشافعي. عالم بأصول الفقه. توفي سنة (٨٦٣هـ)^(٢).

١٦٠ (١٦٤) «شرح جمع الجوامع للسبكي»^(٣) (٥٩٥/١)، (٢٠٢/٦) (ط)^(٤).
 محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم الخلي،
 المصري، الشافعي، جلال الدين. أصولي، مفسّر، متكلم، فقيه؛
 كان مفرد الذكاء، قوي المباحثة، معظماً عند الخاصة
 والعامّة. توفي بمصر سنة (٨٦٤هـ)^(٥).

١٦١ (١٦٤) «شرح الورقات»^(٦) (٢٠٠٦/٢)، (٢٠٢/٦) (ط)^(٧). له.
 ١٦٢ (١٧٠) «نهاية الوصول شرح منهاج الأصول للبيضاوي»^(٨) (٦٩٣/٤)،
 محمد بن أحمد بن محمد بن هلال، الشافعي، ركن الدين، أبي
 يزيد. فقيه، أصولي، مشارك في بعض العلوم.
 توفي بعد سنة (٨٧٠هـ)^(٩).

- (١) له نسخة في الجامعة الإسلامية برقم ٢٦١٠ فيلم، وأخرى في دار الكتب المصرية برقم ٤٨٤
 (٢) انظر ترجمته في المصدر السابق.
 (٣) انظر: (شذرات الذهب) (٣٠٤/٧)، و«حسن المحاضرة» (٤٤٤/١)، و«الأعلام» (٣٣٣/٥)،
 و«معجم المؤلفين» (٣١٢/٨)، و«الفتح المبين» (٤٠/٣)، و«البدر الطالع» (١١٥/٢).
 (٤) طبع في مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر سنة ١٣٥٦هـ.
 (٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٣٠٣/٧)، و«حسن المحاضرة» (٤٤٣/١)،
 و«الأعلام» (٣٣٣/٥)، و«معجم المؤلفين» (٣١١/٨)، و«الفتح المبين» (٤٠/٣)، و«البدر
 الطالع» (١١٥/٢)، و«الضوء اللامع» (٣٩/٧).
 (٦) انظر: «البدر الطالع» (١١٥/٢)، و«الأعلام» (٣٣٣/٥)، و«الفتح المبين» (٤٠/٣).
 (٧) طبع في دار المعرفة ببيروت مع كتاب إرشاد الفحول للشوكاني.
 (٨) انظر: «معجم المؤلفين» (١٩/٩)، و«الضوء اللامع» (٧/٩٨ - ٩٩).
 (٩) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

- (١٦٣) ٨٧٣ «الإرشاد في الأصول»^(١) (٦٢/٣)، (٢٠٥/٦). لمحمد بن عبد الوهاب بن خليل بن غازي، المقدسي، الشافعي، أبي مساعد. فقيه، أصولي. توفي ببيت المقدس سنة (٨٧٣هـ)^(٢).
- (١٦٤) ٨٧٤ «شرح المنهاج للبيضاوي» (مطول)^(٣) (١٨٨٠/٢)، (٢٠٦/٦) (مخ)^(٤). لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن يوسف بن منصور القاهري، الشافعي، كمال الدين، المعروف بابن إمام الكاملية. فقيه، أصولي، مفسر، محدث. توفي عند ثغرة حامد، في طريق الحجاز سنة (٨٧٤هـ)^(٥).
- (١٦٥) ٨٧٤ «شرح الورقات لإمام الحرمين»^(٦) (٢٠٠٦/٢)، (٢٠٦/٦) (مخ)^(٧). له.
- (١٦٦) ٨٧٤ «شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول»^(٨) (٢٠٦/٦). له.

- (١) انظر: «الضوء اللامع» (١٤٢/١١)، و«معجم المؤلفين» (٢٦٨/١٠).
- (٢) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.
- (٣) انظر: «البدر الطالع» (٢٤٤/٢)، و«الأعلام» (٤٨/٧)، و«الضوء اللامع» (٩٤/٩)، و«الفتح المبين» (٤٣/٣).
- (٤) حقق في جامعة أم القرى عام ١٤١٩هـ في رسالة دكتوراه.
- (٥) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (٩٣/٩)، و«الأعلام» (٤٨/٧)، و«البدر الطالع» (٢٤٤/٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٣١/١١)، و«الفتح المبين» (٤٣/٣).
- (٦) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٣٢/١١)، و«البدر الطالع» (٢٤٤/٢)، و«الأعلام» (٤٨/٧)، و«الضوء اللامع» (٩٤/٩)، و«الفتح المبين» (٤٣/٣).
- (٧) له نسخ في: التيمورية برقم ١٨٥، ٢، ٣٤، ٦٣ ونسختان في جامعة الملك سعود برقم ١٠٤٩، والأخرى برقم ٢٨٧١.
- (٨) انظر: «الأعلام» (٤٨/٧)، و«البدر الطالع» (٢٤٤/٢)، و«الضوء اللامع» (٩٤/٩)، و«الفتح المبين» (٤٣/٣).

١٦٧ (٨٧٨) «التحقيقات في شرح الورقات للجويني»^(١) (٢٦٣/٣)،
 محمد البليسي^(٢)، القاهري، الشافعي، سراج الدين، المعروف
 بالبليسي. فقيه، أصولي، متكلم، منطقي. توفي بالاسكندرية
 سنة (٨٧٨هـ)^(٣).

١٦٨ (٨٨٣) «شرح مختصر ابن الحاجب»^(٤) (١٣٥/٥). لأحمد بن إسماعيل بن
 أبي بكر بن عمر الأبيشيقي القاهري، الشافعي، شهاب الدين.
 برع في الفقه وأصوله، والعربية، والفرائض، والحساب،
 والعروض، والمنطق، وغير ذلك؛ كان متصوفاً.
 توفي بالمدينة سنة (٨٨٣هـ)^(٥).

١٦٩ (٨٨٥) «شرح جمع الجوامع»^(٦) (٥٩٦/١) (مخ)^(٧). لإبراهيم بن عمر
 ابن حسن الرُّبَاط الخرباوي، البقاعي، الشافعي، برهان الدين،
 أبي الحسن. مفسر، محدث، أديب، مؤرخ، متبحر في كثيرٍ من

(١) انظر: «الضوء اللامع» (٧٢/٦)، و«معجم المؤلفين» (٢٧٥/٧).

(٢) نسبة إلى بليّس - بكسر الباءين وسكون اللام والياء - مدينة على عشرة فراسخ من مصر
 على طريق الشام. انظر: لب الباب (٤٢) ومعجم البلدان (٥٦٧/١).

(٣) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (٧٢/٦)، و«معجم المؤلفين» (٢٧٥/٧).

(٤) انظر: (الضوء اللامع) (٢٣٦/١)، و(البدر الطالع) (٣٨/١)، و«معجم الأصوليين» (٩٨/١).

(٥) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (٢٣٥/١)، و«البدر الطالع» (٣٧/١)، و«حسن

المحاضرة» (٥٣٠/١)، و«شذرات الذهب» (٣٣٦/٧)، و«معجم المؤلفين» (١٦٣/١)،

و«الأعلام» (٩٧/١).

(٦) انظر: «معجم الأصوليين» (٤٥/١).

(٧) له نسخة في المكتبة الملكية ببرلين برقم ٢٩/٤.

الفنون. توفي بدمشق سنة (٨٨٥هـ)^(١).

(١٧٠) ٨٨٧ «شرح منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل»^(٢)

(٥٧٢/٤). لسليمان بن عبد الناصر الأبيشيبي، الشافعي، صدر

الدين، أبي إبراهيم. كان ماهراً في العربية، والأصول، والفقه،

والآداب؛ ولي قضاء سرياقوس. توفي سنة (٨٨٧هـ)^(٣).

(١٧١) ٨٨٧ «شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي»^(٤)

(٤٠٢/٥). له.

(١٧٢) ٨٨٩ «شرح منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل»^(٥)

(٥٧٢/٤)، (٢١٣/٦). لمحمد بن أبي بكر بن علي بن عبد الله ابن

أحمد، القاهري، الأزهري، الشافعي، بهاء الدين، أبي الفتح. عالم،

مشارك في بعض العلوم. توفي سنة (٨٨٩هـ)^(٦).

(١٧٣) ٨٩٠ «تسهيل الطرقات في نظم الورقات»^(٧) (٥٢٩/٦) (ط)^(٨).

ليحيى بن موسى بن رمضان بن عميرة العمريطي، الشافعي، شرف

الدين. فقيه، أصولي، ناظم. توفي سنة (٨٩٠هـ)^(٩).

(١) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (١٠١/١) وشذرات الذهب (٣٣٩/٧) والبدر الطالع (١٩/١)

ومعجم المؤلفين (٧١/١)، والأعلام (٥٦/١)، و«فهرس الفهارس» (٦١٩/٢).

(٢) انظر: «معجم الأصوليين» (١٣١/٢).

(٣) انظر ترجمته في: «بغية الوعاة» (٦٠٠/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٦٩/٤).

(٤) انظر: «معجم الأصوليين» (١٣١/٢).

(٥) انظر: (الضوء اللامع) (١٨٠/٧)، و(البدر الطالع) (١٤٩/٢)، و(معجم المؤلفين) (١١٤/٩).

(٦) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٣٤/١٣)، و«الأعلام» (١٧٥/٨).

(٨) طبعة تجارية.

(٩) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (٢٣٤/١٣) والأعلام (١٧٥/٨).

- ١٧٤ (٨٩٣) «حاشية على جمع الجوامع»^(١) (٥٩٥/١). لمحمد بن محمد بن أحمد بن عبد النور بن أحمد الأنصاري، المهلبي، الشافعي، المعروف بابن خطيب الفخرية . فقيه، أصولي، متكلم . توفي بمصر سنة (٨٩٣هـ)^(٢).
- ١٧٥ (٨٩٣) «حاشية على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب»^(٣) (١٨٥٧/٢)، (٢١٥/٦). له.
- ١٧٦ (٨٩٣) «نظم جمع الجوامع»^(٤) (٥٩٦/١)، (١٣٥/٥) (مخ)^(٥). لأحمد ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن رجب الطوخي^(٦)، القاهري، الشافعي، شهاب الدين، المعروف بابن رجب. مشارك في كثير من العلوم، كالفقه، والحديث، والعربية، والصرف، والمنطق، والمعاني، والقراءات، والتصوف. توفي بمكة سنة (٨٩٣هـ)^(٧).
- ١٧٧ (٨٩٣) «الزبدة في الأصول في نظم الورقات»^(٨) (٢٠٠٦/٢)، (١٣٦/٥) (مخ)^(٩). له.

- (١) انظر: (الضوء اللامع) (٢٥/٩)، و(معجم المؤلفين) (١٨٥/١١)، و(البدر الطالع) (٢٤٢/٢).
- (٢) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٢٤/٩) و(البدر الطالع) (٢٤١/٢) و(معجم المؤلفين) (١٨٥/١١).
- (٣) انظر: (معجم المؤلفين) (١٨٥/١١)، و(الضوء اللامع) (٢٥/٩)، و(البدر الطالع) (٢٤٢/٢).
- (٤) انظر: (الضوء اللامع) (١٢١/٢) و(معجم المؤلفين) (١١٨/٢) و(معجم الأصوليين) (٢١٧/١).
- (٥) له نسخة في شستريتي ٣٤٦٩، رقم ٣/١٨١٥.
- (٦) نسبة إلى بلدة طُوخ - قرية في صعيد مصر غربي النيل - . انظر: معجم البلدان (٥٣/٤).
- (٧) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (١٢١/٢)، و«معجم المؤلفين» (١١٨/٢)، و«معجم الأصوليين» (٢١٧/١).
- (٨) انظر: (الضوء اللامع) (١٢١/٢) و(معجم المؤلفين) (١١٨/٢) و(معجم الأصوليين) (٢١٧/١).
- (٩) له نسخة في الجامعة الإسلامية برقم ٢٠٢.

(١٧٨) ٨٩٥ «بُهجة الوصول في شرح منهاج الأصول للبيضاوي»^(١)
 (٢٠٤/٣)، (٦٩٣/٤)، (٦٤٠/٥). لعبد الوهاب بن محمد بن
 يحيى بن أحمد الطرابلسي، الشافعي، تاج الدين، أبي الفضل،
 المعروف بابن زُهرة. فقيه، أصولي.
 توفي بالشام سنة (٨٩٥هـ)^(٢).

(١٧٩) ٨٩٨ «الضياء اللامع في شرح جمع الجوامع»^(٣) (٥٩٦/١) (ط)^(٤).
 لأحمد بن عبد الرحمن، وقيل: خلف بن موسى بن عبد الحق
 الزليطني^(٥)، القيرواني، المالكي، أبي العباس، المعروف بـ(حلولو)
 فقيه، أصولي، تولى قضاء طرابلس.
 توفي بتونس سنة (٨٩٨هـ)^(٦).

(١٨٠) ٩٠١ «النجم اللامع في شرح جمع الجوامع للسبكي»^(٧) (٦٢٧/٤)
 (مخ)^(٨). محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن جماعة، المقدسي،

(١) انظر: «الضوء اللامع» (١١٣/٥)، و«معجم المؤلفين» (٢٣٠/٦).

(٢) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٣) انظر: «معجم المؤلفين» (٢١٥/١)، و«الضوء اللامع» (٢٦٠/٢)، و«شجرة النور الزكية»

(٢٥٩)، و «الأعلام» (١٤٧/١)، و«الفتح المبين» (٤٤/٣)، و«معجم الأصوليين»

(١٤٢/١).

(٤) طبع بفاس. انظر: الأعلام (١٤٧/١).

(٥) قال ناصر الدين محمد الشريف في كتابه الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية

(١٢٥-١٢٧): «...ولد ببلدة زليطن ورحل إلى تونس لطلب العلم (...).

(٦) انظر ترجمته في المصادر المذكورة عند ذكر كتابه.

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٠٧/٨)، و«الأعلام» (٣٠١/٥)، و«شذرات الذهب» (١٠/٨).

(٨) له نسخة في التيمورية برقم ١٢٠.

الشافعي، نجم الدين، أبي البقاء. فقيه، أصولي، أخباري.

توفي بعد سنة (٩٠١هـ) ^(١).

(١٨١) ٩٠٥ «شرح الورقة لابن جماعة في الأصول» ^(٢) (٧٠٤/٤)، (١٣٧/٥)

لأحمد بن صدقة بن أحمد بن حسين بن عبد الله بن محمد

العسقلاني، المكِّي، القاهري، الشافعي، شهاب الدين، أبي الفضل،

المعروف بابن الصيرفي. فقيه، أصولي، أديب، شاعر، ناب في

الحكم بالديار المصرية. توفي سنة (٩٠٥هـ) ^(٣).

(١٨٢) ٩٠٦ «الدرر اللوامع في تحرير جمع الجوامع» ^(٤) (٥٩٥/١)، (٢٢٢/٦)

(ط) ^(٥). محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود بن

رضوان المرِّي، القدسي، الشافعي، كمال الدين، أبي المعالي،

المعروف بابن أبي شريف. فقيه، أصولي، مفسر، متكلم. توفي

ببيت المقدس سنة (٩٠٦هـ) ^(٦).

(١٨٣) ٩١١ «الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع» ^(٧) (٥٩٧/١)، (٥٣٤/٥)،

(٥٤٢) (مخ) ^(٨). لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٢) انظر: «الضوء اللامع» (٣١٨/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٥٣/١) كذا ذكرنا ولعل

الصواب شرح الورقات.

(٣) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٤) انظر: «الضوء اللامع» (٦٦/٩)، و«شذرات الذهب» (٣٠/٨)، و«البدر الطالع» (٢٤٣/٢)،

و«الأعلام» (٥٣/٧)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٠/١١).

(٥) نص على ذلك الزركلي في الأعلام (٥٣/٧).

(٦) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة.

(٧) انظر: «حسن المحاضرة» (٣٤٣/١).

(٨) له نسخة في سوهاج برقم ٢٣ أصول، ونسخة أخرى في جامعة الملك سعود برقم ١٦١٨.

ابن عثمان الخضيرى السيوطى، المصرى، الشافعى، جلال الدين، أبى الفضل. مؤرّخ، مفسّر، أديب، فقيه، نحوى، لغوى. توفي فى منزله بروضة المقياس، ودُفِنَ فى حوش قوصون خارج باب القرافة سنة (٩١١هـ)^(١).

٩١١ (١٨٤) «النكت اللوامع على المختصر والمنهاج وجمع الجوامع»^(٢) (١٩٧٧/٢)، (٥٤٣/٥). له.

٩١١ (١٨٥) «شرح الكوكب الساطع فى شرح نظم جمع الجوامع»^(٣) (٥٩٧/١) (مخ)^(٤). له.

٩١٦ (١٨٦) «الإبهاج فى شرح المنهاج»^(٥) (١٢/٣). لمحمد بن عمر بن محمد ابن عمر بن أبى بكر بن محمد الشافعى، جلال الدين، أبى بكر. فقيه، أصولى، نحوى، ناظم، ناثر. توفي سنة (٩١٦هـ)^(٦).

٩١٦ (١٨٧) «مدارك الأصول شرح منهاج الوصول»^(٧) (٤٥٣/٤)، (٧٤١/٥) (مخ)^(٨). لعلى بن ناصر بن محمد بن أحمد البليسى

(١) انظر ترجمته فى: «حسن المحاضرة» (٣٣٥/١)، و«الضوء اللامع» (٦٥/٤)، و«شذرات الذهب» (٥١/٨)، و«البدر الطالع» (٣٢٨/١)، و«معجم المؤلفين» (١٢٨/٥)، و«الفتح المبين» (٦٥/٣)، و«الأعلام» (٣٠١/٣)، و«الكواكب السائرة» (٢٢٦/٢).

(٢) انظر: «معجم الأصوليين» (١٧٨/٢).

(٣) انظر: «حسن المحاضرة» (٣٤٣/١).

(٤) له نسخة فى المكتبة الظاهرية برقم ٨٠٢٧، ونسخة أخرى فى جامعة أم القرى برقم ٢٠٠٢، وثالثة جامعة الملك سعود برقم ١٣٣٠.

(٥) انظر: «الأعلام» (٣١٥/٦).

(٦) انظر ترجمته فى: «الضوء اللامع» (٢٥٩/٨)، و«شذرات الذهب» (٧٥/٨)، و«الأعلام» (٣١٥/٦).

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٥٢/٧).

(٨) له نسخة فى (إيضاح) آصفية برقم ١٥. انظر: أعلام أصول الفقه (٢٩٧/٣).

المكي الشافعي، علاء الدين، المعروف بالحجازي، وبابن ناصر.
محدث، مفسر، فقيه، أصولي.

توفي - تقريباً - سنة (٩١٦هـ)^(١).

(١٨٨) ٩٢٥ «الدرر اللوامع في نظم جمع الجوامع»^(٢) (٤٦٨/٣)،

(٤٧١/٥). عبد الله بن أحمد با كثير الحضرمي، المكي، الشافعي.
عالم، أديب، ناثر، ناظم. توفي بمكة سنة (٩٢٥هـ)^(٣).

(١٨٩) ٩٢٥ «حاشية على جمع الجوامع»^(٤) (٥٩٥/١). لمحمد بن داود بن

محمد، الكردي، الحموي، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله
فقيه، أصولي، مؤرخ. توفي بحماة سنة (٩٢٥هـ)^(٥).

(١٩٠) ٩٢٦ «حاشية زكريا الأنصاري على شرح المحلي لجمع الجوامع

للسبكي»^(٦) (٥٩٥/١)، (٣٧٤/٥) (مخ)^(٧). لزكريا بن محمد
ابن أحمد بن زكريا الأنصاري، الأزهري، الشافعي، زين الدين،
أبي يحيى. مقرئ، فقيه، فرضي، مفسر، نحوي، جليل، منطقي،
متصوف. توفي بمصر سنة (٩٢٦هـ)^(٨).

(١) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٧١/٨ - ٧٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٥٢/٧)، و«الأعلام» (٢٧/٥).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٢١/٦)، و«شذرات الذهب» (١٣٦/٨).

(٣) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٤) انظر: (معجم المؤلفين) (٢٩٧/٩)، و«الأعلام» (١٢٠/٦)، و«شذرات الذهب» (١٣٨/٨).

(٥) انظر ترجمته في المصادر السابقة، و«الضوء اللامع» (٢٤٠/٧).

(٦) انظر: «الكواكب السائرة» (٢٠١/١).

(٧) له نسخة في مكتبة مكة المكرمة برقم ٢٣/٨٨٨ أصول فقه، ونسخة أخرى في الظاهرية
برقم ٣٦٧٧، ٦٢٦٧، وثالثة في الجامعة الإسلامية برقم ١٦٩.

(٨) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٢٣٤/٣) وشذرات الذهب (١٣٤/٨) والبدر الطالع =

- ٩٢٦ (١٩١) «شرح المنهاج للبيضاوي»^(١) (١٨٨٠/٢) (مخ) له.^(٢)
- ٩٢٨ (١٩٢) «حاشية على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب»^(٣) (١٨٥٦/٢).
- محمد بن أسعد الصديقي، الشافعي، جلال الدين فقيه، مفسر، منطقي، متكلم، حكيم؛ ولي قضاء فارس. توفي قريباً من قرية دوان بفارس سنة (٥٩١٨هـ)، وقيل (٩٢٨هـ)^(٤).
- ٩٣٥ (١٩٣) «الدرر اللوامع نظم جمع الجوامع»^(٥) (٥٩٦/١). محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر العامري، الغزي، الدمشقي، القرشي، الشافعي، رضي الدين، أبي الفضل. عالم، أديب، باحث، متصوِّف، مشارك في بعض العلوم، أفتى ودرّس، وولي القضاء. توفي بدمشق سنة (٩٣٥هـ)^(٦).
- ٩٥٣ (١٩٤) «حاشية الإيجي على شرح الخلي على جمع الجوامع للسبكي»^(٧) (٥٩٥/١) (مخ)^(٨). لعيسى بن محمد بن عبيد الله - وقيل: عبد الله - بن محمد الإيجي، الشافعي، قطب الدين، أبي الخير،

= (٢٥٢/١) ومعجم المؤلفين» (١٨٢/٤) والفتح المبين (٦٨/٣) والأعلام (٤٦/٣).

(١) انظر: «معجم المؤلفين» (١٨٢/٤).

(٢) له نسخة في المكتبة الأحمدية في عكا برقم (٢٠).

(٣) انظر: «الفوائد البهية» (٩٠).

(٤) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (١٦٠/٨)، و«الضوء اللامع» (١٣٣/٧)، و«البدر

الطالع» (١٣٠/٢)، و«الأعلام» (٣٢/٦)، و«معجم المؤلفين» (٤٧/٩).

(٥) انظر: «شذرات الذهب» (٢١٠/٨)، و«الأعلام» (٥٦/٧)، و«معجم المؤلفين» (١٨٤/١١).

(٦) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٢٠٩/٨)، و«معجم المؤلفين» (١٨٤/١١)،

و«الأعلام» (٥٦/٧)، و«الضوء اللامع» (٥١/٩).

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (٣٢/٨).

(٨) له نسخة في برنستن ٩٤١ (٣٨٥٨).

المعروف بالصفوي. فقيه، عالم، مشارك في بعض العلوم، متصوّف. توفي سنة (٩٥٥هـ)، وقيل: (٩٥٣هـ)^(١).

(١٩٥) ٩٧٠ «حاشية على شرح جمع الجوامع»^(٢) (٣/٣٦٦) (مخ)^(٣). لعلي ابن أحمد النجاري الشعرائي الشافعي. فقيه، أصولي؛ توفي بعد سنة (٩٧٠هـ)^(٤).

(١٩٦) ٩٧٣ «شرح جمع الجوامع للسبكي»^(٥) (١/٥٩٦) (مخ)^(٦). لعبد الوهاب ابن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد الشعرائي، الشافعي، أبي المواهب. فقيه، أصولي، صوفي مشارك في بعض العلوم. توفي بالقاهرة سنة (٩٧٣هـ)^(٧).

(١٩٧) ٩٧٥ «حاشية على شرح جمع الجوامع للمحلي»^(٨) (٣/٣٦٦) (مخ)^(٩) لأحمد البرُّنسي^(١٠) المصري الشافعي، شهاب الدين، الملقّب بعميرة. كان زاهدًا، ورعًا، حسن الأخلاق؛ انتهت إليه

(١) انظر ترجمته في: شذرات الذهب (٢٩٧/٨) و«الأعلام» (١٠٨/٥) و«معجم المؤلفين» (٣٢/٨)

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٣١/٧).

(٣) له نسخة في التيمورية برقم ١٦١.

(٤) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٥) انظر: «معجم المؤلفين» (٦/٢١٨).

(٦) له نسخة في أيا صوفيه برقم ٩٧٧، وثانية في سليمانية برقم ٣٦٤، ثالثة في راغب برقم ٤٠٤، ورابعة في عاطف ٦٩٦.

(٧) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٨/٣٧٢)، و«فهرس الفهارس» (٢/١٠٧٩)، و«الأعلام» (٤/١٨٠).

(٨) انظر: «معجم المؤلفين» (٨/١٣).

(٩) له نسخة في الأزهرية برقم ١٥٦٣.

(١٠) نسبة إلى البرُّنس من بلاد مصر. انظر: لب اللباب (٣٥).

رئاسة المذهب الشافعي في عصره.

توفي سنة (٩٦٥)، وقيل: (٩٧٥هـ) ^(١).

٩٧٦ (١٩٨) «شرح الورقات» ^(٢) (٥٧٣/٦). ليونس بن عبد الوهاب بن

أحمد بن أبي بكر العيثاوي، الشافعي. فقيه، خطيب، ناظم. توفي بدمشق سنة (٩٧٦هـ) ^(٣).

٩٨٤ (١٩٩) «العقد الجامع في شرح الدرر اللوامع نظم جمع الجوامع» ^(٤)

(٥٩٦/١). ل محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج العامري، القرشي، الشافعي، أبي الفضل، أبي البركات، أبي الجود، بدر الدين. فقيه، أصولي، مفسر، مقرئ، محدث، أديب، ناظم، ناثر، مشارك في عدة علوم.

توفي بدمشق سنة (٩٨٤هـ) ^(٥).

٩٩٤ (٢٠٠) «حاشية على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب» ^(٦)

(١٨٥٣/٢) (مخ) ^(٧). لحبيب الله ميرزا جان الباغنوي، الشيرازي، الشافعي متكلم، أصولي، منطقي، أشعري. رجح الزركلي وفاته سنة (٩٤٤هـ) ^(٨).

(١) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (١٣/٨)، و«شذرات الذهب» (٣١٦/٨)، و«الأعلام»

(١٠٣/١)، و«الفتح المبين» (٧٦/٣).

(٢) انظر: «الأعلام» (٢٦٢/٨)، و«معجم المؤلفين» (٣٥٠/١٣).

(٣) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٤) انظر: «شذرات الذهب» (٤٠٥/٨).

(٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٤٠٣/٨)، و«البدر الطالع» (٢٥٢/٢)، و«الأعلام»

(٥٩/٧)، و«معجم المؤلفين» (٢٧٠/١١).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (١٨٨/٣)، و«الأعلام» (١٦٧/٢).

(٧) له نسخة في التيمورية برقم ١٣٤، وأخرى في مكتبة كوبر يلي برقم ٤٨٩.

(٨) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

- ٢٠١ (٩٩٤) «شرح الورقات الصغير»^(١) (٢/٢٠٠٦)، (٥/١٤٩) (ط)^(٢). لأحمد ابن قاسم العبادي، القاهري، الشافعي، شهاب الدين. عالم، فقيه، فاضل. توفي بالمدينة عائداً من الحج سنة (٩٩٤هـ)^(٣)
- ٢٠٢ (٩٩٤) «شرح الورقات الكبير»^(٤) (٢/٢٠٠٦)، (٥/١٤٩) (مخ)^(٥) له.
- ٢٠٣ (٩٩٤) «الآيات البيّنات شرح جمع الجوامع للسبكي»^(٦) (١/٥٩٦)، (٥/١٤٩) (ط)^(٧) له.
- ٢٠٤ (٩٩٥) «حاشية على شرح المحلى للورقات»^(٨) (٥/١٤٩) (مخ)^(٩) لأحمد بن أحمد بن عبد الحق، المصري، الشافعي، شهاب الدين.

- (١) انظر: «شذرات الذهب» (٨/٤٣٤)، و«الأعلام» (١/١٩٨)، و«الفتح المبين» (٣/٨١)، و«معجم الأصوليين» (١/١٨٨).
- (٢) بهامش كتاب تنقيح الفصول للقرافي.
- (٣) انظر ترجمته في المصادر السابقة.
- (٤) انظر: «شذرات الذهب» (٨/٤٣٤)، و«الأعلام» (١/١٩٨)، و«الفتح المبين» (٣/٨١)، و«معجم الأصوليين» (١/١٨٨).
- (٥) له نسخ في: المكتبة الملكية ببرلين برقم ٤٣٦٣، والأزهرية برقم (٥٥) ٢١١٥، والظاهرية برقم: ١٦٥، ٢٨٣٨، ٥٠٣٢، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨.
- (٦) انظر: «شذرات الذهب» (٨/٤٣٤)، و«الأعلام» (١/١٩٨)، و«معجم الأصوليين» (١/١٨٨)، و«معجم المؤلفين» (٢/٤٨)، و«الفتح المبين» (٣/٨١).
- (٧) طبع بمصر سنة ١٢٨٩هـ.
- (٨) انظر: «الأعلام» (١/٩٢)، و«معجم الأصوليين» (١/٨٥).
- (٩) له نسخة فيلمية في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٤٥٨، ونسخة دار الكتب المصرية برقم ٤٠٦، وأخرى في المكتبة الملكية ببرلين برقم ٤٣٦٦.

عالم، فاضل، مشارك في أنواع من العلوم. توفي سنة (٥٩٩٠هـ) وقيل: (٥٩٩٧هـ)، وقيل: (٥٩٩٥هـ)^(١).

(٢٠٥) ١٠١٥ «شرح الورقات»^(٢) (٥٣١/٦) (مخ)^(٣). ليحيى بن عبد الله المصري، الشافعي، المعروف بإمام الكاملية. نحوي، أصولي، فقيه، مشارك في بعض العلوم. توفي بمصر سنة (١٠١٥هـ)^(٤).

(٢٠٦) ١٠٢٢ «حاشية على شرح المنهاج للمحلي»^(٥) (٣٧٩/٥). لزين العابدين بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين ابن يحيى، المناوي، القاهري، الشافعي. متصوِّف، مشارك في بعض العلوم. توفي سنة (١٠٢٢هـ)^(٦).

(٢٠٧) ١٠٣٠ «تحرير الملحقات وتقارير المحققات في شرح الورقات»^(٧) (شرح متوسط) (٢٠٠٦/٢)، (٣٠/٥). لإبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد بن يوسف، الحلبي، العباسي، الشافعي، المعروف بابن الملا - وقيل: ابن الملا - مفسِّر، أصولي، منطقي، أديب، نحوي. توفي بحلب سنة (١٠٣٠هـ)^(٨).

(١) انظر ترجمته في: شذرات الذهب (٤٣٨/٨) والأعلام (٩٢/١) ومعجم المؤلفين (١٤٩/١).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٠٩/١٣)، و«الأعلام» (١٥٥/٨).

(٣) له نسخ في التيمورية برقم: ٢، ٣٤، ٦٣، ١٨٥.

(٤) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٥) انظر: «معجم المؤلفين» (١٩٦/٤)، و«الأعلام» (٦٥/٣).

(٦) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (٦/١).

(٨) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٦/١)، و«الأعلام» (٣٠/١).

- (٢٠٨) ١٠٣٠ «جامع المنفردات من فوائد الورقات» (شرح مطوّل) (١)
 (٢/٢٠٠٦)، (٣٠/٥) (مخ) (٢). له.
- (٢٠٩) ١٠٣٠ «كفاية الرقاة إلى معرفة غرف الورقات» (شرح مختصر) (٣)
 (٢/٢٠٠٦)، (٣٠/٥). له.
- (٢١٠) ١٠٦٤ «فتح التجلي على المنهاج والمحلي» (٤) (٤/١٦٠). لمحمد بن
 النقيب البيروني، الشافعي. فقيه. توفي سنة (١٠٦٤هـ) (٥).
- (٢١١) ١٠٧٠ «حاشية على شرح المنهاج للمحلي» (٦) (٥/٤٩٨). لعبد البر
 ابن عبد الله بن محمد بن علي بن يوسف الأجهوري، المصري،
 الشافعي. فقيه، متكلم، مشارك في بعض العلوم. توفي بمصر
 سنة (١٠٧٠هـ) (٧).
- (٢١٢) ١٠٧٣ «نظم الورقات للجويني» (٨) (٥/٥٠١). لعبد الجواد بن شعيب
 ابن أحمد بن عباد بن شعيب، الأنصاري، الشافعي. عالم، فاضل، مشارك
 في بعض العلوم. توفي بمصر سنة (١٠٧٣هـ) (٩).
- (٢١٣) ١٠٨٧ «حاشية الشيرازي على شرح ابن قاسم للورقات» (١٠)

- (١) انظر: «معجم المؤلفين» (٦/١)، و«الأعلام» (٣٠/١).
- (٢) له نسخة في مكتبة أوقاف بغداد ١٦٨٠/١ ضمن مجموع برقم ٣٤٠٨.
- (٣) انظر: «معجم المؤلفين» (٦/١).
- (٤) انظر: «معجم المؤلفين» (٨١/١٢).
- (٥) انظر ترجمته في المصدر السابق.
- (٦) انظر: «معجم المؤلفين» (٧٧/٥).
- (٧) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٧٧/٥)، و«الأعلام» (٣/٢٧٣).
- (٨) انظر: «معجم المؤلفين» (٨٥/٥).
- (٩) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٨٥/٥)، و«الأعلام» (٣/٢٧٦).
- (١٠) انظر: «معجم المؤلفين» (١٥٣/٧).

(١٤/٧٠٤) (مخ) ^(١). لعلي بن علي الشبراملسي، القاهري،

الشافعي، نور الدين، أبي الضياء. فقيه، أصولي، مؤرخ. توفي

سنة (١٠٨٧هـ) ^(٢).

(٢١٤) ١١٧٠ «حاشية على جمع الجوامع» ^(٣) (٢٩٨/٥). لحسن بن علي بن

أحمد بن عبد الله، الأزهري، الشافعي، المعروف بالمدابغي. عالم،

فاضل، مشارك في بعض العلوم. توفي سنة (١١٧٠هـ) ^(٤).

(٢١٥) ١٢٥٠ «حاشية على جمع الجوامع» (في مجلدين) ^(٥) (٣٠١/٥) (ط) ^(٦)

لحسن بن محمد العطار، الأزهري، المغربي، المصري، الشافعي،

أبي السعادات. عالم، أديب، شاعر، له باع طويل في الأصول،

والنحو، والمعاني، والبيان، والمنطق، والطب، والفلك، والهندسة،

وغير ذلك. توفي بالقاهرة سنة (١٢٥٠هـ) ^(٧).

(٢١٦) ١٢٥٤ «سلم - أو: وسيلة - الوصول إلى علم الأصول» ^(٨) (٢٤/٤)،

(٦/٣٦٩). لمحمد معروف بن مصطفى بن أحمد الحسيني،

الشافعي، المعروف بالشيخ معروف النودهي، وبالبرزنجي.

(١) له نسخ في: الأزهرية برقم (٨٩١) ٢٢٤٥٤، ودار الكتب المصرية ٢٣٨٣٤ ضمن

مجموعة الظاهرية ٩٥٧٨، وبرستن ٨٥٠ (٣٢٧٢).

(٢) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (١٥٣/٧)، و«الأعلام» (٤/٣١٤).

(٣) انظر: «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للجبرتي (١/٢٩٨).

(٤) انظر ترجمته في: فهرس الفهارس (٢/٥٦٣) والأعلام (٢/٢٠٥) ومعجم المؤلفين (٣/٢٤٨).

(٥) انظر: «معجم المؤلفين» (٣/٢٨٥).

(٦) وبهامشه تعليق كل من الشربيني، والشيخ محمد علي المالكي على جمع الجوامع للسبكي.

(٧) انظر ترجمته في: «حلية البشر» (١/٤٨٩)، و«معجم المؤلفين» (٣/٢٨٥)، و«الأعلام»

(٢/٢٢٠)، و«الفتح المبين» (٣/١٤٦).

(٨) انظر: «الأعلام» (٧/١٠٥).

صوفي، أديب، مشارك في عدة علوم.

توفي بالسليمانية سنة (١٢٥٤هـ)^(١).

(٢١٧) ١٢٥٩ «أصول الفقه»^(٢) (٣٥٧/٥). خليل بن حسين الأسعدي،

العمرى، الكردي، الشافعي. عالم، فاضل، مشارك في أنواع من

العلوم. توفي سنة (١٢٥٩هـ)^(٣).

(٢١٨) ١٣٠٥ «فك القفول في شرح سلم الأصول إلى علم الأصول»^(٤)

(٢٠٠/٤). لأحمد بن محمد معروف بن أحمد الحسيني، الشافعي،

الشهر بكاكة. فقيه. توفي بالسليمانية سنة (١٣٠٥هـ)^(٥).

(٢١٩) ١٣٠٥ «مفتاح الأصول شرح مرقاة الأصول»^(٦) (٥٢٢/٤). له.

(١) انظر ترجمته في: «الأعلام» (١٠٥/٧)، و«معجم المؤلفين» (٤١/١٢).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (١١٧/٤).

(٣) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (١١٧/٤)، و«الأعلام» (٣١٧/٢).

(٤) انظر: «معجم الأصوليين» (٢٠٠/١ - ٢٠١).

(٥) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (١٥٨/٢).

(٦) انظر: «معجم الأصوليين» (١٩٩/٢).

المبحث الثاني:

المتون الأصولية الحنفية المشروحة من قِبَلِ علماء الشافعية

(من سنة ٢٠٤ هـ - حتى سنة ١٣٤٠ هـ)

(٢٢٠) ٧٣٨ «شرح بديع النظام لابن الساعاتي»^(١) (٢٣٥/١) لعثمان بن

عبد الملك الكردي، المصري، الشافعي. فقيه، أصولي، محدث.

توفي سنة (٧٣٨ هـ)^(٢).

(٢٢١) ٧٣٩ «شرح البديع لابن الساعاتي»^(٣) (٢٣٦/١)، (٦٥٥/٥).

لعثمان بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب

الطائي، الحلبي، الشافعي، فخر الدين، أبي عمر، المعروف بابن

خطيب جبرين. كان عالماً بالفقه، والأصول، والقراءات،

والنحو؛ تخرّج عليه الفقهاء والقراء، واشتهر اسمه؛ وكان عاقلاً

ذكياً. توفي بالقاهرة سنة (٧٣٩ هـ)^(٤).

(٢٢٢) ٧٤٦ «شرح أصول البزدوي»^(٥) (١٠٨/٥)، (١١٢/١). لأحمد بن

الحسن بن يوسف الجاربردي، التبريزي، الشافعي، فخر الدين،

أبي المكارم. كان إماماً، فاضلاً، ديناً، خيراً، وقوراً، مواظباً على

(١) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٦١/٦).

(٢) انظر ترجمته في مصدر السابق.

(٣) انظر: معجم المؤلفين (٢٦٢/٦) وطبقات ابن شهبة (١٢١/٢) وشذرات الذهب (٩٤/٦)،

وطبقات السبكي (١٢٦/١٠) والبداية والنهاية (١٩٦/١٤) والأعلام (٢١٠/٤).

(٤) انظر ترجمته في المصادر السابقة، و«البدر الطالع»: (٤١٢/١)، و«طبقات الشافعية»

للأسنوي: (٣٩٣/١).

(٥) انظر: «الفتح المبين»: (١٥٢/٢).

الإشغال والاشتغال والتصنيف. توفي بتبريز سنة (٧٤٦هـ)^(١).

(٢٢٣) ٧٤٩ «بيان المعاني البديع في شرح كتاب البديع لابن الساعاتي»^(٢)

(١/٢٣٥-٢٣٦)، (١٩٩١/٢)، (٤٠٩/٦). محمود بن عبد الرحمن

ابن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي الأصبهاني الشافعي، شمس

الدين، أبي الشتاء. مفسر، متكلم، أصولي، نحوي، عروضي، منطقي،

صوفي. توفي بالقاهرة بسبب الطاعون سنة (٧٤٩هـ)^(٣).

(٢٢٤) ٧٥٥ «شرح بديع النظام لابن الساعاتي»^(٤) (١/٢٣٦)،

(٧٢٠/٥). لعلي بن الحسين بن القاسم بن منصور بن علي

الموصللي الشافعي، زين الدين، أبي الحسن، المعروف بابن الشيخ

العوينة. فقيه، أصولي، نحوي، أديب، ناظم.

توفي بالموصل سنة (٧٥٥هـ)^(٥).

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للأسنوي: (١/٣٩٤)، و«طبقات الشافعية» للسبكي:

(٨/٩)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٢/١٦٣)، و«شذرات الذهب»: (٦/١٤٨)،

و«البدر الطالع»: (١/٤٧)، و«الأعلام»: (١/١١١)، و«معجم المؤلفين»: (١/١٩٨)،

و«الفتح المبين»: (٢/١٥٢).

(٢) انظر: «الأعلام»: (٧/١٧٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٢/٢٢٥)، و«الفتح

المبين»: (٢/١٥٨)، و«البدر الطالع»: (٢/٢٩٨)، و«شذرات الذهب»: (٦/١٥٦)،

و«الفوائد البهية»: (١٩٨).

(٣) انظر ترجمته في: «الأعلام»: (٧/١٧٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٢٢٤)، و«الفتح

المبين»: (٢/١٥٨)، و«معجم المؤلفين»: (١٢/١٧٣)، و«البدر الطالع»: (٢/٢٩٨)، و«طبقات

الشافعية» للسبكي (١٠/٣٨٣)، و«شذرات الذهب» (٦/١٦٥)، و«طبقات الشافعية»

للأسنوي: (١/١٧٢)، و«الندراس في تاريخ المدارس»: (١/٢٠٥).

(٤) انظر: «معجم المؤلفين»: (٧/٧٧)، و«الأعلام»: (٤/٢٨٠)، و«شذرات الذهب» (٦/١٧٨)،

و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٢/١٨٧)، و«الفتح المبين»: (٢/١٦٥).

(٥) انظر ترجمته في المصادر السابقة، و«البدر الطالع»: (١/٤٤٢).

(٢٢٥) ٧٩١ «التلويح في كشف حقائق التنقيح»^(١) (٤٩٦/١)، (٤٢٩/٦)،
 (ط)^(٢). لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني^(٣) الشافعي، سعد
 الدين. فقيه، أصولي، عالم باللغة، والتصريف، والمعاني، والبيان،
 والمنطق. توفي بسمرقند سنة (٧٩١هـ)^(٤).

(٢٢٦) ١٠٧٠ «حاشية على شرح التحرير»^(٥) (٤٩٨/٥). لعبد البرّ بن
 عبد الله بن محمد بن علي بن يوسف الأجهوري، المصري،
 الشافعي. فقيه، متكلم، مشارك في بعض العلوم. توفي بمصر سنة
 (١٠٧٠هـ)^(٦).

(٢٢٧) ١٣٠٠ «شرح المنار للنسفي في الأصول»^(٧) (٤٣٣/٥). لطف بن أحمد
 ابن قاسم الكوراني، البغدادي، الشافعي، الأشعري، الملقب بسنه
 لي زاده. عالم، أديب، تولى قضاء الموصل.
 توفي بالموصل سنة (١٣٠٠هـ)^(٨).

(١) انظر: الدرر الكامنة (٣٥٠/٤) وشذرات الذهب (٣٢٠/٦) وبغية الوعاة (٢٨٥/٢)
 والبدر الطالع (٣٠٣/٢، ٣٠٥) ومعجم المطبوعات العربية والمعربة (٦٣٥) والأعلام
 (٢١٩/٧).

(٢) تجارية.

(٣) نسبة إلى تَفْتَازَانَ - بفتح التائين وسكون الفاء وفتح الزاي - قرية كبيرة من نواحي نَسَا.
 انظر: معجم البلدان (٤١/٢) ولب اللباب (٥٣).

(٤) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة، و«معجم المؤلفين»: (٢٢٨/١٢).

(٥) انظر: «معجم المؤلفين»: (٧٧/٥).

(٦) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين»: (٧٧/٥)، و«الأعلام»: (٢٧٣/٣).

(٧) انظر: «معجم المؤلفين»: (٤٣/٥).

(٨) انظر ترجمته في المصدر السابق.

خاتمة البحث

لقد توصلت - والله الحمد والمِنَّة - إلى نتائج طيبة؛ أهمها ما يأتي:
 أولاً: أن رسالة الإمام الشافعي - رحمه الله - كانت النواة واللبنة الأولى
 للمؤلفات الأصولية على وجه العموم وللشافعية على وجه الخصوص، حيث
 شرحت «الرسالة» من قِبَل أربعة فحول من فحول الشافعية، وكلهم من علماء
 القرن الرابع.

ثانياً: نحو المؤلفات الأصولية وازدهارها بدءاً من القرن الرابع، حيث بلغت
 فيه المؤلفات خمسة عشر مؤلفاً، وبلغت الذروة في القرن الثامن والتاسع، حيث
 كانت في الثامن خمسة وخمسين، وفي التاسع ثلاثة وخمسين مؤلفاً أصولياً، ثم
 بدأت تقل شيئاً فشيئاً، حتى بلغت مؤلفين في القرن الرابع عشر.

ثالثاً: لقد حظيت بعض المتون الأصولية بالنصيب الأوفر بالاهتمام بها من
 قِبَل علماء الشافعية؛ فمن تلك المتون المشروحة^(١):

أ- «المنهاج» لليضاوي، حيث جعل عليه سبعة وثلاثون عملاً، ما بين
 شرح واختصار ونظم له، على امتداد خمسة قرون، من عام (٦٨٨ هـ) إلى
 عام (١٠٨٧ هـ).

وقد قام بتلك الأعمال العلماء التالية أسماءهم: -

- ١) محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود الجزري (ت ٧١١ هـ).
- ٢) محمد بن محمد الواسطي، الشافعي، غياث الدين (ت ٧١٨ هـ).

(١) سردت أسماء العلماء الذين قاموا بشرح تلك المتون ليعلمهم القاري، كما أني ذكرت
 سنة وفياتهم ليتمكن - أيضاً - من الرجوع إلى أسماء تلك المؤلفات في أصل البحث
 بسهولة. وقد رتبت تلك المتون على حسب كثرة شروحيها فبدأت بأكثرها ثم الأقل
 فالأقل.

- ٣) عبيد الله بن محمد بن غانم بن أظهر، المعروف بالعبري (ت ٧٤٣هـ).
- ٤) أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي (ت ٧٤٦هـ).
- ٥) محمود بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، شمس الدين (ت ٧٤٩هـ).
- ٦) فرج بن محمد بن أحمد بن أبي الفرج (ت ٧٤٩هـ).
- ٧) علي بن عبد الكافي بن علي السبكي، الملقَّب بتقيّ الدين (ت ٧٥٦هـ).
- ٨) محمد بن الحسن بن علي بن عمر القرشي (ت ٧٦٤هـ).
- ٩) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تاج الدين (ت ٧٧١هـ).
- ١٠) عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي، جمال الدين (ت ٧٧٢هـ).
- ١١) أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، بهاء الدين (ت ٧٧٣هـ).
- ١٢) محمد بن محمد بن عبد الله، المعروف بابن العاقولي (ت ٧٩٧هـ).
- ١٣) عمر بن علي بن أحمد بن محمد، المعروف بابن الملقّن (ت ٨٠٤هـ).
- ١٤) يوسف بن الحسن، التبريزي، الشافعي، عزّ الدين (ت ٨٠٤هـ).
- ١٥) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، المعروف بالعراقي (ت ٨٠٦هـ).
- ١٦) محمد بن محمد بن محمد بن الخضر، المعروف بالعيزري (ت ٨٠٨هـ).
- ١٧) أحمد بن يوسف، المعروف بابن الشيخ يوسف العجمي (ت ٨١٠هـ).
- ١٨) محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز، المعروف بابن جماعة (ت ٨١٩هـ).
- ١٩) أحمد بن عبد الله بن بدر العامري (ت ٨٢٢هـ).
- ٢٠) أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، المعروف بابن العراقي (ت ٨٢٦هـ).
- ٢١) محمد بن عبد القادر بن عمر، المعروف بالسكاكيني (ت ٨٣٨هـ).
- ٢٢) أحمد بن حسين بن حسن بن علي، المعروف بابن رسلان (ت ٨٤٤هـ).
- ٢٣) عمر بن موسى بن الحسن، المعروف بابن الحمصي (ت ٨٦١هـ).
- ٢٤) أحمد بن إسحاق الشيرازي (ت ٨٦٣هـ).
- ٢٥) محمد بن أحمد بن محمد بن هلال (ت ٨٧٠هـ).

- ٢٦) محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن إمام الكاملية (ت ٨٧٤هـ).
- ٢٧) سليمان بن عبد الناصر الأبشيطي (ت ٨٨٧هـ).
- ٢٨) عبد الوهاب بن محمد بن يحيى، المعروف بابن زهرة (ت ٨٩٥هـ).
- ٢٩) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ).
- ٣٠) محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١٦هـ).
- ٣١) علي بن ناصر بن محمد البليسي، المعروف بالحجازي (ت ٩١٦هـ).
- ٣٢) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، الأزهري (ت ٩٢٦هـ).
- ٣٣) زين العابدين بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين، المناوي (ت ١٠٢٢هـ).
- ٣٤) محمد بن النقيب البيروتي (ت ١٠٦٤هـ).
- ٣٥) عبد البر بن عبد الله بن محمد بن علي الأجهوري (ت ١٠٧٠هـ).

ب- «مختصر ابن الحاجب»، حيث جعل عليه خمسة وثلاثون عملاً، ما بين شرح واختصار ونظم له، على امتداد خمسة قرون ونصف القرن، من عام (٦٦٠ هـ) إلى عام (١١٠٠ هـ).

و العلماء الذين قاموا بتلك الأعمال هم: -

- ١) عبد العزيز بن عبد السلام، المعروف بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ).
- ٢) عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، ويُعرف بالقاضي (ت ٦٨٥هـ).
- ٣) عبد العزيز بن محمد بن علي، الملقّب بضياء الدين الفقيه (ت ٧٠٦هـ).
- ٤) محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، قطب الدين (ت ٧١٠هـ).
- ٥) حسن بن محمد بن شرف شاه، ركن الدين أبو محمد (ت ٧١٥هـ).
- ٦) إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم، المعروف بابن الفركاح (ت ٧٢٩هـ).
- ٧) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم، المعروف بابن السراج، السلفي (ت ٧٣٢هـ).
- ٨) عثمان بن عبد الملك الكردي، المصري، الشافعي (ت ٧٣٨هـ).

- ٩) عثمان بن علي بن إسماعيل، المعروف بابن خطيب جبرين (ت ٧٣٩هـ).
- ١٠) محمد بن مظفر الدين الشافعي، المعروف بالخلخالي (ت ٧٤٥هـ).
- ١١) محمود بن عبد الله بن أحمد، شمس الدين، أبو الشناء (ت ٧٤٩هـ).
- ١٢) علي بن الحسين بن القاسم المعروف بابن شيخ العوينة (ت ٧٥٥هـ).
- ١٣) علي بن عبد الكافي السبكي، الملقَّب بتقيّ الدين (ت ٧٥٦هـ).
- ١٤) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل التميمي، مجد الدين (ت ٧٥٦هـ).
- ١٥) عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الملقَّب بعضد الدين (ت ٧٥٦هـ).
- ١٦) محمود بن علي بن إسماعيل بن يوسف التبريزي، المصري (ت ٧٥٨هـ).
- ١٧) هارون بن عبد الولي بن عبد السلام المراغي (ت ٧٦٤هـ).
- ١٨) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تاج الدين (ت ٧٧١هـ).
- ١٩) محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم (ت ٧٧٦هـ).
- ٢٠) محمد بن يوسف بن علي الكرمانى، شمس الدين (ت ٧٨٦هـ).
- ٢١) محمد بن سليمان بن عبد الله الصرخدي، شمس الدين (ت ٧٩٢هـ).
- ٢٢) عمر بن علي بن أحمد بن محمد، المعروف بابن الملقّن (ت ٨٠٤هـ).
- ٢٣) محمد بن محمد بن محمد بن الخضر، المعروف بالعزيزي (ت ٨٠٨هـ).
- ٢٤) محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز، المعروف بابن جماعة (ت ٨١٩هـ).
- ٢٥) عبد الرحمن بن عمر بن رسلان، البلقيني، جلال الدين (ت ٨٢٤هـ).
- ٢٦) أحمد بن حسين بن حسن بن علي، المعروف بابن رسلان (ت ٨٤٤هـ).
- ٢٧) محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن إمام الكامليّة (ت ٨٧٤هـ).
- ٢٨) أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر الأبشيطي (ت ٨٨٣هـ).
- ٢٩) سليمان بن عبد الناصر الأبشيطي (ت ٨٨٧هـ).
- ٣٠) محمد بن أبي بكر بن علي بن عبد الله الأزهري (ت ٨٨٩هـ).
- ٣١) محمد بن محمد بن أحمد، المعروف بابن خطيب الفخرية (ت ٨٩٣هـ).

- ٣٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ).
 ٣٣) محمد بن أسعد الصديقي، الشافعي، جلال الدين (ت ٩٢٨هـ).
 ٣٤) حبيب الله ميرزا جان الباغنوي، الشيرازي، الشافعي (ت ٩٩٤هـ).

ج- «جمع الجوامع» للسبكي، حيث جعل عليه ثلاثة وثلاثون عملاً، ما بين شرح واختصار ونظم له، على امتداد خمسة قرون ونصف القرن، من عام (٧٧١هـ) إلى عام (١٢٥٠هـ).

وقد ألفت تلك المؤلفات الكثيرة علماء بارزون من الشافعية، هم:-

- ١) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تاج الدين (ت ٧٧١هـ)
- ٢) محمد بن بهادر بن عبد الله المصري، الزركشي، بدر الدين (ت ٧٩٤هـ).
- ٣) محمد بن محمد بن محمد بن الخضر، المعروف بالعزيزي (ت ٨٠٨هـ).
- ٤) محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز، المعروف بابن جماعة (ت ٨١٩هـ).
- ٥) أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج العامري (ت ٨٢٢هـ).
- ٦) أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، المعروف بابن العراقي (ت ٨٢٦هـ).
- ٧) أحمد بن حسين بن حسن بن علي، المعروف بابن رسلان (ت ٨٤٤هـ).
- ٨) إبراهيم بن محمد بن خليل، المعروف بابن القباقبي (ت ٨٥٠هـ).
- ٩) محمد بن علي بن أحمد، المعروف بابن حميد، وبابن وذن (ت ٨٥٥هـ).
- ١٠) علي بن يوسف بن أحمد المصري، المعروف بالغزولي (ت ٨٦٠هـ).
- ١١) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، الحلبي، جلال الدين (ت ٨٦٤هـ).
- ١٢) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط الخرباوي (ت ٨٨٥هـ).
- ١٣) محمد بن محمد بن أحمد، المعروف بابن خطيب الفخرية (ت ٨٩٣هـ).
- ١٤) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الطوخوي، المعروف بابن رجب (ت ٨٩٣هـ).
- ١٥) أحمد بن عبد الرحمن الزليطني، القيرواني، المعروف بـ(حلولو) (ت ٨٩٨هـ).

- ١٦) محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن جماعة (ت ٩٠١هـ).
- ١٧) محمد بن محمد بن أبي بكر المعروف بابن أبي شريف (ت ٩٠٦هـ).
- ١٨) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ).
- ١٩) عبد الله بن أحمد باكثير الحضرمي، المكي، الشافعي (ت ٩٢٥هـ).
- ٢٠) محمد بن داود بن محمد، الكردي، شمس الدين (ت ٩٢٥هـ).
- ٢١) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، الأزهري (ت ٩٢٦هـ).
- ٢٢) محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر العامري (ت ٩٣٥هـ).
- ٢٣) عيسى بن محمد بن عبيد الله الإيجي، المعروف بالصفوي (ت ٩٥٣هـ).
- ٢٤) علي بن أحمد النجاري الشعراي (ت ٩٧٠هـ).
- ٢٥) عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد الشعراي (ت ٩٧٣هـ).
- ٢٦) أحمد البرُّنسي المصري، شهاب الدين، المقلِّب بعميرة (ت ٩٧٥هـ).
- ٢٧) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامري (ت ٩٨٤هـ).
- ٢٨) أحمد بن قاسم العبادي، شهاب الدين (ت ٩٩٤هـ).
- ٢٩) حسن بن علي بن أحمد، الأزهري، المعروف بالمدابغي (ت ١١٧٠هـ).
- ٣٠) حسن بن محمد العطار، الأزهري (ت ١٢٥٠هـ).

د-«الورقات» للجويني، جُعل عليه أكثر من خمسة عشر عملاً، على

امتداد خمسة قرون، من عام (٦٩٠ هـ) إلى عام (١٠٨٧ هـ).

وتلك الأعمال هي ل:-

- ١) عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع، المعروف بالفركاح (ت ٦٩٠هـ).
- ٢) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، الخلي، جلال الدين (ت ٨٦٤هـ).
- ٣) محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن إمام الكاملية (ت ٨٧٤هـ).
- ٤) عمر بن أحمد بن محمد، سراج الدين، المعروف بالبلبيسي (ت ٨٧٨هـ).

- (٥) يحيى بن موسى بن رمضان بن عميرة العمريطي (ت ٨٩٠هـ).
- (٦) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن رجب الطوخي (ت ٨٩٣هـ).
- (٧) يونس بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبي بكر العيثاوي، (ت ٩٧٦هـ).
- (٨) أحمد بن قاسم العبادي، شهاب الدين (ت ٩٩٤هـ). له عليها شرحان كبير وصغير.
- (٩) يحيى بن عبد الله المصري، المعروف بإمام الكاملية (ت ١٠١٥هـ).
- (١٠) إبراهيم بن أحمد بن علي، المعروف بابن المنلا (ت ١٠٣٠هـ) له عليها ثلاثة شروح مختصر، ومتوسط، ومطول.
- (١١) عبد الجواد بن شعيب بن أحمد بن عباد، الأنصاري، (ت ١٠٧٣هـ).
- (١٢) علي بن علي الشبراملسي، القاهري، نور الدين (ت ١٠٨٧هـ).

هـ - «الخصول» للرازي، جعل عليه تسعة أعمال، على امتداد قرنين

من الزمان، من عام (٦٠٦ هـ) إلى عام (٨٣٣ هـ).

ومن قام بتلك الأعمال من علماء الشافعية:-

- (١) محمد بن عمر بن الحسين، الرازي، المعروف بابن الخطيب (ت ٦٠٦ هـ).
- (٢) مظفر بن أبي الخير محمد بن إسماعيل بن علي الرازي (ت ٦٢١ هـ).
- (٣) محمد بن الحسين بن محمد الحسيني، المعروف بقاضي العسكر (ت ٦٥٠ هـ).
- (٤) محمد بن الحسين بن عبد الله الأرموي (ت ٦٥٦ هـ).
- (٥) عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس، تاج الدين (ت ٦٧١ هـ).
- (٦) محمود بن أبي بكر بن حامد بن أحمد، الشهير بالأرموي (ت ٦٨٢ هـ).
- (٧) عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، ويُعرف بالقاضي (ت ٦٨٥ هـ).
- (٨) محمد بن محمود بن محمد بن عباد، الأصفهاني، شمس الدين (ت ٦٨٨ هـ).
- (٩) علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، المعروف بالباجي (ت ٧١٤ هـ).

و-«اللمع» للشيرازي حظي بخمسة أعمال - على امتداد قرن ونصف القرن، من عام (٤٧٦ هـ) إلى عام (٦٣٠ هـ) - قام بها علماء من علماء الشافعية، هم:-

- (١) إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)
- (٢) عثمان بن عيسى بن درياس الهدباني الماراني (ت ٦٠٢ هـ)
- (٣) مسعود بن علي بن مسعود الأشرقي، العنسي، كمال الدين (ت ٦٠٤ هـ).
- (٤) موسى بن أحمد بن يوسف بن موسى الشافعي اليميني (ت ٦٢١ هـ).
- (٥) أحمد بن مقبل بن عثمان بن مقبل العلبي، العدني، الشافعي (ت ٦٣٠ هـ).

ز-«المعلم» للرازي حظي بخمسة أعمال - على امتداد قرن ونصف القرن من عام (٦٣٨ هـ) إلى عام (٧٥٧ هـ) - قام بها العلماء التالية أسماؤهم:

- (١) أحمد بن محمد بن خلف، المعروف بابن الحنبلي (ت ٦٣٨ هـ).
- (٢) عبد الله بن محمد بن علي، المعروف بابن التلمساني (ت ٦٤٤ هـ).
- (٣) علي بن إسماعيل بن يوسف الشافعي، الملقب بعلاء الدين (ت ٧٢٩ هـ).
- (٤) علي بن الحسين بن علي، المعروف بابن قاضي العسكر (ت ٧٥٧ هـ).
- (٥) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المناوي، شرف الدين (ت ٧٥٧ هـ).

ح-«الرسالة» للشافعي؛ لقد حظيت بأربعة أعمال، في خمس وثلاثين سنة، في القرن الرابع، من عام (٣٣٠ هـ) إلى عام (٣٦٥ هـ).

ومن شرحها:-

- (١) محمد بن عبد الله الصيرفي (ت ٣٣٠ هـ).
- (٢) محمد بن جعفر بن أحمد بن يزيد الصيرفي (ت ٣٣٥ هـ).
- (٣) حسان بن محمد بن أحمد بن هارون القزويني الأموي (ت ٣٤٩ هـ).

٤) محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير، الشاشي (ت ٣٦٥هـ).
 رابعاً: امتد عصر التأليف في المؤلفات الأصولية ونشط نشاطاً تصاعدياً من
 أول القرن السابع، حتى نهاية القرن العاشر.

خامساً: كان هناك تواصل علمي بين علماء المذاهب الأربعة، حيث اتضح
 ذلك في قيام بعض علماء الشافعية بشرح بعض المتون الأصولية للمذاهب
 الأخرى، فقد شرح «مختصر ابن الحاجب»، وعلق عليه، ونظم من قبل أكثر من
 ثلاثين عالماً.

كما شرح كتاب «بديع النظام» لابن الساعاتي الحنفي، و«أصول
 البزدوي»، و«منار النسفي»، و«التلويح» من قبل علماء الشافعية.

سادساً: لقد بلغت المؤلفات الأصولية الشافعية في هذا البحث مائتين وتسعة
 عشر مؤلفاً، لم يطبع منها -سواء كانت طبعته تجارية أو علمية - إلا السادس،
 وهي نسبة قليلة جداً مقارنة لها بعدد المؤلفات مما يدل دلالة واضحة بأن المصادر
 والمؤلفات التراثية لا زالت بحاجة كبيرة إلى الاعتناء بها وإخراجها محققة لنتج
 الفائدة المرجوة منها ومن ثم يقف الباحثون على مصادر ومراجع هامة وجديدة
 في التخصص.

سابعاً: استطعت - بحمد الله وتوفيقه - تحديد أماكن ثلاثة وأربعين مخطوطاً لم
 تحقق بعد - فيما أعلم - عدا المطبوع منها سواء طبع بتحقيق علمي أو لا ليبلغ
 مجموع ذلك سبعة وتسعين مؤلفاً.

ثامناً: لقد بلغ عدد العلماء الذين ألفوا مؤلفات في أصول الفقه من
 الشافعية مائة وخمسين عالماً.

وختاماً: أحمد الله وأشكره على نعمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.
 وصلى الله وسلّم على نبينا محمد؛ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا.

فهرس المصادر والمراجع

- ١) أصول الفقه. محمد زكريا البرديسي. الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م. دار الفكر. بيروت - لبنان.
- ٢) أصول الفقه الإسلامي. تأليف الدكتور: بدران أبو العينين بدران. الناشر: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع. الإسكندرية - مصر.
- ٣) أصول الفقه الميسر. للدكتور: شعبان محمد إسماعيل. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م. الناشر: دار الكتاب الجامعي. القاهرة - مصر.
- ٤) الأعلام. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. خير الدين الزركلي دار العلم للملايين. بيروت - لبنان.
- ٥) البحر المحيط في أصول الفقه. لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي (٥٧٤٥ - ٧٩٤هـ). تحقيق الشيخ: عبد القادر عبد الله العاني. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م. طبع دار الصفاة للطباعة والنشر والتوزيع - الغردقة - الأردن.
- ٦) البداية والنهاية. تأليف: أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
- ٧) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. للقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هجرية. الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- ٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية صيدا - بيروت -.

- ٩) تاريخ ابن الوردي. لزين الدين عمر بن الوردي.
- ١٠) تاريخ بغداد. للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ). دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
- ١١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار. للعلامة الشيخ: عبد الرحمن الجبرتي. دار الجيل. بيروت - لبنان.
- ١٢) التحصيل من الحصول. تأليف: سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي (ت ٦٨٢ هـ). دراسة وتحقيق الدكتور: عبد الحميد علي أبو زيد. الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م. مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان.
- ١٣) تذكرة الحفاظ. للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان، ودار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
- ١٤) تهذيب الأسماء واللغات. للإمام العلامة الفقيه الحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ١٥) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.
- ١٦) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. تأليف: الشيخ عبد الرزاق البيطار ١٢٥٣ هـ - ١٣٣٥ هـ. حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجت البيطار. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ١٧) الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية. تأليف ناصر الدين محمد الشريف. الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م. طبع دار البيارق - الأردن - عمان.
- ١٨) المدارس في تاريخ المدارس. تأليف: عبد القادر بن محمد النعيمي

- الدمشقي. المتوفى سنة ٩٧٨هـ. أعد فهرسه: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- (١٩) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تأليف: شيخ الإسلام حافظ العصر شهاب الدين ابن حجر العسقلاني. دار الجليل - بيروت.
- (٢٠) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. لابن فرحون المالكي ٧٩٩هـ. تحقيق: د. محمد الأحمدى أبي النور: مدرس الحديث بجامعة الأزهر. دار التراث للطبع والنشر - القاهرة.
- (٢١) ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي. تأليف تلميذه الحافظ أبي المحاسن الحسيني الدمشقي. دار الفكر العربي.
- (٢٢) الروض المعطار في خبر الأقطار. تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري. تحقيق الدكتور إحسان عباس. الطبعة الثانية ١٩٨٤م. طبع مكتبة لبنان.
- (٢٣) سلاسل الذهب. للإمام بدر الدين الزركشي (٧٤٥ - ٧٩٤هـ). تحقيق ودراسة: محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي. الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م. الناشر: مكتبة ابن تيمية. القاهرة - مصر.
- (٢٤) سير أعلام النبلاء. لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط وجماعة من المحققين. الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م. مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان.
- (٢٥) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. تأليف: الشيخ محمد بن محمد مخلوف. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- (٢٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب. للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- (٢٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. تأليف: المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السنخاوي. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت - لبنان.

- ٢٨) طبقات الشافعية. تأليف: عبد الرحيم الأسنوي (جمال الدين) المتوفى سنة ٥٧٧٢هـ. توزيع دار الباز للنشر والتوزيع. عباس أحمد الباز- مكة المكرمة.
- ٢٩) طبقات الشافعية. تأليف: جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي المتوفى سنة ٥٧٧٢هـ. تحقيق: عبد الله الجبور. دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض
- ٣٠) طبقات الشافعية. لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد، تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي ٧٧٩ - ٥٨١هـ = ١٣٧٧ - ١٤٤٨ م. دار الندوة الجديدة - بيروت.
- ٣١) طبقات الشافعية الكبرى. لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي ٧٢٧ - ٧٧١هـ. تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو. دار إحياء الكتب العلمية - القاهرة.
- ٣٢) طبقات الفقهاء الشافعية. للإمام تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوي المعروف بابن الصلاح ٥٧٧ - ٦٤٣هـ. بيض أصوله ونقحه: الإمام أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن الرازي. حققه وعلق عليه: محي الدين علي نجيب. دار النشر الإسلامية.
- ٣٣) طبقات المفسرين. تصنيف الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوي، ت ٩٤٥هـ. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ٣٤) الفتح المبين في طبقات الأصوليين. عبد الله مصطفى مراغي. الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م. الناشر. محمد أمين دمج وشركاه بيروت.
- ٣٥) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. تأليف: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي ١٢٩١ هـ - ١٣٧٦هـ. الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة لصاحبها محمد بن سلطان النمكاني.
- ٣٦) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. تأليف: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. باعتناء د. إحسان عباس. دار

الغرب الإسلامي. بيروت - لبنان.

(٣٧) الفهرست. لابن النديم. مع مقدمة شائقة عن حياة ابن النديم وفضل الفهرست بقلم أحد أساتذة الجامعة المصرية. الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت - لبنان.

(٣٨) الفوائد البهية في تراجم الحنفية. للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحفي اللكنوي. الناشر: قديمي كتب خانه - مقابل آرام باغ - كراهي.

(٣٩) فوات الوفيات. لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، ت ٧٦٤هـ. حققه وضبطه وعلّق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد. طبع سنة ١٩٥١م، مطبعة السعادة - مصر.

(٤٠) الكواكب السائرة بمناب أعيان المائة العاشرة. لنجم الدين الغزي. تحقيق: جبرائيل سليمان جبور. الناشر: محمد أمين دمج وشركاه. بيروت.

(٤١) لب اللباب في تحرير الأنساب. لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ). أعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد.

(٤٢) مؤلفات الغزالي. تأليف: عبد الرحمن بدوي. الطبعة الثانية ١٩٧٧م. الناشر: وكالة المطبوعات. الكويت.

(٤٣) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. تأليف: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي اليمني المكي. توفي ٧٦٨هـ. الطبعة الثانية ١٩٧٠م / ١٣٩٠هـ. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. ص.ب: ٧١٢٠.

(٤٤) المزهرة في علوم اللغة وأنواعها. للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي. تحقيق وتعليق: محمد أحمد جاد المولى بك - محمد أبي الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي. الطبعة الثالثة. مكتبة دار التراث. القاهرة - مصر.

(٤٥) المستدرک علی معجم المؤلفين. تأليف: عمر رضا كخالة. مؤسسة الرسالة.

- ٤٦) المستصفي من علم الأصول. لأبي حامد محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥ هـ).
دراسة وتحقيق الدكتور: حمزة بن زهير حافظ.
- ٤٧) معجم الأدباء. لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ). الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ/
١٩٨٠ م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٤٨) معجم الأصوليين. تأليف: د. محمد مظهر بقا. جامعة أم القرى: معهد
البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز بحوث الدراسات
الإسلامية - مكة المكرمة.
- ٤٩) معجم أماكن الفتوح. تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد. طبع مكتبة
النهضة المصرية - القاهرة - مصر.
- ٥٠) معجم البلدان. لياقوت الحموي. تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي. الطبعة
الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م. طبع دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ٥١) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية. تأليف: عمر رضا كحالة.
درا إحياء التراث العربي.
- ٥٢) المنهج الأحمدي في تراجم أصحاب الإمام أحمد. لأبي اليمن مجير الدين عبد
الرحمن بن محمد العليمي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. راجعه وعلق
عليه: عادل نويهض. عالم الكتب - بيروت.
- ٥٣) الوافي بالوفيات. لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي. باعتناء: س.
ديدرينغ. الطبعة الثانية (غير منقحة) ١٩٧٤ م / ١٣٩٤ هـ. يُطلب من دار
النشر خرائز شكايذ بفيساباد.
- ٥٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لأبي العباس شمس الدين أحمد بن
محمد بن أبي بكر خلكان ٦٠٨ - ٦٨١ هـ. حققه: الدكتور إحسان عباس
١٩٧٧ م / ١٣٩٧ هـ. دار صادر - بيروت.

فهرس الموضوعات

المقدمة	٣٢٧
▪ نشأة علم أصول الفقه وأهميته:	٣٢٨
▪ أسباب تدوين أصول الفقه:	٣٢٩
▪ أهمية البحث:	٣٣٠
▪ خطة البحث:	٣٣١
▪ أسباب التأليف:	٣٣١
▪ منهجي في التأليف:	٣٣٣
المبحث الأول: المؤلفات الأصولية الشافعية	٣٣٦
المبحث الثاني:	٤٠٢
المتون الأصولية الحنفية المشروحة من قِبَل علماء الشافعية	٤٠٢
خاتمة البحث	٤٠٥
فهرس المصادر والمراجع	٤١٤
فهرس الموضوعات	٤٢٠

الْحَمْلَةُ الْأَخِيرَةُ عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ
فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ
(دراسة للروايات العربية وتحرير)

إعداد:

د. سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّوَيْكِنِ

الأستاذ المشارك في جامعة الإمام محمد بن سعود

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى وسلم على المبعوث رحمة للعالمين؛ عربيتهم وأعجميتهم، أبيضهم وأسودهم، قاصيتهم ودانيتهم، لانتشالهم من حمأة الشرك ودرك الرذيلة والهوى إلى صفاء التوحيد ونقاء الفطرة وعبادة رب العباد تعالى وتقدس، أما بعد:

ففي خِصْمٍ منظومة قوافل التوحيد التي انطلقت في جميع الاتجاهات تحمل رسالة الإسلام وتُبلِّغ دعوته استرعى الانتباه تلكم الحملات التي اتجهت نحو عاصمة الدولة البيزنطية؛ مدينة القسطنطينية Constantinople ولاسيما الحملة (الأخيرة) في العصر الأموي في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٥٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٧م) التي بذلت فيها جهود، وسخرت لها إمكانات، وخرجت فيها قوى كبيرة، وخطط لها بعناية، فكانت بحق من أشد الحملات الإسلامية خطورة على القسطنطينية في عصر بني أمية، ومع ذلك فقد عجزت عن تحقيق هدفها المنشود. وهي من أكثر الحملات ذكراً في المصادر والروايات التاريخية؛ حتى إنها أفردت بتأليف مستقل^(١)، ولكن مع كثرة الروايات في المصادر التاريخية العربية عنها، فإنه يكتنفها شيء من الغموض والاضطراب وعدم الدقة، شأنها شأن بعض أحداث التاريخ الإسلامي التي تحتاج إلى إعادة نظر وتدقيق، وتوقف عند بعض الروايات فيها لتحريرها وتمحيصها، فكان أن وفقني الله تعالى لجمع المعلومات والروايات المتعلقة بها، والنظر فيها ودراستها

(١) ينسب هذا الكتاب إلى عبد الله بن قيس الهمداني، انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٣٣٨/٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق ١٥٣/٢٠، وهو مفقود الآن، ومنه نص عند ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦٧/٩-١٦٩.

وتحليلها، وتحرير المتشابه منها، أملاً في المساهمة ولو بمجهود قليل في خدمة هذا التاريخ . ولاسيما أنني تمكنت بفضل من الله تعالى من الوقوف على روايات جديدة في تاريخ دمشق لابن عساكر عن شهود عيان مشاركين في هذه الحملة أفادتني كثيراً في تقويم الروايات، وكان هذا مما شجعني على المضي في هذا البحث، ومع أن الهدف هو دراسة الروايات العربية لكن الرجوع إلى بعض المراجع الغربية أحياناً كان ضرورة لدعم تحرير بعض الروايات أو للمقارنة، وليتحمل القارئ معي ثقل إدراج بعض النصوص من المصادر القديمة؛ إذ أن طبيعة دراسة الروايات وتحريرها يتطلب ذلك أحياناً .

وقد مُهّد للبحث بموجب عن أهمية مدينة القسطنطينية، والمحاولات الأولى لفتحها من قبل الأمويين، ثم بدأ بتفصيل أحداث الحملة؛ استعداداتها، انطلاقها وخط سيرها، قصة ليو⁽¹⁾ الثالث الأيسوري Leo III The Isaurian مع المسلمين ووصوله إلى العرش البيزنطي (٧١٧-٧٤١ م)، ثم عَرَضَ صوراً من الروايات التي تصف أحداث الحصار والموقف الإسلامي و البيزنطي، ثم وضح كيف فُكَّ الحصار عن المدينة، ثم توقف مستقرناً لأهم الأسباب التي أدت إلى عجز المسلمين عن فتح المدينة مرة أخرى، وكان اختتامه باستنباط وتأمل في أبرز النتائج والدروس والعبر التي تمخضت عنها هذه الحملة .

والله تعالى المؤمّل أن يعصم من الزلل ويغفر الخطأ، فهو المستعان وعليه التكلان، وصلى الله تعالى وسلم على المصطفى وآله .

(١) يعرف في المصادر العربية باسم (ليون) ، وهذا ما سنستخدمه في هذا البحث .

تهديد عن أهمية القسطنطينية، والمحاولات الأولى لفتحها:

بدأت الحياة تدب نشيطة في هذه المدينة عندما اختارها الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبير ine ItConsan (٣٠٦-٣٣٧ م) لتكون عاصمة لدولته سنة ٣٣٠ م، بعد تعميرها وبنائها في موقع قرية قديمة تعرف ببيزنطة . كان هذا المكان يتميز بموقع جغرافي فريد عند أقرب نقطة التقاء بين قارتي آسيا وأوروبا في أرضية تلالية مرتفعة أشبه بالثلث رأسه قبالة الشاطئ الآسيوي وضلعاه متساويان يمتد أحدهما شمالاً حيث القرن الذهبي^(١)، والآخر جنوباً حيث بحر مرمرة، وقاعدته مفتوحة براً تجاه أوروبا، ودُعْم هذا الموقع المتميز بأسوار وتحصينات وأبراج أقيمت عليها عبر العصور، فصارت مدينة القسطنطينية من أمنع مدن العالم وأهمها، ومن ثم أصبحت مركز الثقل للإمبراطورية البيزنطية في جميع مناحي حياتها، ووقفت صامدة أمام محاولات الفتح الإسلامي لها عندما زحف الأمويون إليها وطرقوا أبوابها مرات عديدة^(٢).

وقد كان اهتمام الأمويين بفتح القسطنطينية ظاهراً منذ أن توطد الملك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (٤١-٥٦٠/٦٦١-٦٨٠ م)؛ إذ رأى أن الدولة البيزنطية عدو خطر اقتطع المسلمون من أملاكه بلاد الشام ومصر، لكن

(١) قبل اتصال مياه البسفور ببحر مرمرة يمتد داخل البر الأوربي خليج يصل طوله إلى سبعة أميال في انحناء شبيه بالمنجل أو القرن، فصار يعرف في التاريخ بالقرن الذهبي، انظر خريطة القسطنطينية في الملحق رقم ٢ .

(٢) عن موقع القسطنطينية وأهميته انظر العيون والحداثق في أخبار الحقائق، لمؤلف مجهول ص ٢٧، والإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٨٠١/٢، وياقوت الحموي، معجم البلدان ٣٤٧/٤، وإبراهيم العدوي، الأمويون و البيزنطيون ص ١٢٣، وعبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي ص ٢٤٢-٢٤٤ .

ظلت عاصمته و أجزاء الإمبراطورية الأخرى سليمة، ولمس هذه الخطورة في فترة الخلاف التي حدثت بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٥-٤٠هـ/ ٦٥٦-٦٦٠م)، فرسم سياسة محكمة لمواجهة خطر هذه الدولة تقوم على إشغالها بحروب متواصلة على جبهة حدودها مع الدولة الإسلامية، مع انتهاز الفرص عندما تتاح لغزو القسطنطينية ذاتها، تحفزه هو وخلفاؤه الذين جاءوا من بعده والذين ساروا على منهجه في التصميم على الفتح تلكم الأحاديث النبوية الصريحة الرافعة من شأن الفاتحين والواعدة بالمغفرة والمترلة الرفيعة لهم، منها:

عن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص، وهو في بناء له، ومعه أم حرام^(١)، قال عمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أول جيش من أمي يغزون البحر قد أوجبوا^(٢)، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله: أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: أول جيش من أمي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: أنا فيهم؟ قال: لا^(٣).

(١) أم حرام بنت ملحان الأنصارية خالة أنس بن مالك، كانت تخرج مع الغزاة، فخرجت مع زوجها عبادة لفتح قبرص فوقصتها دابتها هناك فماتت بالجزيرة، انظر عنها ابن سعد، الطبقات الكبرى ٤٣٥/٨، وابن عبد البر، الاستيعاب ١٩٣١/٨.

(٢) أي أتوا بالموجة من الحسنات فوجبت لهم الجنة.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح (كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم)، هذا وقد أحر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أمته بأن أحرهم سيفتحون القسطنطينية، ويستفيئون ما فيها من الأموال، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جداً لم ير الناس مثلها، ولا يرون بعدها نظيرها، انظر صحيح مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال)، وتفسير ابن كثير ٣٦٨/١. وهذا فتح آخر سيحدث مستقبلاً غير الفتح الذي تم على يد السلطان العثماني محمد الفاتح في سنة ٨٥٧هـ كما أحر أن هذا الفتح الأخير سيكون قبل فتح المسلمين لرومية (روما)، مسند الإمام أحمد =

وعن بشر الغنوي أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش^(١).
وعن بشر بن عبد الله بن يسار قال: كان عبد الله بن بسر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ بأذني، ويقول: يا ابن أخي إن أدركت فتح القسطنطينية فلا تدع أن تأخذ بحظك منها^(٢).

فكانت هذه الأحاديث مما رفع من قيمة فتح القسطنطينية في نظرهم وشجعهم على اتخاذها هدفاً حيويًا مهمًا سعوا جادين إلى تحقيقه، وبدلوا في ذلك وسعهم وطاقتهم رغبة في تحقق ذلك الوعد النبوي الصادق على أيديهم .
هذا وقد وصلت الجيوش الإسلامية في زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى القسطنطينية وحاصرتها مرتين؛ وذلك بعد أن استكملت كافة الاستعدادات التي تساعد على تحقيق الهدف من الغزو^(٣).

كان الحصار الأول بين سنتي ٤٩-٥٥٠هـ^(٤) (٦٦٩-٦٧٠ م) وشارك فيه عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم^(٥)، ويذكر شاهد عيان هو أبو عمران التجيبي أنهم صفوا أمام المدينة صفين طويلين^(٦)، والهدف من ذلك فيما

= ١٧٦/٢، وجمع الزوائد ٢١٩/٦، وقال: رجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة.
(١) الإمام أحمد، المسند ٣٣٥/٤، والهيتمي، مجمع الزوائد ٢١٨/٦، وقال: رجاله ثقات.
(٢) الشيباني، الأحاد والمثاني ٤٨/٣، وأبو عمر الداني، السنن الواردة في الفتن ١١٢٨/٦.
(٣) عن هذه الاستعدادات انظر عبد اللطيف، العالم الإسلامي ص ٢٤٥ وما بعدها .
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢٤٠/٢، والذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث (٤١-٥٦٠هـ) ص ١٩، ٢١، والهيتمي، مجمع الزوائد ١١/١٠.
(٥) منهم أبو شيبه الخدري، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، تاريخ الطبري ٢٣٢/٥، وتاريخ دمشق ٢٩٠/٦٦ .
(٦) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین ٥١٨/٣.

يظهر والله أعلم إرهاب العدو وبث الرعب والفرع في نفوسهم وإشعارهم أن مدينتهم واقعة تحت الحصار الفعلي، ويلاحظ على هذه الحملة أنها عادت دون أن تحقق هدفها وهو فتح القسطنطينية، لكنها نجحت في صرف همة البيزنطيين عن محارشة المسلمين والتركيز على الدفاع عن ما بحوزتهم من بلاد. وفاز هذا الجيش بفضيلة السبق لغزو هذه المدينة حيث الوعد النبوي بالمغفرة لأول جيش من المسلمين يغزو القسطنطينية^(١).

أما الحصار الثاني فقد تم أثناء ما عرف بحرب السنوات السبع^(٢) (٥٤) - ٦٠هـ / ٦٧٣-٦٧٩م) حيث سارت قوة برية وبحرية نحو القسطنطينية ووصلت إليها دون مقاومة^(٣)، وكان المسلمون قد تمكنوا في هذه السنوات وما قبلها من فتح عدد من الجزر في بحر الروم (المتوسط) مثل قبرص Cyprus، ورووس R odesh، وكوس Cos، وخبسوس Chios، وفتحوا جزيرة أرواد zCy icus في بحر مرمرة واتخذوها قاعدة بحرية لهم في هذه الحرب، كما فتحوا إزمير، وليكيا Lycia، وقيليقية Cilicia في آسيا الصغرى^(٤)، وتعرضت القسطنطينية للحصار في هذه السنوات مرات عديدة في فصول الصيف، لكن ذلك لم يؤدي إلى نتائج حاسمة بسبب انقطاعه في فصول الشتاء وعدم إحكامه،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٤١٣، ٤/٤٨٦، وهذا وفقاً لرواية البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وانظر منهاج السنة النبوية ٤/٥٤٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل ٣/٢٤٦ و فيليب حتي، تاريخ العرب ٣/٢٥٢

(٣) يذكر الدكتور العدوي، الأمويون ص ١٤٣ تولى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قيادة الحملة، ولكن ذلك وهم، لأن عبد الرحمن كان قد توفي سنة ٤٦ هـ، انظر تاريخ دمشق

٣٤/٣٣٤، و تاريخ الإسلام (٤١-٦٠) ص ١٦

(٤) Ostrogorski, History of The Byzantine State, P. ١١١

ونتيجة لهذا ولعوامل أخرى مثل موقع المدينة الجغرافي الحصين، وطبيعة التيارات المائية في سواحلها المحيطة بها، والنار الإغريقية وغيرها ^(١) رأى معاوية رضي الله عنه ضرورة عودة هذه الجيوش ^(٢) فعادت ولم يتحقق هدفها . وكان آخر ما وصى به معاوية قبل موته: «أن شدوا خناق الروم فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم» ^(٣) .

(١) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٥٠/٢ .

(٢) العدوي، الأمويون ص ١٤٤-١٤٥ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٢٠ .

الحملة الأخيرة على القسطنطينية في العصر الأموي

وبعد التعرف على بعض الجهود السابقة نبدأ الآن في عرض ما يتعلق بهذه المحاولة الجادة المخطط لها بعناية وإحكام، والتي بذلت فيها جهود، وسخرت فيها قوى وإمكانات، تدل على رغبة صادقة في الفتح من قبل المسلمين .

الغزو المتواصل لمدن الروم وقلاعهم وإهاب جبهة الحدود:

لئن مات معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فإن الهدف الذي سعى إلى تحقيقه وهو فتح القسطنطينية لم يمت في نفوس أخلافه، بل ظل أملاً حياً يراودهم متحينين الفرصة لإنجازه؛ فما أن استقرت الأمور لعبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ/٦٨٥-٧٠٥ م) إذا به يوجه جهوده نحو مملكة الروم التي راق لها انشغال المسلمين عن غزوها برهة من الزمن، بسبب الفتنة حول الملك في أعقاب وفاة يزيد ابن معاوية (٦٠-٦٤ هـ/٦٨٠-٦٨٣ م)، فقامت بشن غارات على منطقة الثغور الشامية، مستغلة هذه الفرصة، وكان عبد الملك قد اضطر إلى عقد هدنة معها في أول حكمه إبان تشييته الملك، لقاء مبلغ من المال يدفعه لها^(١)، لكن فور فراغه من ذلك دعا الناس للجهاد في سبيل الله تعالى، فوردوا عليه من جميع الآفاق، فخطب فيهم وحثهم على الجهاد في سبيل الله تعالى، ثم وجههم بعد أن استكملوا استعداداتهم إلى بلاد الروم^(٢)، وأمر عليهم ابنه مسلمة^(٣) .

(١) تاريخ الطبري ١٥٠/٦، وكمال ابن الأثير ٢/٤، وابن العري، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٤، والبداية والنهاية ٣١٣/٨ .

(٢) ابن أعثم، الفتوح ١٦٧/٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق ١٦٧/٩-١٦٨ .

(٣) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو سعيد، كان من أشجع أبناء عبد الملك، له آثار كثيرة في حروب الروم والخزر، ونكاية في الروم خاصة؛ حيث لازم الغزو في بلادهم سنين طويلة حالفه التوفيق في معظم تلك الغزوات، توفي سنة ١٢١ هـ بالشام . انظر =

إن الناظر فيما رواه ابن أعثم عن هذه الحملة التي أعدها عبد الملك بن مروان والمتبع لسير حركتها ينتهي به النظر إلى أن هدفها كان القسطنطينية بالذات^(١)، لكن ذلك ليس ثابتاً ولا محوراً؛ فلم يرد في المصادر الأصلية التي اطّلت عليها والتي ينقل بعضها عن شهود عيان^(٢)، ولا حتى في المراجع العربية الحديثة^(٣) ما يدل على طَرُق الجيوش الإسلامية للقسطنطينية بعد وفاة معاوية رضي الله عنه حتى عهد سليمان بن عبد الملك، و أما ما قد يفهم من رواية ابن عساكر^(٤) عن عبد الله ابن سعيد الهمداني من توجيه عبد الملك ابنه مسلمة في تلك الغزاة نحو القسطنطينية فيعكر عليها ما ورد في الرواية نفسها من قوله: «أردت أن أغزيكم غزاة كريمة شريفة إلى صاحب الروم اليون ..» فلم يكن من أباطرة الروم المعاصرين لعبد الملك من يحمل هذا الاسم، مما يدل على أن هناك خلطاً في الرواية وتداخلاً،

= ترجمته في تاريخ دمشق ٢٧/٥٨ وما بعدها، وللمزيد من المعلومات عن مواهبه وخصائصه انظر جواد الأعظمي، الأمير مسلمة بن عبد الملك ص ٥، و٥٧ وما بعدها.

(١) حيث ذكر أن مسلمة استمر في غزواته تلك أربع عشرة سنة، ووصل خلالها إلى القسطنطينية، وحاصرها، وبنى بإزائها مدينة القهر، واستمر هناك قاهراً للروم إلى أن كتب إليه سليمان ابن عبد الملك معزياً في أبيه عبد الملك وأخيه الوليد، في روايات متداخلة مضطربة بعضها أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق، انظر الفتوح ١٩٤/٧-١٩٧، و٢٩٨/٧-٣٠٦ .

(٢) كتاريخ خليفة بن خياط ص ٢٦٧-٢٩٣، وتاريخ الطبري ١٩٤/٦-٤١٨، وابن عساكر ١٥٣/٢٠، وابن الأثير ٣٣/٤-١٠٢، وابن كثير ٧/٩-٦١.

(٣) انظر مثلاً فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٧٢-٧٨، وما بعدها، وعاشور، أوروبا العصور الوسطى ١١٢/١-١١٣، والعدوي، الأمويون .. ص ١٥١ وما بعدها، والسيد عبد العزيز سالم وزميله العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ٣١/١ وما بعدها .

(٤) تاريخ دمشق ١٦٨/٩ .

وقد ذكر ابن خياط أن مسلمة قاد في عهد أبيه حملة موفقة إلى بلاد الروم فتح فيها بعض الحصون ^(١) يرجح أن هذا الإعداد المذكور كان لها .

وهذا لا يعني أن عبد الملك كان مدركاً لأهمية القسطنطينية بدليل توجيهه نظر أبنائه إليها، وتمهيده هو الطريق نحوها عندما زحف بنفسه إلى إقليم قيليقية بأرض الروم، وواجه الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني في فترة حكمه الأولى Justinian II (٦٨٥-٦٩٥ م) مع قواته عند مدينة سيواس aSeb olispsto، وأنزل به هزيمة قاسية، مستفيداً من العناصر السلافية في جيش الإمبراطور الحاقدة عليه والتي استمالها عبد الملك فانضمت إلى صفه، واستفادت الجيوش الإسلامية من خبرتها بالمسالك والدروب، فتابع المسلمون إغاراتهم وانتصاراتهم على المدن والحصون ^(٢) .

إن غزو معاقل الروم على جبهة الحدود والتوغل في أراضيهم ومدنهم داخل العمق البيزنطي منذ أواخر عهد عبد الملك وطوال عهد الوليد كان هدفاً مدروساً يراد به تحقيق عدة أمور؛ منها: تدريب القوات الإسلامية على مواجهة الروم في حروبهم ومعرفة أساليبهم القتالية، وأدواتهم، ومعرفة المسالك والدروب والطرق في بلادهم، وإزالة القوى والعقبات الواقعة في طريق زحف الجيوش الإسلامية نحو هدفها الرئيس القسطنطينية، ولذلك يلاحظ أنه لم تخل سنة من سنوات حكم الوليد (٨٦-٨٩٦/٧٠٥-٧١٥ م) من خروج جيش للغزو والجهاد، ودخول إلى بلاد الروم، وفتح للمعاقل والحصون ^(٣) .

(١) تاريخ خليفة ص ٢٩٣ .

(٢) العدوي، الأمويون ص ١٥٧، وفتح عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٧١/٢-٧٢، وعبد اللطيف، العالم الإسلامي ص ٢٥٤ .

(٣) انظر مثلاً في أحداث سنة ٨٦ تاريخ الطبري ٤٢٦/٦، وفي أحداث سنة ٨٧ تاريخ =

وكان من أهم المعامل والحصون التي افتتحت زمن الوليد حصن الطوانة^(١) Tyana الذي هو بمثابة مفتاح الطريق بين الشام ومضيق البسفور^(٢)، على الرغم من استعصائه، واستماتة الروم في الدفاع عنه، ووصول إمدادات إمبراطورية منجدة، لكن المسلمين صدقوا الله في الجهاد فهزموهم وفتحوا الحصن والمدينة سنة ٨٨ هـ^(٣).

■ الاستعدادات البيزنطية و الإسلامية والتجهيز:

تابع الوليد بن عبد الملك الضغط على الدولة البيزنطية - كما رأينا - بالغزو المتواصل للحصون والقلاع والمدن المتاخمة لبلاد المسلمين، وكان يهدف من وراء ذلك إلى صرف نظر البيزنطيين عن الهدف الرئيس الذي كان يخطط له وهو غزو عاصمتهم، وقد حالف التوفيق المسلمين في معظم غزواتهم، ودخلوا إلى الأعماق البيزنطية، مما أوقع الشك والريب في قلب الإمبراطور (أنسطاس

= خليفة ص ٣٠٤ وتاريخ الطبري ٤٢٩/٦، وفي أحداث سنة ٨٨ تاريخ خليفة ص ٣٠٥ وتاريخ الطبري ٤٣٤/٦، وفي أحداث سنة ٨٩ تاريخ خليفة ص ٣٠٥ وتاريخ الطبري ٤٣٩/٦، وفي أحداث سنة ٩٠ تاريخ خليفة ص ٣٠٦، وتاريخ الطبري ٤٤٢/٦، وفي أحداث سنة ٩١ تاريخ الطبري ٤٥٤/٦، وفي أحداث سنة ٩٢ تاريخ الطبري ٤٦٨/٦، وفي أحداث سنة ٩٣ تاريخ خليفة ص ٣٠٩، وتاريخ الطبري ٤٦٩/٦، وفي أحداث سنة ٩٤ تاريخ خليفة ص ٣١٠، وتاريخ الطبري ٤٨٣/٦، وفي أحداث سنة ٩٥ تاريخ الطبري ٤٩٢/٦، وفي أحداث سنة ٩٦ تاريخ الطبري ٤٩٥/٦. ويلاحظ أنه ما مرت سنة إلا وكان فيها غزوة أو أكثر صائفة أو شتوية، ويلاحظ أنه قام على جميع تلكم الغزوات رجال من بني أمية إما مسلمة أو أحد أبناء الوليد.

(١) حصن وبلد منيع من الحصون التي بناها الروم بشغور المصيصة، افتتحه المسلمون سنة ٨٨. معجم البلدان ٤٥/٤ - ٤٦.

(٢) عبد اللطيف، العالم الإسلامي ص ٢٥٤.

(٣) لمعرفة تفاصيل هذا الفتح انظر تاريخ دمشق ٤٤٣/٢٦ - ٤٤٦ فيما رواه عن ابن عائد.

الثاني (Anstas II us 713-716 م)^(١) بأن وراء هذا النشاط العسكري ما وراءه، ولذلك أرسل سفارة في سنة ٩٥هـ (٧١٤م) تسعى إلى طلب الصلح وعقد هدنة بين الطرفين، وهدف آخر لها وهو تلمس ما وراء ذلك النشاط العسكري من مقاصد، والتحري في العاصمة الإسلامية عن ما يجري من إعداد لغزو العاصمة البيزنطية، ويذكر أن البعثة لم تظفر بما أعلن أنها جاءت من أجله، لكنها أدركت ما يخطط له المسلمون من غزو عاصمتهم، فعادت لتؤكد للحاكم البيزنطي صدق عزيمة المسلمين فيما ينوون من جهادهم وتنصح بضرورة اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة للدفاع عن العاصمة وصد المسلمين عنها^(٢)، فبادر عندئذ بالاستعداد للمواجهة؛ فكان من الإجراءات والاحتياطات التي اتخذها ما يلي^(٣):

- أعلن في العاصمة عن نبأ حملة مرتقبة للمسلمين يتطلب الإعداد لها التكيف معها.
- على كل فرد يعيش داخل العاصمة أن يخزن لنفسه مؤونة تكفيه لمدة ثلاث سنوات .
- على كل فرد غير قادر على تدبير مؤونته أن يغادر المدينة .
- عُبِّت الخزائن الإمبراطورية بالقمح وما يحتاجه المدافعون من طعام .
- تجديد أسوار المدينة المتداعية ولاسيما المطللة منها على البحر .
- تزويد الأسوار البرية بآلات الدفاع من منجنيقات وغيرها .
- أمر الإمبراطور بإعداد حملة لمهاجمة سواحل الشام بقصد عرقلة استعدادات

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف ص ١٦٥ .

(٢) عن هذه السفارة انظر العدوي، الأمويون ص ١٥٩، وفتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٢ / ٨٤، ولم أجد في المصادر الإسلامية القديمة التي اطلعت عليها شيئاً عنها .

(٣) عن هذه الاستعدادات ينظر الذهبي، تاريخ الإسلام (٨٠-١٠٠) ص ١٦٩، والعدوي، الأمويون ص ١٦٠، وماجد، التاريخ السياسي للدولة الأموية ص ٢٥٤ وفتحي عثمان، الحدود

الإسلامية البيزنطية ٢ / ٨٤ و ٣٧١، P. Bury, Later Roman Empire, II,

المسلمين أو القضاء عليها.

هذا في الوقت الذي كان يمضي فيه المسلمون قدماً في الإعداد لغزو القسطنطينية، فبعد موت الوليد بن عبد الملك في منتصف شهر جمادى الآخرة من سنة ٩٦ هـ^(١) تابع أخوه سليمان الإعداد والتجهيز مستغلاً الظروف السيئة التي مرت بها الإمبراطورية؛ من تعاقب الأباطرة، و ضعف بعضهم، والصراع حول العرش، والثورات والفتن الكثيرة^(٢)، وطمع أعدائها^(٣)، وسوء أحوالها بعد أن سرى الفساد في جميع مرافقها وإداراتها^(٤)، وانحطاط نظامها العسكري^(٥)، والخلاصة أفما كانت تعيش حالة ضعف تام^(٦)، وكان من الإجراءات التي اتخذت في سبيل الاستعداد للحملة:

- الاستمرار في غزو أراضي الروم في مناطق الحدود؛ حيث غزا داود بن سليمان الصائفة سنة ٩٧ هـ، فافتتح حصن المرأة^(٧)، وغزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم فافتتح بعض الحصون كبرجمة والحديد وحصن ابن عوف^(٨)، كما غزا عمر بن هبيرة أيضاً^(٩)، وذلك بهدف إلهاء السلطات البيزنطية،

(١) تاريخ الطبري ٤٩٥/٦ .

(٢) مؤلف مجهول، العيون والحداثق ص ٢٥-٢٦ .

(٣) ماجد، التاريخ السياسي ص ٢٤٥، ونبيه عاقل، تاريخ خلافة بني أمية ص ٢٤٦-٢٤٧ .

(٤) العدوي، الأمويون ص ١٦١ .

(٥) فتحى عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٨٧/٢، عن شاهد معاصر في سنة ٧١٥ م

(٦) علي حسن، التاريخ الإسلامي العام ص ٣١٥، وانظر سعيد عاشور، أوروبا العصور

الوسطى ١١٢/١ .

(٧) تاريخ الطبري ٥٢٣/٦ .

(٨) تاريخ خليفة بن خياط ص ٣١٩-٣٢٠، و تاريخ الطبري ٥٢٣/٦، و كامل ابن الأثير

. ١٤٦/٤

(٩) المصادر السابقة نفسها .

والتصويه على الهدف الرئيس^(١).

- صناعة سفن جديدة في دور الصناعة بمصر لتدعيم الأسطول البحري^(٢).
- جمعت أدوات الحرب من كل صنف للصيف والشتاء، وأدوات الحصار من مجانيق وغيرها، كما تزودوا بالنفط وغير ذلك^(٣)، بل لقد ساهمت معظم أقطار الخلافة الإسلامية فيما تحتاجه الحملة من عدة وعتاد^(٤).
- حشد جيش بري كبير من أهل الشام والموصل والجزيرة^(٥)، وخرج مع الجيش المتطوعة المحتسبون أجرهم على الله تعالى^(٦)، وجماعة من الفقهاء من الشام والعراق^(٧)، قال أكثر المؤرخين: إن عدة الجيش . بلغت ١٢٠ ألفاً^(٨).

(١) طقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣٠ .

(٢) العدوي، الأمويون ص ١٦٠ .

(٣) العيون والحدائق ص ٢٤ .

(٤) العدوي، الأمويون ص ١٦٠، وعامل، تاريخ خلافة بني أمية ص ٢٤٦ .

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وابن كثير، البداية والنهاية ١٧٨/٩ .

(٦) البداية والنهاية ١٧٥/٩ .

(٧) العيون والحدائق ص ٢٥، و تاريخ دمشق ٩٢/٦٤، وانظر الأنباري، تاريخ الدولة العربية ص ٣٨٨ .

(٨) المسعودي، التنبيه والإشراف ص ١٦٥، و المقدسي، البدء والتاريخ ٤٣/٦، وابن العربي،

تاريخ مختصر الدول ص ١٦٩، والذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وقال في

دول الإسلام: «أزيد من مائة ألف» ص ٦٧، وفي سير أعلام النبلاء قال: «مائة ألف»

١٢٥/٥، ووردت رواية عند ابن كثير فيما رواه عن الواقدي فيها مبالغة كبيرة، قال:

«جهز في البر مائة وعشرين ألفاً وفي البحر مائة وعشرين ألفاً من المقاتلة»، البداية والنهاية

١٧٥/٩، لكنه عاد في ص ١٧٨ من الجزء نفسه فقال: «وهم في نحو من مائة وعشرين

ألفاً». وحتى هذا العدد الأخير يبدو لي أنه مبالغ فيه؛ إذ يصعب تحرك مثل هذا الجيش

الضخم وتموينه، وقطعه مسافات شاسعة ومسالك وعرة في عمق بلاد عدو متجه إلى

حربه . وأقل ما ذكر عن عدد هذا الجيش هو ٨٠ ألفاً، ابن أعثم، الفتوح ٣٠٩/٧، =

- أَعَدَّ أسطول حربي ضخم لحمل المجاهدين البحرين من مصر وأفريقية . قدرت قطعه البحرية بألف مركب^(١)، أو ١٨٠٠ سفينة كبيرة عدا سفن صغيرة أخرى^(٢). والرواية الأولى أقرب إلى القبول لأنها عن شاهد عيان.
- عَيَّنَ الخليفة سليمان أخاه مسلمة بن عبد الملك ليكون قائداً عاماً للجيش كلها البرية والبحرية^(٣)، وهذا الاختيار جاء نتيجة لخبرته الحربية الطويلة في بلاد الروم منذ زمن أبيه عبد الملك، فقد عرّكته التجربة في بلادهم فصار من أَعْرَفَ الناس بها، وكان شجاعاً مقداماً، أما قائد الأسطول البحري فهو عمر بن هبيرة الفزاري^(٤)، وإن كانت بعض المراجع الحديثة^(٥) تقول إن أمير البحر هو

= والعدوي، الأمويون ص ١٦٣، وعاشور، أوربا ١١٣/١ .

(١) تاريخ دمشق ٣٣٨/٥٠، و الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وابن كثير، البداية والنهاية ١٧٨/٩ .

(٢) عاشور، أوربا ١١٣/١، والعدوي، الأمويون ص ١٦٣-١٦٤، وسالم، تاريخ البحرية ٣٥/١، وهذا أيضاً وفق المراجع الغربية انظر مثلاً Vasiliev , History of the Byzantine Empire, I, P.٢٣٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٣٠/٦، و المسعودي، التنبيه ص ١٦٥، و مروج الذهب ٤٤/٢، و تاريخ القضاعي ص ٣٥٨، و تاريخ بغداد ٣٣٨/٩، و كامل ابن الأثير ١٤٦/٤، و تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، و سير أعلام النبلاء ٥٠١/٤، و البداية والنهاية ١٧٨/٩

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٢١، و تاريخ البعقوبي ٣٠٠/٢، و المسعودي، التنبيه ص ١٦٥، و ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٧٤/٤٥، و الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، و سير أعلام النبلاء ٥٠١/٤، و العبر في خبر من غير ٨٧/١، و البداية والنهاية ١٧٨/٩ . وهو أبو المنثي، كان أميراً من الدهاة الشجعان، عزله عمر بن عبد العزيز عن إمارة البحر بعد القفول من القسطنطينية، ثم ولاه الجزيرة فغزا الروم، وتولى العراق ليزيد ابن عبد الملك، ثم عزله هشام . انظر عنه: تاريخ دمشق ٣٧٣/٤٥ وما بعدها .

(٥) العدوي، الأمويون ص ١٦٤، و سالم، تاريخ البحرية الإسلامية ٣٥/١، و عبد اللطيف، العالم الإسلامي ص ٢٥٧، و طقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣٠ .

سليمان [هكذا] دون تعيين، اعتماداً على المصادر الغربية^(١)، لكن روايات شهود العيان تؤيد القول الأول، كالليث بن تميم الفارسي^(٢) الذي قال: «كنت ممن غزا على اسمه وعطائه بفيء عمر بن هبيرة إذ ولاه سليمان غازية البحر»^(٣)، وقال: إن عمر بن هبيرة لم يزل على غازية البحر حتى عزله عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) عند القفول من القسطنطينية^(٤)، وصرّح بإمارة ابن هبيرة على البحر في أحداث الحصار نفسها^(٥).

- همّ الخليفة سليمان بالإقامة في بيت المقدس لجمع الناس والأموال^(٦)، ولكنه عدل عنها إلى دابق^(٧) شمالاً، حيث عسكر هناك^(٨)، ليرفع من الروح المعنوية للجند، وليكون أقرب إلى ميدان الحرب، وقد حلف أن لا يعود حتى تفتح القسطنطينية أو يموت دون ذلك^(٩).

(١) على سبيل المثال ٤٠١، P. Bury, Later Roman Empire, II.

(٢) من مشيخة ساحل دمشق، ومن غزاة البحور، روى عنه الوليد بن مسلم روايات كثيرة عن مغازيه التي شارك فيها، في القسطنطينية وغيرها، انظر عنه: تاريخ دمشق ٣٣٧/٥٠ وما بعدها.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق ٣٣٧/٥٠.

(٤) المصدر السابق ١٣١/٥٧.

(٥) المصدر السابق ٢٣٠-٢٣١/٦٨.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٤٦٩، وسير أعلام النبلاء ٥٠١/٤.

(٧) دابق: قرية قرب حلب بينهما أربعة فراسخ عندها مرج معشب نزه، معجم البلدان ٤١٦/٢.

(٨) المصدر السابق ٤١٦/٢-٤١٧.

(٩) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، و الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٤٦٩، و سير أعلام النبلاء ٥٠١/٤، ويذكر صاحب العيون والحداثق أن بعض العلماء أخرج سليمان أن الخليفة الذي يفتح القسطنطينية اسمه اسم نبي، ولم يكن في بني أمية من اسمه اسم نبي غيره، فطمع أن يكون هو، فاستعد وتحمس ص ٢٤. ولم أر فيما اطلعت عليه من كتب الحديث ما يؤيد هذا القول.

- أخرج سليمان العطاء للجيش، وأنفق أموالاً كثيرة من الخزائن، وبين للناس غزوقهم وطولها، وأمرهم بتقوى الله، ومصابرة العدو، والتناصح والتناصف^(١).
 - أخذ مسلمة معه ما يحتاجه من مواد تساعد على إنجاز مهمته؛ من مؤن وأخشاب لإقامة بيوت تكن المسلمون من شتاء القسطنطينية القارس^(٢).
- هذا وقد جاء في رواية للواقدي ساقها كل من الذهبي^(٣) وابن كثير^(٤) أن سليمان قبل أن ينفذ الحملة استشار موسى بن نصير وأخاه مسلمة في أيهما يبدأ به أولاً القسطنطينية، أم ما دونها من البلاد حتى يصل إليها فيفتحها؟ فكان رأي موسى بن نصير أن يبدأ بما دونها حتى يصلها، سيراً على سنن الفاتحين الأولين، أما مسلمة فقد رأى أن يبدأ بالقسطنطينية أولاً، وقد أعجب سليمان هذا الرأي فأخذ به . ويبدو أنهم كانوا على عجلة من أمرهم وإلا فإن رأي موسى كان أحكم وأصوب وأثبت الأيام نجاحه وصوابه .

■ سير الحملة إلى القسطنطينية وضرب الحصار:

استدعى مسلمة بن عبد الملك بشراً الغنوي الذي روى عن أبيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو: «لنتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»، قال: فدعاني مسلمة بن عبد الملك، فحدثته، فغزاها^(٥). وكان هذا بعد أن تكامل إعداد الحملة وتجهيزها في سنة

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وابن كثير، البداية والنهاية ١٧٥/٩، وابن دقماق، الجوهر الثمين ص ٧٠ .

(٢) انظر طقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣١ .

(٣) تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وسير أعلام النبلاء ٥٠١/٤ .

(٤) البداية والنهاية ١٧٤/٩-١٧٥ .

(٥) البخاري، التاريخ الكبير ٨١/٢، ابن عبد البر، الاستيعاب ١٧٠/٨، وقال إسناده حسن، وانظر تاريخ دمشق ٣٥-٣٤/٥٨ .

٩٧هـ^(١)، وأتخذت كافة الوسائل والتدابير التي تساعد على تحقيق الهدف، فتحركت الجيوش البرية من مرج دابق نحو القسطنطينية سالكة طريق مرعش^(٢) من ناحية الشام^(٣)، ثم قطعت الدرب مجتازة مناطق الثغور الحدودية، وأفضت إلى ضواحي الروم^(٤)، ثم واصلت زحفها حتى وصلت إلى إقليم الأناضول Anatolikon، فتوغلت فيه حتى وصلت إلى عاصمته مدينة عمورية Amo rumi، فضربت عليها حصاراً لم يلبث أن فكَّ، بسبب اتفاق مع حاكم الإقليم ستأني الإشارة إليه بإذن الله.

واجتازت الجيوش الإسلامية إقليم الأناضول دون مقاومة، باثة الرعب والذعر في نفوس السكان، و صار الطريق مفتوحاً أمامها، ويستشف من الروايات أن مسلمة استغرق وقتاً قبل الوصول إلى القسطنطينية، وذلك بسبب هجوم الشتاء القارس على الجيش، فشقى بضواحي الروم^(٥)، وكانت الدوريات بقيادة أبي يحيى البطل تقوم بتأمين الجيش وحمائته من مباغطة العدو^(٦).

اقترب الجيش الإسلامي من بحر القسطنطينية وفتح في طريقه مدينتي ساردس Sardis وبرغامة Pergamum الواقعتين قرب شواطئ بحر إيجه^(٧)، وتقدم إلى أبيدس Apydos على الساحل فعمسكرها، وبعد ستة

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٤، والبداية والنهاية ٩/١٦٩.

(٢) مرعش: مدينة في الثغور بين بلاد الشام وبلاد الروم إلى جانب ثغر الحدث. انظر عنها:

ابن خردادبة، المسالك والممالك ص ٢٥٣، والحموي، معجم البلدان ٥/١٠٧.

(٣) العيون والحدائق ص ٢٥.

(٤) تاريخ دمشق ٥٨/٢١.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٢١، وتاريخ يعقوبي ٢/٣٠٠، والعيون والحدائق ص ٢٥.

(٦) تاريخ دمشق ٣٣/٤٠٢، وهذه رواية مهمة انفرد بها ابن عساكر عن الوليد بن مسلم

ذكر فيها أن مجموع هذه القوة عشرة آلاف.

(٧) العربي، الدولة البيزنطية ص ١٨٧، وطقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣١. وأومان، =

عشر يوماً^(١) وصلت مراكب المسلمين وأسطولهم البحري إلى أبيدس ومسلمة مقيم عليها عند عين ماء، عرفت فيما بعد بعين مسلمة^(٢).

أما طريق سير الأسطول البحري فيروي شاهد عيان كان ضمن أفراد هـ الليث الفارسي أنهم انطلقوا حتى مروا بمصر فبعوهم فمضوا جميعاً حتى طرابلس أفريقية وعلو أرض الروم حتى إذا حاذوا القسطنطينية ساروا في بحر الشام حتى دفعوا إلى خليج القسطنطينية^(٣)، ومعنى هذا أن أسطول الشام توجه جنوباً لينضم إليه أسطول مصر، ثم اجتمع الأسطول كله ليأخذ طريقاً موحداً نحو القسطنطينية.

وعبر المسلمون من أبيدس بواسطة الأسطول إلى الشاطئ الأوربي^(٤)، وكان عرض الخليج من ذلك الموضع كما يقول صاحب العيون والحدائق غلوة سهم^(٥)، و أثناء العبور تعرض البيزنطيون لبعض مراكب المسلمين فاختطفوها لكن تصدى لهم أحد القادة البحريين فأوقع بهم - كما في رواية شاهد العيان الليث الفارسي^(٦) - . وبعد أن تم الانتقال إلى العدة الأوربية توجهت الجيوش نحو القسطنطينية، وعند الوصول بدأ مسلمة بتنظيم الصفوف لإحكام الحصار على المدينة من ناحية البر، وعسكر عند أحد الأبواب المهمة، ونصب المجانيق عليها^(٧)، وأرست

= الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: مصطفى طه بدر، ص ١٤٥، و Vasiliev, History of the Byzantine Empire, I, P. ٢٣٦.

(١) العدوي، الأمويون ص ١٦٣ .

(٢) المسعودي، مروج الذهب ٤٤/٢ .

(٣) تاريخ دمشق ٣٣٧/٥٠-٣٣٨ .

(٤) العيون والحدائق ص ٢٦، وتاريخ دمشق ٣٣٩/٥٠ .

(٥) ص ٢٦، وانظر المسعودي، مروج الذهب ٤٤/٢ .

(٦) تاريخ دمشق ٣٣٨/٥٠-٣٣٩، وهذه الرواية مهمة لم تذكرها المصادر والمراجع الأخرى .

(٧) العيون والحدائق ص ٢٧ .

السفن على الساحل مما يلي العسكر، فصار الاتصال بين مسلمة - القائد العام - وبين ابن هبيرة - قائد الأسطول - ميسوراً^(١)، ثم تحرك جزء من الأسطول وفرض الحصار على المدينة من ناحية بحر مرمرة، وحاولت قطع أخرى من الأسطول عبور مضيق البسفور لمحاصرة المدينة من جهة الشمال - بعد أن أحكمت السيطرة على مدخله الجنوبي - مستغلة هبوب رياح جنوبية ساعدت على تحركها على الرغم من مواجهتها للتيارات المائية القادمة من الشمال التي تعيق السير، وكادت أن تعبر لولا تغير الرياح المفاجئ الذي أربك حركتها وعرضها للتقهقر، فاستغل الروم هذا التراجع وأمطروا السفن بنيرانهم الحربية المعروفة بالنار الإغريقية^(٢)، فغطبت كثير من تلك السفن، وأصيب عدد من المسلمين، وأغلق الروم مدخل القرن الذهبي بسلسلة ضخمة من الحديد^(٣).

وبهذا ظلت الجهة الشمالية للمدينة مفتوحة لم يستطع المسلمون الوصول إليها أو تطويقها، مما أحدث ثغرة في الحصار مكنت البيزنطيين من الاتصال بالمناطق التي يستمدون منها بعض حاجاتهم ومؤتمهم . ومع هذا فإن المسلمين حاصروا عاصمة الروم من الجهات الأخرى، وضغطوا عليها، ومنعوا أهلها من كل مرفق برأً وبحراً^(٤)، وقهروهم^(٥)، وأحدثوا الرعب في نفوسهم؛ بما رأوا من بأس المسلمين وشدتهم، وتحملهم للصعاب .

هذا وكان من العوامل التي ساعدت المسلمين على الثبات والصبر على

(١) تاريخ دمشق ٣٣٩/٥٠، وهذه الرواية أيضاً عن شاهد عيان .

(٢) العدوي، الأمويون ص ١٦٤ . والنار الإغريقية هي مادة شديدة الاشتعال تحترق حتى على سطح الماء، اكتشفها مهندس من أصل سوري من دمشق، يدعى كالينيكوس Callinicus، حتى، تاريخ العرب ص ٢٥٣ .

(٣) حتى، تاريخ العرب ٢٥٤/٣، وطقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣٢ .

(٤) العيون والحداثق ص ٢٧ .

(٥) تاريخ الطبري ٥٣٠/٦، والعيون والحداثق ص ٣٢ .

حصار المدينة على الرغم من برودة الطقس أن مسلمة بن عبد الملك أمر الناس ببناء بيوت من الخشب، وحفر الأسراب^(١)، لتكنهم من البرد، وحفر حول المعسكر خندقاً عميقاً^(٢)، بل وحفر خندقاً آخر من بحر مرمرة حتى القرن الذهبي لمنع الإمدادات من جهة تراقيا^(٣). وأنه لما دنا من القسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه حتى يصل إليها، وكذلك العلف للدواب، نُقل إليه كل ذلك من الضواحي ومن رساتيق^(٤) الروم وجاءه في المراكب، فألقي في ناحية فصار كالجبال، وأمرهم أن يدخروه لوقت الحاجة ففعلوا، ومنها أنه أمر الناس بزراعة الأرض، والإغارة على النواحي، فصاروا يأكلون مما يصيبون من الغارات، ثم أكلوا الزرع لما استوى^(٥).

ولهذا فقد واصل المسلمون حصارهم لمدينة القسطنطينية، ومنعوا الأقوات من التسرب إلى داخلها من ناحيتهم، وشددوا الضغط عليها، فاستخدموا النفط، واستعملوا نوعاً أشبه بالمدفعية^(٦) في ذلك أسوار المدينة، وأظهروا من ضروب الشجاعة وحب الاستشهاد في سبيل الله تعالى والروح المعنوية العالية ما أفاض عدوهم وقتاً في عضده وأنزل الرعب في قلبه.

(١) العيون والحدائق ص ٣٢ .

(٢) سالم، تاريخ البحرية الإسلامية ٣٥/١ .

(٣) أومان، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب مصطفى بدر ص ١٤٦، وفتح عثمان، الحدود

الإسلامية البيزنطية ٩٠/٢، وجوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية ص ١٣١ .

(٤) واحدها رُستاق، ويقال رُستاق ورُزداق، فارسي معرب، قال في التاج عن ياقوت: الذي

شاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرستاق: كل موضع فيه مزدرع وقرى،

ولا يقال ذلك للمدن، فهو بمزلة السواد عند أهل بغداد . الزبيدي، تاج العروس، مادة

(رزتق) ١٦٢/١٣، والجواليقي، المعرب ص ١٥٨ .

(٥) تاريخ الطبري ٥٣٠/٦، والعيون والحدائق، وكامل ابن الأثير ١٤٦/٤ .

(٦) سالم، تاريخ البحرية الإسلامية ٣٥/١، والعدوي، الأمويون ص ١٦٥ .

قصة اليون الإيسوري (٧١٧-٧٤١ م) مع المسلمين ووصوله إلى

العرش البيزنطي:

يرجح أكثر المؤرخين أنه نصراني من أهل مرعش^(١)، وسماه المسعودي اليون بن قسطنطين المرعشي^(٢)، و بعد أن قضى فترة طفولته في مرعش؛ حيث تمكن من معرفة اللسان العربي^(٣)، عاش في إقليم إيسورة في المنطقة الجبلية الواقعة في الطرف الشرقي لآسيا الصغرى، فنسب إليه، فعرف باليون الإيسوري (ليو الثالث)^(٤). ويذكر أنه انتقل مع عائلته إلى منطقة تراقيا في عهد جستنيان الثاني، وهناك تولى عدداً من المناصب العسكرية حتى صار أحد القادة المشهورين خاصة بعد حملة ناجحة في منطقة القوقاز حيث ظهرت قدراته العسكرية والسياسية^(٥)، ثم اختاره الإمبراطور انسطاس الثاني ليكون حاكماً لإقليم الأناضول^(٦).

(١) المسعودي، مروج الذهب ٥٤/٢، والتنبيه ص ١٦٥، و مؤلف مجهول، العيون والحدائق ص ٢٥، و المقدسي، البدء والتاريخ ٤٣/٦-٤٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء ٥٠٢/٤، وابن كثير، البداية والنهاية ١٧٥/٩، وانظر حتى، تاريخ العرب ٢٥٤/٣، وعبد المنعم ماجد التاريخ السياسي ص ٢٤٦، والعدوي، الأمويون ص ١٥٨. بينما يذكر الطبري في تاريخه ٥٣٠/٦ أنه من (أرمينية)، وابن الأثير في كامله ١٤٦/٤ أنه من (أذربيجان)، ورواية المسعودي ومن وافقه أقرب إلى الروايات البيزنطية عن أصل اليون، انظر مثلاً:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, I, p.٢٣٤ & Ostrogorsky,

History of The Byzantine State, P. ١٣٧

(٢) التنبيه والإشراف ص ١٦٥ .

(٣) العيون والحدائق ص ٢٥ .

(٤) جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة لويس إسكندر ٥٥٢/٢، و عاشور، أوربا ١١٤/١ .

Ostrogorsky, History of The Byzantine State, P. ١٣٧ (٥)

(٦) العيون والحدائق ص ٢٥، و العدوي، الأمويون ص ١٥٨-١٥٩، وانظر تاريخ دمشق ٣٣٧/٥٠ .

بدأت قصة اليون الإيسوري مع المسلمين عندما انطلقت حملة مسلمة بن عبد الملك التي نحن بصددنا نحو هدفها، مجتازة إقليم الأناضول الذي يحكمه، وضربت حصاراً على عاصمته مدينة عمورية^(١)، فبدأ اليون الاتصال بالمسلمين . وهنا بين يدي نص ثمين أورده ابن عساكر في ترجمة مسلمة بن حبيب الفهري، مفاده أن اليون كتب كتاباً إلى مسلمة بن عبد الملك يخبره بما تحت يده من ولايات، وأنه إن أعطاه ما يسأله قدم عليه فناصره وقواه على فتح القسطنطينية، فقرأ مسلمة هذا الكتاب على كافة الأمراء الذين معه في الجيش وأهل المشورة، فاجتمع رأيهم على إجابته ما خلا مسلمة بن حبيب الفهري الذي رفض ذلك بحجة أن الروم أهل مكر وخديعة قال: «.. وهذه إحدى مكرهم، فلا تعطه إلا السيف»^(٢)، لكن المجتمعين خالفوه وضحكوا من رأيه وقالوا: كبر الشيخ، وهوتوا من شأن اليون، وأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً إزاء جموعهم الغفيرة . فكتب مسلمة إلى اليون يؤمّنه على ما سأل، فقدم ومعه اثنا عشر ألفاً من أساورته^(٣)، «فكاتبه على مناصحته ومظاهرتة على الروم، ودلالته على ما فيه سبب فتح القسطنطينية على بطرقته وتمليكه على جماعة الروم»^(٤).

هذا النص رواه الوليد بن مسلم أحد شيوخ الشام الكبار المهتمين بأمر المغازي والفتوح والعلاقات الحربية بين المسلمين والروم خاصة، عن غير واحد من شيوخه، وهو يخالف المصادر البيزنطية التي لم تثبت وجود مناظرات مباشرة بين اليون ومسلمة^(٥).

(١) عبد اللطيف، العالم الإسلامي ص ٢٥٩ .

(٢) تاريخ دمشق ٢١/٥٨ .

(٣) جمع أسوار: قائد الفرس، أو الجيد الرمي بالسهم، أو الجيد الثبات على ظهر الفرس .

لسان العرب، مادة (سور) .

(٤) تاريخ دمشق ٢١/٥٨ .

(٥) انظر وسام فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ص ١٥٤، حيث =

ويؤخذ من هذه الرواية أن بدء اتصال اليون بالمسلمين كان بعد أن اجتازت حملة مسلمة إلى بلاد الروم متجهة نحو القسطنطينية، خلافاً لما رواه الطبري ومن وافقه^(١) من أن اليون جاء إلى الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك لما هلك إمبراطور الروم فأخبره بذلك، وضمن أن يدفع إليه أرض الروم، فوجه معه مسلمة حتى نزل بالقسطنطينية .

وينسجم مع رواية ابن عساكر هذه ما رواه المسعودي^(٢)، وصاحب العيون والحدائق^(٣)، والمقدسي^(٤)، وابن كثير^(٥)، عن وقت اتصال اليون بالمسلمين . ويستفاد أيضاً أن موافقة مسلمة بن عبد الملك ومن معه على قدوم اليون واستنصاحه كان وفقاً لأهوائهم ورغبتهم العاجلة في الفتح من غير نظر في عواقب موالاته الكفار وموادتهم، كما تنبه إليها ذلك الشيخ الليب الحازم مسلمة بن حبيب .

ويلفت النظر ذلك العدد الكبير الذي قدم به اليون (١٢ ألفاً) لماذا؟ هل هو لنصرة المسلمين؟! أليس الهدف من استنصاحه الدلالة على الطريق والعورات والدلالة على ما فيه سبب الفتح^(٦)؟

ويفصح النص بصراحة ووضوح عن الهدف الذي شارطهم عليه مقابل

= يذكر أن المصادر البيزنطية لم تثبت وجود مناظرات مباشرة بين اليون ومسلمة، وإن أشارت إلى رسائل متبادلة بينهما، لكنهما لم يتقابلا شخصياً .

(١) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، وكامل ابن الأثير ١٤٦/٤ .

(٢) التنبيه ص ١٦٥ .

(٣) ص ٢٦ .

(٤) البدء والتاريخ ٤٤/٦ .

(٥) البداية والنهاية ١٧٤/٩ .

(٦) المقدسي، البدء والتاريخ ٤٤/٦

ما سيؤديه من خدمات وهو (بطرفته وتقليكه على جماعة الروم) ولا أدري كيف يُقبل من رجل أنه سيدل على عورات قوم يسعى إلى ولايتهم، وسيكون مسؤولاً عن مصالحهم والدفاع عنهم؟! .

ولهذا يتضح أن قبول مثل هذا الجسم الغريب لينضم إلى الجيش بداية حقيقية للفشل والعجز عن تحقيق الهدف .

على أي حال فكَّ الحصار عن مدينة عمورية تنفيذاً للاتفاق، وواصل الجيش الإسلامي مسيره نحو القسطنطينية كما أسلفنا .

وهنا تختلف الروايات العربية حول اليون؛ فأكثرها يذكر أنه صاحبَ الجيش الإسلامي حتى وصل إلى القسطنطينية، وظل مع مسلمة يظهر موالاته ويتحين الفرصة المناسبة للانحياز إلى صف الروم، ليصل إلى هدفه الذي خطط له وهو تسنم عرش الإمبراطوية - في ظل ضعف حاكمها عن المواجهة - ومن ثم المكر بالمسلمين . وهذا ما تم له - وفقاً لهذه الروايات - ؛ فإنه لما ألح المسلمون في حصار المدينة وضاق الحال بأهلها طلب الروم من مسلمة أن يبعث إليهم اليون، فلما صار إليهم أخبرهم بأنه مستعد للتصدي لمسلمة مقابل تملكه عليهم، فبايعوه،^(١) وعند المسعودي أنه هو الذي استأذن مسلمة في التوسط بينه وبينهم، فلما سار إليهم، دعاهم إلى بيعته فأجابوه^(٢) .

والروايتان كما يظهر متفتتان، وإن بدا اختلاف يسير في مَنْ هو الذي طلب من مسلمة التوسط، هل هو اليون نفسه أم الروم؟ ويمكن أن يقال: إن الروم هم الذين بدأوا بالطلب ثم استأذن اليون من مسلمة تبعاً لذلك، ليهتبل الفرصة التي كان ينتظرها على أحر من الجمر .

(١) المصدر السابق ٤٤/٦ .

(٢) التنبيه ص ١٦٥-١٦٦ .

ورواية المقدسي السابقة عن كيفية وصول اليون إلى عرش الإمبراطورية ذكرتها معظم المصادر العربية التي تناولت هذا الموضوع^(١).
وعند صاحب العيون والحدائق أن اليون ظلّ في عمورية حتى استدعاه مسلمة لما أشرف على فتح القسطنطينية، وأنه هو الذي أرسله إلى أهلها وطلب منهم أن يملّكوه عليهم حتى يرحل ويدعهم هم وبلادهم ودينهم وكنائسهم، وما زال مسلمة يلح عليهم حتى ملّكوا اليون بعد أن وعدهم هذا بالغدر بمسلمة^(٢). ويظهر من هذه الرواية كأن مسلمة ما جاء لفتح القسطنطينية، وإنما جاء منقداً لعرش بيزنطة من التردي في هوة الخلافات والضعف، وتنصيب اليون حاكماً عليها.

لكن ثمة رواية أخرى عن شاهد عيان تفيد أن اليون وقت عبور القوات الإسلامية إلى البر الأوربي كان جالساً على برج باب القسطنطينية ينضم قواته ويصف رجاله فيما بين الخائط والبحر^(٣).

ومعنى هذا أن اليون وصل إلى القسطنطينية قبل وصول القوات الإسلامية بوقت كاف تمكن فيه من الوصول إلى العرش البيزنطي، وإعادة تنظيم قواته واستعداداته لمواجهة القوات الإسلامية الزاحفة براً وبحراً، والتي كان على دراية بمدى قوتها وضحامتها. وهذه الرواية فضلاً عن كونها عن شاهد عيان وهو الليث الفارسي أحد المشاركين في القوة البحرية الإسلامية فهي تتفق مع الروايات البيزنطية التي تذكر أن اليون بعد أن نجح في فك الحصار عن

(١) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، وتاريخ دمشق ٢١/٥٨، وكامل ابن الأثير ١٤٦/٤، و تاريخ مختصر الدول ص ١٩٦، و تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ٤/٥٠٢، والبداية والنهاية ١٧٥/٩، ١٤٧٤.

(٢) ص ٢٨.

(٣) تاريخ دمشق ٣٣٨/٥٠.

عمورية اتجه غرباً عبر نيم الأبيق وهزم القوى البيزنطية التي اعترضت طريقه نحو القسطنطينية بما فيها قوات كان يقودها ابن الإمبراطور نفسه، وعند نيقوميديا Nicomedia جرت بينه وبين أهل القسطنطينية مفاوضات انتهت بتنصيبه إمبراطوراً بعد عزل الإمبراطور الضعيف تيودوسيوس الثالث Teodosius III، وكان ذلك قبل وصول مسلمة بستة أشهر^(١)

لم يرد في المصادر العربية ما يدل على وقت انفصال اليون عن مسلمة ولا كيف سمح له بالتقدم نحو القسطنطينية، لكن يحتمل أن اليون كسب ثقة مسلمة بسبب ما أعطى من العهود فسمح له بذلك ليمهد له الطريق لفتحها . ويرجح بعض الباحثين احتمالاً آخر وهو أن اليون اتجه غرباً إلى القسطنطينية بغير علم مسلمة^(٢) .

(١) Bury, Later Roman Empire, II, p. ٣٨٣ & Ostrogorsky, History of The Byzantine State, P. ١٣٨

(٢) فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ص ١٤٢ .

صور من الروايات التي تصف أحداث الحصار

والموقف الإسلامي والبيزنطي:

على أي حال أصبح اليون إمبراطوراً جديداً للدولة البيزنطية، وصار تبعاً لذلك المسؤول الأول عن الدفاع عن القسطنطينية وتخليصها من الأزمة التي تعيشها، وأسفر عن ما كان يخفيه عن المسلمين من المخادعة والمكر، ومحاولة إضعافهم بكافة ما يستطيع من الوسائل والسبل، ولا غرابة في ذلك؛ فهو يبني لنفسه مجدداً، وينافح عن بني دينه ووطنه. وظهر لمسلمة بن عبد الملك خطؤه، واشتد أسفه، وغلبته كآبة وهم عظيم^(١)، ولكن هيهات بعد فوات الأوان.

وهنا نقف بعد أن تكشف الأمور عند بعض الأحداث أثناء الحصار لاستجلائها، ومعرفة الموقف الإسلامي والبيزنطي أثناء وغب ذلك.

• استعراض القوى:

يصف الليث بن تميم الفارسي وهو أحد المشاركين في الحملة البحرية مشهداً أثار انتباهه وتعجبه؛ فذكر أنه بعد أن تكاملت القوى الإسلامية أمام أسوار القسطنطينية صف المسلمون قواهم صفاً طويلاً جداً، أو صفين - لم ير الليث مثلهما في حياته - مع الكراديس^(٢) الكثيرة، وأظهروا (السلاح في ألف مركب بين محركات وقوادس فيها الخزائن .. والمعينات فيها المقاتلة)^(٣)، وذلك

(١) العيون والحدائق ص ٣٠.

(٢) كتاب الخيل، واحدها كردوس. لسان العرب، مادة (كردس).

(٣) تاريخ دمشق ٣٣٨/٥٠، وانظر ٣٧٤/٤٥. والمحركات: قال في لسان العرب مادة

(حرق) الحراقات سفن فيها مرامي نيران، وقيل هي المرامي نفسها. والقوادس: هي

السفن الكبار. لسان العرب مادة (قدس) ويؤيده ما ذكر في النص من حمل الخزائن

والأمتعة فيها. أما المعينات: فذكر في النص أنها التي تحمل الجنود والمقاتلة.

لاستعراض القوى أمام العدو، وبث الرعب والخوف في النفوس، وقد فعلوا مثل ذلك في الحصار الأول .

ولم يجد إمبراطور الروم بدأً من مسaire المسلمين وإظهار التحدي فصف رجاله فيما بين الحائط والبحر صفاً طويلاً بجذء صف المسلمين " وأظهروا السلاح ^(١) .

• وفد مسلمة إلى اليون:

فيما حفظ لنا محمد بن عائذ عن شيخه الوليد بن مسلم عن يزيد بن جابر خير السفارة التي بعث بها مسلمة بن عبد الملك إلى اليون في القسطنطينية، بعد أن ظهر منه المكر والخديعة، وانحاز إلى صف الروم وصار ملكاً عليهم، لتناقشه في نقض ما أبرم معهم من اتفاق، وتناشده وفاء العهد: «أين ما كنت عاهدت الله عليه من النصيحة لنا وإدخالنا إياها؟»، قال بعد أن أذن لهم وعرف أفراد الوفد ^(٢): «لئن ظن مسلمة أني أبيع ملك الروم بالوفاء له لبئس ما ظن»، وعرض عليهم أن يصنع مسلمة وللجيش طعاماً وحماماً، فيدخلون ويصيبون من الطعام والحمام ثم ينصرفون، فردّ أفراد الوفد بجزم رافضين ذلك، وأهم لن يبرحوا إلا بدفع الجزية عن صغار أو يدخلوا المدينة عنوة، فقال اليون: «إن دون ذلك لصغاراً وقتلاً شديداً...» ثم دعا بغداد فغدهم من الألوان و الطرائف، ليظهر للوفد عدم تأثرهم بالحصار، و ليؤكد ذلك أوعز للوفد بأن يطلبوا ما يشاؤون ويتشهبوا، فقال البطل: «كفاً من تراب من خلف الخندق» ^(٣)، فغضب

(١) تاريخ دمشق ٣٣٨/٥٠ .

(٢) هم البطل وأبو زرعة اللخمي وثالث لم يصرح باسمه، قد يكون سليمان بن معاذ الأنطاكي انظر العيون والحدائق ص ٢٨ .

(٣) وذلك من أجل الفأل، وهو أمر محمود وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب الفأل ويكره الطيرة .

وأمر فخرجوا من عنده، وأتوا مسلمة بما كان بينهم^(١)

أثبتت هذه الرواية وقوع المسلمين في الخدعة نتيجة الغفلة عن المنهج الرباني في التعامل الصحيح مع أهل الشرك؛ قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ [التوبة: ٧] أي أمان، وقال: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨]، ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى بصدد هذه الآية تحريض الله تعالى للمؤمنين على معاداة الكفار والبراءة منهم، وأنهم لا يستحقون عهداً ولا أماناً لشركهم بالله تعالى وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولأنهم لو ظهروا على المسلمين لم يبقوا ولم يذروا^(٢).

هذه الرواية أكدت ما رجحنا من قبل وهو أن الاتفاق المبرم كان بين مسلمة بن عبد الملك واليون عندما تكاتبوا وأشهدوا على ذلك^(٣)، وليس بين اليون وسليمان، وأن اليون عرف أفراد الوفد، مما يدل على لقاء سابق بهم قبل هذا اللقاء، وأثبتت غدر اليون ونكته لما أبرم مع المسلمين من المناصحة وتسهيل دخول المدينة.

وفيها ما يؤكد ارتفاع روح المسلمين المعنوية مع بعد الدار وكَلْب العدو عندما أعلنوا أمام الملك - في تحد - أنهم لن يبرحوا إلا بدفع الجزية عن صغار، أو فتح المدينة عنوة.

وأظهرت نباهة هذا الملك وحزمه عندما رفض غاضباً أن يعطيهم شيئاً من تراب المدينة، لا كما فعل نظيره الفارسي الذي حمل وفد المسلمين - في نزق

(١) تاريخ دمشق ٦٦/٢٤٦-٢٤٧، وانظر الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧١.

(٢) الإل: القرابة، و الذمة: العهد، انظر تفسير ابن كثير ٢/٣٣٨، ٣٣٩.

(٣) تاريخ دمشق ٥٨/٢١.

- وقرأ من تراب، تفاءلوا به في فتح بلاده^(١).

• وفدُ ملك الروم إلى مسلمة وابن هبيرة في بذل الفداء وطلب الصلح:

وعند ابن عساكر في رواية أخرى لابن عائذ عن شيخ من موالي ابن هبيرة عن عمر بن هبيرة القائد البحري لأسطول المسلمين المحاصر للقسطنطينية ذكر فيها قصة مجيء رسول ملك الروم إليه، مستجدياً إياه في التوسط لدى القائد العام مسلمة بن عبد الملك لقبول عرض الفداء الذي تقدم به إليه الملك، فرفضه مسلمة، وهو أن يدفع (فدية صلح على كل إنسان بالقسطنطينية من رجل وامرأة وصبي^(٢) ديناراً ديناراً، على أن ترحلوا عنا إلى بلادكم ..)، فأصرَّ مسلمة على أن يؤدوا الجزية عن صغار، أو يدخل البلد عنوة .

قال رسول الملك في استجدائه لابن هبيرة - بعد أن حكى له ما شاهد من سوء أحوال المسلمين مما حاول ابن هبيرة ستره عنه -: «الصغار ما لا تطيب به أنفسنا أبداً...»، وطلب منه أن يتوسط لدى القائد مسلمة لقبول العرض، فرد عليه ابن هبيرة من فوره بصواب رأي مسلمة، وأنه غير مخالف له وأنه عونته على ما يريد، وأن ذلك ما أمر الله تعالى به، فغضب الرجل وصلب على وجهه وانصرف إلى أصحابه^(٣).

إن تقدم الروم بهذا العرض على مسلمة ثم على ابن هبيرة دليل على شدة الضراء التي كانوا بها من جراء الحصار المضروب على مدينتهم، حتى وإن

(١) تاريخ الطبري ٣٩٢/٢

(٢) وعند صاحب العيون والحداثق عن كل رجل بالغ فقط ولم يذكر المرأة و الصبي ص ٣١، لكن ابن هبيرة في رواية ابن عساكر هذه شاهد عيان وطرف في المفاوضات .

(٣) تاريخ دمشق ٢٣٠/٦٨ - ٢٣١ .

لم يكن محكماً من ناحية الشمال، وحتى مع علمهم بسوء أحوال المسلمين فقد نفذ صبرهم، وتطلّعوا إلى إثمائه و التخلّص منه وبذلوا في ذلك أموالهم .
وهنا ما يدل أيضاً على سمو الروح المعنوية لدى المسلمين، وأنهم لا تُتَهَنَّهُمُ الصعاب، ولا يغريهم بريق المال، وأنهم عندما يسرون في جهادهم لأعداء الله تعالى وفق ما شرعه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فإنهم يرهّبونهم، وتحصل لهم العزة، ويتصل حلهم بالله سبحانه .
وفي هذا النص ما ينبئ عن تلاحم القيادة الإسلامية، واتحاد كلمتها أمام عدوها .

هذا وكشفت بعض النصوص عن وجود عناصر عربية نصرانية كانت تعيش في بلاد الروم وكانت تقاتل جنباً إلى جنب في صفوفهم، بل كان بعضهم شديداً على المسلمين؛ كما في قصة خالد بن عمير السلمي الذكواني في مبارزته وصراعه مع الرجل الإيادي أثناء فترة الحصار، والتي انتهت بأسره، ثم بعثه إلى هشام بن عبد الملك وهو بجرّان، فقتل بين يديه لما أصر على الكفر^(١) .

• استغاثة اليون بملك برجان (البلغار Bulgar)^(٢) وما كان بينهم

وبين المسلمين:

ولعل من أهم ما حدث أثناء فترة وقوف المسلمين على القسطنطينية

(١) تاريخ دمشق ١٦/١٧٩، ومعجم البلدان ٣/٤٣-٤٤ .

(٢) ينحدر البلغار من أصول صقلية على الراجح، وهذا ما يفسر تسمية بعض المؤرخين

المسلمين لهم بالصقلية، وهم قسمان: بلغار الفولجا (اتيل) شمال بحر الخزر، وبلغار

الدانوب (الطونة) جنوب غرب القسطنطينية، وهؤلاء الأخيرون هم المعنيون هنا، وقد

كان بلغار الدانوب يسمون بجرّان . انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك ص ٢٥٧،

وبارتولد، مادة (بلغار) في دائرة المعارف الإسلامية ٤/٨٨، والموسوعة العربية الميسرة ص

٣٩٨، و الراجحي، العباسيون والبلغار ص ١٤، ١٥ .

عندما أُلظَّ بأهلها الحصار استنجد إمبراطورهم اليون بملك البرجان؛ ترفل Tervel، وتخويفه من المسلمين، فتحرك هذا الأخير وأوقع بالمسلمين وقعة عظيمة في مخادعة منه كما سمرى بإذن الله تعالى .

وقد وردت إشارات موجزة لدى بعض المؤرخين الأقدمين تومئ إلى ما حصل بين المسلمين وبرجان؛ كما عند الطبري رحمه الله تعالى فيما رواه عن الواقدي؛ حيث ذكر في أحداث سنة ٩٨هـ إغارة برجان على مسلمة بن عبد الملك وهو في عدد قليل من المسلمين، فطلب المدد من أخيه سليمان فأمدته، وذكر مكر الصقالبة، ثم هزيمتهم بعد ذلك، وفتح المسلمين لمدينتهم^(١) .

لكن التفصيل الشافي لتلك الأحداث هو ما رواه ابن عساكر رحمه الله تعالى بسنده عن شاهدي عيان مشاركين هما الليث الفارسي وأبو سعيد المعيطي^(٢)، وهذه الرواية أقرب ما تكون إلى الحقيقة لقرب رواتهما من الحدث، وللتجرد من الهوى؛ فليس هناك ما يدعو إليه، و ملخص هذه الرواية:

أن اليون كتب إلى صاحب برجان بعد أن اشتد عليه الحصار وخاف ظهور المسلمين يخبره بتروهم على بلده و يستصرخه لنجدته وقال مخوفاً له إنهم: «إنما يقاتلون الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى ..»^(٣) . وقد استجاب ملك برجان لهذا النداء سريعاً، ونظراً لأن مسلمة لم يعلم بخبر هذه المراسلة فقد أظهر له ملك برجان في كتاب إليه فرحه بغزو المسلمين لبلاد الروم، وعرض عليه المساعدة، فكتب مسلمة إليه بحاجته إلى الميرة والسوق فقط، فاهتبل الملك هذه

(١) تاريخ الطبري ٥٣٢/٦، وكامل ابن الأثير ١٤٧/٤ .

(٢) للتأكد من مشاركتهما انظر تاريخ دمشق ٦٢/١٦، ٣٣٧/٥٠، ٢٦٧/٦٦ . وأبو سعيد

هو مولى لمحمد بن عمر المعيطي الأموي، شارك في غزو القسطنطينية وحصارها الأول

والثاني . انظر عنه: تاريخ دمشق ٢٦٧/٦٦-٢٦٨ .

(٣) تاريخ دمشق ٤٤٢/٢٢ .

الفرصة وكتب إلى مسلمة يخبره بإعداد سوق عظيمة للمسلمين في مكان اختاره تحيط به الجبال و الغياض، فلما نزل المسلمون بذلك المكان يريدون التسوق على غير حذر أو خوف من عدو - وكان مسلمة قد ولى عليهم رجلاً - أحاطت بهم كتائب برجان فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا، ثم عادوا إلى بلادهم . وجاء الخبر إلى مسلمة ومن معه من المسلمين فأغمهم ذلك وأزعجهم^(١) .

مما يلفت النظر في هذه الرواية تعاضد قوى الكفر لحرب الإسلام ومناهضة المسلمين؛ فلم يصرفهم عن هذا اختلاف الدين أو الجنس أو وجود العداوة بينهما، بل كانت المبادرة سريعة من قبل برجان، لإنزال ضربة غير متوقعة بالمسلمين .

ويلفت النظر كذلك تحلي مسلمة بن عبد الملك عن الحذر في مثل هذا الموقف الخطر الذي ينبغي فيه الاحتياط وأخذ الأهبة للعدو، وعدم الركون إلى ما يُظهر من اللين أو المودعة أو الموافقة، ولا سيما أنهم في حالة حرب، وأنهم ما زالوا يتجرعون غصص غدر اليون بهم .

لم تبين الرواية حجم الإصابة التي لحقت بالمسلمين؛ لا عدد القتلى، ولا المأسورين، ولا الفارين، لكن يفهم منها أن مصيبة المسلمين كانت فادحة، لمباغثة العدو لهم على غير أهبة أو استعداد، والتعبير بقوله: «فقتلوا ما شاءوا وأسروا ما شاءوا إلا من أعجزهم»^(٢) يوحي بذلك، وقريب منه قول ابن كثير: «فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل»^(٣) .

(١) المصدر السابق ٢٢/٤٤٢-٤٤٣، و البداية والنهاية ٩/١٨٣-١٨٤ وقد صرح بالنقل عن ابن عساكر .

(٢) تاريخ دمشق ٢٢/٤٤٣

(٣) البداية والنهاية ٩/١٨٤

ويتضح من هذه الرواية عدم دقة رواية الواقدي التي أوامنا إليها قبل قليل - كما رواها الطبري - والتي تفيد أن برجان أغاروا على مسلمة نفسه وهو في قلعة من الناس، والأمر ليس كذلك لأن إغارهم كانت على المسلمين الذين رغبوا في التسوق وكان الوالي عليهم رجلاً آخر من قبل مسلمة لا مسلمة نفسه .

ويستفاد من روايات شهود العيان هذه أنها حفظت لنا ألفاظ المخاطبات التي جرت بين اليون وملك برجان وبين هذا ومسلمة^(١) .

وتمضي الروايات في رصد ما جرى بين المسلمين و البرجان في ضوء تتابع الأحداث، مشيرة إلى الموقف الإسلامي الذي اتخذ بعد مصاب المسلمين؛ فقد وُجّه جيش قوي كثيف إلى بلادهم عليه عبيدة بن قيس وابنه شراحيل بن عبيدة، ومضى هذا الجيش حتى دفع في أرض برجان، وكان العدو قد نذر بالمسلمين فلقوهم متأهبين، فكان بينهم قتال شديد، فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين، فقتلوا من الكفار مقتلة عظيمة، وسبوا وأسروا وخلصوا أسرى المسلمين، كما

(١) ونصها أن اليون كتب إلى صاحب برجان، «أما بعد: فقد بلغك نزول العرب بنا، وحصارهم إيانا، وليسوا يريدوننا خاصة دون غيرنا من جماعة من يخالف دينهم، وإنما يقاتلون الأقرب فالأقرب، والأدنى فالأدنى، فما كنت صانعاً يوم تأتيهم الجزية، أو يدخلوا علينا عنوة، ثم يفضون إليك وإلى غيرك، فاصنعه يوم يأتيك كتابي هذا» . فكتب صاحب برجان إلى مسلمة: «أما بعد: فقد بلغنا نزولك بمدينة الروم، وبيننا وبينهم من العداوة ما قد علمتم، وكلما وصل إليهم فهو لنا سار، فمهما احتجت إليه من مدد أو عدة أو مرفق فأعلمنا، يأتيك منا ما أحببت» . فكتب إليه مسلمة: «أنه لا حاجة لنا بمدد ولا عدة، ولكننا نحتاج إلى الميرة والسوق، فابعث إلينا ما استطعت» . فكتب إليه صاحب برجان: «إني قد توجهت إليك سوقاً عظيماً فيه من كل ما أحببت من باعة، يضعفون عن النفوذ إليكم به ممن يبرون به من حصون الروم، فابعث من يجوزه إليك» تاريخ دمشق ٤٢٢/٢٢-٤٢٣

تجلت المعركة عن قتل صاحب برجان، وقتل شراحيل بن عبيدة رحمه الله تعالى . وكان عبيدة قد أراد أن يوغل في أرض العدو بعد هزيمتهم، لكن صرفه عن ذلك رسول مسلمة الذي استعجله بالقدوم بعد أن فتح الله عليه^(١) .

وتؤكد أغلب المصادر الإسلامية على فتح المسلمين لمدينة الصقالبة^(٢)، مما يدل على أن نصرهم كان حاسماً في معاركهم مع برجان .

وتشير الروايات بعد ذلك إلى لطف الله تعالى بالمسلمين حيث صرف عنهم كيد عدوهم عندما أضرموا النار في الحشيش اليباس الذي يتزل عليه المسلمون، فأطفأها الله عنهم^(٣) .

كما تشير إلى أسماء بعض المجاهدين الذين خرجوا ابتغاء الحصول على الشهادة فرزقوا إياها، ورأوا بشائر صدقهم وإخلاصهم في نزلهم بالجنة وهم ما زالوا على قيد الحياة^(٤) .

• تحقيق في روايات إرسال المدد:

ثم ماذا عن إرسال الإمدادات؟ هل أمده سليمان بن عبد الملك الحملة بقوى جديدة بعد أن وصلت إلى القسطنطينية وحاصرتها، ثم بعد أن تطورت الأحداث فصارت الأمور تسير في غير صالح الجيش المحاصر؟ من مطالعة الروايات في المصادر المختلفة نجد أن هناك اختلافاً من مصدر لآخر، بل حتى في المصدر الواحد نلاحظ تناقضاً في الروايات؛ فبينما تثبت

(١) تاريخ دمشق ١٥٤/٣٨-١٥٥، وانظر ٤٤٣/٢٢-٤٤٤ و البداية والنهاية ١٨٤/٩ .
(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٢١، وتاريخ الطبري ٥٣٢/٦، وتاريخ القضاعي ص ٣٥٨، وتاريخ دمشق ٢٧/٥٨، و كامل ابن الأثير ١٤٧/٤، و البداية والنهاية ٣٢٨/٩ . ومدينة الصقالبة هذه لم أجد في المصادر والمعاجم التي وصلت إليها ما يُعين على التعريف بها، لكن قد يُستشف من سياق الحديث عنها أنها عاصمة دولتهم .

(٣) تاريخ دمشق ١٥٥/٣٨ .

(٤) المصدر السابق ١٥٩/٦٧ .

روايات كل من اليعقوبي^(١) وابن كثير^(٢) إرسال المدد، تجد روايات لدى كل من الطبري^(٣) وابن عساكر^(٤) وابن الأثير^(٥) تنفي ذلك، في الوقت الذي تجد فيه روايات أخرى لديهم أنفسهم تثبتته^(٦).

وبعد فحصٍ وتدقيقٍ فيما وقفت عليه من روايات في هذا الشأن، ترجح لديّ ثبوت إرسال سليمان بن عبد الملك الأمداد إلى أخيه مسلمة في أعقاب وقعة برجان ومصاب المسلمين، عندما بعث إليه بخبرها، ومستندي في ذلك وجود رواية مصدرها شاهدا عيان هما الليث الفارسي وأبو سعيد المعيطي، جاءت روايتهما صريحة في هذا الصدد^(٧).

ثم إن سليمان كان مرابطاً في دابق شمالي الشام لمتابعة أخبار الحملة عن قرب، وللإمداد وقت الحاجة، لكن يبدو أنه لم يستطع في آخر المدة بعد أن اشتدت الأزمة على المسلمين أن يمدّهم لحلول فصل الشتاء ببرده وثلوجه^(٨)، ومداهمة أجله إياه رحمه الله تعالى، وإلا فقد عقد العزم على أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح القسطنطينية، باذلاً في سبيل ذلك ما بذل، أو يموت، فمات هنالك^(٩).

وبهذا يزول التناقض الذي قد يظهر في روايات المؤرخين المشار إليها.

(١) تاريخ اليعقوبي ٣٠٠/٢.

(٢) البداية والنهاية ١٧٥/٩، ١٨٤/٩.

(٣) تاريخ الطبري ٥٣١/٦.

(٤) تاريخ دمشق ٤٤٣/٢٢.

(٥) الكامل ١٤٧/٤.

(٦) تاريخ الطبري ٥٣٢/٦، تاريخ دمشق ١٥٤/٣٨، الكامل ١٤٧/٤.

(٧) تاريخ دمشق ٤٤٣/٢٢.

(٨) العيون والحدائق ص ٣٣.

(٩) البداية والنهاية ١٨٣/٩.

• فك الحصار عن المدينة وتحرير مدته:

بعد أن تظافت أسباب كثيرة حالت دون الاستمرار في حصار مدينة القسطنطينية، وتوفي الخليفة سليمان بن عبد الملك في شهر صفر سنة ٥٩٩هـ، فخلفه ابن عمه عمر بن عبد العزيز، الذي رأى أن من مصلحة الجيش المحاصر رفع الحصار عن المدينة، والعودة إلى ديار الإسلام، خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم، وبما أصابهم من الضراء وضيق العيش^(١)، ولهذا فقد أرسل عمر في مستهل خلافته بعثاً عليهم عمرو بن قيس السكوني^(٢) إلى مسلمة بن عبد الملك في أربعة آلاف رجل^(٣)، معهم الطعام والشراب والكسوة والدواب^(٤)، والخيال العتاق^(٥)، وزيت الزيتون لعلاج الجرب^(٦)، لإغاثة الناس وإمدادهم بما يحتاجون، وكان قد استحث الناس على معونتهم^(٧)، كما أرسل رسولاً بكتاب إلى مسلمة يأمره بالعودة^(٨) فرأى مسلمة بعد مراجعة مع الخليفة أنه لا بد من فك خناق المدينة، ورفع الحصار عنها .

هذا وأحب أن أنبه هنا إلى أن بعض المراجع العربية الحديثة قد بالغت

(١) المصدر السابق ٩/١٨٤ .

(٢) تاريخ دمشق ٤٦/٣٢٠ .

(٣) المصدر السابق ٦٨/٣٣٢ .

(٤) المصدر السابق ٥٨/٣٢، والعيون والحدائق ص ٣٣ .

(٥) تاريخ الطبري ٦/٥٥٣ .

(٦) تاريخ دمشق ٥٠/٦١ .

(٧) تاريخ خليفة ص ٣٢٦، وتاريخ الطبري ٦/٥٥٣ .

(٨) تاريخ دمشق ٦٨/٣٣٢، ويذكر صاحب العيون والحدائق أن عمر بن عبد العزيز أمر

الرسول أن ينادي هو بالقبول إن تلكأ مسلمة في ذلك، ففعل ص ٣٣، لكن رواية ابن

عساكر عن شاهد عيان، فهي أقوى .

كثيراً في الحديث عن هزيمة المسلمين عند القسطنطينية وعن تحطم القوى الإسلامية أمام أسوارها بشكل ملفت للنظر، وحتى الإمدادات البحرية والبرية كان مصيرها الدمار والهلاك على أيدي القوات البيزنطية المظفرة؛ وذلك اعتماداً على المراجع الغربية التي بالغت في هذا الجانب، وصورت الإمبراطور اليون بصورة بطولة خارقة^(١)، ولم ألاحظ في المصادر العربية القديمة أو المصادر التي تنقل عن شهود العيان صدقاً واضحاً لتلك الانتصارات أو الهزائم، فهي إذاً تنقل وجهة نظر طرف واحد، وهو منهج غير دقيق.

بل الذي يفهم مما روى ابن عساكر عن شاهد عيان كان مشاركاً في الحصار أن مسلمة لما قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الذي يأمره فيه بالعودة لم يستجب على الفور وإنما أعاد الرسول بكتاب إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يخبره فيه بما بلغ من جهد المحاصرين وما أشرف على المسلمين من الفرج بقرب موسم حصاد ما زرعوا حول المدينة، ويشير عليه بتركهم حتى يحكم الله تعالى بينهم^(٢)، وورد في رواية أخرى أن مسلمة دافع رسول عمر وقال: أقم علي أياماً، فإني قد أشرفت على فتحها^(٣)، فالمشكلة التي كان يعاني منها المسلمون بالدرجة الأولى مشكلة قلة الأوقات في شتاء قارس البرودة، ولو كان هناك هزائم متتالية وتحطم أساطيل لتحديث عنها شهود العيان، فقد ذكروا أشياء أقل من ذلك أهمية.

ورأيانا في روايات ابن عساكر كيف تمكنت قوات المسلمين التي يحتمل

(١) انظر مثلاً فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ص ١٤٩ -

١٥٩، ١٥١، ١٦١-١٦٢، وعمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص ٩٨ .

(٢) تاريخ دمشق ٦٨/٣٣١-٣٣٢ .

(٣) العيون والحدائق ص ٣٣ .

جداً أنها كانت مدداً^(١) من هزيمة البرجان بعد خدعتهم ومباغتتهم للمسلمين على غرة، وهي روايات موثقة بأسانيد ليست على غرار الروايات الغربية التي لا تعرف هذا النمط من التوثيق

وبعد أن تم رجوع الجيش الإسلامي بعث عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عبد الأعلى بن أبي عمرة لفاءة أسراء القسطنطينية، ففاداهم الرجل من المسلمين برجلين من الروم^(٢).

هذا وقد اختلفت روايات المؤرخين في تحديد مدة الحصار؛ ما بين سنة^(٣)، وعشرين شهراً^(٤)، وثلاثين شهراً^(٥)، و ذكرت بعض الروايات أنهم أقاموا عليها سنين^(٦).

وقبل تحرير مدة الحصار أحب أن أقف عند بعض التواريخ التي وردت لدى بعض الأساتذة من المؤرخين المحدثين فقد ذكروا أن مسلمة بن عبد الملك وصل إلى القسطنطينية وعسكر عند أسوارها في ١٥ أغسطس سنة ٧١٧ م^(٧)، وهو يوافق الثاني من شهر محرم سنة ٩٩ هـ تقريباً^(٨)، وهذا التاريخ في نظري

(١) تاريخ دمشق ٢٢/٤٤٣.

(٢) المصدر السابق ٣٣/٤١٩.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤/٥٠١، وانظر العدوي، الأمويون ص ١٦٦، وعاشور، أوربا ص ١١٣/١.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/٧٠.

(٥) المقدسي، البدء والتاريخ ٦/٤٤٤، وابن العري، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٧، و الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ٤/٥٠٢.

(٦) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٨/٣٥٢.

(٧) العدوي، الأمويون ص ١٦٣، والناصرى، الروم والمشرق العربي ص ٢٤٠، وفرج، العلاقات .. ص ١٤٣.

(٨) محمد مختار باشا، التوفيقات الإلهامية ١/١٣١.

موضع شك؛ لأن وفاة سليمان بن عبد الملك كانت لعشر ليال خلون من شهر صفر سنة ٩٩ هـ^(١)، فيكون بين وصول مسلمة ووفاة سليمان شهر واحد وأيام، بينما استغرقت مدة الحصار على أقل تقدير - كما رأينا - سنة كاملة كان أكثرها في زمن سليمان.

كما ذكروا أيضاً أن القوات الإسلامية رفعت الحصار عن المدينة في ١٥ أغسطس من سنة ٧١٨ م^(٢)، ويوافق في التاريخ الهجري ١٣ محرم سنة ١٠٠ هـ تقريباً^(٣)، ومعنى هذا أن عمر بن عبد العزيز لم يأمر الجيش بالقفول إلا بعد مضي حوالي سنة من بدء حكمه، لأنه تولى في اليوم الذي توفي فيه سليمان وهو العاشر من شهر صفر سنة ٩٩ هـ^(٤)، وهذا يخالف ما نصت عليه معظم المصادر من أنه أمر بالعودة سنة ٩٩ هـ^(٥)، ويخالف ما عرف عن عمر من حرص على حياة المسلمين وراحتهم، فلا يمكن أن يُجمّرهم هذا الوقت كله بعد ولايته مع علمه بسوء حالهم .

ولتحرير مدة الحصار أقول - بعد استقراء وتأمل للروايات -: يُرجح أن انطلاق الحملة من الشام إلى بلاد الروم كان في سنة ٩٧ هـ^(٦)، فقضت أغلب

(١) تاريخ خليفة ص ٣٢٢، وتاريخ الطبري ٥٤٦/٦.

(٢) العدوي، الأمويون ص ١٦٦، و العريبي، الدولة البيزنطية ص ٨٩، وهذه التواريخ تتفق

مع ما في المراجع الغربية، انظر مثلاً: Bury, Later Roman Empire, II, P. ٤٠٤ &

Ostrogorsky, History of The Byzantine State, P. ١٣٨

(٣) باشا، التوفيقات ١٣٢/١.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٢٢.

(٥) تاريخ خليفة ص ٣٢٦، وتاريخ الطبري ٥٥٣/٦، والعيون والحدائق ص ٣٣ وينص على

أن عمر بن عبد العزيز أمر بذلك ساعة ولي، وانظر ص ٣٩، وتاريخ دمشق ٣٢٠/٤٦ .

(٦) المسعودي، التنبيه ص ١٦٥، وابن عساكر، تاريخ دمشق ٣٧٤/٤٥ وروايته هنا عن =

شتاء ذلك العام في الضواحي، كما سلف، ثم كان الوصول إلى القسطنطينية، وضرب الحصار عليها في أواخر تلك السنة^(١)، ودخلت سنة ٩٨ هـ والحصار قائم، وبذلك توحى إشارات بعض المؤرخين^(٢)، وهجم شتاء تلك السنة، وكان ذا برد شديد^(٣)، ثم ابتدأت أزمة المسلمين الغذائية بعد أن نفذ ما لديهم من أقوات، ولم يستطع سليمان أن يمدّهم بشيء من المأون لكثرة البرد والثلوج، إلى أن توفي، فخلفه عمر بن عبد العزيز في العاشر من شهر صفر سنة ٩٩ هـ الذي أمر بعودة الجيوش فوراً توليه^(٤)، لكن قد يكون تنفيذ هذا الأمر استغرق وقتاً - بسبب مراجعة مسلمة له في استمرار الحصار - فيما بين ذهاب الرسول إلى القسطنطينية، ثم رجوعه منها إلى الشام، ثم عودته إليها مرة أخرى^(٥)، ويؤكد هذا قول المسعودي: «فقفل (أي مسلمة) بعد كره شديد وخطب طويل»^(٦).

وبذلك فإنه يرجح أن مدة الحصار كانت أكثر من سنة؛ حيث كان

= شاهد عيان. وهذا يخالف ما رده أكثر المؤرخين من أن انطلاق الحملة كان في سنة ٩٨ هـ انظر: تاريخ خليفة ص ٣٢١، وتاريخ الطبري ٥٣٠/٦، وابن الأثير، الكامل ١٤٦/٤، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٦، والذهبي، العبر ٨٧/١، وابن كثير، البداية والنهاية ١٧٤/٩.

(١) قارن بأشهر السنة الميلادية المقابلة في التوقيفات الإلهامية ١٢٩/١.

(٢) انظر مثلاً تاريخ دمشق ٣٤/٨٥؛ حيث يروي ابن عساكر عن الوليد بن مسلم: «أن

سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ نزل بدابق، وكان مسلمة على حصار القسطنطينية»،

والذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٦٩.

(٣) العيون والحدائق ص ٣٢.

(٤) المصدر السابق ص ٣٣.

(٥) تاريخ دمشق ٣٣٢/٦٨.

(٦) التنبية ص ١٦٦.

بدوه في أواخر سنة ٩٧هـ، واستمر إلى أن مضت عدة أشهر من سنة ٩٩هـ، وقد تصل هذه المدة إلى حدود عشرين شهراً - حسب رواية الذهبي السابقة - لكنها لا تصل بحال إلى ثلاثين شهراً؛ لأنه لو افترضنا أن فك الحصار كان بعد تولي عمر بثلاثة أشهر على أكثر تقدير، فسيكون بدؤه قبيل منتصف سنة ٩٦هـ، وهذا قبل وفاة الوليد، وهو مخالف لما عليه كافة المؤرخين من أن انطلاق الحملة وحصار القسطنطينية كان في زمن سليمان بن عبد الملك .

ويعزز هذا الترجيح عبارة وردت لدى ياقوت الحموي ذكر فيها: أن سليمان شتى بدابق شتاءً بعد شتاء^(١)، فهي تفيد أنه مرّ شتاءان بعد خروج الحملة شتاء سنة ٩٧ والشتاء الذي يليه، ويعزز ذلك أيضاً ما روي من أن مسلمة أقام على حصار الروم شتاءً وصيفاً وزرع بأرضهم، وهجم عليه الشتاء الآخر، وكان ذا برد شديد^(٢) .

وكانت تعوز ابن العربي الدقة عندما أرخ انطلاق الحملة في سنة ٩٨هـ، ثم أرخ رجوعها بتولي عمر بن عبد العزيز أي في سنة ٩٩هـ، ثم ذكر أن مدة الحصار ثلاثين شهراً!!^(٣) .

• مناقشة رواية دخول المسلمين القسطنطينية وبناء المسجد:

ونقف هنا عند مسألة وردت موجزة عند بعض المؤرخين وهي مصالحة المسلمين أهل القسطنطينية على دخولها، وبناء مسجد فيها^(٤) . لكن جاءت

(١) معجم البلدان ٤١٦/٢ .

(٢) العيون والحدائق ص ٣٢

(٣) ابن العربي، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٦-١٩٧ .

(٤) تاريخ القضاعي ص ٣٥٢، والبغدادي، تاريخ بغداد ٣٣٨/٩، وابن تيمية، مجموع

الفتاوى ٣٥٢/١٨، والذهبي، دول الإسلام ص ٦٩، وسير أعلام النبلاء ١١٢/٥، وابن

كثير، البداية والنهاية ١٧٤/٩، ١٧٧/٩، ٣٢٨/٩ .

رواية ابن أعثم عن دخول مسلمة المدينة مفصلة؛ فذكرت أن اليون طلب من مسلمة المصالحة على أن يؤدي إليه في كل سنة (ألف ألف درهم، وألف ألف أوقية من ذهب، وخمسة آلاف من البقر والغنم، وألف رمكة^(١))، بفحولها، سوى ما يتبع ذلك ..) وأن مسلمة رفض هذا العرض، وحلف يمينا مغلظة أن لا يرحل عن المدينة إلا بعد أن يدخلها، أو يقيم عليها، فوافق اليون على ذلك، شريطة أن يكون وحده لا ثاني معه، وله الأمان حتى يخرج، على أن يقف قائده البطل بالجموع على باب المدينة الذي يظل مفتوحاً فإن كان ثم غدر اقتحم المدينة، فقاتل المقاتلة وسبى النساء والذرية، وأخذ الأموال . وتمضي الرواية في ذكر تنفيذ الاتفاق، ودخول مسلمة المدينة بتكبير وشموخ؛ وأنه دخل كنيستهم ركباً، واقتلع صليهم الأعظم، المصنوع من الذهب والجوهر، فاحتمله معه، واليون يتشفع إليه في تركه، فيأبى، حتى إذا توسطت المدينة رفعه منكساً على رحمة وهم ينظرون إليه بتحسر وألم، حتى خرج من المدينة وقت العصر . ثم بعث إليه اليون ما صالحه عليه . وآذن مسلمة جيشه بالرحيل بعد أن خطبهم وذكر لهم وفاة أبيه وأخيه الوليد واستدعاء أخيه سليمان إياه، فبكى الناس، وعرضوا عليه البيعة، فرفض^(٢) .

عند التمعن في محتوى هذه الرواية يتبين ما يلي:

أولاً: لم تشر رواية ابن أعثم هذه مع تفصيلها في مسألة الدخول إلى بناء المسجد داخل المدينة إطلاقاً، وإنما ذكرت وجود مسجد خارجها، فيما أسمته بمدينة القهر التي بناها مسلمة بإزاء مدينة القسطنطينية، وأن مسلمة لما أزمع على الرحيل هدد اليون إن تعرض لهذا المسجد^(٣) .

(١) الرَّمَكَةُ: الفرس والبرذونة تتخذ للنسل . الخليل بن أحمد، كتاب العين ٣٧٠/٥ .

(٢) الفتوح ٢٩٩/٧ - ٣٠٤ .

(٣) المصدر السابق ٣٠٥/٧ .

ثانياً: تدور علامات التساؤل والشك حول كثير مما ورد في رواية الدخول هذه التي ساقها ابن أعثم، ومن ذلك:

= ورد في مقدار المصالحة (ألف ألف درهم) والدرهم عملة فارس أعداء البيزنطيين، التي لا يتعاملون بها وإنما يتعاملون بالدنانير .

= ما ورد في مقدار المصالحة يخالف ما هو ثابت في رواية شهود العيان من أنهم لما رغبوا فيها - أي المصالحة - قبلوا أن يدفعوا عن كل إنسان في القسطنطينية ديناراً ديناراً .

= عندما رفض البيزنطيون الجزية التي عرضها عليهم المسلمون رفضوها أنفة وكبرياء؛ قالوا: «والصغار والجزية ما لا تطيب به أنفسنا أبداً»^(١)، وهذه الرواية تخالف ذلك تماماً، وتفيض بذكر ما صاروا إليه من الذل والصغار والقبول والتنفيذ لكل ما طلب منهم .

= ثم إن مسلمة لم يكن في موقف المنتصر على أهل القسطنطينية حتى يفرض شروطه عليهم ويذهب بتلك الطريقة المهينة بالنسبة لهم .

ولذلك فإن مسألة دخول مسلمة إلى المدينة مستبعدة وكذلك بناء المسجد داخلها، وإن كان هناك مسجد مبني فهو خارج أسوارها، حيث كان يقيم مسلمة وجنده، عندما بنوا بيوت الخشب أول قدومهم، وظلوا فيها أثناء الحصار، ومن المتوقع بل المفترض أن يكون لهم مسجد جامع يؤدون فيه الجمع والجماعات والأعياد، ومن المحتمل أيضاً بقاء هذا البناء بعد رحيل المسلمين، ولا سيما أن بعض العلماء صرحوا بأنه باق إلى زمانهم^(٢).

ومن الغرائب التي وردت عند ابن أعثم: أن مسلمة عندما أراد فك

(١) تاريخ دمشق ٦٨/٢٣١ .

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٨/٣٥٢، وابن كثير، البداية والنهاية ٩/٣٢٨ .

الحصار أخبر الناس بوفاة أبيه عبد الملك وأخيه الوليد !! - وكان الناس لم يعلموا بذلك، ولا مضى على وفاتيهما زمن طويل - مع أن معظم المصادر تكاد تجمع على أن خروج جيش مسلمة الذي نحن بصددده كان في عهد سليمان . وورد عنده أن سليمان بن عبد الملك هو الذي استدعى أخاه مسلمة وكتب إليه يأمره بالانصراف إلى ما قبله، ليووجهه إلى خراسان حيث يزيد بن المهلب^(١).

والروايات الصحيحة تثبت غير ذلك؛ لأن سليمان توفي والحصار ما زال قائماً، والذي أمر الجيش بالقبول هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى . وأمر آخر وهو أن خلاف يزيد بن المهلب على الأمويين لم يكن في عهد سليمان، وإنما كان في عهد يزيد بن عبد الملك، وفي العراق وليس في خراسان .

ومن غرائب بن أعثم أن مسلمة كان يقاتل أهل القسطنطينية في معارك برية مكشوفة خارج أسوار المدينة، ثم يدخلها أهلها والمسلمون يقتلون ويسلبون^(٢). وهذا غير ثابت في المصادر التي تنقل عن شهود العيان، ولا كان أهل القسطنطينية يجروون عليه، فيعرضون أنفسهم ومدينتهم للخطر، لمعرفةهم الدقيقة بالمسلمين وجرأتهم، وإنما كانوا يقاتلون خلف الأسوار .

• الأسباب التي حالت دون فتح القسطنطينية:

لم يدخل المسلمون وسعاً في الإعداد لهذا الفتح والتخطيط له - كما لاحظنا - وضربوا على أهل المدينة حصاراً أضناهم، وأبدوا من ضروب البسالة والفداء والتحمل والصبر ما أذهل العدو وأرهقه، وجعله يتوسل إليهم طالباً المصالحة وقبول الفداء عن كل رأس من أهل القسطنطينية حتى يرحلوا عنهم . ولما لم يكن هدف المسلمين من جهادهم جمع الأموال واكتنازها فإنهم رفضوا

(١) الفتوح ٢٩٨/٧ .

(٢) المصدر السابق ٢٩٨/٧-٢٩٩ .

ذلك، وخيروا أهل القسطنطينية بالإسلام أو دفع الجزية مع الصغار أو القتال، وحيث لم يقبلوا بالخيارين الأولين، كان لابد من الثالث، لكن المسلمين لم يتمكنوا من مناجزتهم؛ بسبب احتمائهم خلف أسوار المدينة، ولذا ظلوا مرابطين عندها رجاء فتحها، حتى تجمعت أسباب كثيرة اضطرهم إلى إنهاء الحصار في ذلك الحين، ورجاء أن تسنح فرصة أخرى يتحقق فيها ما لم يتحقق هذه المرة .

وقبل أن نقف عند أهم الأسباب والعوامل التي حالت دون إتمام فتح المسلمين للمدينة، نود أن نطرح السؤال التالي: ما مدى حقيقة غدر اليون بمسلمة وسرقة ما لدى المسلمين من طعام؟!

تكاد تتفق معظم المصادر العربية على ذكر خديعة اليون مرة أخرى للمسلمين؛ حيث سرق طعامهم الذي جمعوه وادّخروه لوقت الحاجة؛ فأدخله القسطنطينية، ويان ذلك: أن اليون لما اتفق مع أهل القسطنطينية على تسليمه، بعد أن أذن له مسلمة في الدخول إليهم، للتفاوض معهم، لما ضاقت بهم الحيلة، خرج إلى مسلمة، وقال: قد أجابوني لفتح المدينة، إلا أنهم اشترطوا أن تتنحى عنهم وتبتعد قليلاً في بعض الوجوه أو الرساتيق، حتى يطمئنوا ويصدقوا بأن أمري وأمرك واحد، وأنهم في أمان من السباء والخروج من بلادهم، فقال مسلمة: أخشى أن هذا غدر منك، فحلف له اليون أن يدفع كل ما في القسطنطينية من ذهب وفضة وديباج ومال وآنية وسبي وجوهر وسلاح ووشى وما يدخره الملوك، فارتحل مسلمة وتنحى، فأمر اليون الرجال المستعدين بسفنتهم، فنقلوا طعام المسلمين وعلوفاتهم، فأدخلوها المدينة، وشحنوا بها الخزائن الإمبراطورية، وأخذوا ما أمكنهم من أمتعة الجيش، وبلغ الخبر مسلمة، فتحقق غدر اليون، فأقبل راجعاً، وأدرك شيئاً من الطعام، ثم أصبح اليون محارباً^(١).

(١) المسعودي، التنبيه ص ١٦٦، والمقدسي البدء والتاريخ ٤٤/٦، و تاريخ دمشق ٢١/٥٨، والكمال ١٧٤/٤، وتاريخ مختصر الدول ص ١٩٦، الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) =

هذه الخدعة التي حيكت ونقلتها المصادر العربية باطلة من وجهة نظري؛ فهي مبنية على احتمال أن اليون كان مصاحباً لمسلمة حتى وصل القسطنطينية، ثم دخل المدينة واتفقوا على تنصيبه امبراطوراً، وحتى يثبت ولاءه لهم قام بهذه الخدعة، وهي سرقة طعام المسلمين وعلوفاقتهم، وقد سبق أن رجحنا رواية ابن عساكر التي تنقل عن شاهد عيان تحدث أن اليون كان ينظم قواته داخل أسوار القسطنطينية وقت وصول المسلمين إليها، وتبين لمسلمة ومن معه حينئذ موقف اليون الغادر فأصابتهم كآبة وهم عظيم، لما رأوا من مخادعته وخيانتة، فهل يا ترى يسوغ والحال ما ذكر أن يخرج إليهم ويقابل مسلمة ويخدعه مرة أخرى؟! هذا أمر، وأمر آخر؛ حتى على افتراض أن ما ذكرته تلك المصادر كان صحيحاً، وهو أن اليون ما دخل القسطنطينية إلا بعد وصول مسلمة، فهل ما ذكر من تبرير من أجل أن يتنحى المسلمون في بعض الرساتيق، حتى يطمئن أهل القسطنطينية (بأن أمري وأمرك واحد) يعتبر تبريراً معقولاً يمكن أن يصدقه مسلمة ورجاله، أم هو كلام بارد لا يمكن أن يجوز على أقل الناس عقلاً!!، وأمر ثالث وهو أن المصادر البيزنطية لم تشر إلى حادثة سرقة الطعام، أو إحراقه من قريب أو بعيد، ولم تذكر ذلك مطلقاً^(١)، ولو أن شيئاً من هذا القبيل حدث له وأبرزته وأضافته إلى مواهب اليون التي وقفت عندها كثيراً .

وكذا الرواية الأخرى التي مفادها أن اليون أشار على مسلمة بحرق ما معه من الطعام حتى يتحقق أهل القسطنطينية العزم منه على حربهم ومناجزهم، فيعطوا بأيديهم، فأحرقه^(٢)، فهي رواية متهافئة يراد بها الحط من قدر مسلمة؛

= ص ٢٧١، والبداية والنهاية ١٧٥/٩.

(١) فرج، العلاقات .. ص ١٥٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، والعيون والحداثق ص ٢٩ .

يتضح ذلك من وصفه بأنه قد خدع خديعة لو كان امرأة ليعيب بها^(١)، فهل يُصدق أن يعمد قائد جيش بنفسه إلى إحراق طعامه وطعام جنده وهو في مواجهة عدوه؟! هذا ما لا يمكن أن يصدقه عاقل، وهي فرية مكشوفة ظاهرة للعيان، تذكرنا بقصة طارق بن زياد وإحراق السفن المنسوبة إليه زوراً وبهتاناً .

ومثل هذه الرواية في البطلان الرواية الأخرى التي ساقها الطبري أيضاً عن علي بن محمد المدائني - وكلتا الروايتين عنه - والتي ذكرت أن ليون كتب إلى مسلمة يسأله أن يدخل من الطعام ما يعيش به القوم، ويصدقونه بأن أمره وأمر مسلمة واحد^(٢)!! والسؤال الذي يبرز نفسه؛ ما قيمة الحصار المضروب على المدينة إذًا، إذا كان يتصور أن مسلمة سيعطيهم من الطعام ما يعيشون به؟!

إن تلك الروايات في نظري يفهم منها أمر مهم وهو تحميل مسلمة بن عبد الملك مسؤولية عدم نجاح هذه الحملة بتحقيق هدفها الرئيس، وما أصاب المسلمين أثناء الحصار من بعض الخن، حتى قال عنه صاحب العيون والحدائق: إنه عاجز، لا رأي له في الحرب، ولا في أصحابه من له رأي يرجع إليه^(٣)، وقال في موضع آخر كلاماً نابياً عنه^(٤)، وقالوا عنه بعد فقد الطعام: إنه قد خدع خديعة لو كان امرأة لعيبت بها^(٥) .

(١) تاريخ الطبري ٥٣١/٦ .

(٢) المصدر السابق نفسه، والعيون والحدائق ص ٣٢ .

(٣) ص ٢٧-٢٨ .

(٤) وهو أن ليون كان يناظره ويعامله بالمكر والخديعة حتى قال: لو كان مسلمة امرأة ثم شئت

أن أفعل بها لفعلت، وما كان يمتنع علي قط في شيء أردت منه . العيون ص ٢٧ .

(٥) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، العيون والحدائق ص ٣٢، ابن الأثير، الكامل ١٤٧/٤، ابن

العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٧ .

وفي رأيي أن هذا القول عن مسلمة غير دقيق، وقد يكون فيه شيء من التحامل عليه؛ فهو وإن كان لا يعفى من المسؤولية، إلا أنه لا يتحمل نتيجة كل ما حدث، فهو قَدَرٌ نافذ بمسلمة أو بدونه؛ حيث لم يكن بعد زمن الفتح، ومسلمة لم يكن متفرداً بالرأي دون سواه، فقد رأينا مثلاً على مشاورته لأصحابه، لكنه كان يفضل رأي الأغلبية، وإصراره على عدم قبول الفداء من أهل القسطنطينية لما عرضه عليه، كان تنفيذاً لأمر أخيه سليمان الذي وصاه بأن يقيم عليها، حتى يفتحها أو يأتيه أمره، ومن قرأ عن مآثره الحربية وانتصاراته المتوالية على جيوش الروم في أراضيهم، وفي بلاد الخزر استيقن أنه لم يكن وراءها إنسان سهل القيادة، عاجز الرأي. نقل ابن عبد ربه عن الأصمعي: «لم يكن لعبد الملك ابن أسدٍ رأياً ولا أذكى عقلاً ولا أشجع قلباً ولا أسمع نفساً ولا أسخى كفاً من مسلمة»^(١). وقال الجاحظ: «وكان مسلمة شجاعاً خطيباً بارع اللسان جواداً، ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده»^(٢)، وقال ابن كثير: بعد أن ذكر انتصاراته في حروبه ونكايته في عدوه من الروم وغيرهم: «كانت لمسلمة مواقف مشهورة ومسامي مشكورة، وغزوات متتالية منثورة، وقد افتتح حصوناً وقلاعاً، وأحيا بعزمه قصوراً وبقاعاً، وكان في زمانه في الغزوات نظير خالد بن الوليد في أيامه في كثرة مغازيه، وكثرة فتوحه، وقوة عزمه، وشدة بأسه، وجودة تصرفه في نقضه وإبرامه، هذا مع الكرم والفصاحة»^(٣)، فهل مَنْ هذه صفاته يخدع بسهولة مرات عديدة، ويكون الإخفاق بسببه وحده؟! ومع ذلك كله فهو بشر يصيب ويخطئ، والمعصوم من

(١) العقد الفريد ١٣١/٦ .

(٢) البيان والتبيين ١٨٩/٣ .

(٣) البداية والنهاية ٣٢٨/٩ - ٣٢٩ .

عصم الله وحده^(١) .

ونعود الآن إلى النظر في الأسباب الحقيقية التي حالت دون فتح القسطنطينية وأدت إلى رفع الحصار عنها:

﴿ يأتي في مقدمة ذلك حلول برد قارس شديد البرودة ذي أمطار وثلوج في شتاء سنة ٩٨هـ، ومع أن المسلمين استعدوا لهذا الشتاء ببناء بيوت من خشب فشتوا فيها إلا أن قسوة البرد وكثرة الثلوج والأمطار قد أضرت بهم كثيراً، قال صاحب العيون والحدائق: «وسليمان بن عبد الملك مقيم بدابق لا يقدر أن يمدهم بشيء من الأزواد لكثرة البرد والثلوج»^(٢)، وروي أن الثلج غطى وجه الأرض نحواً من مائة يوم فاشتد الضيق على المسلمين^(٣)، وذكر أحد المؤرخين الغربيين أن المسلمين لقوا شدة في ذلك العام عندما كان نزول الجليد لا ينقطع لمدة اثني عشر أسبوعاً^(٤)، ولا شك أن ذلك أثر على المسلمين تأثيراً شديداً؛ فتوقف نشاطهم وانكمشوا في انتظار حلول الربيع، لأنهم لم يتعودوا عليه، بينما كان ذلك مألوفاً لدى البيزنطيين؛ فاستفادوا منه بإعادة تنظيم دفاعات مدينتهم، ونقلوا المؤن إلى الداخل، وأرسلوا سفارتهم إلى البلغار^(٥) . وقد مات بسبب ذلك وبسبب الجوع خلق كثير من المسلمين^(٦)، و نفقت كثير من خيولهم وبعالهم وجمالهم^(٧) .

(١) وقد رأينا مثلاً على خطئه في تعامله مع برجان .

(٢) ص ٣٢ .

(٣) عثمان، الحدود الإسلامية .. ص ٩١ .

(٤) أومان، الإمبراطورية البيزنطية ص ١٤٦، وذكر في الصفحة نفسها أن اليون كان يفخر بأن ديسمبر ويناير وفبراير من أعظم قواده

(٥) فرج، العلاقات .. ص ١٦٦ .

(٦) المقدسي، البدء والتاريخ ص ٤٤ .

(٧) عثمان، الحدود الإسلامية .. ص ٩١ .

﴿ ثم كان من الأسباب الرئيسة في فك الحصار حدوث أزمة نفاذ أقوات المسلمين، ومع أن المسلمين قد جمعوا أول ما وصلوا إلى القسطنطينية ما استطاعوا جمعه من الطعام والعلف وادخروه لوقت الحاجة إلا أن ذلك نفذ ولم يبق بما يحتاجهم طوال فصل الشتاء الذي صاحبه الأمطار والثلوج والبرد الشديد كما ذكر، ولا سيما أن عدد الجيش كان كبيراً ومعهم دوابهم التي تحتاج إلى أعلاف ومؤونة في أرض كساها الجليد، ولذلك انتشرت المجاعة والأمراض بين المسلمين، قال عمر بن هبيرة - قائد الأسطول: «بلغنا من حصارهم ما بلغنا، وكان بنا من الأزل والمرض نحواً مما بهم أو أشد»^(١)، وقال أحد المشاركين في الحملة وهو محمد بن زياد الألهاني: «هلكتنا من الجوع ومات الناس»^(٢)، وروى أحد الجنود قال: «كنت فيمن حاصر القسطنطينية، فبلغنا من حصارهم وبلغ منّا الجوع نحواً مما سمعتم»^(٣)، وتحدث شاهد عيان هو أبو سعيد المعيطي عن حال المسلمين إذ ذاك؛ فذكر أن مسلمة تفقد الجيش وسأل عن طعامهم، فأخبر أن الناس في شدة وضيق، وأنهم يتقوتون الخزيرة^(٤)، فحثهم على الصبر. قال أبو سعيد: «وقد جهد عامة الناس، وإنما يأكل الخزيرة منهم أهل القوة، وبقيتهم فيما لا يصفه واصف من أكل توافق الدواب وأشباه ذلك، حتى لقد ذكر أن قوماً أكلوا ميتاً لهم»^(٥)، وتحدث شاهد عيان آخر وهو زيد بن واقد عن ما

(١) تاريخ دمشق ٦٨/٢٣٠.

(٢) الذهبي، دول الإسلام ص ٦٧.

(٣) تاريخ دمشق ٦٨/٣٣٢.

(٤) الخزيرة: شبه عصيدة، وهو اللحم الغائب يقطع صغاراً في القدر، ثم يطبخ بالماء الكثير والملح، فإذا أميت طبخاً ذُرَّ عليه الدقيق فعصد به، ولا تكون الخزيرة إلا بلحم، تاج العروس، مادة (خزر).

(٥) تاريخ دمشق ٦٦/٢٦٧-٢٦٨.

أصابه من الجوع والجهد فذكر أنه هم بترع جلدة الفسطاط التي تكون في أعلى عمود الخيمة، ليطنبئها ويلوكها ويتقوى بها، لكنه سمع تكبير الناس فرحاً بالقول، فذهب عنه الجوع^(١). وورد أنهم أكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والعروق والورق وكل شئ غير التراب^(٢). وأنه عظم البلاء عليهم لذهاب أقواتهم^(٣)، وأن الناس في معسكرهم أكلوا الميتة والعذرة من الجوع^(٤)، وأنهم جاعوا جوعاً عظيماً^(٥).

ومن الأخطاء التي وردت عند بعض المؤرخين قولهم عند الحديث عن هذه المجاعة التي أصابت المسلمين: أنهم أكلوا الميتة والعذرة من الجوع في الوقت الذي كان في وسط المعسكر كومة من حنطة مثل الجبل العالي يغيظون بها الروم!!^(٦) ولاشك أن هذا غير صحيح؛ لأنهم لا يمكن أن يغيظوا الروم بقتل أنفسهم.

وعلى أي حال فلا شك أن تلك المجاعة كانت مما زاد من سوء أحوالهم، وتعرضهم للإصابة ببعض الأمراض^(٧)، وكانت سبباً في هلاك بعضهم، وهلاك دوابهم^(٨)، وأخيراً كانت من الأسباب التي أدت إلى رحيلهم عن القسطنطينية^(٩).

(١) المصدر السابق ٥٢٧/١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، والعيون والحداثق ص ٣٣، وكامل ابن الأثير ١٤٧/٤.

(٣) المسعودي، التنبيه ص ١٦٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٠٢/٤.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية ٣٢٨/٩.

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ ٧٠/١، وسير أعلام النبلاء ٥٠٢/٤.

(٧) تاريخ دمشق ٢١/٥٨.

(٨) العيون والحداثق ص ٣٠.

(٩) تاريخ دمشق ٢٣٠/٦٨، ٢٣٢.

﴿ وقد ضاعف من أزمة نفاذ أقوات المسلمين وحلول المجاعة بهم بعد خطوط اتصال الجيش الإسلامي بقيادته، للحصول على ما يحتاج إليه من التموين، ومع أن المسلمين هدهم تفكيرهم إلى زراعة الأرض، فأكلوا مما زرعوها، ومما وقع في أيديهم من غنائم من العدو^(١)، إلا أن ذلك لم يكن كافياً لسد حاجاتهم .

﴿ أحدثت النار الإغريقية التي استخدمها البيزنطيون، و الرياح الشديدة والعواصف، والتيارات المائية العاتية أضراراً بسفن الأسطول الإسلامي، ودمرت عدداً من قطعه^(٢)، وكانت النار الإغريقية بالذات سبباً فاعلاً من الأسباب الرئيسة التي حدت من فاعلية الأسطول الإسلامي وقدرته^(٣) .

﴿ مناعة القسطنطينية بموقعها الجغرافي المتميز، وأسوارها العالية، وتحصيناتها القوية، ودفاعاتها المحكمة، وكثرة جيوشها .

﴿ عدم إحكام حصار المدينة من جميع جهاتها؛ فقد ظلت ناحيتها الشمالية المطلية على القرن الذهبي والمتصلة بالبحر الأسود مفتوحة، وذلك بسبب أن التيارات المائية القوية حالت دون وصول المسلمين إليها، ولذا أصبحت تحصل على بعض إمداداتها من حقول القمح الواقعة على شواطئ هذا البحر الشمالية^(٤) .

﴿ مهاجمة برجان (البلغار) الذين استجاشهم اليون المسلمون من الجانب الأوربي^(٥)، وعلى الرغم من الهزيمة القاسية التي ألحقها المسلمون بهم آخر الأمر

(١) تاريخ الطبري ٥٣٠/٦ .

(٢) ماجد، التاريخ السياسي ص ٢٤٩ .

(٣) عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص ٩٧ .

(٤) العدوي، الأمويون ص ١٦٤، وعاشور، أوربا ١/١١٣ .

(٥) ابن العربي، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٧ .

إلا أنه لم ينقطع نشاطهم العدائي عن المسلمين^(١).

﴿ ويضيف ابن العبري أن الإفرنج كانوا يغيرون على المسلمين في السفن^(٢)، ومعنى هذا أنه وصلت قوات إفرنجية مساندة للقسطنطينية وقت حصارها، وحاربت المسلمين بحراً .

﴿ وكان الروم يحاربون المسلمين من داخل أسوار المدينة بالمنجنيقات وأدوات الدفاع المتيسرة لديهم^(٣) .

﴿ وقد أعطى طول أمد الحصار امبراطور الروم فرصة للتحالف مع بعض القوى المعادية للمسلمين؛ كما فعل مع خان الخزر، ليزيد به قوة جيشه^(٤) .

﴿ وتشير بعض المراجع إلى وجود عناصر نصرانية ضمن بحارة سفن المسلمين، حدث منها تواطؤ في بعض الأحيان مع بني دينهم^(٥) .

﴿ وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك المفاجئة - وهو المتحمس للفتح - حالت دون استمرار الحصار، وبعث الإمدادات والأقوات إلى الجيش .

• أهم نتائج الحملة والدروس المستفادة منها:

= عادت هذه الحملة الموجهة لفتح القسطنطينية أدراجها، ولم تحقق الهدف الأكبر الذي كانت تطمح إلى تحقيقه، وهو فتح المدينة ونشر الإسلام فيها، وبعد أن كانت الدولة الأموية قد أخفقت في محاولتين سابقتين - كما سلف - ،

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

(٤) عمران، المرجع السابق ص ٩٦ .

(٥) طقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣٢-١٣٣ .

لكن ذلك لم يفت في عضد المسلمين، أو يسرب اليأس إلى نفوسهم، أو يوهن من عزائمهم تجاه الدولة البيزنطية الرابضة على حدودهم الشمالية؛ فقد استمر الضغط على أطرافها طوال العهود التالية، من خلال بعثات الصوائف والشواتي التي اضطلعت بالقيام بهذه المهمة بنجاح^(١). وظل هاجس الفتح حياً في نفوس المسلمين إلى أن تحقق لهم بفضل الله تعالى في سنة ٨٥٧هـ على يد السلطان العثماني محمد الفاتح رحمه الله تعالى.

= أثبت المسلمون كفاءتهم الحربية وقدراتهم القتالية وروحهم الجهادية العالية أمام هذا العدو البعيد الدار، وذلك من خلال المناوشات التي حدثت أثناء الحصار، كما برهنوا على مقدرتهم على تحمل الصعاب والمشكلات والظروف مهما كانت قاسية وعسيرة وشاقة.

= ولا شك أن إخفاق المسلمين في الفتح رفع من معنويات الطرف الآخر، وتجددت آماله في القدرة على المواجهة والتحرش بالمسلمين؛ فمن ذلك تجرؤهم في الإغارة على ثغر اللاذقية في سواحل الشام سنة ١٠٠هـ^(٢).
= ومن جانب آخر فبعد هذه الحملة غض البيزنطيون الطرف عن موقع آخر كانوا يحاولون استعادته من المسلمين، وهو شمالي أفريقية، وركزوا اهتمامهم على أن تكون عاصمتهم بعيدة المنال عن أيدي المسلمين^(٣).

(١) انظر على سبيل المثال البلاذري، فتوح البلدان ص ١٦٧، ١٧٢-١٧٦، وتاريخ دمشق (٢١٧/٢١، ٣١٨، ٤٤٦-٤٤٥/٤٦، ٣٤٧/٥٦، ٣٤٨-٣٤٧/٥٦، ٣٧/٩٠، ٤٨/٨٦، ١١/٤٣٢)، (٢١٧/٢١، ٣١٨، ٤٤٦-٤٤٥/٤٦، ٣٤٧/٥٦، ٣٤٨-٣٤٧/٥٦، ٣٧/٩٠، ٤٨/٨٦، ١١/٤٣٢)، (٢١٧/٢١، ٣١٨، ٤٤٦-٤٤٥/٤٦، ٣٤٧/٥٦، ٣٤٨-٣٤٧/٥٦، ٣٧/٩٠، ٤٨/٨٦، ١١/٤٣٢).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ص ١٣٩.

(٣) العدوي، الأمويون ص ١٦٧، وعامل، تاريخ خلافة بني أمية ص ٢٥٠.

= حرم صمود القسطنطينية وتأثيرها على الفتح الإسلامي الشعوب القاطنة شرقي أوروبا، ولا سيما الوثنية منها كالأفار والسلاف والبلغار والروس من التعرف على نور الإسلام وحضارته، ويمكن لنا أن نتصور مدى التغيير الذي سيعتري الشطر الشرقي لأوروبا لو تم ذلك الفتح^(١).

= نوادي باليون الإيسوري بعد هذه الحملة مخلصاً لأوروبا النصرانية من المسلمين والعرب^(٢)، واعتبره بعضهم من أصحاب الوقائع الفاصلة في التاريخ^(٣).

= وظلت الدولة البيزنطية تحتفظ بهيبتها أمام دول الغرب الأوربي فترة طويلة^(٤).

= كان من إفرازاتها قتلى من الطرفين، وأسرى^(٥).

= ومن أهم الدروس المستفادة منها أن الركون إلى أعداء الله تعالى وموادتهم والإصغاء إليهم، والتخلي عن الحذر عند التعامل معهم، سبب رئيس في القصور عن بلوغ الهدف، وعدم التمكين في الأرض، ووقوع الابتلاء، ألا ترى معي وأنت تقرأ هذه الآيات، وكأنها تشخص الموقف الذي نحن بصدده:

(١) فشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ١/٦٨-٦٩، وعاشور، أوروبا العصور الوسطى ١/

(٢) حتى، تاريخ العرب ٣/٢٢٥.

(٣) فشر، المرجع السابق ١/٦٩.

(٤) سالم، تاريخ البحرية الإسلامية ١/٣٦.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ٤/٥٠٢،

وبروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٤٨ (الحاشية ٤١)، وماجد، التاريخ

السياسي .. ص ٢٤٧.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَوَّعَدُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُخْرَجُونَ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: ١]

= أن قوى الكفر مهما كان بينها من اختلاف وبغضاء وتناحر فإنها تجتمع على حرب الإسلام وأهله، جرياً وفق السنن الربانية التي تشير إلى الصراع الأزلي بين الحق والباطل بمختلف أشكاله وصوره .

الخاتمة:

تتلخص أهم نتائج البحث فيما يلي:

— اهتمام الأمويين بفتح القسطنطينية واتخاذها هدفاً حيويًا، أملاً في تحقيق الوعد النبوي الصادق على أيديهم، وكسراً لشوكة الدولة البيزنطية المتربصة بهم .

— أن أدق مصدر من المصادر العربية عن أحداث هذه الحملة هو كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، لاحتوائه على روايات عن شهود عيان مشاركين في الحملة نفسها، وروايات جديدة لم تستخدم في أي بحث سابق لهذا الموضوع، منها على سبيل المثال:

* رواية عن الدوريات التي تقوم بتأمين الحماية للجيش البري الإسلامي

* رواية تفيد تعرض الروم لبعض سفن المسلمين أثناء العبور إلى العدو

الأوربية وتصدي المسلمين لهم

* روايات تثبت أن قائد الأسطول الإسلامي هو عمر بن هبيرة الفزاري .

* رواية إرسال سفارة من مسلمة إلى اليون وهو في القسطنطينية لمناقشته

في نقض عهده مع المسلمين، وفيها تصوير للحوار الذي دار هناك .

* رواية إرسال إمبراطور الروم وفداً إلى عمر بن هبيرة ليتوسط لدى

القائد مسلمة لقبول فدية صلح .

* روايات عن استنجد اليون بملك البلغار، وما جرى بين هؤلاء وبين

المسلمين من حروب .

* روايات تصور معاناة المسلمين من الجوع بعد طول أمد الحصار .

— أكد البحث من خلال الروايات الموثقة على حدوث اللقاء بين مسلمة

واليون، وحصول الاتفاق بينهما على المناصحة، خلافاً لما تذهب إليه

روايات الغربيين في هذا الصدد، كما أكد على نقض اليون لهذا الاتفاق وغدرة بالمسلمين .

__ ترجيح الرواية التي أفادت أن دخول اليون إلى القسطنطينية كان قبل وصول القوات الإسلامية إليها، حتى وإن كانت أكثر المصادر الإسلامية تخالفها، لأنها رواية إنسان حكى ما شاهد، وهي في الوقت نفسه تتفق مع الروايات البيزنطية .

__ فند البحث الروايات التي ذكرت خدعة اليون فيما يتعلق بطعام المسلمين إما سرقة أو إحراقاً .

__ التنبيه إلى انسياق بعض المراجع العربية الحديثة خلف المراجع الغربية في قهويل هزائم المسلمين وانتصارات البيزنطيين، اعتماداً على روايات طرف واحد في النزاع - وهو منهج خاطئ - بينت روايات شهود العيان المسلمين خلافه .

__ الاستنتاج من خلال روايات قريبة من الحدث أن بدء الحصار كان في آخر سنة ٩٧ هـ، وأن انتهاءه كان بعد مضي أشهر من سنة ٩٩ هـ، وبهذا تكون مدته أكثر من عام، خلافاً لما رددت بعض المصادر الغربية ومن نقل عنها .

__ فند البحث روايات دخول مسلمة إلى القسطنطينية وبناء مسجد فيها .

__ أثبت البحث أن القائد مسلمة بن عبد الملك لا يتحمل نتيجة إخفاق الحملة في تحقيق هدفها، بناء على نظر شمولي في صفات هذا القائد، وتأسيساً على العوامل الحقيقية لهذا الإخفاق .

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على رسولنا المبعوث رحمة للعالمين.

(ملحق رقم ١)

(أسماء بعض المشاركين في الحملة الذين ورد ذكرهم في المصادر)

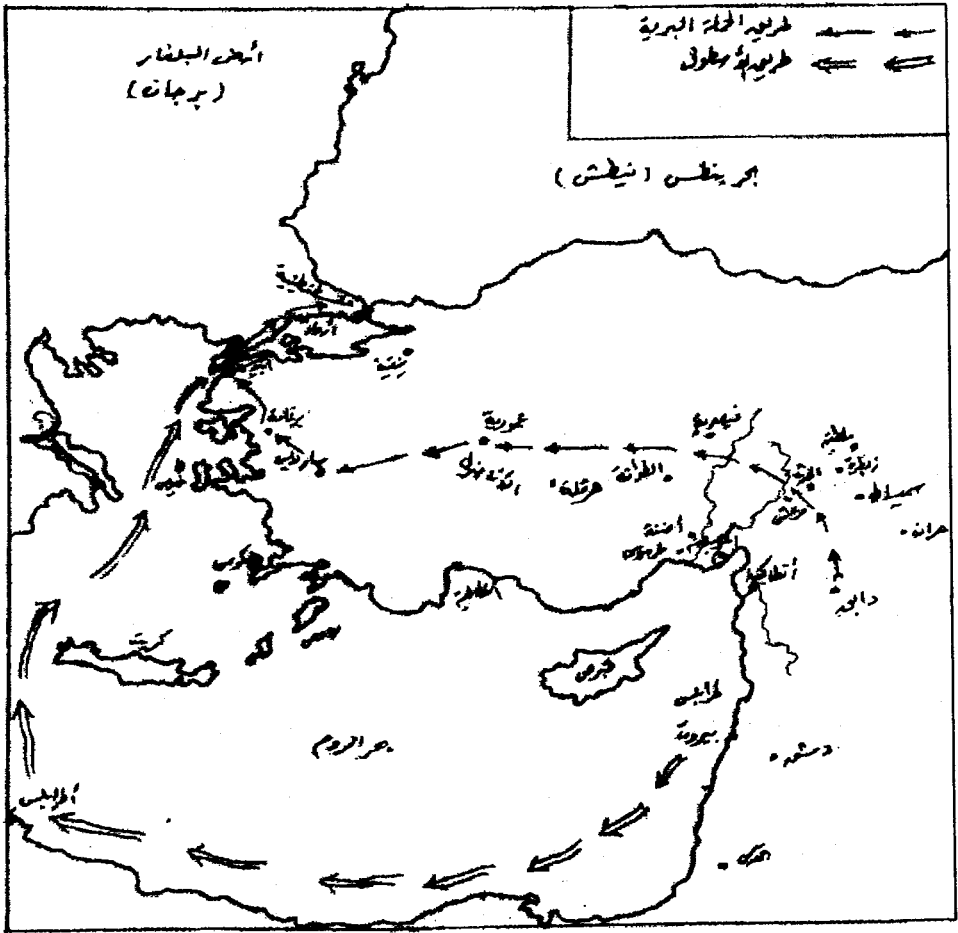
- إبراهيم بن نشيط بن يوسف الوعلاني / تهذيب الكمال ٢٢٩/٢
- أصبغ بن الأشعث بن قيس الكندي / تاريخ دمشق ١٦٧/٩
- ابن بلال بن سعد بن تميم السكوني / تاريخ دمشق ٢١/٦٨ مات في الغزوة
- جابر التميمي / تاريخ دمشق ١٩٨/١١
- أبو خراسان بن تميم الفارسي / تاريخ دمشق ٣٣٩-٣٣٧/٥٠
- خالد بن عمير الذكواني / تاريخ دمشق ١٧٩/١٦ ومعجم البلدان ٤٣/٣
- خالد بن معدان / تاريخ الطبري ٥٣٠/٦
- أبو زرعة اللخمي / تاريخ دمشق ٢٤٦/٦٦
- زيد بن واقد / تاريخ دمشق ٥٢٧/١٩
- أبو سعيد المعيطي / تاريخ دمشق ٢٦٧/٦٦ روى بعض الأحداث
- سليمان بن عبد الله الأشعري / تاريخ دمشق ٣٣٥/٢٢
- سليمان بن معاذ الأنطاكي / العيون والحدائق ص ٢٨
- شراحيل بن عبيدة العقيلي / تاريخ دمشق ٣٨/١٥٥، قاد مع أبيه المعركة ضد برجان وقتل فيها
- صدقة بن اليمان الهمداني / تاريخ دمشق ٤٦/٢٤
- الضحاك بن مزاحم الأسدي / تاريخ دمشق ٣٦٨/٢٤
- الضحاك بن يزيد السلمي / تاريخ دمشق ٣٧٤/٢٤، قتل في الغزوة
- عبد الرحمن بن صعصعة / تاريخ دمشق ٤٣٥/٣٤ و ٨/٣٥
- عبد الله بن جرير البجلي / تاريخ دمشق ٢٤٦/٢٧
- عبد الله بن زكرياء الخزاعي / تاريخ الطبري ٥٣٠/٦

- عبد الله بن سعد بن أوس الهمداني / تاريخ دمشق ١٣٨/٦٠
- عبد الله بن سعيد بن قيس الهمداني / تاريخ دمشق ٦٥/٢٩
- عبد الله بن مسلم الزهري / تاريخ دمشق ١٩٥/٣٣
- عبد الله بن الحسين، أبو يحيى البطل / تاريخ دمشق ٢٤٦/٦٦
- عمر بن هبيرة الفزاري / تاريخ دمشق ١٣١/٥٧ و ٢٣٠/٦٨، القائد البحري
- عبید الله بن عبد العزيز بن عدي الأكبر / تاريخ دمشق ١١/٦٨ و جمهرة أنساب العرب ص ١١٦، قتل فيها
- عبید الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب / تاريخ دمشق ٣-٤/٣٨
- عبيدة بن قيس العقيلي / تاريخ دمشق ١٥٥/٣٨، قائد المعركة ضد برجان
- كثير بن ميسرة / تاريخ دمشق ٦١/٥٠
- أبو كرب العراقي / تاريخ دمشق ١٥٨-١٥٩/٦٧، قتل في المعارك مع برجان
- الليث بن تميم الفارسي / تاريخ دمشق ٣٧٤/٤٥، روى كثيراً من أحداث الحملة
- مجاهد بن جبر / تاريخ الطبري ٥٣٠/٦
- أبو محجن بن عبد الله اللخمي / تاريخ دمشق ١٩٩/٦٧ و جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٤، قتل فيها
- محمد بن خالد بن الوليد المخزومي / تاريخ دمشق ٣٨٧/٥٢
- محمد بن زياد الأهلي / سير أعلام النبلاء ٥٠٢/٤
- محمد بن عبد العزيز بن مروان / تاريخ دمشق ١٢٥/٥٤ و الفتوح ١٩١/٧، قتل فيها
- محمد بن الضحاک بن قيس التميمي / تاريخ دمشق ٢٧٨/٥٣
- محمد بن مسلمة بن عبد الملك / تاريخ دمشق ٢٨٩/٥٥

- محمود بن الربيع الأنصاري / تاريخ دمشق ١١٠/٥٧
- مسلمة بن عبد الملك بن مروان / تاريخ دمشق ٢٧/٥٨، القائد العام
- مسلمة بن حبيب الفهري / تاريخ دمشق ٢١/٥٨
- المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي / جمهرة أنساب العرب ص ١٤٥
- الهيثم بن الأسود النخعي / تهذيب الكمال ٣٦٣/٣٠
- يحيى بن إياس الخزاعي / تاريخ دمشق ٩٢/٦٤
- يحيى بن أبي عمرو الشيباني / تاريخ دمشق ١٦٧/٦٤ و تهذيب الكمال ٣١/
٤٨٢ و تهذيب التهذيب ١١/٢٦٠
- يزيد بن مرة القبطي / تاريخ دمشق ٣٨٠/٦٥

(ملحق رقم ٣)

(المسار البري والمسار البحري للحملة)



المصادر والمراجع

- = ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (٦٣٠ هـ)
- الكمال في التاريخ، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، بيروت ١٣٨٧ هـ
- = الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي الحسني (القرن السادس)
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)
- = ابن أعثم، أحمد بن أعثم الكوفي، أبو محمد (٣١٤ هـ)
- الفتوح، الدار السلفية، الطبعة الأولى، حيدر أباد ١٣٩٤ هـ .
- = الأعظمي، عواد مجيد
- الأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان، منشورات اتحاد المؤرخين العرب،
بغداد ١٩٨٠ م
- = الأنباري، عبد الرزاق علي
- تاريخ الدولة العربية، العصر الراشدي والأموي، مطبعة الإرشاد، بغداد
١٤٠٦ هـ
- = أومان، ك .
- الإمبراطورية البيزنطية، تعريب مصطفى طه بدر، دار الفكر العربي ١٩٥٣ م .
- = بارتولد، و .
- مادة (البلغار) في دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي
وزملائه، الطبعة الإيرانية (د.ت)
- = باشا، محمد مختار
- التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية،
تحقيق: محمد عمارة الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت
١٤٠٠ هـ .

- = البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٧ هـ .
الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ١٤٠٧ هـ
- = البغدادي، الخطيب أحمد بن علي بن ثابت، (ت ٤٦٣ هـ) تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت)
= البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أبو الحسن (ت ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨ هـ .
- = ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة ١٤١٦ هـ
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٦ هـ .
= الجاحظ، عمرو بن بحر، أبو عثمان (ت ٢٥٥ هـ) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٥ م
- = جيون، إ. اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة لويس إسكندر، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٩ م
- = الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) المستدرک علی الصحیحین، مراجعة مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٤١١هـ

= ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم البستي (ت ٣٥٤ هـ)

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مراجعة: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة

الرسالة، بيروت ١٤١٤ هـ

= حتي، فيليب حتي خوري

تاريخ العرب، ترجمة محمد مبروك نافع، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٤٩ م

= حسن، علي إبراهيم

التاريخ الإسلامي العام، مكتبة الفلاح، الكويت، ومكتبة النهضة المصرية

. م ١٩٧٧

= الحموي، ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)

معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، بيروت (د.ت)

= ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله، أبو القاسم (ت ٣٠٠ هـ)

المسالك والممالك، طبع ليدن سنة ١٨٨٩ م .

= ابن خياط، خليفة بن خياط شباب العصفري (ت ٢٤٠ هـ)

تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، بغداد

. ١٣٨٦ هـ

= الدائي، عثمان بن سعيد المقرئ، أبو عمرو (ت ٤٤٤ هـ)

السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، تحقيق: د. ضياء الله

المباركفوري، دار العاصمة، الرياض ١٤١٦ هـ .

= ابن دقماق، إبراهيم بن محمد العلاني (٨٠٩ هـ)

الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عاشور،

جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ .

= الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (٤١-٦٠ هـ) و (٨١-١٠٠ هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١١ هـ
- تذكرة الحفاظ، مراجعة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤ هـ
- سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٢ هـ
- العبر في خبر من غبر، حققه: محمد السعيد زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ
- = الراجحي، محمد بن سليمان بن صالح
العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوروبا الشرقية، الطبعة الأولى، مطبعة سفير، الرياض ١٤١٩ هـ .
- = الزبيدي،
= سالم، السيد عبد العزيز وزميله
تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٧١ م .
- = ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ)
الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت (د.ت)
- = الشيباني، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)
المسند، مؤسسة قرطبة، مصر (د.ت)
- = الشيباني، أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت ٢٨٧ هـ)
الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، الطبعة الأولى، دار الراية، الرياض ١٤١١ هـ .

- = الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر (ت ٣١٠ هـ)
تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧ هـ
- = طقوش، محمد سهيل
تاريخ الدولة الأموية، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت ١٤١٦ هـ
- = عاشور، سعيد عبد الفتاح
أوروبا العصور الوسطى، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤ م.
- = عاقل، نبيه
الإمبراطورية البيزنطية، دمشق ١٩٦٩ م
- تاريخ خلافة بني أمية، الطبعة الرابعة، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣ هـ .
- = ابن عبد البر، يوسف بن محمد بن عبد الله (ت ٤٦٣ هـ)
الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الجاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ١٤١٢ هـ
- = ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، أبو عمر (٣٢٨ هـ)
العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وزملائه، الطبعة الثالثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٤ هـ
- = عبد اللطيف، عبد الشافي محمد
العالم الإسلامي في العصر الأموي، الطبعة الأولى، دار الوفاء، القاهرة ١٤٠٤ هـ .
- = ابن العبري، غريغوريوس بن هارون الملطي، أبو الفرج (ت ٦٨٥ هـ)
تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، الحازمية ١٤٠٣ هـ
- = عثمان، فتحي
الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار

- الكتاب العربي، القاهرة (د.ت)
= العدوي، إبراهيم أحمد
الأمويون والبيزنطيون، رياض الصالحين، مصر (د.ت)
= العربي، السيد الباز
الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٢ م .
= ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت ٥٧١ هـ)
تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى، دار
الفكر، بيروت ١٤١٥ هـ .
= عمران، محمود سعيد
معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١ م
= الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)
كتاب العين، تحقيق: مهدي الخزومي، وزميله، وزارة الثقافة والإعلام
العراقية ١٩٨٢ م .
= فرج، وسام عبد العزيز
العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن
الثامن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية ١٩٨١ م .
= الفيروز آبادي، مجد الدين (٨١٧ هـ)
القاموس المحيظ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر (د.ت)
= فشر، هـ. ا. ل.
تاريخ أوربا العصور الوسطى، نقله للعربية: محمد مصطفى زيادة و السيد
الباز العربي، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .
= القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر (٤٥٤ هـ)
تاريخ القضاعي، تحقيق: جميل المصري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة

١٤١٥ هـ .

= ابن كثير، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)

البداية والنهاية، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، بيروت ١٣٩٤ هـ .

تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت ١٤٠١ هـ .

= ماجد، عبد المنعم

التاريخ السياسي للدولة العربية، عصر الخلفاء الأمويين، الطبعة السابعة،

مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٢ م

= المروزي، نعيم بن حماد، أبو عبد الله (ت ٢٨٨ هـ)

كتاب الفتن، تحقيق: سمير أمين الزهيري، الطبعة الأولى، مكتبة التوحيد،

القاهرة ١٤١٢ هـ

= المسعودي، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن (ت ٣٤٦ هـ)

التبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٥ م

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية،

بيروت ١٩٦٦ م

= المقدسي، مطهر بن طاهر (ت ٥٠٧ هـ)

البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)

= ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)

لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت ١٤١٤ هـ .

= مؤلف مجهول،

العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثني، بغداد، تصوير الطبعة

الأوروبية ١٨٧١ م.

= الناصري، سيد أحمد

الروم والمشرق العربي، مركز النشر لجامعة القاهرة ١٩٩٣ م .

= الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، بيروت
١٤٠٧ هـ -

= اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (٢٨٤ هـ)

تاريخ اليعقوبي، دار بيروت، بيروت ١٣٩٠ هـ .

= يوسف، جوزيف نسيم

تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٨ م .

• المراجع الأجنبية :

History of the Later Roman Empire , J. B., = Bury,
(London ١٨٨٩) .

History of the Byzantine State , = Ostrogorsky, G.,
(New Joan Hussey Translated from the German by
١٩٥٧). New Jersey Brunswik

History of the Byzantine = Vasiliev A. A. ,
١٩٧٢). (Madison Empire

فهرس الموضوعات

٤٢٣	مقدمة:
٤٢٥	تمهيد عن أهمية القسطنطينية، والمحاولات الأولى لفتحها:
٤٣٠	الحملة الأخيرة على القسطنطينية في العصر الأموي:
٤٣٣	■ الاستعدادات البيزنطية و الإسلامية والتجهيز:
٤٣٩	■ سير الحملة إلى القسطنطينية وضرب الحصار:
	قصة اليون الإيسوري (٧١٧-٧٤١ م) مع المسلمين ووصوله إلى العرش
٤٤٤	البيزنطي:
٤٥٠	صور من الروايات التي تصف أحداث الحصار والموقف الإسلامي والبيزنطي: ..
٤٨١	الخاتمة:
٤٨٨	المصادر والمراجع:
٤٩٦	فهرس الموضوعات